



تَجْرِيدُ الْعَرَبِ

٢١

القرن العشرين

طبعة جزيرة العرب وحاتها الاجتماعية الماخضة . دعوة الوهابيين وتاريخهم
ومبادئهم . الحكومات العربية التي تهاجت على الجزيرة في السور الحديثة . الثورة
العربية . آل سعود وتاريخهم وأعمالهم . مؤتمرات الصلح والعامات .
الوثائق الرسمية التي دارت بين الأشراف وآل سعود وبريطانيا . . الخ

تأليف

مايذويه

مدير الملكة العربية السعودية بئسدين



٩٩/١١٩٤٨	رقم الإيداع
977-5797-46-4	I.S.B.N التوزيع الدولي

مكتبة

الطائفة ٥٥ / ٥ / ٤١٧ هـ
رقم ٥٥ / ٧٨ / ٥ - ٥

اهداء الكتاب

إلى شباب العرب الناهض ؛ عدة المستقبل
ومناطق الأمل .

مافظ و هبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

في يوم الخميس ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ - ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م وصل جريد الحجاز إلى عظمة السلطان عبد العزيز . وكنا على المعلوم^(١) أحد المياه النجدية ، في طريقنا إلى الحجاز ، فرأى عظمة السلطان أن نتقدم ركبته . فتركنا المسكر السلطاني في طريقنا إلى مكة . وكُنَّا : الدكتور عبد الله الدملوجي بك وأنا . والشيخ عبد الله السليمان « ككرتير » وكان الفرض من تقدمنا : أن ندرس أحوال مكة وحاجات أهلها وللتعام معهم ، وإزالة سوء الأثر الذي تركته حملة الطائف .

كنا نتردد على دار الإمارة ومقر الحكم ، الذي أقام فيه الشريف خالد بن منصور ابن لؤي ، أمير مكة من قبل السلطان عبد العزيز . وكنا نتذاكر معه وتبادل وإياه الرأي فيما يجدر من الشؤون الإدارية . ولقت نظري ما رأيت من أكذاس الورق المهمة في فناء دار الإمارة . فدفنني حب الاستطلاع إلى معرفة ما نحوها . وما كنت أعتقد أن من بينها أوراقاً ذات أهمية تذكر ، غير أني وجدت الأمر على خلاف ما ظننت .

وجدت السجلات الإدارية للحكومة الهاشمية ، كما وجدت كثيراً من الأوراق السياسية الهامة التي لما علاقة بالثورة العربية والحركة العربية في أطوارها المختلفة .

فأريت - خدمة للتاريخ العربي - أن أضاع كتاباً أضحت أم الحوادث في جزيرة العرب من سنة (١٣٣٣ - ١٣٥٣ هـ) - (١٩١٥ - ١٩٣٤ م) أضحت هذه الوثائق ومعلوماتي

(١) دُعَاة عظمة السلطان إلى خيئة لياخنتنا في البريد الواسل إليه من مكة من قناصل الدول ومن الأمير خالد بن لؤي . فرأى عظمة جد البعث أن نعلم الركب إلى مكة .

الخاصة في الانقلابات الخطيرة التي حدثت في هذه الحقبة من الزمن . فأكون بذلك قد
فت بشيء من الواجب الحقيقة والتاريخ .

واقدر رأيت — بعد استعراض كثير من الآراء — أن أضرب إلى هذه الفصول التاريخية
السياسية بعض الفصول الجغرافية ، وببضعة فصول أخرى عن عوائد السكان — البدو
والحضر — وطرق معاشهم ، والعلوم والمعارف في جزيرة العرب ، والنهضة الدينية التي
قام بنشرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وأحيائها في العصر الحديث الملك عبد العزيز
وأحفاده الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما رأيت أن أضرب إلى ذلك فصولاً أخرى عن الحكومات العربية ، وحكم الأشراف
في مكة ، وآل صباح في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والصراع بين آل سعود
والأشراف قديماً وحديثاً . لاتصال الحوادث ببعضها ، ولشرح بعض الحوادث الأخرى .
وإني أعترف أن تدوين التاريخ من أصعب الأشياء . فالإنسان قد يتأثر كثيراً بالخيال ،
وقد يكون حبه أو سخطه ذا أثر عظيم فيما يكتب .

ومع هذا فيجب أن أقرر أني لا أرى بتدوين هذا السفر القيام بأية دعوة لأي
شخص ، ولا التيل من أحد . فرائدي الأسمى : خدمة التاريخ والحقيقة ، وكل شيء سيقضي
سوى الحق .

وإني — وإن لم أصل إلى درجة الكمال في البحث ، انقص بعض المستندات التاريخية —
نقدت بما يعلمه على الواجب نحو الشعب العربي الذي وقفت حياني لخدمته ، وأبرات
ذمتي نحو الجيل القادم الذي له في رقابنا الشيء الكثير من الواجبات .

وفي الحديث : « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة باجسام من نار » .

ويجب على أن أذكر هنا مزيد الشكر على ما أسداه إلى أصدقائي من العرب والإنجليز
من المعونة ، سواء بالصور ، أو بإعطائي كثيراً من الكتب القيمة .

وأسأل الله أن يسدد خطانا وبصصنا من الزلل ؟

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين

• • •

لقد استقبل العالم العربي في مختلف الأقطار (جزيرة العرب في القرن العشرين) استقبالاً حماسياً محموداً ، يفوق ما كنت أقدره . استقبلته الصحف والمجلات — عربية وغير عربية — بالترحيب والإطراء ، وقدرت المجهود المصنوع الذي بذل في جمع الحوادث وتنسيقها ، والعدل في الأحكام ، وعدم التحيز في التطبيق على الحوادث ، والقصد في الثناء والنقد .

لقد غدت جميع النسخ التي طبعت في وقت أقصر مما كان ينتظر لكتاب مثله ، لم يتناول سوى موضوعات تاريخية واجتماعية ، أو قضايا سياسية لا يهتم بها إلا فريق خاص من قراء العربية .

ولكن الحقيقة الظاهرة الباهرة : أن العالم العربي — في العشرين سنة الأخيرة — أخذ يظهر اهتماماً عظيماً بكل ما ينشر أو يكتب عن العرب والعربية ، من شئون سياسية ، أو اجتماعية أو تاريخية أو أدبية ، وساعد على ذلك ازدياد القراء ازدياداً مطرداً بكثرة المدارس وازدياد عدد المعلمين .

ولقد شجعتني هذه الروح الناعضة وكثرة الرسائل — من الكتاب والساسة — على إعادة طبع الكتاب ، مع إضافة بضعة فصول أخرى في موضوعات لها صلة وشيجة بموضوعات الكتاب . وتسجيل ما جد من الحوادث الجسام في السنوات التي تلت الطبعة الأولى . وأرجو أن أكون قد وفقت لأداء واجبي نحو الأمة العربية التي وهبتها أمز ما أملك ، وهي حياتي .

هنا وأسأل الله الهداية إلى السبيل القويم .

مقدمة الطبعة الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين
وبعد ، فإنه ليس لي ما أضيقه على ما كتبته لمقدمة الطبعة الثانية ، فإن نفاذ الطبعة
الثانية وكثرة الطلبات على المكتب ، اضطررت لإعادة طبعه المرة الثالثة ، وهو إقبال يرجع
إلى الوعي القومي ، ورغبة القراء من الأمة العربية في الوقوف على حالة البلاد العربية واليهودية
وإمارات الخليج الفارسي ، وتطورها في العشر السنوات التي تلت الحرب الأخيرة .
وسأضيف إلى هذه الطبعة فصلا في قصة الزيت العربي . وتسجيل ماجد من الحوادث
في السنوات التي تلت الطبعة الثانية ؟

وأسأل الله التوفيق والسداد

ماطفه وهبه

القاخرة { جادى الآخرة سنة ١٣٧٥ هـ .
يناير سنة ١٩٥٦ م .

فهرس الكتاب

صفحة

- ١ جزيرة العرب :
 مومها - أجزاءها - مناخها - سكانها - التقسيمات الإدارية
- ١٤ المحجاز :
 طبيعة البلاد - الجو - السكان - التجارة والصناعة - مواشها - الأقاليم الشمالية -
 المنطقة الوسطى - القسم الجنوبي - مكة - وصف شامل لها - تاريخ تشييد الكعبة
 هدير :
- ٣٦ مومها - وديانها - سكانها - الزراعة - التجارة - أشهر مدنها - خلاصة
 تاريخية عن حكومتها
 نجد :
- ٤٥ مومها - مناخها - سكانها - الأدوات المحلية والصناعات - إبلان نجد -
 العارض - أشهر بلدان العارض - وادي القوامر - بلدان الوادي - القصيم -
 أشهر مدنها - جبل فمر - سكانه - المحمولات والتجارة - البلاد المشهورة
 الأحساء :
- ٦٨ الوصف الطبيعي - الجو - أشهر البلدان - الغوف - البرز - سكان البرز -
 أم عفار المنطقة - بقعة تاريخية - القصيم - أشهر بلدان القصيم
 الكويت :
- ٧٦ حدود الإمارة - الوصف الطبيعي - الجو - السكان - الصناعة والتجارة -
 مقاطعات الكويت - جزر الكويت - بلدان الكويت - خلاصة تاريخية
 إمارة البحرين :
- ٨٩ مومها - الجو - السكان - الصناعات والتجارة - جزيرة البحرين - بلدات
 البحرين - بقعة تاريخية - آل خليفة - الحكومة البريطانية والبحرين
 العوامر والأضموري :
- ١٠٥ الأقطاب - السادة - الكرم - الأكل
 المرأة في بلاد العرب :
- ١١٣

ملحة	
١١٨	الطب في بلاد العرب
١٢٤	العلوم والمعارف في جزيرة العرب :
	علماء الدين — الصناعات
١٣٥	قصة البترول
١٣٨	<u>الحكومات المصرية :</u>
١٤٦	السياسة الخارجية
١٤٨	أشراف مكة
١٥٢	العرب والترك :
	الجمعية الوطنية — جمعية العهد — حزب اللامركزية — المؤتمر العربي بباريس
١٥٦	الثورة العربية :
	مقررات النهضة — الوثائق المتبادلة في سبيل ذلك
١٦٨	مؤتمرات الصلح :
	موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح — الأمير فيصل بباريس — الأمير فيصل في لندن — إعلان الملكية في دمشق
١٨٦	أثر الثورة العربية في الحرب العامة
١٩٢	المعاهدة البريطانية مع الملك حسين
١٩٥	السألة الفلسطينية
١٩٨	العرب واليهود
٢٠١	الملك حسين وجيرانه
٢٠٢	ابن سعود والملك حسين
٢١٢	سياسة الملك حسين الداخلية
	وفاة الإمام عبد العزيز — صفات الإمام — سعود بن عبد العزيز — بدء الخلاف مع الفرنسيين والأتراك — وفاة الإمام سعود — عبد الله بن سعود — أساليب سقوط الدولة السعودية — رأي علماء نجد — أثر الدولة السعودية في نجد — الدولة السعودية الثانية — ترك بن عبد الله — فيصل بن تركي — صفاته — وفاته — الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود — الدور الثالث لآل سعود — عبد العزيز بن عبد الرحمن

- ٢١٥ آل سعود :
- ٢٤٤ ابن سعود والحكومة البريطانية
- ٢٥٠ ابن سعود وجيرانه :
- ابن سعود والكويت - ابن سعود والأشراف - مؤتمر الكويت - دور المؤتمر الأول - الدورة الثانية للمؤتمر
- ٢٥٧ مؤتمر الكويت
- ٢٦٢ غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي
- كيف نشأت فكرة النزوة - الدول من المؤتمر - فصل المؤتمر - ابن السموه وإمام صنعاء
- ٢٧٧ حياة الملك عبد العزيز الشخصية
- ٢٨١ أعماله الإصلاحية
- ٢٨٥ الإخوان :
- أول مؤتمر للاخوان - خوى علماء نجد - ابن بجاد يرسل رسولاً إلى ابن سعود - الثورة - الدويش يطلب السلاح - مؤتمر خبارى والحمه - الدويش في حضرة ابن سعود
- ٣٠٢ الدعوة الإصلاحية في نجد :
- الشيخ محمد بن عبد الوهاب - نجد في أيامها الأولى - ساهم الدعوة الوهابية ؟ - ما ينسب إلى التجديد ومأمرياً منه - أثر التمسك بالشرعية الإسلامية في الحياة العامة
- ٣١٦ المراجع العربية
- ٣١٧ المراجع الإنجليزية
- ٣١٨ ذيل خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في الكتاب
- ٣٧٦ الخاتمة

جزيرة العرب

بلاد العرب أو جزيرة العرب كما تعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحيطة بحر الهند ، والبحر الأبيض المتوسط ، ثم دجلة والفرات ^(١) . أما علماء الترحيم فيجعلون النفود الشامي الفاصل بين نجد الشامية ، وصحراء سوريا هو الحد الطبيعي لجزيرة العرب من الشمال يبلغ متوسط عرض الجزيرة ٧٠٠ ميل ، ومنتهاى طولها ١٢٠٠ ميل ، وتزيد مساحتها عن مساحة الهند ، وبلاد العرب من البلاد القليلة التي حافظت على تقاليدها وعاداتها وطرق معاشها منذ أقدم عصور التاريخ ، وإن ما انتابها من التعبير لا يكاد يذكر ، وذلك بسبب العزلة التي يفصلها العرب على كل شيء سواها

وجزيرة العرب مشهورة بصحاريها الواسعة ورمالها التي يقصر الطرف عن مداها ، وتشغل هذه الصحارى قسماً كبيراً من مساحتها

وأهم هذه الصحارى : الدهناء ، النفود ، الصحراء الجنوبية أو صحراء الربع الخالي ، وهذه الصحارى وإن كانت رملية إلا أن تربة بعضها حصبة بحيث تصبح بعد الأمطار من أفضل المراعى للحيوانات ، وقد اخترقها الدهناء بضع سرار من الشمال فتقطعناها في ١٣ ساعة على الإبل ، ومن جهة الأحياء تقطعناها في ست ساعات ، كما أنى قطعت النفود من بعض نواحيه من جنوب الزلفى إلى شقراء وهو أشق من عبور الدهناء ، وقد قطعت الدهناء بالسيارة في ثلاث ساعات

أما اليوم فالجزيرة العربية تقطع من حدة على البحر الأحمر إلى الظهران على الخليج الفارسي في نحو أربع ساعات بالطائرة

ولست طبيعة التربة في الدهناء والنفود متجانسة من كل وجه ، فهناك بعض الجهات لا ترى فيها غير الرمال المرتفعة التي تتركز تبينلح المارة لنعومتها وعدم تماسكها ، فيتجنبها المسافرون ابتقاء سلامة أرواحهم وأموالهم

ويوجد ببلاد العرب هضاب يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ثمانية آلاف قدم في شمال

(١) يسميه العرب بحر الشام . ياقوت : جزيرة العرب ، والقاموس : مادة جزر

وجنوبي منطقة البحر الأحمر - مدين واليمن - أما قلب الجزيرة فالارتفاع فيه تدريجي - فسوى البلاد في نجد يبلغ حوالى ٢٥٠٠ قدم . بينما يصل في بعض الجهات كأجا في الشمال إلى خمسة آلاف قدم ، وفي نهاية الجنوب الشرقى توجد هضبة عالية يسكون منها الجبل الأخضر ، وفي الوسط الشرقى يوجد مرتفع طويل يقال العرب يسمى جبل طويق ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠ قدم

الوديان

لا يوجد في بلاد العرب أسهار بالمعنى المعروف ، ولكن بعض محار أو هيرات صغيرة دائمة في عسير واليمن وجهات عدن والأحساء ، وعُمان ومجد ، ووديان لا عداد لها مما تجرى فيها المياه إثنان الطر ، وهي في الغالب طويلة وغير حميئة . وأطول هذه الويان وادى الرمة الذى يبدأ قريباً من المدينة ويمر في القصيم ، ثم إلى شط العرب . ووادى حنيقة الذى يبدأ من منحدرات جبل طويق الغربية إلى انحاء الخليج الفارسى (وهو لا يصل إليه) فهذان الوديان يمكن أن يُعبر محارهما أثناء فيضانهما الواسع . والمتوسط بدون صموية ، وهما يحتفظان الماء في باطن محارهما ؛ حيث يمكن الوصول إليه عن طريق آبار تختلف أعماقها باختلاف المكان ، وفي بعض الأماكن كما في القصيم (وادى الرمة) والخروج ووادى حنيقة تملأ المياه سطح الأرض ، وهالك تتكون سلسلة من الواحات

أما الوديان التي تتجه نحو البحر الأحمر ، فإنها ذات مجرى أعمق وأكثر انحداراً ، وهي تكاد تكون مدمومة النقع وهي عتبة في سبيل المرور من الشمال إلى الجنوب ، وهي لا تكون واحات مثل مياه الأودية الأخرى بسبب ما تجلبه المياه في انحدارها من الأتربة وغيرها مما يتراكم بعضه فوق بعض بسرعة ، بحيث لا تستطيع حرارة الشمس أن تؤثر في صلابته . ووديان غربي اليمن ومنطقة قسم للبحر الأحمر من هذا النوع - من مدين إلى حضرموت

المناطق الداخلية الخصبة

بين الصحارى المترامية الأطراف ، وبين الأودية والمنحدرات توجد مناطق خصبة عامرة بالسكان ، وتحمود بقسط من حاجات السكان الضرورية وأهمها :

١ - جبل ثمر :

هو إلى جنوبى النفود الشمالية ، وتنددر إليه المياه من جيلى على الشيرين « أجا
وسلى » الذين يمتدان من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى
وتشغل مدينة حابل ، ومدينة قيد^(١) القديمة ، وعدة قرى أخرى صغيرة وكبيرة فى
المنطقة المجاورة لسلسلتي الجبال

٢ - القصيم :

واقعة إلى ما بعد المحدثات فى جنوبى جبل ثمر ، فالقسم المنخفض ترفع خصوبته
إلى المياه الموجودة فى باطن الأرض باستمرار ، وإلى المياه التى تفيض عليه أحيانا من
وسط بحرى وادى الرمة . وتمتد منطقة القصيم فى خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل ،
تتخلله بعض أسنة النفود فتصله عن بعضه . وفى هذا الخط تقع أكبر مدينتين بحاريتين
فى قلب الجزيرة ، وهما : عنيزة ورَبِذَة ، وهذا هاتين المدينتين يوجد أكثر من خمسين
بلدة كبيرة وصغيرة

والقسم المرتفع غنى بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التى توجد فى أكثر من
أربعين بلدة

٣ - نجد :

وهذه بلا نزاع أكبر مجموعة من المناطق الحاصبة ، وتبلغ مساحتها بما فى ذلك بعض
المحدثات أكثر من عشرة آلاف ميل ، وهى تتكوّن من سلسلة مناطق واقعية عند
أطراف جبل طويق ، وتمتد سلسلة من البلدان والقرى من سدير فى الشمال وتنتهى فى
الجنوب إلى وادى الدواسر ومحروقة الماطق الحاصبة تحيط بها الدهناء شرقا وجنوبا ،
والنفود ، والصحدرات من الشمال ، ومحدثات من الغرب . ومنطقة الخصوبة أوسع على
جانب شاطئ البحر الأحمر وفى الجنوب الشرقى ، وفى الشرق يمتدان هذه الحلقة رقيقة

(١) انظر ياقوت

وتفصلها حواجز واسعة ، ثلث شاطئ* الخليج الفارسي من الكويت إلى القطيف أرض
جرداء ، وسد ذلك تبدأ سلسلة عيون في القاحل حيث منطقة الأحساء ؛ ولا يوجد على
الشاطئ* إلا مناطق صغيرة قليلة المحصورة . ومن نقطة رأس الجبل تبدأ عُمان التي تنحدر
إليها المياه من مرتفعات الشاطئ* الشرق وجبال عمان غرباً ، كما يبرل الطرفها في وصول
معينة . كذلك الجبل الأحمر المد على الشاطئ* تجاه رأس الجذ . وكذلك في المنطقة
الواقعة شمالاً خلف شاطئ* البطة توجد وديان حصنة وغنية وسلسلة مريضة من الأراضي
الخصبة ؛ وفي الجنوب توجد الصحراء ممتدة على طول الشاطئ* حتى رأس الحد . ولكن
لما كانت الأرض تأخذ في الارتفاع تدريجياً تجاه خط تقسيم المياه الثرى ، فإن ودياناً
وأرضاً خصبة تبدأ في الظهور ولكنها غير متصلة . وبعد عبور مدخل وادي حضرموت تأخذ
الأرض الخصبة في الظهور بشكل متقطع

ومن مدخل وادي حضرموت فصاعداً يعتبر القسم الثرى من شبه الجزيرة ، ونجد
أما هنا عند ما ندور حول الزاوية الجنوبية للثرى للجزيرة منطقة ساحلية منخفضة خصبة
في المواضع التي تنحدر منها الوديان من المرتفعات . ويوجد وراء هذه المرتفعات مرتفع
خصب (مُتَقَفاً ٧٥٠٠ قدم) ، تكتفه جبال عالية هي خط تقسيم المياه ، وتمتد هذه
المناطق الخصبة إلى ٢٠٠ ميل من الشاطئ* الثرى . ثم تأخذ المنحدرات تتلاشى حتى
تختفي في الربع الخالي . وهذه المنطقة هي ما كان يطلق عليها قديماً العربية السعيدة ، والتي
يطلق عليها الآن اسم اليمن ، وعدن والمكلا من جهة ، وعسير من جهة أخرى . وعلى
أية حال فإن المنطقة تنتهي عند مدينة البث على شاطئ البحر الأحمر . ومن هذه النقطة
شمالاً لا تشمل رياح المونسون هذه المنطقة ؛ ومن هنا تبدأ مناطق الواحات منعصمة عن
بعضها وعليها قوام حياة السكان . وفي بعض المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة يوجد بعض
مناطق خصبة صغيرة في باطن بعض الوديان ، وإلى مائة ميل شمالاً من المدينة تنتهي سلسلة
المناطق أو الواحات المنزلة بمنطقة خيبر والملا . أما بالنسبة للشاطئ* من حدة فليس فيه
إلا مداخل الوديان التي عند ما تنحدر فيها المياه وتختل باطن الأرض تمكن بعض
السكان من حفر آبار للارتواء

الجو

يعتبر الجو في الجزيرة على العموم ، ما عدا بعض نقط على الشاطئ* صالحاً للحياة — فالحرارة التي تشتد سهاراً والبرودة التي تشتد ليلاً تقتل أغلب الميكروبات التي تحارب بنى الانسان في جهات أخرى ؛ والحياة على وجه العموم في الجزيرة ، وبالأخص في المناطق الخصبة طويلاً ، ولكن حياة البدو الرحل الذين يعيشون على المنحدرات شاقة تقصر الأهل ، وكذلك الحال في هبة اليمن التي يبلغ ارتفاعها ما بين ٧ — ٨ آلاف قدم والشيء الذي يميز الجو في الجزيرة هو الجفاف ، فان بلاد العرب واقعة بين البحار . ومع هذا فليس لها أى أثر في جو الجزيرة ، وتستعيد اليمن من رياح الموسون في الصيف ويبرز في عمان قدر كاف من الأمطار بينا المنطقة الواقعة إلى غربي خط تقسيم المياه لا ينزل فيها المطر إلا نادراً

أما باقي الأقسام فإن أكبرها حظاً من المطر تعود الشمال وحبل شمر ، والأمطار تهطل في الشتاء ، وكذا رياح البحر الأبيض المتوسط تسبب المطر فتنبت أعشاب الربيع . وأما الصحراء الجنوبية فرعاً لا يصيبها الرذاذ ساعة واحدة كل ثلاث أو أربع سنوات . ومن ظواهر الجو أيضاً في الجزيرة الحرارة : فالنصف الجنوبي من الجزيرة تبلغ الحرارة فيه نهايتها في شهرى يوليو وأغسطس . أما تأثيرها في الإنسان فيختلف تبعاً لارتفاع المنطقة التي يعيش فيها

وأشد المناطق حرارة شاطئ* عمان ونهامة اليمن ، ولكن الجو في شاطئ* الخليج والمحيط الهندي ليس طيباً

السكان

عديم — الحضر والبدو

لم يصل إحصاء السكان في جزيرة العرب ، ولذا لا يمكن معرفة عديم بالضبط ، وإذا قلنا إن عدد السكان لا يقل عن سبعة ملايين ، فربما كما إلى الصواب أقرب . وهم موزعون في مناطقهم كما يلي :

ثلاثة ملايين في منطقة البحر الأحمر من مدين إلى اليمن ، ومليون ونصف في المنطقة الحوية والساحل البحرى ، بما فى ذلك حضرموت وعمان ومليونان ونصف في وسط الجزيرة

الحضر

إن كثرة ارتحال القبائل وغزواتها العديدة ، ترك عند الناس فكرة خاطئة عن عدم وجود مدن وبلاد فى جزيرة العرب ومناطق زراعية ، وكثير من الناس لا يعلم بوجود مدن سوى مكة والمدينة وجدة وصنعا

إن المناطق الساحلية فى الجنوب الشرق والجنوب الغربى من الجزيرة أراض زراعية أهله بالقرى والمدن ، والأهالى يشتغلون بالزراعة والتجارة ، ويوجد علاوة على ذلك مستعمرات أو واحات عديدة فى وسط الجزيرة ، يتجاوز سكان الواحدة منها سبعة آلاف نسمة ، وهذا عدا الأماكن الأخرى المبعثرة الملوثة بالسكان . وبما لا شك فيه أن حياة الحضر فى داخل الجزيرة متأثرة إلى درجة ما بحياة البدو الرحل لانتقال الفريقين فى كثير من المراتف ، فإن الفريقين كثيراً ما يتصلان بالمصاهرة والتجارة

والحضر تختلف طبائعهم باختلاف المناطق التى يعيشون فيها ، وظروف الحياة التى تحيط بهم ، فأهل حائل أقرب مظهراً إلى البداوة ، وأهل مكة والمدينة واليمن العالية أبعد مظهراً عن البداوة من البلاد الأخرى العربية ، وأهل القصيم ألين عريكة من أهل الماراض ، لأنهم كثيراً الأسفار ، كثيراً الاختلاط والتعامل مع البلاد الأخرى كالشام وفلسطين ومصر ، ولذا فترى موطنى ديران الملك المكلفين بالمقاتلات والتشريعات من أهل القصيم أو حائل

وأهل الرياض أرق بكثير من أهل القواصر الذين لم يعارقوا بلادهم ، ولم يعرفوا شيئاً من أحوال العالم الخارجى

والحضر فى تنافس وتنافس دائم ، فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على سائر سكان نجد بالعلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم . وأهل الماراض يفضلون أنفسهم

بالشجاعة والصبر على المكاره والمخاطفة على شتات العرب وأهم جند التوحيد الموالون
لأهل في أوقات الشدة

وأهل البحرين يغاضون أهل الكويت بكرمهم فيقولون : إذا حضر عندما الكويتي
دعواؤه ودعائه ولم يقل له عنراً ؟ ودعواؤه أصداؤه ومعارفه . أما الكويتي فإذا
قال في بلده قال لك مرحباً ! متى الوصول ؟ كيف حالك ؟ في أمان الله ! ثم اعرف -
وإذا لم يجد مفرأ من الدعوة لروابط العمل والصدقة المينة فانه يدعوك ويشتري اللحم
من السوق ، أي لا يذبح لك الخروف

وأهل الكويت من حمة أخرى يرمون أهل البحرين بالسلطة ؛ وحصر نجد
ويهدم ينالون من أهل الكويت والإحساء والبحرين ، ويقولون لقد أصاعوا مذبح
العرب ، لا يعرفون الخيل والجمال ولا السكر ولا القز ، ولا يحسنون إلا قيادة السهم
والخضريع ، منهم مصعباً بآدمهم ، ورماعاً كانوا يحمين على البيل من لمة أهل
الإحساء والبحرين لما فيها من الرخاوة والميل إلى الامالة

ويقلب على الحصر الخلق التجاري ، ومنس الجاهات يماز عن بعض في هذا الخلق ،
وأهل القصيم والراي وشقرا أنشط من أهل نجد في التجارة ، فتقواهم نقصد سائر الجاهات
العربية ، ونجارهم كثيراً ما يسافرون إلى الهند ومصر في سبيل التجارة ، والتجار النعديون
المرويون في الهند ومصر والعراق من أهل هذه البلاد . أما أهل الكويت فنشاطهم في
التجارة البحرية ، وقد كانت لهم أساطيل بحرية في سبيل نقل الحاصلات العربية إلى الهند
ومصر وسواحل الخليج الفارسي وحلب السبع الفسية والأوروبية إلى بلاد العرب ؛ وقد
قضت السفن البخارية على هذه الأساطيل وثلاث من أهميتها ، ومع ذلك فلا تزال للكويت
بعض السفن تنقل عليها تمر العراق إلى الهند ، وتأتي من الهند حاملة الأرز وأدوات السفن
وسائر الحاجيات الأخرى . أما في فصل الصيف فتكاد السفن تقتصر على النوص
لاستخراج اللؤلؤ

ويتمرن الحضر أولادهم على التجارة من الصغر : يمنح الوالد ابنه الصغير مبلغاً من المال
للتعامل به تحت إشراف أبيه وإرشاده ، وكثيراً ما يشارك الوالد ابنه في بعض السلم التي يراها

رابحة ، فشبب الثقي وقد صرن على الأعمال التجارية وشعر بكثير من المسئوليات ووقف على الطرق التي تدر عليه القود وعرف المشقات والصعوبات التي قد ستعرض الساحر والتي عاها أهلهم ، فإذا مات رب العائلة حل محله إبه الذي لم يصبح غريباً في محيطه الجديد ويطلب إلى حضرة الجزيرة — وعلى الأخص أهل خليج فارس — التماون التجاري سواء بين الأهالي بعضهم مع بعض أو بين الأسراء والأهالي ، فمن التماون المألوف في الكويت أن يدع تبحر القولز بمودم بعد يمه عند أصدقائهم في التجارة لاستناره على مسئوليتهم الخاصة . وحكام الكويت : جابر وسالم والشيخ الخالي له مبالغ طائلة عند رعاياه التجار لا يتقاضى من ورائها ربحاً أو فائدة ؛ وقد كان حكام البحرين كاحوانهم حكام الكويت عند ما كانت يدم مطلقة في شئون البحرين الداخلية والمالية . وحكام نجد وتطر لم مثل هذه الأيادي على رعاياهم البدو

أما البدو فهم القبائل^(١) الرحل المتفلقون من حمة إلى أخرى طلباً للرعى أو الماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوى على الملاحظة على هذه الحياة

وحياة البدوى حياة شاقة مضنية ، ولكنه وهو منقطع بأ كبير قسط من الحرية يفضلها عن أى حياة مدنية أخرى

هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل الرعى والماء ، وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طباعهم ، فالبدوى ينظر إلى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من الرعى

إن البدوى في الصحراء لا يهه إلا المطر والرعى ، فأزته الحقيقية إحباس المطر وقلة الرعى ، ولا يزال بما يصيب العالم في الخارج ما دامت أرضه محضرة ، وبميره سميماً وفتنه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شعفاً

أما إذا عما السكان وضقت بهم الأرض أو لم نجد أراضيهم بالرعى ، فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال ، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها ، وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من سراعها وأراضيها ، ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة ،

(١) سبب فصلنا في الجزء الثاني عن القبائل العربية وأسابها وأماكن إقامتها .

وهذا يفسر الهجرة من وقت لآخر إلى العراق وسوريا ومصر واستعمار الجزء الشمالى العربى من أفريقيا ، وتدفق شمر إلى ما بين النهرين ، وقبائل عيرة إلى العباد ، فكلها نتيجة تغلب غيرهم عليهم من القبائل ، واضطراهم إلى ترك أراضيهم التى لم يعد لهم سبيل فى الإقامة بها لضيق وسائل الحياة .

ومن الحوادث النادرة فى القرون الأولى ، التى نشه مايجرى فى بلاد العرب من وقت لآخر إغارة الساميين على مابل ، والكنعانيين على سوريا ، والمكسوس على مصر والعبرانيين على فلسطين .

لقد كان البدو قبل أربعين سنة فى غارات وحروب مستمرة ؛ كل قبيلة تنتهز الفرصة للإغارة على جارتها لسلب مالها ، وتمدد الإمارات ونشاحن الأسماء وتخاصمهم بما يشجع البدوى ولهذا كان المصيبة قيمتها فى بلاد العرب — فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء عمومته الأقر بين والأقربين ، وإذا كانت المصيبة صغيفه أمكن تقوية القبيلة بالتعاضد مع سواها حتى يقوى التفرقان ويأمنوا شر غيرهما من القبائل القوية .

وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التى اعتادت رعيها ، والمياه التى اعتادت أن تردها ملكا لها ، لا تسح لغيرها من القبائل الأخرى ما دونها منها إلا بإذنها ورضاها ، كثيراً ما تأس إحدى القبائل من نفسها القوة فتتهجم بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى ، وتنتزع منها مراعيها ومياهها .

إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء فى الشر والتمدى على السابلة والقوافل ، فبعضها قد اشتهر بأسره بالكرم والسباحة والقرع عن الدنيا ، كما اشتهر بعضها بالتمدى وسفك الدماء بلا سب سوى الطمع بها فى أيدي الناس .

ومع أن الدين الإسلامى أطل كثيراً من المصليات القديمة وأحل محلها الأخوة فى الدين (لا تحذ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فقد عادت المصليات بشروطها فى بلاد العرب مرة أخرى . والفضل الآن فى استتباب الأمن والضرب على أيدي المفسدين يرجع إلى الرحوم الملك عبد العزيز وسهره وإقامة أحكام الشريعة ، وسرعة تنفيذها .

ليس للبديوي قيمة حربية تذكر؛ ولذا كان اعتماد الأسراء على الحصر، بهم الذين يصعدون للقتال ويصبرون على بلائه وعلوانه . وكثيراً ما كان البدو شراً على الأمير المصاحبين له ، فإن ذلك الأمير إذا ما بدت منه الهزيمة كانوا هم البادئين بالنهب والسلب ؛ ويحسون بأنهم هم أولى من الأعداء المخاربين ؛ ولقد جرى كثير مثل هذا في الحرب الإنجليزية العراقية مما كان يندعش له الصباط الاعلير ، لأنهم لم يعرفوا أن صديقاً يحب صديقاً ؛ ولكن الدية لا تعرف شيئاً غير النهب والسلب ، وعندها السبي مقدمة على كل شيء . - والبديوي لا يرى حياة أسعد من حياة النادية ، ويرى الحاصرة حبساً لحريته وتغله حيث يريد ، كما أن أهل الحاضر يرون المداوة شقاء لا يمد لها شقاء ، ويصفون البدو بأنهم حفاة غلاط القلوب .

والبديوي إذا لم يجد ساحة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه هب الغادى والرائح ، فالحق عنده هو القوة يجمع لها ، ويخصم غيره بها . على أن هؤلاء قواعد لدادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها ، فالقوئل التي تمر بأرض قبيله وليس معها من يحميها من أراد هذه القبيلة معرضة للنهب ، ولذا فقد اعتادت القوئل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي تستر بأرضها ، ويسمون هذا رقيقاً .

والبديوي يحقر الحضري مهما أكرمه ، كما أن الحضري يحقر البديوي ، وإذا وصف البديوي الحضري فإنه في الغالب يقول . حُصيرى تصغيراً لشأه .

ومن عادة البديوي الاستعظام عن كل شيء ، واعتقاد ما يراه مخالفاً لقوته أو أعادته بكل هراحة ، فإذا مررت بالبديوي في الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم ؟ وعن رزائك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التي مررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والمراعي ؟ وعن أسرار الأغذية والقهوة^(١) ؟ وعن في البلد من القبائل ؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض .

وسم أن البدو قد اعتادوا النهب والسلب ، فإنهم كثيراً ما ينفون عن أهل العلم خوفاً من غضب الله عليهم ، وبعض البدو لا يخلف كاذباً مهما كانت النتيجة .

لقد شاهدت كثيراً من القضايا في الأحساء وغيرها كان البدوي ينكر إذا وجد مخالفاً للأنكار ، ويفلت بمهارة من الإجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه له البين وكان لا مفر له اعترف بحرمه إذا كان مذنباً ولا يحلف بالله كاذباً ، وهذا أمر يدعو إلى القرامة والإكبار أيضاً ، فإنه يدل على شعور عميق بالخوف من الله ، وإن هذا الشعور إذا أحيط بالناية والرعاية ، فإنه ربما يوجه إلى الخير ، أو على الأقل إلى الاقتلاع عن الشر

وقبائل نجد على السوم لا يزال فيهم الكثير من الصفات الطيبة التي اشتهر بها العرب الأقدمون : يعرفون حقوق الصحة والرفقة ويشترعهم عمل المعروف ، فلا تسع في نجد أن جمالا قتل رفيقه في السفر كما اعتاد الناس أن يسعوا في الحجاز

وليس أعدل من البدوي في تقسيم التينة حتى قد يتلقون الشيء نحرماً للعدل يقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص أو السرورال ، كل هذا إرضاء لضيائهم ودفعاً للغلم . إنهم يعرفون الخيام حق المعرفة لأنها بيوتهم التي يمشون فيها ، ومع ذلك فهم يقسمونها مراعاة للعدل — أما الإبل والتمن فإنهم يقسمونها إذا أمكن القصة ، أو يقومونها بشئ إذا لم يكن هنالك سبيل لقصة

والبدو لا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهما الحضري ، لا يفهمون البيوت وهندستها ، ولا يفهمون فائدة الأبواب والنوافذ الخشبية ، حتى إن البدو القدين كانوا في جيش الملك حسين في الثورة العربية كان علمهم بسد الاستيلاء على الطائف نزع خشب النوافذ والأبواب ، لا ليحميها والانتفاع بشئها بل لاستعمالها وقوداً إما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدو نجد قد فعلوا مثل ذلك تماماً ، فعندما أسكنت الحكومة بعض القبائل ثكنة حرول ، اكتشفت الحكومة أن النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالتدريج ، وأنها اسهمت للطبخ وتحمير القهوة فأخرجهم جلالة الملك توا من الثكنة وأسكن الحضري فيها ، والحضري بطبيعتهم يفهمون ما لا يفهمه البدو عن النوافذ والأبواب

والبدو مهارة عظيمة في انتقاء الأثر ، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً في اكتشاف كثير من الجرائم ، ولا نكاد نخلو قبيلة من طائفه منهم ، وأشهر القبائل براعة قبائل آل مرة ، ولم تقصص كثيرة لا تخلو من المبالغة ، فأنهم يزعمون أن الخليفة من الخيرة

ما يمكنه من معرفة الفكر والأخى ، واليكبر والقيس ، والحامل والحائل

والقبائل العريقة المشهورة من حصر وبادية تحافظ على أساسها تمام المحافظة وتحرس عليها كل الحرص ، فلا تصاهر إلى من يساويها في النسب ، والقبائل المشكوك في نسبها لا تصاهرها أحد من القبائل المعروفة

أما حكام العرب فيترفعون عن سائر الناس حضرم ويدرهم ، لا يزوحون بناتهم إلا اقرباهم . أما هم فيتروحون من يشاءون ، وطلقات الحكام يرفع بعضها عن بعض : الأشراف يرون أنفسهم أربع الخلق بنسبهم ، وآل سعود يرون أنفسهم أربع من الأشراف ، وأربع من سوام من حكام العرب الآخرين ، ومع أن العرب المحفوظة أساسهم كلهم أكفاه لبعض ، فلا تزال أمثال هذه العادات متأصلة في البادية أكثر من الحاضرة

وهنا ترى الروح الصحيحة البدوية التي لا تمك شروى تغير ثمنس الزواج من غنى لأنه ابن صانع أو أمه من سلالة السيد ، أو لأن نسه القليل يحوطه شيء من الشك ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب . ومع وجود هذه الروح الاستقرائية التي تتجلى فقط في الزواج ورعاية القبيلة والحكم ، فإنه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى ، فالفرود وشيوخ القبيلة والأمير يأكلون جميعاً الأرز واللحم والخبز والتمر ، ويلبسون جميعاً الثوب والمباعدة والمقال والقفر (الكوفية) ، ويتنعم أفرادهم بحرية لاحد لها ، فالبدو ينف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه (ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة إلى ما يريد

التقسيمات الإدارية

يجمع العرب وحدة اللغة والدين والنسب أيضاً ، وهم إن اختلفوا في بعض العوائد وفي نظام المعيشة ، فهناك صفات عامة وسجايا تكاد تكون مميزة للشعب العربي

أما اصطلاح القدماء على تقسيم البلاد العربية إلى خمس ولايات أو مناطق : الحجاز . نجد . اليمن . تهامة . الحجاز . . . ولكن حدود هذه الولايات موضع اختلاف الباحثين بين القدماء ؛ وكما قدمنا أن العرب بالرغم من تعدد إماراتهم وتنازعهم فيما بينهم ، فإن

هذا كله لا يقضى على ما بين الشعب العربى من مميزات الوحدة ولا سيما اللغة والدين
وكثيراً من الصفات الأخرى

أما الحوادث التى ستعرض لها هى خاصة بالحجاز ونجد وملحقاتها ، أو ما يطلق عليه
اليوم البلاد العربية السعودية ، والكويت والبحرين على الخليج الفارسى . والحوادث
التي وقعت في هذه البلاد في الأربعين سنة الأخيرة هي أهم الحوادث في التاريخ العربى
الحديث ، فقد غيرت الحالة العربية عما كانت عليه تماماً قبل الحرب العامة الأولى ، ووجدت
للعرب شخصية دولية محترمة يرعاها الآن الملك سعود بن عبد العزيز بن عبدالمعز بن

الحجاز

يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية ، وهو يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين أليت والقنطرة^(١) على شاطئ البحر الأحمر . أما حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماماً ؛ بل كانت تمتد وتتقلص تبعاً لقوة الأتراك والأشراف ، ومبلغ سيطرتها على البلاد

وفي البادية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية للطائف ، فإذا قالوا : إن هذا البدوي حجازي ؛ يمتنون أنه من جنوبي الطائف ، وهذه التسمية لها وجه ؛ فإن جبال السراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز ؛ بمعنى أنها فاصلة بين المَؤَر وهو تهامة ونجد والمساحة التقريبية للحجاز تبلغ زهاء ٧٠٠ ميل طولاً (من الشمال للجنوب) و ٢٥٠ ميلاً عرضاً (من الشرق للغرب)

طبيعة البلاد

تشكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية محاذية بعضها البعض وهي :

١ - المنطقة الساحلية : الممتدة بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر (تهامة) ، وتحفها شعاب مرجانية

٢ - منطقة جبلية ، البنية : تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى تصل إلى ما بين جدة ومكة ، إذ لا يزيد ارتفاعها هناك عن ألفي قدم

٣ - منطقة صحيرية : (واقعة بين جبال) مرتفعة جداً في الشمال ؛ ومنغطة بالضم (الساتل البركاني) من المَؤَبِرِض ، ولكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها للجنوب ؛ فيصل ارتفاعها في غربي مكة والطائف إلى نحو ألف قدم^(٢)

(١) في الحرب المجازية الأخيرة خست البقية ومعان إلى شرق الأردن ، ولكن الحكومة العربية السعودية لم تنترف بهذا القسم ، واحتقت مع الحكومة البريطانية ساحة الانتداب على شرق الأردن على حل هذه المشكلة بالمفاوضات السياسية .

ولم تتر الحكومة العربية السعودية موضوع النية وعمان بعد إعلان استقلال الأردن فإن وجود إسرائيل كات لإزالة أي خلاف بين العرب فإن خطر إسرائيل مهدد للجميع على السواء .

٤ — الأممود الرئيسي : الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحتم كما هو الحال في الحفرة الموزيخ ، حَيَّيرَ (٦٠٠٠ — ٨٠٠٠) ، ولكنه لا يزال محتفظاً بارتفاع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة

٥ — المنطقة الرئيسية : وهي أعلى حافة السحدر للشرق في اتجاه قلب الجزيرة ، في المنطقة الأولى والثالثة تقع المدن الآهلة بالسكان ، فيباء المقبة والموزيلج والوجه ، وأملج ، ويَنْجُح ، ورايح ، وجدة ، واللبث واقعة في المنطقة الأولى وميلاء الملا ، والمدينة ومكة واقعة في المنطقة الثالثة

ويوجد في الحجاز واحات خصبة متفرقة هنا وهناك ، وهي على الأغلب واقعة على حط بين المنطقة الرابعة والخامسة ، ومنها الحائط ، والحويط مدك وخيبر والحياكية ، والطائف ، ووادي قاطمة (مر الظهران) ، والصغراء

الجو

إن كميات المطر التي تمر في الحجاز قليلة وغير كافية بالمرء ؛ ولهذا فإنه يكاد حميم يكون قاحلاً ؛ إلا حيث توجد الواحات . وفي الطائف بحاسة في الجنوب لا توجد أمطار دورية تنزل فيه ، كما هو الحال في عسير واليمن

ودرجة الحرارة في أجزاء الحجاز الواطئة أخف سها في تهامة اليمن ؛ ومتوسطها هو من ٨٠ — ٩٠ ° ف ، والهواء رطب ، وطراً لأن مكة منخفضة الارتفاع (٧٠٠ — ٨٥٠ قدماً) ومحاطة بمرتعات صحرية حرداء ؛ لئلا تبيد الحر صيفاً ، بخلاف المدينة ؛ فلن درجة الحرارة فيها لا تزيد عن ٧٠ وهي الدسح

والطائف أحسن بلاد الحجاز قاطبة ، جاف امراء — والمرتعات فيها وراء مكة والطائف جوها بارد

السكان

يمكن تقدير عدد سكان الحجاز : بدو وحضر بمليون نسمة ونصف ؛ منهم يشتغلون بالزراعة أو يقيمون المدن ، والثلاثان قبائل متقلبة

التجارة والصناعة

تكاد تنحصر التجارة في الحجاز فيما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة من الحاجيات ، وكلها ترد إلى الحجاز من الخارج . ويصدر الحجاز بعض حاصلات من التمر والخلود والحناء والصنع ولكنها قليلة جداً بالنسبة للواردات وترد البضائع من كل الجهات إلى مكة التي تعتبر أهم مركز تجاري في قلب الجزيرة ؛ نظراً لموقعها الجغرافي والديني

وتعتبر جدة أقربها من مكة أهم موانئ الحجاز . وفي غير موسم الحج تستغل جدة بالتجارة مع سوريا والمند ومصر ؛ وأفريقيا وبريطانيا ، ومما لك جنوب أوروبا . وإلى جدة يصل أكبر عدد من الحجاج ، ومنها يقضون أغلب ما يلزمهم في سفرهم إلى مكة وشركات البواخر التي تمر بميناء جدة في الوقت الحالي هي شركة مصر للملاحة البحرية ، والغليزية ، والإيطالية ؛ وهناك شركات أخرى تمر بواخرها كلما مست الحاجة ينبع :

هي الميناء الثانية للحجاز ، ومنها يصدر للداخل جزء غير قليل من التجارة مع أواسط الجزيرة . وهي الميناء الطبيعية للمدينة المنورة وما جاورها ، وتمر على الميناء البواخر السابقة المدينة :

وتسمى طيبة أيضاً ، هي العاصمة الأولى للمسلمين في عهد الرسول وخلفائه الثلاثة ، وهي معقل الإسلام ، وسها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولزنتها الدينية ومركزها في الحركة الإسلامية الأولى فصلها عن الدماء على مكة تبعد المدينة عن يسع ١٣٠ ميلاً ، وعن مكة ٣٠٠ ميل تقطع بالليل في عشرة أيام ، وبالسيرة في نحو ثلاثين ساعة وتقطع المسافة بين جدة والمدينة في ساعة وربع بالطائرة يبلغ طول المدينة ميلاً واحداً ، وهي قسيان : المدينة القديمة ويحيط بها سور ، وهي في الشمال الشرقي ؛ والبلدة الحديثة ، وتفصل الناحية بينهما ، والمدينة حثة أبواب

والمدينة محاطة بالمزارع من جهاتها الأربع إلا الجهة الغربية ، وتمتد المزارع حولها إلى عدة أميال ، وبها عين الزرقاء ، منبعها من قُبَاء على ميلين من المدينة .
 يبلغ سكان المدينة عشرين ألفاً ، وقد بلغ سكانها قبل الحرب المظلي عدد اتصال السكة الحديدية بها ٨٠ ألفاً ، ولكن مصائب الحروب أضرمت المدينة من السكان ومن العمران ، وبالمدينة كثير من قبور الصحابة وآل البيت ، وأئمة الحديث والفقه ؛ وقد كان مشيداً على قبور هؤلاء القباب والناس ، مهدمتها الحكومة الحالية في السنة الأولى من فتح المحارسة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٦ م تسيذاً لوصايا الرسول وأوامره بتسوية القبور ، واتقد آثار هذا العمل نائره المتمصين للقبور ، ولكن الحكومة لم تأبه لاحتجاجاتهم ، وقد عرّس كثير من الأسراء والحميات الإسلامية في المد وغيره استعدادهم لإرجاع القباب وبناء القبور ، ولكن الحكومة في سبيل رضا الله رخصت جميع الاقتراحات الخاصة بهذا الموضوع .

مسجد الرسول :

هو أهم ما في المدينة من المساجد ، وقد بنى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم باليمن ، وسقفه الجريد ، وعمده جدوع النحل ، وقد كانت مساحته سبعين ذراعاً في ستين ، وزاد فيه عمر ، وبناء على نياحه في عهد النبي باليمن والجريد وأعاد عمده جدوعاً ؛ ثم غيّر عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبني جداره بالحجارة المقوشة والأقمتة (أى الجص) ، وحمل عمده من حجارة مقوشة وسقفه بالساج ؛ واسدت الرابدة حتى دخلت فيه بيوت أرواح النبي ، ومنها بيت عائشة لدى دمن فيه النبي وصحابه ، فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله ثلاثاً يظهر في المسجد .

وزاد فيه الوليد بن عبد الملك من ٨٨ — ٩١ هـ ، والمهدي (سنة ١٦٦ هـ) من جهة الشمال ، وأمامون (٢٠٢) ، وفي سنة ٦٤٤ هـ إحترق المسجد ، فأهزم الخليفة العباسي المتعصم بالله بن المصطفى بالله ، وبدأ تجديد مسجد سنة ٦٥٥ هـ .

وما زال المسجد موضع عناية ملوك وأسرار المسلمين بناء وترميم وتجديداً . والبناء الحالي هو بناء السلطان عبد الحميد العثماني ، بدأ بنائه سنة ١٢٦٥ هـ وانتهى البناء

سنة ١٢٧٧ هـ ؛ وهو بناء بديع جمع بين الفن والحل ، وهو يفضل شاء المسجد الحرام بمكة كثيراً ؛ وقد حدث بالبناء الخلى تصدع ، فاهتم المرحوم الملك عبد العزيز بالأمر وأمر أن يعاد تناؤه على مقتضى الخاصة كما أمر الملك سعود بتوسيعه أيضاً .

واتم كان بالحجرة النبوية والمسجد الحرام كثير من الهدايا القيمة ، تقدر ثلاثة ملايين من الجنيهات ، نقابا فائدا المدينة أخرى ناشأ إلى الآستانة خشية أن تقع في أيدي الملك حين .

وفي مباحثات مؤتمر لوزان طلب القورد كروان بالنيابة عن الملك حين رد الأمانات التي وصع الأتراك يدم عليها ؛ ولكن الأتراك أحابوا بأن هذه المألة من المسائل الإسلامية الخاصة بالمسلمين .

ولم تعرف أن الملك حينئذ بعد ذلك دخل في مفاوضات مع الأتراك لاسترداد هذه الأمانات الخاصة بالحرم النبوي والهدايا إليه من ملوك المسلمين .

الاقليم الشمالية

ينحصر هذا القسم الواقع في شمال المعازما بين خط العرض ٣٠ شمالاً ، وهو قسم جبلي ، لا يقم به من السكان إلا نفر قليل ممن يمشون في أكوخ صغيرة ؛ وخط سكة الحديد الحجازية المار في هذا القسم لا يوجد به مدن في المحطات الواقعة عليه ، فمن معان إلى دار الخنراء (٢٥٠ ميلاً تقريباً) لا يوجد فيه مدينة أو قرية إلا في تبوك ، فإن بها نحواً من ٨٠٠ ساكن .

والساحل في هذا الجزء عبارة عن أرض منسطة يباع عرضها من ٧ أميال إلى ١٥ ميلاً ، وليس به مزارعات إلا في م الوديان ؛ ولكن به بعض الآمار القديمة التي كان يردها حجاج مصر قديماً .

وأم المدن والنرى هي :

١ - العقبة :

تقع على الشاطئ الشرقي من خليج العقبة ، قريباً من رأس الخليج الذي يشبه نصف دائرة قطرها ثلاثة أميال ، وبها قلعة قديمة على شكل مربع ، وهي تحتوى على ١٠٠ منزل ، وبها بساتين ومزارع نخيل

٢ - المويّليح^(١) :

قرية وقلعة على بعد ١٦٠ ميلاً إلى الجنوب ، وبها سوق للحبوب ، ومحوطة عائلة يسكنون الأكواخ ، وبها بساتين ومزارع نخيل ، ومياهها من الآبار . ومن المويّليح توجد طريق قوافل لتبوك والمدينة المنورة

٣ - ضُبّا :

تقع إلى جنوب المويّليح وهي المحل الرئيسى لقمية الحويّطات ، تحدها لأنزك قديماً مركز دفاع عن الشاطئ ، بها آبار ومزارع نخيل

المنطقة الوسطى

ينحصر ضمن هذا الجزء جميع البلاد الواقعة بين خطى عرض ٥٧° و ٢٤° شمالاً ويمتد هذا الجزء نحو مائتى ميل ، وجميع تودن وبحارى انبساط في هذه المنطقة تنفذ إلى البحر الأحمر واسطة سفد واحد ، وسورادى الخمس الذى يقع فيه إلى حدود الوجه ثلاثين ميلاً ووادى الحوض نفسه ينحدر إلى البحر من أعز من وادى حبير والبلاد الرئيسية في هذه المنطقة هي :

الوجه :

وهي بلدة صغيرة تحوى على قصعة بيوت مبنية من الحجر ، سكانها نحو ألفى نسمة ، بها قلعة وسوق ، ومياهها تنيل إلى الوجه

(١) إليها ينسب صاحب سيرة ابن هشام

أُمْلُج :

قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأما ما تقع جزيرة حَسَّان التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع نخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل إلى اصطبل عَنَقَر ، إحدى محطات سكة حديد الحجاز (١٢٠ ميلا) ؛ وإلى المدينة المورة (١٤٠ ميلا) والأراضي هامة خصبة وبخاصة في وادي عين الواقع إلى شمال جبل رَحْشَى

يلبع البحر :

مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل ، وهي مسورة من جهة الداخل ؛ بيوتها مبنية من الحجر الجيري ، سكانها نحو ٥٠٠٠ نسمة ، والمسافة بينها وبين المدينة تقطع بالسيارة في ست ساعات ، ويحلب إليها الماء من مياه تسمى السَّيْحِل تبعد عن البلدة نحو أربع ساعات . وقد أشأت الحكومة الحالية (كَنَدَانَا) لتقطير المياه من البحر محافظة على صحة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

وفي ضواحيها كان الاجتماع التاريخي ١٩٤٥ بين الوجود الملك عبد العزيز وبين ملك مصر السابق فاروق

يلبع النخل :

هي واحة نخيل مياهها كثيرة ، وهي مقر عرب جبينه وحَرْب ، ويقعها نحو عشرين قرية آهلة بالسكان

الفلّ :

تقع في شمال سكة حديد الحجاز وسكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة ، والمدينة نفسها صغيرة وضيقة ؛ ولكن الواحة تمتد حولها إلى ثلاثة أميال ، وبها بهير صغير درجة حرارة المياه فيه ٩٢ ف . ومحاصيلها كثيرة يشترها البدو الرحل في الشمال ، وبها بساتين قليلة

خيبر :

هي قرية أو مجموعة قرى في واحة تسمى باسمها ، واقعة في حرة على مرتفع يبلغ ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي على بعد ستين ميلاً من شمال المدينة المنورة والبلدة نفسها تقع في وادي رَيْدِيَّة أكبر وديان خيبر ، وبها قلعة قديمة تسمى الحصن ، وبها عيون ماء جارئة كثيرة

وخيبر اسم مشهور من قديم في الإسلام ، فقد تمت فيها معارك . وسكانها ٣٠٠٠ نسمة أكثرهم ولدون ، والعرب لا يحسون الإقامة فيها خوفاً الحى والواحة غير مسمية ، وقد كانت خيبر موطن اليهود في صدر الإسلام

الحنَّاكِيَّة :

موطن صغير في جنوب خيبر ، وهي مقرية من رأس وادي الخُدص ، وقد كانت قديماً نامة لقبيلة الرُّؤَالَة ؛ ولكنها الآن أصبحت موطناً للعوالى ، وبها نحو حشرين منزلاً ، وبها مزارع للفخيل . وهي واقعة على إحدى الطرق ما بين المدينة و بُرَيْدَة

القسم الجنوبي

يمتد هذا القسم من خط عرض ٢٤° إلى خط عرض ٢٠° شمالاً حيث تنتهى حدوده غير من هذا الخط . وأم مدته :

رايغ :

وهي عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة ، ولكن بها مزارع نخيل واسعة تمتد في الداخل إلى بضعة أميال

جُدَّة :

هي مدينة كانت مسورة . ولكن سورها قد أُرِبل وانصلت البلدة القديمة بالمباني الجديدة التي زاد عددها عن دور المدينة القديمة وتقع ميناؤها في منتصف طول البحر الأحمر

تقريباً ، وهي مياء مكة ، والمسافة بينهما حصة وخمسون ميلاً ؛ ويبلغ سكانها الآن نحو مائة وخمسين ألفاً

أسس جدة الخليفة الثالث عثمان . ومدخلها خطر على السفن لكثرة الشعوب الوحيدة فيها وقد شيدت الحكومة السعودية سرفاً حديثاً للبوافر زودته بجميع الآلات الحديثة لتبريغ السفن بسرعة

وكان بمجدة قبر يربى إلى حواء أم البشر ، وقد كان المحتاج يروون هذا القبر ويتبركون به ، كما أن أهل جدة أنفسهم كانوا يصدقون هذا المكان للتنظيم ، وقد خدمت الحكومة الحاصرة القبة الموصوعة على القبر ، كما أرالت البيان الذى على القبر ، ومنعت الناس من التمسح به أو إتيان أى عمل لا يتفق مع الشريعة الإسلامية

واقدر زار العلامة ابن جبير الأندلسى حدة فى حجة (سنة ٥٧٩ هـ) وذكر بعض آثار جدة ، ومنها الموضع الذى شيد عليه « قبة عتيقة » يقال إنه كان منزل حواء أم البشر عند نوحها إلى مكة ، ولم يذكر ابن بطوطة شيئاً عن قبة حواء عند مرورهم بمجدة فى طريقه إلى اليمن (سنة ٧٣٠ هـ) ولم ينف على تاريخ تشييد القبة ؛ وعلى كل حال فليس هناك حجة تاريخية على صحة هذه النسبة

ويحيط بمجدة قرى صغيرة فى الجنوب والشمال ، وأكثرها مؤلف من بيوت صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو ، والجلالون وكثير من الزنوج

وجدة ليس بها جبر أو عين لشرب السكان ، ولكن بها آبار كثيرة خارج البلد ، يملك أكثرها الأشراف والأهالى ، وهى تملأ بماء الأمطار ؛ كما أن البيوت بها صهاريج تملأ بماء ينحدر إليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه غير صالحة ؛ وقد فقدت الآن الأغنياء يحملون مائهم من الآبار البعيدة

وقد شيدت الحكومة التركية آلة على البحر لاستخلاص الماء الحلو ؛ يساعد أهل جدة والأوربيين القيمين بها على الحصول على ماء صحى نقي ؛ وقد اشترت الحكومة السعودية فى سنة ١٩٢٦ ما كيتين كبيرتين لهذه الغاية بالنظر إلى قدم العهد على الآلة الأولى ، تتوفر المياه المذبة للسكان وللحجاج ؛ وقد مدت الحكومة الحاضرة الماء من وادى فاطمة إلى جدة فى أنابيب ويسرت على السكان أسرها كان عائقاً فى زيادة السكان وقد ازدادت حركة البناء

زيادة تدعو إلى الدهشة كما زينت أكثر البيوت بالحدائق الفناء وإذا كانت السيدة زبيدة قد حدثت اسمها بالعين المشهورة فإن المرحوم الملك عبد العزيز قد خلدا اسمه بهذه العين وهذا العمل الجليل . وقد كانت حدة في القرن الماضي مركزاً تجارياً هاماً ، تجذب الصانع إليها من الهند وغيرها ؛ ومنها تخرج إلى بلاد العرب ومصر والسودان وغيرها ، ولكن شأنها صعب بعد أن وضع محمد علي باشا يده على الحجار ، وفتح السويس للتجارة . وقد أصعب شأنها كثيراً فتح مياها ور سواحل ، فأصبح هو الميناء الأول في البحر الأحمر . ولكن حدة بعد وصول الماء إليها بعد ساء لمرناً قد عاد إليها ثلثها وأكثر مرور البواخر بها

الليث :

قرية تبعد عن المياها نحو ميل ونصف ، بيوتها من الطين ، شاطئها منحفض ورمل ؛ وفي الداخل تبدأ الأرض في الارتفاع إلى الشمال حيث تتحول إلى حمال عالية بعد مسافة .

مكة :

ونسى بكة وأم التري ، أشهر مدن الحجار ، بها بيت الله والمسجد الحرام ؛ وتقع مكة في واد ضيق عميق ينبع شمالاً مع ميل قبيل إلى الشرق ، وللتلال المحيطة به ترتفع إلى مئات من الأقدام ، وتغطي بالوادي إحاطة كاملة ، أغت السكان والأشجار عن بناء سور حصارها ؛ وقد شيدت عدة صوامع ثم في مكة .

يبيع سكانها نحو ٢ ألف نفس ، وقد عمل إحصاء لمكة (سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م) ولكن النسبة ^(١) لم يدخل في هذا الإحصاء ، وعلى كل حال فالإحصاء تقريبي ، وجو مكة حار جداً وجاف ولكنه حي .

وأهم ما في مكة من المس والآثار الكعبة المشرفة ، والمسجد الحرام .
الكعبة أو بيت الله ، وأبواب البيت ، ماء صريف تقريباً ، في في أوسع نقطة من الوادي ، ولأن يحيط بها المسجد ، والمسجد من حيث السعة والمساحة والجمال والفن المعماري لا يفوق غيره

(١) ونذكرنا حوادث استفاء الماء من الإحصاء مما حاولته إدارة الصحة من حرم الكعبة على الأسوار قبل آدم ، فاحتج أهل مكة على مريد هذا صواب على نفسه وساعدته علماء نجد على رأيهم ثم سلطت الحكومة تدمير الكعبة ، ومطرب أخيراً لاستخدام من البيات اللغات بأصول الطب فساد المرض وبس الأعراض الأخرى الخامة بالبيات .

من الساجد الأخرى الموجودة في الشرق ، ولكن الاحترام والتقدير إنما هو للكعبة .
 يبلغ ارتفاع الكعبة ١٥ متراً ، وطول حدارها الشمالي ٩,٩٢ متراً ، والجنوبي ١٠,٢٥ متراً ، والغربي ١٢,٢٥ متراً ، والشرق ٨٨ ، ١١ ، وفي الحسدار الشرق بها ، ويرتفع عن الأرض مقدار مترين وعتبه مصفحة بصامخ القصة ، وكذلك مصراعا الباب ، إلا أن صفائح القضية مطلية بالذهب .

ويلاصق حدار الكعبة من أسفلها بناء من الرخام ، يسمى بالشاذروان ، أقيم تقوية للمحدران ، وهو محيط بها من جميع جوانبها ، ولا يعلم بالضبط متى بديء البناء على أصل الشاذروان ، وقد جدد البناء عليه مراراً ؛ وفي الركن الجنوبي الشرق للكعبة من الخارج الحجر الأسود ، وهو مبدأ الطوائف ، ويرتفع عن الأرض متراً ونصفاً ، وهو كاسه أسود ، وقد حمل له غطاء من الفضة (سنة ١٢٩٠ هـ) بسبب التشقق الذي حدث فيه ؛ وقد قال سيدنا عمر في تقبيل الحجر : إلهك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبيلتك .

أما تاريخ تشييد الكعبة والنرض الأساسي من بنائها ، فإنه يشغل قصفاً هاماً من التنايل الإسلامية ، والتاريخ العربي والديني ؛ غير أن الروايات الكثيرة التي وردت في ذلك يحتاج أكثرها إلى بحث علمي دقيق ؛ فإن الروايات الخاصة بهذا الموضوع كثيرة ومتناقضة ، وبعضها لا يتفق مع قواعد العلم^(١) .

إذ أن السكان الذي شيدت عليه الكعبة قد أرجعه الرواة إلى آدم أبي البشر ، ومع أن هذا لا يستند إلى خبر صحيح ، فإنه يدل على أن بناء الكعبة قديم يرجع إلى ما قبل التاريخ .

والتاريخ الحقيقي للكعبة ينتدى من عصر إبراهيم عليه السلام ، ومنخلص فيما يلي ما رواه البخاري لما له من المركز المتأخر عند مؤرخي المسلمين ولقدته التي كان يتوخاها في تمحيص الروايات :

قال البخاري : أول ما أئخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً اتفق أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل ، وهي ترصه حتى وضعا عند البيت ،

عند دوحه فوق رزم في أهل المسجد ، وليس في مكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ؛ ثم قتل إبراهيم سوطاً ، سميت أم إسماعيل ، وقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتركنا هذا الوادي الذي ليس به أيسر ولا شيء ؟ وقالت له ذلك سراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : آله أسرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يصيهنا ، ثم رحمت . فاطلق إبراهيم حتى إذا كان عند التنية حيث لا يرويه ، استقل بوجه البيت ثم دعا هذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : (ربنا إني اسكنت من دريتي وادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) . وجعلت أم إسماعيل ترصع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا بعد ما في السقاء عطشت ، وعطش أبوها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب حل في الأرض بلبها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر : هل ترى أحداً ؟ لم تر أحداً ؛ فبطلت الوادي ، ثم أنت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ؟ لم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ؛ فلذلك سمي الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فإذا هو بالملك عند موضع رزم ، فبحث بقبه أو قال بمخاضه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ^(١) ، وحملت تنرف من الماء في ساقها وهو يغور بعد ما تنرف ، فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافي الضية فإن هاهنا بيتاً لله بينه هذا للثلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السبول فتأخذ من يحمله وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرم ، أو أهل بيت من جرم ، مقبلين من طريق كداء ^(٢) ، فزولوا أسفل مكة ، وأرسلوا إلى أهلهم فزولوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أيات منهم ، وشب الثلام وتعلم العربية منهم ، وأنجبهم حين شب ، فلما أحرك زوجوه امرأة منهم ، ثم طلقا وتزوج من أخرى ، ثم جاء إبراهيم وإسماعيل يبئران بيلاً له تحت دوحه من رزم ، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد . ثم قال : يا إسماعيل ! إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، فعند ذلك رفا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يبئران بالحجارة ، وإبراهيم يبئران ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبئران وإسماعيل يبئران الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا ؛ منك أنت السميع العليم

• ولما بيا القواعد وبلغ مكان الركن ، طلب ابراهيم من ابنه حجراً فأظهر كله ، فأطلق إبراهيم يطلب الحجر ، فجاء حبريل بالحجر الأسود من الهند ، وكان أبيص من ياقوتة بيضاء ، وكان آدم يخط به من الحبة فأسود من خطايا الناس

وقد همت قريش ساء الكعبة سنة أن يلع رسول الله حساً وثلاثين سنة ، ولكنهم كانوا يهاونون هدمها ، وإعنا كانت رضا فوق الثغمة ، فأرادوا ردها وتسقيها ، فلما أحجموا أسرم في هدمها وبنائها ، فلم اس وهب ، أو أبو وهب بن محروم ، أو النيرة بن محروم ، وقال : يا معشر قريش ! لا تدخلوا في بنائها من كسكم إلا طيباً ، ولا يدخل فيها امرئ ولا بيع رما ، ولا مظلة أحد من الناس

فأحدث قريش نزع الحجارة كل قبيلة على حديثها ، حتى بلغ البيان الحجر الأسود ، فاحتصموا فيه : كل قبيلة تريد أن تمتاز بهذا الشرف ، حتى كاد الأسرى يفضيهم إلى القتال ، وأخيراً أشار عليهم أبو أمية ابن المغيرة أن يتركوا التمسك في هذا النزاع إلى أول داخل من الباب ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : علم إلى ثوما ، فأقى به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بتاحية من التوب ، ثم ارموه جميعاً ، فقبلوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ، ثم سى عليه .

ولم تزل الكعبة على هذا قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير ، وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصر ابن الزبير في مكة ورمأها بالمحريق ، فحبت قصها ابن الزبير إلى الأرض ، وبنائها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها الحجر وحمل لها مائاً شرقياً ومائاً غربياً لمعتين بالأرض ، كما سمع ذلك من حاله عائشة عن رسول الله . ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج ، فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان . وقد أراد هارون الرشيد أو أبوه المهدي ردها إلى بناء عبد الله بن الزبير ، فاستهزئوا الإمام مالكاً في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تحمل كعبة الله لمصلحة الملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها ، فترك ذلك الرشيد .

• هذه الزيادة ليست من رواية البخاري ، وإنما ذكرها المؤرخون والمفسرون ، وهي بلا شك أشبه بالأساطير . (صحيح مسلم)

وقد عملت ترميمات عديدة في أيام الخلفاء العباسيين ، وسلاطين مصر المماليك ، وسلاطين آل عثمان ، بسبب السيول والأمطار ، وتجد في داخل الكعبة وخارجها ما يشير إلى ذلك .

وتصل الكعبة من الداخل مرتين في السنة : في رجب وذى الحجة ، يقوم بهذا العمل الشيخ الشنقي سادن الكعبة ؛ ويدعو لحضور هذا العمل الذي يعد من حفلات مكة الهامة لحكام البلد وأعيانها ، وبعض البارزين من الحجاج ، ويزدحم الناس حول الكعبة في ذلك اليوم ازدحاماً يدل على ذلك الأثر الذي العميق في النفوس ، على أن هناك بعض أشياء تحدث من العامة وغير الواقفين على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، من شرب ماء النسيل والاغتسال به ، ولكن الحل آفة كل شيء ؛ وقد حضرت هذا الاحتمال مراراً أثناء إقامتي بالحجاز .

ويجمع الشيخ الشنقي ماء النسيل ويضعه في قوارير يهديها مع الكائنات للحكام وكبار الحجاج ، وتكسى الكعبة كل سنة ؛ وليس من موضوع الكتاب التوسع في وصف الكسوة وتاريخها في الجاهلية والإسلام ، فقد أفردت كتب كثيرة في الترية والعمات الأخرى في وصف مكة والمدينة وكل ما يتعلق بهما .

مقام إبراهيم :

لا يعلم بالضبط هل موضع المقام الحالي هو موضعه الأصل أو كان ملصقاً بمجدار الكعبة ، ثم نقل إلى موضعه الحالي .

فمن الرواة يرجحون أن المقام كان ملصقاً بمجدار الكعبة ، ونقل من مكانه في خلافة عمر ، وروى الأرقم أن موضعه الحالي هو موضعه في الجاهلية وفي عهد أبي بكر وعمر ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ، فجعل في وجه الكعبة ، إلا أن عمر رده إلى موضعه بمصر من الناس ؟ ويدكر ابن جبير أن الذي صرفه إلى موضعه الحالي هو النبي صلى الله عليه وسلم .

والناس يصلون خلف مقام إبراهيم ركعتين بعد الانتهاء من الطواف ، وكثير من الحجاج من يقبل الحجو للمسي مقام إبراهيم ويتبرك به ، حتى المتفبين إلى العلم منهم ؟

قالرحالة ابن جبير الأندلسى الذى حج فى (٥٧٩ هـ) يذكر مقام إبراهيم ويصفه ويقول :
عائنه وتبركتنا بدمه وتقبيله وصب لنا فى أثر القدمين المباركين ماء زمزم نشربناه
فضنا الله به .

ولقد عمل صلته السيد السوسى سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م ، فقامت
عليه قياة الإحوان النجديين ونهره الملك ابن السعود على صلته رحمه الله ، لأن الملك
عبد المزي فى سبيل التوحيد والأمر بالمعروف لا يراعى أحدا ؛ فإن مداه الدين قبل كل
شئ ، ورحاه الله مقدم على رضا الخلق .

المسجد الحرام :

إن ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء الطائفتين ، ولم يكن عليه حدر أيام النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأنى يكر من بعده ، ثم كثر الناس فاشتري عمر دوراً هدمها وزادها فى
المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة ، وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم
الوليد بن عبد الملك وبناء بمعد الرخام ، ثم زاد فيه المنصور ، وابنه للهدى ؛ وما زال
المسجد موضع عنابة الحكام والملوك والسلاطين من عباسيين ومماليك وأتراك وعرب
وغيرهم ، يتولونه بالتصير والترميم من وقت لآخر كلما مست الحاجة إلى ذلك .

بئر زمزم :

قد تقدم فى قصة بناء الكعبة أن الملك عمرها لإسماعيل بمقبه ، وقد طهرها الحارث
ابن مضاض ، وجددها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وبرون فى ذلك قصة
تشبه القصص الأخرى التى تروى عن أمثال هذه الأماكن التى لها ما لزمن من الاحترام
فى نفوس الناس . ويقولون : إن عبد المطلب رأى رؤيا منامية^(١) ، فسمع هائفاً يهتف فى
أذنه أن احفر طيبة ، فاستيقظ من نومه ، ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثانية أن احفر
برة ، فاستيقظ ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثالثة ، احفر المضونة ، فحنت بها على

الناس إلا عليك ، بقرّة التراب الأعسم ، وإنما بين القَرث والدم ، وعند قرية النمل ،
إنها لا تنضب أبداً

لما قام ليخبرها رأى ما رسم له من قرية النمل ، ونقرة التراب ، ولم ير القَرث
والدم ، أييبا هو كذلك نذت بقرّة لجارها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فصرها
في الموضع الذي رسم له ، قال هناك القَرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رسم له ،
وقد عثر على غرائين من الذهب كانتا مهادتين من القوس للكعبة ، وكان قد دسهما
الحارث بن مضاض

وذكر الزهرى أن عبد المطلب اتخذ حوضاً لزرم يستقى منه ، وكان يحرب بالليل
حوله ، طامعه ذلك ، قيل له في النوم ، قل : لا أحلها لمفعل ، وهي شارب حل ويل ،
وقد كفهم ، فلما أصبح قال : نعم ، وكان بعد من أرادها بمكره رى بقاء في جده حتى
اتموا عنه ، واللسون يعتقدون في ماء زرم البركة ، وقد كانوا يحملونه إلى بلادهم بعد
الحج ؛ لإلهائه إلى أصدقائهم وأقاربهم ويعدون ذلك من آخر الهدايا ، ولكن إدارة
(الكورنيتات) تمنع دخول ماء زرم إلى البلاد التي يفدها الحجاج

ولا يزال الماء يخرج من زرم بالبلاد الجبلية حسب العوائد القديمة . ولقد فكر
جلالة الملك عبد العزيز (سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م) في الاستمالة بالآلات الحديثة لتكثير
الماء وتوزيعه بطريقة صحيحة ، وصيانة الحرم مما يتعرض له في موسم الحج من الازدحام
والخفاضة ، وما يتبع ذلك من فقدان النظافة ، فأمر جلالاته في تلك السنة بتركيب آلة
رافعة للماء ، وأحضر مهندسا من مصر لهذه الغاية . ولكن لما كان هذا العمل يؤثر في
كس طائفة الزمازمة والسقائين ، وعلمهم محصور في إخراج الماء باللو من النور وتوزيعه
على الحجاج ، ولا يرضى الحامدين الذين لا يرضون بحديد ولو كان ناصبا ، قامت قيامتهم
ضد هذا المشروع الناصح . ولقد ابتدأ العمل بالتمل وجرى الحفر بالحرم لوضع الأنابيب ،
وأرسل إلى مصر لشراء الآلة والأنابيب والأحواض الكبيرة التي يوزع منها الماء ، وأحيرا
أنار الزمازمة أهل نجد وألبسوا عليهم الأسر ، وأن يتر زرم سينضب ماؤها بعد تركيب
هذه الآلة الرافعة ، ولا شك أن هذا العمل سيجلب عليهم سخط المسلمين ، فأتع أهل

تعد التيمون بمكة على الملك يالما هذا المشروع ، وإبقاء القديم على قدمه ، حتى لا تجري هذه المصيبة في أيامهم . فلم ير الملك من المصلحة إغصافهم في هذا الوقت الذي بدأت فيه حركة الإخوان ، فأمر بإيقاف المشروع والمدول عنه . ولعل الحكومة تبحث المشروع من جديد لتضمن توزيع ماء زمزم بطريقة صحيحة .

بيوت مكة :

واقدر كان في مكة كثير من الآثار التاريخية مثل : مولد النبي ، بيت حديجة ، بيت أبي بكر ، وغيرها من الآثار . ولكن الإحواز هدموا هذه الآثار مع ما هدموه من القباب والقبور ، لأن هذه الأماكن اتخذت مصدراً لابتزاز أموال الحجاج ، فبدأوا بتفريغها من كل أثرها . ويقول المؤرخون لحركة السعودية الأولى : إن مكة والمدينة في أثناء الحكم السعودي في القرن التاسع عشر الماضي ، قد أزيل منها كل الآثار التاريخية التي كان يتبرك بها الحجاج .

وبيوت مكة من الحجارة ، وهي في نظامها خير من سائر بيوت جزيرة العرب ؛ غير أن نظام المراحيض لا يتبع النظام الصحي . وقد عمل سلاطين الأتراك بحري كالحجاري التي تعمل في المدن ، ولكنه ليس عائشاً من جهة ، وغير واف تماماً من الوجهة الفنية .

ونظام الشرب على الطريقة القديمة ؛ فالسقاءون هم الذين ينقلون الماء إلى البيوت ، إما بالقرّب أو صفايح الناز .

ومكة كالبصرة والطائف في كثرة البعوض ، ولكنه من النوع الذي لا يحمل جراثيم الملاريا كما هو الحال في بعض المدن الحجازية الأخرى ، ولم تسلم إدارة الصحة أو البلديات حتى الآن عملاً جدياً لإباده ؛ فلعل هذه الإدارات تشرعن ساعد الجذ وتقوم بحملة عنيفة لتخليص البلاد من هذا العدو الخبيث ؛ ولا شك أن جلالة الملك سعود المهة القضاء سيكون أكبر معاون العاملين

ومكة محلوقة بالحمام لحمة صيده وتجد في الحرام منه أسراباً أسراباً ، وهو يشبه في

إنه الناس أنواع الطيور التي توجد في الحدائق العامة في أوروبا . وكثير من الحجاج يعتقد أن مكشلات الحج تقديم الحبوب لحام الحرم ؛ كما أن الكثير من الناس اعتقاداً بأن الحمام لا يملو الكعبة ، ولا يقف على سطحها ، ولا يقذرها . أما المسجد ولا سبب الأرونة المحيطة به ، فكلها أعشاش الحمام ، ولا يحلو حاج من أن يصل إليه شيء من أذى الحمام ؛ ويعتقد بعض الجهلة أن من أصابه شيء من أذى الحمام سيكسب كسوة جديدة ، وهي تسمية لطيفة !

وأهل مكة والمدينة يسمون بطائفة بيوتهم ، كما يسمون بنظافة أبدانهم وملابسهم أكثر من سواهم من سكان حاضرة العرب . ويعيش أهل مكة على ما يكسبونه من وجود الحجاج ، وهو مصدر خير عظيم إذا كثرت الحجاج ، أما إذا قل عددهم فلا يتصور أحد ما يعانيه هؤلاء من صنوف الضيق .

أحد أولى الملحون عنايتهم بمكة والحجاز وأهله عناية عظيمة في القرون الأولى والوسطى ، فلا تزال عين زبيدة وغيرها من العمير ناطقة بتلك المكرمة التي أسداها أهل الخير لسكان البلاد المقدسة والواحدين .

وكان الخلفاء واللاطين يولون الحجاز عنايتهم فكانوا يمدونه بالصدقات والأوقاف على اختلاف أنواعها ، مما لا يزال بعضه باقياً حتى الآن ؛ ولكن بلغ الإهمال بالمسلمين في القرون الأخيرة ما حمل الحجاز في مستوى أقل مما يجب له من العناية والإحلال ؛ فالمسجد الحرام الذي يؤمه الملحون من كل ناحية ليس في جمال مساجد الأستانة والقاهرة والمدن ومدينة مكة في طرقتها ومبانيها وطاقاتها المصنوعة ليست كالأقاهرة أو دمشق أو بغداد ، وهذا التقصير نفع تمنعه على المسلمين عامة ، وعلى الحكومة التركية التي حكمت البلاد قروناً مديدة ؛ ولا شك أن أشرف الحجاز يتحملون فسطاً من التبعة ، لأنهم كانوا الحكام الحقيقيين لمكة ؛ فقد كان يرأسهم لو كانوا ذوي بضائر نافذة ، وعقول راجعة ، وعلم بتطورات العالم ، أن يحلوا الحجاز وسكانه في مستوى خير من متناه الحال ؛ ولكن الأشراف سلطوا مطامعهم على الحجاج وعلى سكان بلد الله الحرام ، وحالوا في كثير من الظروف دون ترقية البلاد . ولست أرى فئة خاصة من الأشراف ، فإن الأشراف الذين

حج في أيامهم الرحالة ابن جبير في القرن السادس ، وإن مطوطة بعده ، كانوا مثل أشرف القرون الأخيرة .

الرقيق في مكة :

كانت مكة أكبر سوق الرقيق في جزيرة العرب ، وكان العرب يحرمون على شراء الخواري والسيد منها ، لأن لأهل مكة عناية خاصة بتربية الخواري والسيد ، وتربيتهم على الخدمة المنزلية ، وقد تتجاوز قيمة السيد ستين جيباً والجارية مائة وعشرين جيباً ، وأفضل السيد والخوازي المخلوبون من الحبشة ، لأنهم أخلص في الخدمة وأوفى لساكنهم والرقيق الذي يرد للمجاز وجزيرة العرب ، هو النسيمة من الغزوات والغارات في بلاد الحبشة الواسعة الأطراف . فالتجار يشترون الرقيق هالك من الغزاة ، ثم يحلبونه إلى بلاد العرب بواسطة السفاريك^(١) إلى السواحل العربية ، وبالرغم من مطاردة هؤلاء التجار ، وإزال أشد العقوبات بمساعدتهم ، فإن التجار لا يزالون يمارسون في هذا النوع من التجارة . والعالم شراء الرقيق للخدمة المنزلية أو الخدمة في البساتين ، وقد تشتري الخواري لأغراض أخرى ، وهذا على الأكثر في عسير . وأسراء العرب يكثر من الرقيق رجالاً ونساء ، فالرجال للخدمة على اختلاف أنواعها والحراسة الخاصة ، والخوازي للخدمة المنزلية وغيرها .

على أن تحرير الرقيق من الأهمال المحبوبة شرعاً ، والتي لا يزال العرب يعدونها من أفضل المقربات إلى الله ، قلما يموت أحد ولا يوصى بتحرير بعض عبيده وجواريه مع شيء من المال يساعدهم . وفي التائب يفضل الرقيق الذي يحرر أن يبقى في بيت أهله ويأبى أن يتغير من عاش في كنفهم .

لقد جرت محاولات لإبطال الرق في بلاد العرب . ففي سنة ١٢٧٢ هجرية أمرت الدولة العثمانية بمنع الرقيق ، فحصل هرج ومرج بمكة ، جل الحكومة التركية تعدل على أمرها .

(١) نوع من السفن الصراعية .

وفي أيام الملك حسين جرت مخاضات بينه وبين الحكومة البريطانية لإبطال سوق الرقيق في الحجاز ، ولكن الملك حينئذ كان يحسب أن الرقيق ليس مصدره مكة ، فإن امتنع وروده إلى الحجاز بطل بالتدريج .

وفي سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م انعقت الحكومة البريطانية وملك عبد العزيز على التعاون على القضاء على الرقيق ، فوضع الملك عبد العزيز بعض القبود للأنحاز به فضعت هذه التجارة .

ولسألة في لوقع اقتصادية ، ولو أن انجلدم يتوفرون في مكة وبلاد العرب ما لجأ الناس إلى الرقيق ، ولكن أهل مكة يفضلون خدمة الحجاج ، لأنها تدبر عليهم من لال مالا تدبره عليهم الخدمة الأخرى ، ولما نحد خادماً في مكة لخدمة العرابة .

وأعتقد أنه ليس في إمكان أية حكومة أن تأمر بإلغاء الرقيق ، وتحرير العبد في جزيرة العرب دصة واحدة ، فإن ذلك قد يؤدي إلى ثورة أهلية ، ولكن إذا قضى على التجارة في السواحل العربية صمعت في الداخل . وعلى كل حال فإن الرقيق ينداقص عدده في كل سنة ، وسيقضى عليه لا محالة . ومن الثريب أن بعض الأوروبيين في إقامتهم في بلاد العرب تصل إليهم عدوى الرقيق ، فيحوزون الرقيق ، كغيرهم من العرب ويستملوه في الوجوه التي يستصاها فيه العرب .

منع غير المسلمين من دخول الحجاز :

لقد حرى العرب على ألا يدخل البلدان لمسلمين . مكة ولندية غير المسلمين . ومنشأ هذا ما روى عن أن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وأن عمر سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً . وأن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : آخر ما عهد النبي أنه قال : لا يترك جزيرة العرب دينان ، وأن ابن عمر قال : إن عمر أحل اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وإنه أجل يهود خير إلى نيباء . وأريحي ربحكي الحافظ ابن حجر في المسح في كتاب الجهاد ، أن

الذى يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة والنجاة وما والاها ، لا ما سوى ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لانفاق الجميع أن اليمن لا يعمون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب . وعن الحنفية يجوز مطلقاً إلا المسجد . وعن مالك يجوز دخول الحرم لتجارة . وقال الشافعي : لا يدخلون الحرم أصلاً إلا بإذن الإمام لمصلحة المسلمين .

وذكر في المتن أنه لا يجوز لعب المسلمين دخول الحرم لتجارة . وهذا قال الشافعي . وقال أبو حنيفة : لم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ، ولم دخول الكعبة والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف .

وذكر صاحب المتن أيضاً أنه يجوز لم دخول الحجاز لتجارة ، لأن النصارى كانوا يتحرون إلى المدينة في زمن عمر .

ويؤيده ما ورد في كتاب أخبار مكة للأزرقي ما نصه :

« وأخبرني جدي قال : أول من عمل القبة التي بين زمزم وبيت الشراب ، المهدي في خلافته ، علمها لم أبو بحر المحمدي النجار ، وكان جاء به عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه إلى مكة من العراق » .

وما ورد في تاريخ المدينة للطبري :

« وأرسل الوليد إلى ملك الروم فقال : إنا نريد أن نمر مسجد بيننا الأعظم ، فعنا بهمال وفسيفساء . جهت إليه ثمانين عاملاً : أربعين من الروم وأربعين من القبط ، وثمانين ألف شقال ، وبأجمال من الفسيفساء وبأجمال من سلاسل القناديل » .

وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعاً ، من مقتضاه ألا يدخل الحجاز من يدخل في الإسلام إلا بعد مضي سنة على إعلان إسلامه ، متناً لبعض الأوروبيين ، الذين يدعون الدخول في الإسلام بقصد زيارة مكة أو المدينة فقط .

الطائف :

هي مدينة مسورة واقعة في سهل رملي محاطة للال منخفضة ، وتقع على بعد ٧٥ ميلاً إلى الجنوب الشرق من مكة ، على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر ؛ وهي مصيف الأعيان ورجال الحكومة ، ويوتها مبنية من الحجر ؛ والمدينة تغص بالسكان زمن الصيف فقط ، وجوها أرد بكثير من مكة ، والياه فيها غزيرة وهي في جوها وترية أرضها تشبه الأراضي العالية في عسير واليمن . والأمطار الغزيرة تسقط هناك في فصل الخريف ، والآبار كثيرة ، ومنها تروى الأراضي الزراعية البعيدة عن مجارى المياه

يبلغ عدد السكان نحو عشرة آلاف نسمة ، وأغلبهم من تهيف وعُتَيْية ، ويشغلون زراعة البساتين والخضر . وفاكهة الطائف مشهورة بمحوتها في سائر البلاد العربية ، فيها العنب والزمان والتفوخ والليمون الحلو والمشمى والسفرجل . أما زراعة النخيل في الطائف فلا تجود لشدة البرد .

وينمو الورد في الطائف ، ويستخرج منه عطر فاخر يباع على الجملة في موسم الحج

عسير

يطلق « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز وشمال اليمن وقد كان هذا القسم أيام حكومة الأتراك غير محدود تحديداً وانحما ، فمع أن الأتراك قد كوّنوا متصرفية^(١) عسير وحملوها تسمية لولاية اليمن فقد كان أشرف الحجاز يدعون تسمية بعض المناطق المحاذرة للحجاز ، كما كان أمراء نجد أيضاً يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة الشرقية . أما اليوم فإن عسيرا أصبحت من المملكة العربية السعودية ، حسب معاهدة الطائف الأخيرة

ومنطقة الحجاز الرملية الموازية للشاطئ* تمتد إلى بلاد عسير بعرض يختلف من ٢٥ — ٣٠ ميلا ، ثم تتصل بهامة اليمن . أما المنطقة الثانية والثالثة والرابعة في الحجاز^(٢) فإنها لا تظهر بجلاء في بلاد عسير ، ويكاد لا يكون هناك تمييز بين هذه المناطق الثلاث وعلى بعد نحو ثمانين ميلا من الشاطئ* توجد سلسلة مرتفعات عالية ، يبلغ ارتفاعها نحو ٦,٠٠٠ إلى ٧,٠٠٠ قدم ، ومن هالك تأخذ الأرض من جانبها الشرقي في الانحدار شتبا نشيكا ، حتى تتصل بصحارى نجد

ونظراً لما يصيب بلاد اليمن من المطر الموسمي في الخريف ، وطرأ اقرب عسير منها ، فإنه يصبها من هذا المطر غير قليل . ولذا فإن وديانها الكثيرة الشاسعة تتغير من الدرجة الأولى في الحصوية . وأهم هذه الوديان هو :

وادي رانية — وادي يثية — وادي شهران — وادي عتيق
وأغلب الوديان الكبيرة تمرى فيها المياه ، إما فوق سطحها أو قريباً منه . وحالة الوديان تختلف عنها في الحجاز ، لأن البلاد خالية من النُفود^(٣)
وتمرى الوديان الرئيسية في اتجاه وادي الدَوَاسِر الواقع في جنوبي نجد ، والبلاد

(١) متصرفية : مديرية في عرف مصر

(٢) راجع القسم الطيبى لولاية الحجاز

(٣) النفود جبال رملية

الداخية في غاية الحصوبة ، وخصوصاً من تنوثة إلى مكنية . وهي تضارع أحسن وأحسن البلاد العالية في اليمن . والمزروعات على اختلاف أنواعها من حبوب وبقول وفاكهة تجود في الوديان

والجزء المخاور لشاطئ البحر وإن كان رملياً ، فإنه أحسن بكثير من بطيره في الحجاز وفي أجزاء كثيرة منه تست المزروعات ، ويميش كثير من السكان عليها . ويهزل مطر غير غزير في حوى نهامة ونهامة الوسطى في شهرى فبراير ومارس . وفي شهر يونيو تهزل أمطار غزيرة . أما في الشمال سواء في الداخل أو في البلاد الساحلية ، فإن المطر ليس دورياً جليلاً للفائدة .

السكان

يبلغ عدد السكان تقريباً حوالي مليون ونصف . والأهالي كلهم شافئو المذهب ؛ إلا القادر القليل جداً في الشمال الشرقي ؛ فإنهم حنابلة سلفيون . ويشغل غالب الأهالي بالزراعة والبدو الرحل قليلون جداً في عسير . والاختلاط في الأسباب قليل فيها ، إلا ما كان منه في المدن الكبيرة ، وحدود القبائل بعضها من بعض معينة معينة دقيقتاً ليس له نظير في غير عسير . وأقوى القبائل وأكثرها عدداً يحتل حلب البلاد ، وروس الوديان الداخية ، والجزء الأعلى من المقبات

الزراعة

تتوقف الزراعة في نهامة على أمرين : الأول نزول الأمطار المحلية ، والثاني سيول المياه من الوديان المنحدرة إلى البحر . وفي مجرى أغلب الوديان الكبيرة تقام السدود لحجز المياه ، وتوجهها في أنجاء الأراضي المراد زراعتها . وتخصد الأرض مرتين ؛ في الربيع وفي الصيف . وثلاث مرات في بعض الأحيان

والمزروعات هي الدخن والأذرة والسمسم والقمح . وكل أنواع الخضرة المحلية . وأخصب الأجزاء في نهامة هو الجزء الواقع بين حلى والديرك . وفي الداخل يزرع القمح والشعير

والأدرة والفوكه ؛ وشجر الس ؛ ولسكن بكية مليلة لاني بالقمر الذي يشتهك في داخل البلاد
والماشية والغنم والماعز والحال تربي مكثرة في عسير ، سواء في تهامة أو في لداخل

التجارة

ومواي* الواردات إلى عسير هي : القنفذة ، والبزك ، والشقيق ، وجبران الحمايرة ،
والتصايب ، ونفسر ، والموسم ، والفريضة
وواردات عسير قليلة ، وأهمها البصائع القطانية ، والسكر ، والبقول ، والأرز وأدوات
الطبخ ، والأسلحة والذخائر
أما الصادرات فإنها أقل وهي : القمح ، والذخن ، والأدرة ، والسهم ، والسمك
والقعد ، ويصدر إلى جدة أثناء موسم الحج . كما يصدر إلى مصوع وعدن اليمن والجلود
والسهم والصوف والتمر والصغ وبعض الدواب

البلاد

بلاد عسير المشهورة هي ما يلي : —

١ — يشة :

بلدة زراعية مكونة من جملة قرى ، واقعة في الوادي الذي يسمى باسمها ، وهي على
سد ٢٤٠ ميلا من شرق الجنوب الشرق لمكة ، وهي نقطة هامة على الطريق من
وادي الدواسر إلى الحرمين ، وأهم مكان بين الطائف وحضراء ، ويستبرها العرب مفتاح
اليمين . وتروى الواحة بوساطة نهر صغير يسير متجها نحو الشمال الشرق حيث ينحدر إلى
وادي الدواسر مع سواء من التهيرات الأخرى الصغيرة ، وقد حكم الأشراف قديما هذه
النطقة ؛ قبل الحركة الإصلاحية ، في نجد . ففي تاريخ المعاصي ، كثير من أخبار
الأشراف في يشة ، وللانصال الشديد بين يشة ووادي الدواسر كانت هذه النطقة موضع
تزام بين الأشراف ونجد

٢ — ثُرَيَّة :

تقع على بعد تسعين ميلاً من جنوب شرق الطائف ، وهي على الطريق العام من نجد إلى اليمن ، وهي مدينة مسورة ، وتقع في حِجَم الطائف ، وتحيط بها الأراضي الزراعية ، ومزارع النخيل ، وتروى بمياه عذبة . وبحوارها عدة نلال ؛ يزدح على سوحها الشعب والأخرة . وقد اشتهرت ثُرَيَّة بمقاومتها العنيفة لقوات محمد على سنة ١٨١٥ م ، كما اشتهرت بمركتها الشهيرة بين جمود محمد والملك حسين تحت قيادة الأمير عبد الله (الملك عبد الله) في ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م .

٣ — أَهْبَا :

مدينة بيوتها مبنية من الحجر ، على تل في وسط عسير ، وهي على بعد نحو ١٣٩ ميلاً من قلعة يشة ، وكانت مركزاً للتصرف^(١) زمن حكم الأتراك ، وهي مركز هام للواصلات وطرق القوافل في عسير .

٤ — عَمَّال :

بلدة في داخلية عسير تبعد عن القنفذة بنحو ٧٢ ميلاً ، وهي ملقبة ببلدة طرق : من أَهْبَا ، ومن القنفذة ، ومن حِجَل ، ومن البرك .

٥ — خَيْس مُسَيِّط :

هي أكبر مدينة في أخصب جزء من جنوبي عسير ، وهي واقعة بين النول إلى جنوب وادي يشة ، وهي على بعد ١٢٥ ميلاً من شرق الجنوب الشرق القنفذة التي تتصل بها بواسطة درب القوافل ، مياهها وفيرة ، وهي مركز لتصرف تجارة التمر .

٦ — أبو عريش :

أشهر بلدة في تهامة ، ولها تاريخ هام في القرن التاسع عشر عصر النهضة الدينية الأولى ، وكانت عاصمة الشريف محمّد الذي لعب دوراً هاماً في ذلك العصر ، وهي على بعد ٧٠ ميلاً

(١) المدير في عرف مصر .

شمال القنينة ، وهي مقر المركز المسمى باسمها ، وأكثر بيوتها مبنى بالحجر ، مياهها غزيرة وزراعتها واسعة .

٧ — صتيا .

على بعد عشرين ميلا في الداخل ، وهي الجنوب الشرق من جيران ، وكانت عاصمة الإدارة ، وسها قلعة قديمة بنيت أيام الحكومة الأولى وقد أصلحتها الحكومة الحالية بعد القضاء على ثورة الإدارة الأخيرة (سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) وسكانها نحو عشرة آلاف نسمة ، مياهها غزيرة ومزروعاتها واسعة .

٨ — القنفدة .

بلدة صغيرة مسورة ومكونة من جملة بيوت وأكواخ على شاطئ البحر الأحمر وهي على بعد ٣٠٠ ميل إلى جنوب جدة ، وسكانها زهاء أربعة آلاف ، وتجب المياه من حفاتر على بعد ميلين ونصف في الداخل ، وهي ميناء أنها ، وتقع على بعد ٧٢ ميلا من تخايل .

٩ — حيلي .

هي الرأس الغربي لخليج تخمين من رياح الشمال والشرق ، وتقع على بعد أربعين ميلا من جنوب الجنوب الشرق للقنفدة ، وهي قرية صغيرة قرب الشاطئ . وبقرها توجد قبة حيلي الشهيرة وهي على شكل مخروطي .

١٠ — جيزان .

ميناء صغيرة على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرق للقنفدة ، وهي واقعة أمام مجموعة جزائر فرسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيران ، والبلد مفض مبان بالحجر ، ولكن الجزء الأكبر من بيوتها مبنى بالطين ، والمياه في البلدة قليلة جداً ، ولكن على بعد ثلاثة أميال ونصف من شمال شرق البلدة توجد آبار مياه وحفاتر ، وسكانها يبلتون ألف نسمة ، وهم يشتغلون باستخراج اللؤلؤ ، وبقر جيزان جبل ملح حجري .

ميدى :

قرية مكونة من بيوت قليلة وأكواخ ، ومنها تذهب القوافل شرقاً إلى صدّة وصنعا ، وهى الآن من حدود اليمن ، ويقع منطقة عسير جزائر قرمان .

خلاصة تاريخية عن حكومة عسير

كانت مقاطعة عسير متصرفية ، تابعة لولاية اليمن أثناء الحكم التركي ، ولكن الحقيقة أن هذه المقاطعة كان يتنازعها نفوذ شريف مكة وإمام اليمن والإدريسى وبعض الأمراء المحليين ، الذين كان يتستع بعضهم شبه استقلال ، غير أن الجميع كانوا يعترفون سلطة الحكومة التركية .

فأمير مكة كان نفوذه يمتد إلى قبائل غامد ، وبني شهر وشهران . وكان على أتم صلة بمشايخ هذه القبائل غير أن هذا النفوذ لم يمتد التأثير السنوى . أما طريقة الإدارة والحكم ، فلم يعرف أنه لأمير مكة أى أثر فى ذلك . وفى سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م اتصل بالقبائل الضاربة بين القيت وأبها أثناء الحملة التركية ضد الإدريسى ، تلك الحملة التى كان لشريف يد ظاهرة فيها ، وعلى كل فإن الأتراك أنفسهم لم يكن لهم نفوذ على غير القنفذة على الساحل ، ومجايل وأبها فى الداخل ، وبعض البلدان الصغيرة القريبة منها ، والطرق الموصلة بينها .

أما المنطقة التى كان يمتد نفوذ الإدريسى عليها فتشمل قبائل قحطان فى القسم الجنوبى من عسير ، والقسم الأكبر من تهامة ، من البزك إلى الحدبة حيث يبلغ طول هذه المنطقة من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٥٠ ميلاً وعرضها نحو ٧٠ ميلاً .

واتخذ الإدريسى مقاطعة صدياً كما صممة ، وميدى وجيران سيابن . وقبل أن يقوم محمد على الإدريسى بحركة تأسيس حكومته فى عسير كان القسم الأعظم من المنطقة المنسدة من ظهران إلى الطائف خاضعاً لنفوذ عائلة بنى مُنيط (Mugheir) وعاصمتهم مُنَاطِر ، أو أنها كما نرى اليوم . واشتهر من بنى مُنيط فى القرن الماضى عايض بن سمرجى الذى كانت له مواقف مشهورة فى الحملة المصرية فى عسير سنة ١٨٣٤ م ، وبقيت

البلاد حرة من هذه السنة حتى سنة ١٨٦٩ م حيث رجع إليها النفوذ التركي ، فخلص نفوذ آل عايش وأصبح سلطانهم لا يكاد يدوم منطقة أنها .

أما ما يطلق عليه الحلاف السلياني ، فكان مستقلا مدة طويلة ، وبقى محافظاً على هذا الاستقلال ضد الحكومة التركية ، والقبائل الجنية من جهة ، وضد القبائل الصاربة في الجبال الداخلية من جهة أخرى .

وبين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ م خصصت أبو عريش الشريف علي ، الذي اتفق مع المصريين على التخلص من نفوذ عايش بن مرعي ، وفي أثناء حكمه وصل للسيد أحمد الإدريسي القرني — أحد رؤساء الطرق — إلى صدياً (وكان قبل ذلك مقبياً بمكة منذ سنة ١٧٩٩ م واعطاك ومرشداً إلى طريقته) وأقام بها إلى أن توفي سنة ١٨٣٧ م . وفي أثناء إقامته في صدياً نشر فيها وفي غير الطريقة تلك التي تلقاها في مكة سنة ١٨٢٣ . وقد ترك السيد أحمد لأولاده من بعده ثروة مادية ومعنوية لا يستهان بها ، ظهر أثرها في أيام ولد السيد أحمد وحفيده ، بعد انهزام الشريف حسين ، حاكم أبو عريش ، وقد تصاهر الإدريسي مع العائلة السنوسية المنتشرة في السودان ومصر قرب الأقصر . والحقيقة أن نفوذ الإدريسي لم يقتصر فقط على الحلاف السلياني ، بل امتد شمالاً وجنوباً حتى إن بعض القبائل الصاربة حول صندة انتشرت بينها تعاليم الإدريسي . هذا ما تركه السيد أحمد الإدريسي الكبير من الأثر في غير الذي استقله من بعده السيد محمد علي الإدريسي حفيده .

ولد السيد محمد علي الإدريسي في صديا سنة ١٨٧٦ م وتلقى تعليمه ما بين الأزهر والكوفة مقر السنوسى ، ثم رجع إلى صدياً واحداً نصب حفيده انتراع غير من يد الأتراك ، والاستقلال بها . وفي سنة ١٩١٠ م طرد الترك من كثير من البلاد ، غير أنه لم يوفق في الاستيلاء على أنها ، حيث لم يقو على الوقوف في وجه الحملة التي سيرها الأتراك بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن علي . على أن ذلك لم يفل من عزمه ، بأنه انتهز فرصة اشتغال الأتراك بحاربة الإيطاليين في طرابلس ، فقام محاولاً الوصول إلى غرضه الذي

وصفه نصب عبيه ، مستعيناً بالإيطاليين . إلا أن هذه المحاولة لم تشر الخفرة المطلوبة ، فإن أمير مكة الذي كان له المراسد ، كان أكبر عقبة في سبيل الوصول إلى ما يريد ؛ ومع ذلك فإن الإدريسي قد استطاع أن يبسط نفوذه الأدبي وبعض نفوذه المادى في أثناء الحرب البلقانية ، وقد حاول أن ينال من الأتراك اعتقاداً بحكومته فضل ، ولم يستقروا به إلا كفاءته^(١) على صيا ، وأبى عريش ، فاكسى بذلك منحنيًا القمص الملازمة ؛ وفي أثناء الحرب العالمية الأولى انضم إلى الحلفاء ضد الأتراك ، وعقد معاهدة مع المقيم في عدن في شهر مايو سنة ١٩١٥^(٢) ، وأخذ يجرى عمل الأتراك في المناطق الجنوبية حتى وصل إلى الأحبة ؛ وبعد إقصاء الهدنة تركه الانجليز الحديدة ؛ التي احتلها أثناء الحرب اعتقاداً بحدثاته التي قام بها أثناء النضال المالى . وقد استطاع السيد محمد على الإدريسي أن يقف في وجه الشريف حسين من الشمال ، والإمام يحيى في الجنوب ، مدة حياته بالتحالف مع سلطان نجد سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) .

توفي محمد على الإدريسي في شعبان سنة ١٣٤١ هـ ، وولى الأمر بعده ولده السيد على الإدريسي ، فوشت البلاد في فوضى ، وحاول الملك حسين والإمام يحيى أن يوسع كل منهما منطقه على حساب الإدريسي فلم ينجح الملك حسين ، لأن الفرصة لم تساعد كما ساعدت الإمام يحيى .

وفي ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) دخلت جيوش الملك عبد العزيز مكة ظافرة ؛ وظلت الجيوش سنة وبضعة أشهر تنتقب الأشراف لإحلالهم من الحجاز ، فانهز الإمام يحيى هذه الفرصة السانحة فاحتل الحديدة ، ونابح زحفه شمالاً حتى وصل يمدى ؛ فلما وجد الإدارة ما حل بهم عزلوا السيد على الإدريسي ، وولوا مكانه عمه السيد الحسن الإدريسي أبا السيد محمد على .

لم يحد السيد الحسن منه قادراً على الوقوف في وجه الإمام يحيى ، فأرسل من قبله

(١) ظهير مأمور في حرب مصر .

(٢) تجد نس هذه المعاهدة في ذيل الكتاب .

السيد مرغني الإدريسي مندوباً إلى مكة للاستنجاد بالملك عبد العزيز ، فاجتمعت بالمرغني ووضعتا معاً معاهدة الحماية في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) لإيقاظ ما بقي من ملك الأدراسة . وفي سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) طلب السيد الحسن أن تضم البلاد إلى مملكة جلالة الملك عبد العزيز ، وأن يكون حكمه فيها مباشراً . ومن ذلك التاريخ أصبح ذلك القسم من عسير ملحقة بمملكة نجد والحجاز ؛ التي يطلق عليها الآن المملكة العربية السعودية ، وطويت صحيفة الأدراسة كاطويت صحيفة آل عايض من قباهم .

نجد

وهي أكبر قسم من بلاد العرب ، ويشمل صحراء العرب الوسطى ، ومع أن حدود نجد غير معروفة تماماً في الحفرافية العربية لسكثرة الأقوال وتمدد الآراء . فإن مجداً اليوم تشمل الأراضي لمتدة من قُرْبَاتِ المِلح شمالاً ، إلى وادى الدواسر جنوباً ، ومن حدود الأحماء شرقاً ، إلى حدود الحجاز غرباً

وفيه كثير من الجبال والأودية والصحارى ، وهي ليست قاحلة كما كان ينصرون الناس قديماً . فن الشمال ابتداء من حُورَن إلى شواطئ القرات ؛ أرض منبسطة تسمى العَمَاد ، ليس بها أنل ارتفاع ، كما أنه لا يوجد بها قرى أو مدن . ويظهر للمار بها أحياناً بعض الأعشاب الضخمة . وهذا القسم لا يزال كما كان منذ ٣٣٠٠ سنة

ويوجد بها من الحيوان : الحَبَّارَى والنَّعَام ، وابن آوى ، وجر الوحش ، وحمار الوحش . وتقع صحراء الأحقاف جنوبى نجد ، فتجد على هذا محاطة من جميع جهاتها بسهول رملية ، مزارية الأطراف ؛ ونجد مشهورة بمراعيتها الجيدة ، وبها كثير من الميون الفزيرة المياه ، وسها كثير من الأطلال القديمة التى لم تمسح حتى الآن يد البحث والتفتيب وأشهر إيالاتِ نجد من الجنوب إلى الشمال : وادى الدواسر ، الأفلاق ، الحَرِيق . الغَرْج ، العارض ، الوشم ، سُدْر ، القَصِيم ، جبل شتر ، الجَوْف ، قُرْبَاتِ المِلح . ويبلغ امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب ، أى من قريات الملح إلى وادى الدواسر نحو ٨٠٠ ميل ، ويبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق ، أى من الوشم إلى سدبر نحو ٢٢٠ ميلاً

الجو

تنفى الشعراء قديماً بهواء نجد ، وأسهبوا فى وصف نسيمه ، وهو على الموم جاف معتدل ، غير أن إقليم نجد يختلف هواؤه باختلاف المنطقة ، وموقعها الجغرافى ، فالحريرق كاسمها شديدة الحر . ووووادى الدواسر كذلك

أما العارضُ فهو أهما معتدل جاف في السهل ، شديد البرد في المرتفعات طويئذ .
والجو في القصيم جاف بارد في الشتاء ، ومعتدل في الصيف ، وليالي القصيم في الصيف
كليالي الصحراء ، نسيم عليل ، وسما صافية ، ونجوم تسطع في السماء ، تلهو رؤيتها لشعراء
والمواهب بالهدوء الصحراوي البديع

أما هواء جبل ثمر فشديد البرودة ، ولذا فإن بشرة سكان نجد الشمالية تميل إلى
البياض عكس سكان الجنوب

والأمطار في نجد لما الشأن الأول في الحياة ، وهي قليلة على الصوم إذا قيسَت ببعض
المناطق الجنوبية ، وكثيراً ما تكون الأمطار محاية ، وقلما تكون عامة . فالأمطار شمال
النفود قلما تمتد إلى جنوبي جبل ثمر ، وحديث الناس ، أسراهم وبدوم وحضرم ، هو
الطر . وسؤال القادم يبدأ بالطر والرعى . ومن يعيش في بلاد العرب يعرف الأثر العظيم
الذي يحدثه الطر ، والحاجة التي يسببها تأخره ، فأهل نجد لا يأجرون لشيء إذا رزقهم الله
الطر ، تحيا به زروعهم وحيواناتهم ، وتسلمهم الحادة بكل معاينها

وأما إذا انقطع الطر ، فلا يمكنك أن تتصور ما يصيب الحيوان من الضعف
والموت أحياناً

والرياح التي يكثر هبوبها ، الرياح التريسة ، وتميل إلى الجنوب في الجهات
الشمالية القصوى

السكان

يبلغ سكان نجد من حضر وبدو ثلاثة ملايين من النفوس تقريباً ، فالحضر هم سكان
المدن . وهم في الأصل من البدو ، وتوطنوا في مساكنهم من قديم

وأم الشار النجدية آل مرة . وبنو خالد ، والعجمان في الشرق ، وقحطان في
الجنوب ، والجنوب الغربي . وسُبْح والسهول في الغرب . ومُطَيْر في الشمال الغربي وثمر
في الشمال ، وعَتِيبَة في الشمال الغربي ، وحرَب في الشمال الشرقي . وعَنْزَة في الشمال
الشرقي أيضاً

وأهل حابل ينسب أكثرهم إلى شمر . وأهل القصيم يرجعون في الغالب إلى بنى خالد
و بنى تميم ، وأهل الجنوب ينتمون في أساليبهم إلى عَنَزَة ، وأهل الوسط إلى الدواسر
و بنى تميم ، وأهل الجنوب الغربي ينتمون إلى الدواسر وتحطاط .

الأدوات المحلية والمصنوعات

هذه الأدوات قديمة العهد في نجد ، كما هي في باقي بلاد الجزيرة العربية لم يشعلها
التحسين والتجديد .

وفي مقدمة السكان حمارة أهل عَنَزَة^(١) في القصيم ، ورياض وأحرم حضارة
سكان وادي الدواسر والشَّيْل .

جميع اللباني من اللبن ، ويقل سمك الخائط في مرتفعه ، إلا في القرى الموجودة في
الجنوب ، فإنهم يستعملون جذوع النخل . والسقوف مسطحة وهي من الطين الموضوع
على حذوق النخل ، أو فروع الأثل . والتوافذ عبارة عن فتحات صغيرة على شكل
مثلث لإدخال النور ، وفي كل منزل فناء كبير يستعمل لحفظ الدواب المنزلية ولحفظ السَّاد
والمنازل ذات الطابقين قليلة جداً ؛ والأثاث في البيوت المبنى المعروف في البلاد المتقدمة
غير معروف إلا في بيوت المائلات الكبيرة . فالرجال يجلسون وينامون على الحصير
المصنوع من حوص النخل ، ونصف أرضية السكان تبقى طرية ؛ والملاحق والسكاكين
والشوك لا تكاد تستعمل في نجد ، والنور الكهربائي غير معروف إلا في قصر الملك
وعائده ، وأغلب السكان يستعملون مصابيح تضاء بالبترول وهي واردة إليهم من الخليج
أو الحجاز ؛ وأواني الطبخ من النحاس غالياً ، وقد يستعمل الألمونيوم أحياناً ولا سيما في
القصيم ، ويصنع بعض أنواع النخل في نجد ، ويصنع الخبز على شكل مسطح رقيق ،
وهو إما أن يسوى على الحجر ، أو يسوى على لوح من الصاج ؛ أما أواني القوة متخذة
من الأحصاء والشام ، وتصنع الخناجر والسكاكين في حابل أو الخليج ، أما الأسلحة
القارية فتزد من الخارج .

وأما خامات الملابس فكلاهما زرد من الخارج . إلا ما يصنع من الصوف ، ويستعمل

(١) عَنَزَة : اسم لقبيلة ، وعَنَزَة : اسم للبلدة .

في عمل الميئات والغلات ، ويصنع من الصوف الخيام ، وأخراج الجبال ، وأحسن أصناف الصيادات ترد من الأحشاء ، ويكسبون من الملابس الداخلية بقميص من القطن ، ولا يستعملون الفخار كثيراً . وأغلب المصنوعات الخشبية ترد من الخارج إلا ما يلزم لقرب المياه والدلاء ، والسروج ، والنعل ، فإنها تصنع في محله . ويصنع أيضاً الحصى والبراقع من الخوص ، واسكن هذه الصناعة متقدمة نوعاً ما في القسم ، ولا سيما عبيرة . ومع ذلك فإن أنواعها أقل بكثير مما يصنع في موالي الخليج الفارسي .

والطعام المادى في محله هو التمر واللبن والحبر ، وأحياناً الأرز والقمح . هذا ما كان قبل عشرين سنة أما الآن فقد تطورت الحياة تطوراً سريعاً في البادية والحياة النهرية فالبيوت في الرياض وجدة لا تختلف عن شيلاتها في البلاد الأخرى بل قد تتماثل عنها في كثير من فرائق الحياة .

إبالات نجد

التأريض :

ويسرف في الجغرافية القديمة بحو ، والتروض ، والجمامة ، ويقع بين مديري شمالا ، والخرج والحريق جنوباً ، وهو يكون القسم الأوسط من طويق الشجر .

وواى حنيفة هو قلب المارض ، وفي جنوبه التروى يقع سهل ضرماء ، وفي شماله المحلل ، والقسم المصور من المارض مساحته ١٠٠ ميل مربع .

وأهل المارض مشهورون بالشجاعة والإقدام ، واحتمال المسكاره ، والحفاة الدينية ، وقوة الإرادة ، والدهاء ، وهم شديد الإحجاب بأنفسهم ، يميلون إلى العزلة ، ويفضلون عدم الامتراج بسوام ، يفلب عليهم سوء الظن ، ورغم ما كان ذلك سبب القن الكبيرة وما حرته عليهم من المصائب . ولكنهم مع ذلك طيبو القلب لا يحملون حقد أحد ، إن وقعوا بأحد صموا آذانهم عما يقال فيه ، وهم عدة آل سعود وجندهم ، يرجعون إليهم عند الملأت ويستندون عليهم عند اشتداد الكروب ، ولغلبة الخلق الحرى عليهم ترى في طباعهم شيئاً من الخشونة والصلف .

أشهر بلدان المارض :

أشهر بلدان المارض في الشمال — الرياض ، وشمالها : بين القرشبة هرة ، الدرعية ، الملقى ، المتارية ، أو الكباش .

وفي الشمال الغربي : الجبيلة ، الميمنة ، الشبيب .

وفي الشرق : صئوح ، ملهم ، القريية .

وفي الجنوب الغربي : سدوس ، حرنيلة ، المختل ، نادق ، المحرقة ،

وعقبة ، الروضة .

الرياض :

عاصمة مدنها ، اتخذها آل سعود عاصمة لم يمد تخريب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) ، وقد عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام الإمام فيصل جد الملك الحالي ، ثم أهل أسرها بعد جلاء آل سعود عنها ، فعلاً شأن حائل في الشمال ؛ وقد استقرت الرياض مكانتها ، واشتهر أسرها ، وأصبحت كعبة آمال العرب ، ومقصد الوافدين من جميع الأنحاء العربية ، بعد أن ساد الملك عبد العزيز مملكتها ونص على منافسيه فيها ؛ وتنحصر الأرض المشيدة عليها عن المستوى العام بنحو ١٠٠ قدم ، حتى أن القادم من الشمال أو الشرق لا يراها إلا من قريب ويحيط بالرياض بساتين النخيل ، وهي وصولاها تمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ميلين ، حيث تقف عند قاع وادي حنيفة أو الناطن والرياض كآخر المدن التحدية : كانت محاطة سور محصن بأبراج عديدة لحماية البلدة من غارات البدو وعدوان الأعداء .

وأكثر ما يلاحظ في الرياض من الطين أو العر ، وهي قليلة التواجد على الطريق العام ، وإن ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية . ويشهد قصر الملك ومنازل العائلة الحاكمة فيها عظمها من المساحة وهي تحته في شاطئها قصور الفروع المرصاة من جهة السمة وإقامة الأراج عليها ؛ وانعمر الحالي ساء الملك عبد العزيز على أنقاض القصر القديم .

والرياض هي مقر آل الشيخ ، وأولاده الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الديني العظيم ، ومن مراكزهم الديني أمه مائة ، المحكمة العليا في البلدان الأخرى ، وهم المرحوم الأخير في جميع المشكلات الدينية ، ويتمون في الوقت نفسه بوظيفة تدريس العلوم الدينية والآداب العربية في بينهم ، التي تصدعها حالة العلم ويحدث فيها ما يساعد على الانقطاع لطلب العلم .

والرياض تزخر بالزائرين ، وتمتع بالوافدين من الحضر والبدو وقت إقامة جلالة الملك بها ، وقد يبلغ عدد الضيوف عشرة آلاف ، ولا يقل عدد الضيوف عن ٨٠٠ في الأيام العادية ، وكلهم تهيأت لهم سبل الضيافة ، وتوفرت لهم جميع وسائل الراحة على نفقة حلافة الملك

وأهل الرياض أشد أهل نجد صلاحية في الدين وغيره على حرمانه ، وشأنهم شأن أهل نجد في المحافظة على صلاة الجمعة والضرب على أيدي المنهين في أدائها وبيع عدد سكان الرياض نحو مائتي ألفاً ، وقد أمر حلافة الملك في سنة ١٩٣٣ بإنشاء بلدية للإشراف على تنظيف البلد وتوسيع طرقها ، وقد ربطت بيوت العائلة الحاكمة بعضها مع بعض بأسلاك التليفون ، وأصبحت بعد إنشاء الحطة اللاسلكية فيها سنة ١٩٣١ مرتبطة مع سائر البلدان القريبة ، وأصبحت على اتصال وثيق بالعالم الخارجي بعد ما كانت في عزلة تامة عن العالم

وإذا قورنت الرياض اليوم بالرياض سنة ١٩٢٣ حيث زرتها لأول مرة وجدت الفارق العظيم في كثرة السكان والمباني الشيدة بالحجارة المزودة بتكييف الهواء وقد ربطت الرياض بالخليج الفارسي بمطج حديدي حديث فاقهم صحراء الدهناء الخط الحديدي كما اقتضتها السيرة من قبل

الترعية :

وهي العاصمة الأولى لآل سعود تجرت سنة ١٢٣٣ هـ سنة ١٨١٨ م . أما الدرعية الجديدة فتقابل البلدة القديمة ، وهي في الجهة الشمالية من وادي حنيفة ، تقع في غربي الرياض ، وتبعد عنها نحو ٢١ ميلاً

ويبلغ سكانها الآن نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من أشجار النخيل والفاكهة يرونها نحو ٤٠٠ بئر غزيرة المياه ، وأشهر ضواحيها العُطَريف في الجهة المقابلة من الوادي ومريجة والمصبية ، وهي منفصلة عن بعضها بأسوارها الخاصة

سدّوس :

بلدة صغيرة في مواقع كثير المياه ، خصب التربة ، وفيها كثير من أشجار الفاكهة

والخيل ، وقد اشتهرت سدوس بما فيها من الآثار ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً ، ويبلغ سكان سدوس نحو ألف نفس حرمة :

في طويق أيضاً ، وفي الشمال الشرق من سدوس ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً ، وهي أيضاً في منطقة خصبة كثيرة الباء ، بها كثير من أشجار النخيل والتماكة ، وآبارها عميقة ، وبها قلعة كبيرة محربة ، ساها المريريون في أوائل القرن التاسع عشر ولكنها تداعت منذ ذلك . والقسم المحض من البلدة به كثير من المنازل المداعية ، ترى كأنها أطلال ، والطريق العام الشمال إلى سدوس يمر بحريمة ، ويبلغ سكان حريمة ٣٠٠٠ نفس تادق :

بلدة صغيرة في الشمال الغربي من حريمة ، تقع على جانب الوادي في الجهة الغربية من منحدرات طويق ، يبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة ، وكانت من المدن الشهيرة في الماراض وهذا عليها عادي الدهر الميمنة والحيطة :

وقد كانت الأولى زاهية زاهرة في أيام النهضة الأولى لآل سعود ؛ وهناك قصص كثيرة عن أسباب خرابها وحر الناس لها ، ليس لها محل ذكرها ، والحيطة مشهورة بقبور كثير من الصحابة الذين اشتهروا في حرب سيمة الكذاب الخرج :

أشهر بلدان الخرج : الدلم وهي العاصمة ، منفوحة في الجنوب ، تمنجان السنية ، البامة ، المساف ، الصبعية البذع ، وزران تقع هذه للقاطعة في الجنوب الغربي من الماراض في وادي حنيفة ، وتمتد من الضفة اليمنى لوادي قرب الرياض إلى الصحراء الكبرى الجنوبية ، ومن حدود الخريق والمحوطة في الجنوب الغربي إلى الصحراء الشرقية .

والمطقة المكونة من المقاطعة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠ ميلاً ، ومن الغرب إلى الشرق ٥٠ ميلاً ، والمخرج من أغنى المقاطعات النجدية^(١) وأخصبها ؛ فيها كثير من الميون الجارية والمناطق المزروعة .
وقد اعتاد آل سعود من قديم أن يُسموا حيولهم وإبلهم في المخرج . وأشهر بلدان المخرج هي :

منفوحة :

تقع في أقصى الطرف الشمالي من وادي حنيفة ، ومنازلها بعضها مبني بالطين والبعض الآخر بالحجر . وقد كان لمنفوحة شأن يذكر في نجد في الماضي لما كانت الرياض قرية ، فقد كان سكان منفوحة أكثر من سكانها الحاليين ، إذ كانوا يحاورون الخمسة عشر ألفاً . أما الآن فمنفوحة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف ، وبها كثير من أشجار النخيل التي تزيد عن ٤٠ ألف نخلة ، وآبارها يبلغ عمقها من ٢٥ — ٧٠ قدماً حسب بعدها عن الوادي السليمة :

بلدة صغيرة على مجرى عين فوزان الذي يفيض من القلم على بعد ٥٠ ميلاً من الرياض وهي في بقعة منخفضة كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها نحو ألف نفس البهامة :

مدينة صغيرة أيضاً تقع على مجرى العين السابقة ، وفي بقعة خصبة أيضاً ، كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها الآن نحو ١٢٠٠ نفس وقد كانت البهامة قديماً تطلق على منطقة واسعة

القلم :

هي المدينة الرئيسية للمقاطعة في الوقت الحاضر ، وتقع على عين فوزان الصغيرة ، ويبلغ

مكناها نحو ٦٠٠٠ نفس يشغلون بالزراعة ، وأراضيها خصبة وعامرة بزراعة النخيل والحبوب والأرز ، ويبلغ عمق الآبار من ٣٥ — ٥٠ قدماً

الحريق :

تقع منطقة الحريق غربي المخرج وجنوبي العارض ، وتبعد عن الرياض بنحو خمسين ميلاً ، وآبارها بعيدة العور قد تبلغ نحو ١٠٠ قدماً ، ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد اشتهرت الحريق بالثورة التي أثارها أثناء عم الملك عبد العزيز عليه سنة ١٩١٠ م في الوقت الذي كان شريف مكة يهدد إمارة نجد من جهة الحجاز

الحوطة :

بلدة صغيرة في جنوبي الحريق ، بها كثير من البساتين يبلغ سكانها ٤٣٠٠ نفس

الأفلاج :

تقع منطقة الأفلاج غربي المخرج وشمالي الحريق ، وهي سهل واسع ، وهي في الجغرافية التقبعية قسم من الهامة ، كثيرة المياه والنخيل ، عامرة بالسكان ، وأشهر بلداتها هي :

يَسْلَى :

في القسم الشمالي من المنطقة ، وهي الآن محروقة الأفلاج ، ويبلغ سكانها وسكان القرى التابعة لها نحو ٥٠٠٠ نفس ، منهم نحو ٤٠٠ من لأشراف

البيديع :

في القسم الجنوبي من المقاطعة ، ويبلغ سكانها نحو ٣٥٠٠ نفس

الروضة :

شمالي البيديع ، وتبعد عنها ١٠ أميال ، وبها كثير من بساتين التفاح ، والمنطقة كثيرة المياه ، ويبلغ سكانها نحو ١٦٠٠ نفس

وادی الدواسر

يمس الوادي حافة الربع الخالي عند نقطة تبعد نحو خمسين ميلاً من جنوب شرق الثليل ، وعلى بُعد خمسين ميلاً أيضاً من جنوب غرب السكان نفسه الطريق وعجري الدواسر بنعند شرقاً في الرمال . وإلى الغرب من هذا توجد سلسلة جبال اليمن ، ويوجد على منحدراتها الشرقية كثير من الواحات العاسرة ، ثم تنصدم هذه المنحدرات تدريجياً في الرمال ، بينما وديان التلث وييشة ورائيا تتجه شمالاً في أعالي عسير ، حيث اجتمعا في السهل يكون وادي الدواسر نفسه

منطقة التليل :

هذا الجزء واقع إلى الجنوب الشرق لوادي الدواسر ومنخفضات القرون ، وإلى جنوبه فيها وراء المرتضعات تمتد أطراف الصحراء

واحة السليل :

يبلغ طول الواحة حوالي مبلين ؛ في واد رملي مكون من التقاء الوديان في قلب أعالي الطريق^(١) ، وأحد هذه الوديان هو وادي الدواسر الذي شق حائز النجد إلى شطرين من الغرب إلى الشرق

و مستمرة السليل تتكون من أربع قرى مربعة الشكل ، وكثير من الأكواخ المبنية هنا وهناك ، وبضعة قصور منتشرة على حافة مزارع النخيل على الضفة اليسرى لوادي المجموع . ومساحة المستعمرة ميل طولاً ، وربع ميل عرضاً

وعند طرفها الشمالي الغربي تقع قرية « فرعة » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة

وعلى الطرف الآخر تقع قرى صبة أو المعند ، وذهلا ، والحش

والقرية الرابعة هي آل سويلم ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة . وهي واقعة في منتصف الواحة ومجموع سكان الواحة لا يزيد عن ألفي نسمة ، بعضهم أرقاء تمردوا ، وهذا التقدير

(١) طريق : جبل في نجد الوسطى .

لا يضم العرب الرحل الذين يقدون على الواحة زمن موسم التمر لأخذ حاجتهم منها وما تنتجه الواحة من التمح والتمر يكفي سكانها مؤونة العام ، وعدا ذلك فنزرع فيها أغلب أنواع الفواكه ، وبها نزرع القطن أيضاً ومنطقة الليل بما فيها « حما » في الشمال ، وواحة « تنر » في الشرق هي جزء من إمارة الدواسر

واحة الوادي :

تقع مزارع نخيل الشرافة في مدخل الواحة من جهة الشرق ، وهي غنية بشجر الأثل والسكرام ، وسكانها نحو خمسمائة نسمة من الدواسر ، ثم يتلوها إتحاف أو تسرة . ويفصلها عن مزارع نخيل الشرافة حواجز رملية يبلغ عرض الواحة منها حوالي نصف ميل وتكثر مزارع النخيل في الجهة الشرقية من الواحة بدرجة كبيرة ، وبها توجد خمس قرى منها : « نقيية » و « القيط » ، وهما قريتان متلاصقتان ، وواقتان على خفة الوادي اليمنى ، وسكانها مائة حوالي ثمانمائة نسمة

وعلى بعد نحو ربع ميل من شمالي هاتين القريتين ، وعلى سفح الضفة اليسرى للوادي تقع قرية « نزا » وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة إلى ذلك مستمرة تحاذي ومثلة ، وهما غنيتان بمزارع النخيل . وسكانها نحو ألفي نسمة

يتلو ذلك الدمام ويشرف ، وهما واقتان على حافة الوادي القبلية ، ويفصلهما عن بعضهما مسافات صغيرة

وإلى الغرب تقع مزارع نخيل القرعة وكروها ، وهي تكون الحد الغربي للواحة . وفي هذه الواحة يمرى مجرى نهر الدواسر . ويمرى الوادي نفسه طينى القرية ، ولكنه منطى بطبقة خفيفة من الرمل

وإلى الجنوب تمتد صحارى قاحلة لا نبات فيها ، وهاهنا ليل رملية تتلاشى رويداً حتى تتلاشى في رمال الصحراء ، وتنتج من جهة إلى الجنوب الشرق حيث توجد التوشيع

بلدان الوادى

دام :

هى عاصمة الإقليم ، وتقع على سفح المنحدر فى الجهة اليمنى من الوادى . وهى على شكل مربع تقريباً ، منية على مرتفع تقع على قته أحسن البيوت والمساكن ، وكانت محاطة سور ولكن أغلته اليوم متهدم . وأحسن بناء فيها هو « قصر حسين » وهو على شبه قلعة يملكه أحد الشيوخ . وليس بالبلدة سوق عام ، ولكن ضعة حوانيت ترى هنا وهناك

وسكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة من الرُّجَبِيَّان ، وهم قسم من القوارى أشداء البطش والقوة ، ويمتثلون كل الساية بنخيلهم وكرومهم وفى القضاء القى يفصل « دام » من نظيرتها « مشرف » يقع « البرزّان » وهو القلعة وقصر الحاكم العام

مِشْرِف :

هى للركز التجارى العام الواحة ، وهى تتنافس « دام » فى الأهمية والشهرة ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة ويحيط بالبلدة سور فى حالة أحسن من سور مدينة « دام »

وَلَامِيْن :

واقعة إلى الشمال الغربى من مشرف ، وسكانها نحو ألف نسمة ، ويفصلها عن مشرف حائط يسمى القَرْيَج

الجَوْرِي :

فى الجنوب الشرقى من دام ، ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة

مَمَامِيَه :

فى شرق دام ، ويبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة

وفي الجهة الغربية من الواحة توجد مزارع نخيل واسعة التطلق يتخللها بعض أشجار الأثل ، وتسمى هذه الجهة « الفرعة » ، وبها عدة قرى بعضها إلى جانب بعض ، ويطلق عليها اسم « الحمراء » ، وهي واقعة إلى الجهة اليمنى من الوادى .

ويبلغ مجموع سكان إقليم الدواسر زهاء ثلاثين ألفاً من حضر وبادية ، ويمكن الوصول من وادى الدواسر إلى رَينَا في خمسة أو ستة أيام بالإبل ، ومنه إلى وادى يَشَّة في نحو أسبوعين .

الوْشم :

أشهر بلدان الوْشم : شَقْرَا (العاصمة) ، ثَرْمَدَا ، وَشِير ، الْقَصَب ، غِلَّة ، الوْشم ، أَيْتَّة (بلدة جوير الشاهر) ، القروعة ، الحَرْيْفَة ، الدَّاهنة .

يحد من الجنوب والشرق المارِض وسُدَيْر ، ومن الشمال القصيم ، وأما من الجهة الغربية فليس هنالك شيء يبرز يحد نهايته ، ويفصله من الجهة الجنوبية الحِداد عن ضَرْمَة من المارِض ؛ ويبلغ امتداد هذا السهل من الشمال إلى الجنوب حوالى ١٠٠ ميل ، ومن الشرق إلى الغرب نحو ٩٠ ميلاً — أما خط تقسيم المياه — فهو السهل الرملى الوامى الذى يبلغ عرضه نحو ١٥ ميلاً .

ويتمى النفوذ إلى جنوب ثَرْمَدَا حيث الحد الفاصل ما بين الوْشم والمارِض ؛ والجنوب الشرق من الوْشم أهل بالقرى والسكان والمياه ، وفيه تقع أكبر بلدين في الوْشم شَقْرَا العاصمة ، وَثَرْمَدَا . أما وسط الوْشم وشماله فأرضه غير خصبة ؛ ويبلغ عدد سكان الوْشم نحو ١٥٠٠٠٠ نسمة يمتنون إلى بنى تميم وعنزة وم يقطنون حوالى عشرين بلدة وتروية هذا القرى الصغيرة . وأشهر البلدان هي :

شَقْرَا :

في الجهة الجنوبية الشرقية ؛ يبلغ سكانها سبعة آلاف وسورها وأبراجها متهدمة منذ الحصار الذى أقامه عليها محمد الرشيد في سنة ١٨٩١ م ، وبساتينها صغيرة بالنسبة إلى

مساحة المدينة، وآبارها عميقة : ٦٠ — ٧٠ قدماً ، ولكن ماءها لا ينضب حتى في أيام الجفاف الشديد .

وقد كان لشقرا في القرن الماضي مكانه تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق ؛ ولا يزال أهلها يجوبون مختلف الأنظار في سبيل التجارة .

قَرَمَقَا :

في الجنوب الشرق من شقرا ، وهي تكاد تكون مخربة مما حل بها في سنة ١٩٠٣ ، حيث انحازت إلى ابن الرشيد . يبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها قلعة وسوق ، وكثير من البيوت الجميلة ، وبها كثير من البساتين الواسعة ، وهي تروى من آبار عميقة من ٦٠ — ٧٠ قدماً .

وَشِيْقِر :

في الجهة الشرقية بين وسط حافة النفود وواجهة طويق ، وهي على بعد بضعة أميال إلى الشمال الشرق من شقرا . بها مزارع تروى من آبار عميقة من ٥٠ — ٦٠ قدماً .

الْمَذَنَب :

في منتصف الطريق بين شقراء والقصيم ، وهي حلة قري آهلة بالسكان منضم بعضها إلى بعض ، يبلغ سكانها نحو ٢٥٠٠ نفس ، وآبارها غير عذبة ، وبها كثير من القصور ، وتقر بها من الوشم عُدَّت قسماً منه ، وبعض النجديين يعتبرها قسماً قائماً بنفسه .

سُدَيْر :

هو القسم الواقع إلى شمال نجد الأصلية ، ونقع القصيم إلى شمالها وشمالها الغربي ، وخط الحدود يقع في الصحراء على بعد عشرين ميلاً من وادي الرُّمَّة بين الزَّبْيِي والمَذَنَب ، وإلى غربها تقع الرُّمْم وخط الحدود ، ويمكن تقدير أبعادها بمائة ميل من الشمال الجنوب ، و ٩٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب .

وسدير في الواقع هي الجزء الشمالى من « طويق » وتحتوى على أول السلسلة التى تتجه نحو الجنوب الشرقى ، والجزء الرئيسى الذى يكون أغلب سدير هو السهل المرتفع الواقع فى الشمال فوق السلسلة الممتدة إلى الجنوب الشرقى . والقسم المأهول بالكان هو المنحصر من هذا السهل

وهذه الوديان منفصلة بعضها عن بعض بمحاجز صخرية ؛ والقرى هي فى الواقع واحات صغيرة منفصلة بعضها عن بعض ، وغير ذلك توجد مزارع مأهولة خارج الحد الشرقى من المرتفع ، وهي واقعة إلى شمال وشرق الزَّنْفَى والمجَمَّة ، وأيضا يوجد بعضها إلى الجنوب ولا يمكن تقدير عدد السكان بأكثر من خمسة وعشرين ألف نسمة ، وكل البلاد ذات الأهمية واقعة على الطريق الرئيسى وأهمها :

المجَمَّة ، الزَّنْفَى ، الفاظ ، بَجَلَّيل ، التَّوْنَم ، الفَدَّاحَة ، الروضة ، الحصون ، حَوْطَة ، سُدَيْر الجنوبية ، المطار ، المُوَدَّة ؛ الخَطَّاطَة ، عَشِيرَة ، تَمِير

المجَمَّة :

واقعة فى الشمال ، وهي فى الجانب الجنوبى من وادى يجرى فى وادى الشَّجَر ؛ ويبلغ عدد سكانها نحو ٤٥٠٠ نسمة ، وهي مسورة ، وفيها قلعة وأبراج ، وعمق آبارها يختلف بين ٣٥ — ٧٠ قدما ، وبها سوق فيه ٥٠ دكانا ، ويكثر فيها أشجار النخيل ، ويقع الأمير فى بيت قريب من السور

الزَّنْفَى :

واقعة فى نهاية الطرف الشمالى فى سهل واقع بين الطويق فى الشمال الشرقى وأعالى النهر غربا ، وتنقسم إلى بلدين يحيط بكل واحدة منهما سور . فالأولى واقعة فى عماء السهل ، والأخرى واقعة بين بساتين كبيرة واسعة على بعد ميل من الأولى . ويبلغ ارتفاع السور المقام حولها نحو ١٦ قدما ، وعليه ثلاثة أبراج يزيد ارتفاعها عن ارتفاع الحائط بنحو عشرة أقدام ، والبوابة مرتفعة وواسعة بحيث تسمح لراكب الجمل أن يدخلها وهو راكب جملة

والقسم الشمالى الشرقى منها دارس ، وفي الجزء الباقي عند الشوارع من الشمال إلى الجنوب ، والبيوت ذات الطبقتين قليلة ، وبها مسجد واحد .
ومجموع سكان البلدين يبلغ نحو ٤٠٠٠ نسمة

الفاط :

سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من المسانين الكبيرة ، وهى على مسافة سير يوم جنوباً من زانق ، ونحو يوم إلى شمال الجمعة

جَلَّاجِل :

تقع على بعد ١٨ ميلا إلى جنوب الجمعة ، وتلوعها نحو مائتى قدم ، وهى مدينة مسورة ، وبها قلعة ، وبها بعض البيوت ذات الطبقتين ، وبها سائين كثيرة جداً فانت سائين التَّوَّجَم التى تبعد عنها نحو خمسة أميال إلى الجنوب الشرقى ، ويبلغ سكانها نحو ٣٠٠٠ نفس

القَصِيم :

وتقع الوشم فى جنوبها الشرقى ومنحدرات عُتْبِيَّة فى الجنوب الغربى ، ويحتمها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ، وتبلغ أعلاها نحو تسعين ميلا من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلا من الشرق إلى الغرب

ويطلق على القسم الواقع فى الشمال الشرقى القسم العليا ، وتنسرب المياه إلى آبارها من المرتعات المحيطة بها ، ومحامة من جبل شمر ، والقصيم ملاءى بالقرى الآهلة بالسكان ومزارعها كثيرة جداً حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء ، وتجرود فى هذه الواحة للزروعات على اختلاف أصنافها ، ويقدر عدد المقيمين بها بصفة دائمة بمائة ألف نسمة

وتقع القصيم فى طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافذة ، وتتميز بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجى ، وأهلها من أذكى أهل نجد ، وأرهم طباعاً ، وأكرمهم خلقاً ، وأسخام بدأ ، وأكثرهم أسفاراً

للخارج ، وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والمهند والعراق من أهل القسم ، وبها بعض المدارس التي تعنى بالعلوم الدينية ، وبها بعض الملاء المتبحرين في فنون الفقه والعربية .

ويبلغ عدد قرى القسم نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقسم هما رَيْدَة وَعُنَيْر ، وأغلب القرى تعتمد على بريدة ولذا تسمى بأُم القسم .

بريدة :

تقع في الطرف الشمال من القسم العليا على الجانب الأيسر من وادي الرُمة ، وهي من أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاماً ونظافة ، وطرقها أوسع من الرياض ومن طرق أكثر البلدان النجدية واسكنها ملتوية ، ومبانيها من اللبن ، وهي كسائر البلدان العربية محاطة بسور يحس البيوت والأسواق يبلغ ارتفاعه ١٥ قدماً ، وبساتينها خارج السور تمتد أكثر من ثلاثة أميال في اتجاه وادي الرمة إلى قرية الخَبْرَا ، والمياه فيها متوفرة وغزيرة ولكنها ليست خالصة المنوبة ، وعنى الآبار بتفاوت من ٢٠ — ٤٠ قدماً ، وتطفو الرمال من وقت لآخر على البساتين .

ويقع سوقها في الجهة الجنوبية من البلدة ، وبه نحو ٣٥٠ حانوتاً وهو مقسم إلى أقسام حسب نوع البضاعة ، وبها أيضاً سوق للجمال والنم وبها ستة مساجد . وبالشمال الشرق القلعة الرئيسية للبلدة ، يبلغ ارتفاع الجدار ٤٠ قدماً ، بنيت بناء هندسياً جميلًا قبل ٦٠٠ سنة ، ويسمونها القصر أيضاً ، يسكن بها الأمير (العامل) ويسكن بها أيضاً الملك عبد العزيز وقت إقامته في بريدة وِرْقِي في بريدة وما يليها الإبل والنم ، وهي تُكوّن جزءاً من ثروة البلاد ، ويصدرون للخارج الزائد عن الاستهلاك المحلي ، وكذلك تعنى فيها بترية الخيول وتصدر إلى الشرق والشمال .

ويبلغ عدد سكانها ٣٠ ألفاً أكثرهم من بني تميم ، وهم ليسوا كأهل عنيزة في الكرم ولين الجانب .

وتقع الدبنة على مرتفع رملي ، وهي محمية جداً ، وأرضها خصبة ، وبساتينها كثيرة وتزوى بسمره .

عنيزة :

تقع إلى يمين وادى الرمة على بعد ميلين منه ، وتبعد عن بريدة نحو ١٢ ميلاً في مكان حبيب يحمه النفود من الشمال ، ويحيط بالقسم الأهل من السكان من البلدة حائط داخلي ، وبه بساتين عامرة تمتد إلى الشمال نحو ميلين . وبيوت عنيزة أظف وأحسن من بيوت بريدة .

وقد اشتهر أهل عنيزة بلبن الحلاب ونشاعة الوجه وحسن اقامتهم الأجانب وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجارى بعطرتهم .

يبلغ عدد سكانها ٢٠ ألفاً - اشتهرت بنيرة ببعض الصناعات للمدينة وتجارتها واسعة ، وبها عدد غير قليل من الأجانب (غير مجدى) .

وقد كانت عنيزة تنافس بريدة في الأولوية والأهمية ، ولكن بريدة سبقت عنيزة الآن .

ومن أشهر مدن التقسيم :

الرس :

تقع في القسم الجنوبي من التقسيم على بعد ٥٠ ميلاً من بريدة في الجنوب الغربى منها ، وعلى بعد ٤٠ ميلاً من عنيزة ، وفي جنوب غربى عنيزة على الحافة الجبى لوادى الرمة ؛ تحيط بها البساتين من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشرقية ، ولها مزارع واسعة في بطن وادى الرمة وفي جهات أخرى .

ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد قاومت إبراهيم باشا سنة ١٨١٧ م مقاومة شديدة ، وبقيت مدة طويلة تحت الحصار قبل التسليم .

المتبرا :

تقع على الحافة اليسرى من وادى الرمة على بعد نحو تسعة أميال شمالاً من الرس ، وهى بلدة مسورة نحو ٣٥٠٠ نفس ، وبها سوق يسفد كل يوم جمعة ، وبها ميدان كبير يجتمع به الناس في وسط المدينة ، ويبلغ عمق آثارها حوالى ٥٠ قدماً .

العيون :

في القصيم العليا على بعد ٢٨ ميلاً من شمالى غربي ريدة وهي واقعة في منخفض وتبعد نحو نصف ميل من الشمال إلى الجنوب

يبلغ سكانها نحو ٥٠٠٠ نفس ، وهي مكونة من قريتين متجاورتين ، تحارثها واسعة بها كثير من مزارع النخيل ، تروى من آبار يبلغ عمقها ٣٠ قدماً

قصيبة .

تقع في الشمال الشرق من القصيم العليا في مكان منخفض ، وبها مياه غزيرة ولكنها تميل إلى اللوحة ، وبها أيضاً عين حارة ، وبها كثير من البساتين الواسعة المساحة ، وثمرها من أجود الأنواع في نجد . يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ نفس يسكنون في أربع محلات متجاورة

جبل شمر :

يطلق اسم جبل شمر على السهل الواسع الممتد بين جيلي أجا وسلمى ، والذي تكتنه قبائل شمر المشتغلة بالزراعة — ففي شهاب هذه الجبال توجد منابع عديدة للمياه ، والأرض خصبة صالحة للزراعة ، وفيها أشجار النخيل بكثرة حيث تنمو هناك نمواً عظيماً .

وفي السهل الكبير المناسط بين هاتين السلسلتين توجد منابع المياه بوفرة تحت طبقة الرمال والمغسور ، فتجعل الأرض صالحة لأنواع شتى من المزروعات ، ولكنها في موسم الحر تحتاج إلى ريها باستسراو

وإمارة جبل شمر هي محد يعلو عن سطح البحر ٢٢٠٠ قدم ، وله رؤوس مرتفعات عالية جداً ، والتبعد مسجدر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقى ، والمياه تنحدر في أغلب الأوقات إلى وادي الرمة . وأهم الظواهر في بلاد الإمارة هي سلسلة الجبلين المخاضيين لبعضهما : جبل أجا وسلمى ، وهما واقعان في شمالى الإمارة وتمتدان حتى طرف المقاطعة أى أن اتحاهما من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقى ، وهما مكونان من حير الجرانيت وارتفاعهما شاهق ؛ فإن جبل أجا يعلو عن سطح التجدد نفسه بنحو ألف قدم . ويبلغ

ارتفاعه الأعلى في أحد الواقع إلى ٥٥٠٠ قدم ، وتبلغ مساحة السلطة حوالي ١٠٠ ميل طولاً وعشرين ميلاً عرضاً

أما جبل سلمى فإنه لا يقل ارتفاعاً عن جبل أجا ، ولكن مساحته أقل ، والمنطقة الحامية تنبجه غرباً إلى حدود النفود الجنوبية

ويوجد في جبل أجا كثير من الحيوانات الوحشية والطيور ، والهواء في الإمارة معتدل وصحى ، وتزل أمطار غزيرة على أعلى الجبال ، ولذا توجد المراعى الخاصة للكتيبة . ويرل أوائل المطر في شهر نوفمبر ، ودرجة الحرارة في فصل الشتاء منخفضة

السكان

هم خليط من الحضر والدو يعلمون نحو ٤٢ لغة . ويبيع عدد الحضر منهم مخواتين وعشرين لغة ، والدو نحو عشرين ألف نس ، والسكان كأهل القصيم يتلون إلى الآن ويطلب على طباعهم لبن الجانب وإكرام الأجاب

المحصولات والتجارة

لا ينتج الجبل من المحاصيل الزراعية ما يكفي لقوت سكانه بالرغم من أن أكثر سكانه يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية وتصدر الولاية عدداً كبيراً من الخيول الحيدة والجمال والدم التي تنتج نوعاً جيداً من الصوف

ويزرع في الجبل الذجيل وبعض أصناف أخرى من التواكه

البلاد المشهورة

هى — كاسيق — الجزء الواقع بين جبل أجا وسلمى ، وفيه تقع العاصمة « حليل » وعلى قرب منها إلى الجنوب الغربي تقع « قفار » ، وهى قرية قديمة مشهورة واقعة على المنحدر الجنوبي لجبل أجا ، وبالتقرب من جبل سلمى تقع مجموعة قرى منها : « بيد » العاصمة القديمة . وفي شمال جبل أجا — بينها وبين النفود — توجد بعض واحات متفرقة

قَار:

وهي ثاني مدينة في الأهمية في جبل شُكْر، وهي مساوية لحايل في عدد السكان ، وواقعة في البطن إلى الجنوب الغربي من العاصمة تحت مسطحات جبل أجا . والواحة كبيرة ، وشجر النخيل فيها كثير جداً حتى إنه يفوق بحيل حايل ، ومنها . وهي مأهولة بنق نجم ، وهي واقعة على طريق نيباء .

عُقْدَة:

مجموعة قرى منتشرة في مزارع النخيل في وادي واقع إلى الجنوب الغربي من حايل ، يبلغ سكانها ١٨٠٠ نس .

مُتَجِدَّة :	بها نحو ١٢٠ بيتاً
مُتَيْنان :	بها نحو ٧٠ بيتاً
الزَّوَالَة :	بها نحو ٦٠ بيتاً
الرَّوَضَة :	بها نحو ٦٠ بيتاً

تِيَاء:

بلدة صغيرة في وسط (واحة) باسمها واقعة إلى الجنوب الغربي من النفود على بعد ٦٥ ميلاً من شمال التلّاء ، وهي واقعة في منخفض من السهل المرتفع الذي يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم . والواحة مورة بمحاط من الطين ، وبها أبراج للدفاع مبنية من اللبن . والواحة أشهر عين ماء في بلاد العرب ، إذ يبلغ اتساع فُوهتها أكثر من حين قدماً ، وصرك عليها سَوَالي من جميع الجوانب ، ومياهها غزيرة . وقد أسر حلاة الملك سعود بتركيب آلة كبيرة لرفع المياه توسيعاً للمناطق القابلة للزراعة وتشجيعاً للزراعيين .

وأرض تِيَاء خصبة وصالحة للزراعة ولزراعة النخيل ، ويترعرع فيها القمح والشعير والأذرة والقواكه على اختلاف أصنافها ، وتِيَاء جيد ويدبر من أجود أصناف التمر .

عدد سكانها نحو ٢٥٠٠ نسمة ، وأغلبهم من ولد سليمان ، وسها بعض الموالى وبعض
التجار من جبل شمر ، وبعضهم يحضرون لتصريف تجارتهم التى يحلبوها من نداد
وساحل الخليج ، والأهالى يبيعون محاصيلهم للبندو الرحل ، والهواء فى تيماء جيد
جداً وصحى .

الجوف^(١) :

هى المدينة الرئيسية وسط منطقة زراعية كبيرة واقعة إلى شمال العود على رأس ودى
السرخان ، والواحة واقعة فى مسطح يقع نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها
وتوجد واحات صغيرة أخرى تامة لواحة الجوف ، واقعة إلى الشمال الشرق منها
هى : سكاكة ، وقادة ، والطاوير ، وجاوة ؛ وسكاكة هى الأكبر ، وسزارع النخيل بها
تكثر جداً حتى أنها تفوق تلك التى فى الجوف نفسها

وبلغ طول واحة الجوف نحو ٣ أميال فى نصف ميل عرضاً ، وهى تمتد من الشمال
الغربى إلى الجنوب الشرق ، وكلها حدائق وبساتين ، وبينها نحو ١٢ قرية وبها نحو
٤٠٠ منزل ، وليس بالقرية شوارع ولا أسواق

ومن مظاهر القرى هنا أن بعض بيوتها يقام إلى جانبه برج يبلغ ارتفاعه حوالى
٤٠ - ٥٠ قدماً و ١٢ قدماً عرض حائطه ، وله مدخل صغير وبه مائدة صغيرة ، وفى
بعض البيوت يكون البرج جزءاً من البيت نفسه

وموقع الجوف المرمى مهم جداً ، لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا ووسط
بلاد العرب ، وهى مفصلة إذ تقع فى المنتصف ما بين الفرات وطريق الحجاز الحديدى ،
وبين جبل شمر وحمل القردور ، وعلى بعد نحو ٣٠٠ ميل من كل من هذه المواقع وهى الواحة
الوحيدة الواقعة ما بين العقبة وينداد

(١) الجوف : هو للمسمى قديماً دومة الجندل

الاحساء

كانت هذه المنطقة نسي قديماً البحرين وعمر ، وكانت تطلق على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان أما اليوم فتطلق الاحساء على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من خليج فارس ، من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعُمان وحمراء الحاضرة ، حيث يحدها من الغرب الضّمان

الوصف الطبيعي

القسم الأكبر من الإحساء سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، حيث تتشابه البلاد مع تهامة . ويوجد كثير من التلال غير المتصلة بعضها ببعض تستخدم كحدود للمناطق ، وترتفع الأرض في القسم الداخلي إلى غربي المنطقة عن باقي السهل

ويوجد خط من التلال على طول وادي المياه وجبل الطّقت ، ممتدة إلى الجنوب ، ويمتد مرتفع الضّمان الصخري موازياً لساحل الخليج الفارسي ، متوسطاً بين الاحساء وبين الدّخنة حيث يفصل هذا القسم عن نجد

وأم أودية إقليم الاحساء هو وادي قُرُوق في الجنوب الغربي ، وهو قسم من وادي المياه

والمنطقة الساحلية سبخة على الموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار ماؤها قريب من سطح البحر ، والمراعي وادرة أيضاً ، والأشجار الصحراوية من المنطقة أهلة بالبسوة ، وأغنى شاع المنطقة واحا الاحساء ، والغطّيب في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون وأنهار صغيرة تشبه البحيرات

جو الاحساء

يشبه جو المناطق المنخفضة ، والقسم الشرقى من الاحساء يشبه جو تهامة ، وتزداد الحرارة فى بعض المناطق كالتطيف منها فى بعض المناطق الأخرى ، وتتراوح درجة الحرارة فى منطقته الاحساء ما بين ٤٠° إلى ١١٠° ف وتبدأ الحرارة فى الارتفاع من إبريل حتى تصل نهايتها فى شهرى يوايو وأغسطس ، ونهبط ابتداء من سبتمبر وموسم البرد ما بين نوفمبر ومارس

والقسم الأكبر من هذه المنطقة غير مزروع ، والقسم المخصب المأهول بالسكان للشمول بالزراعة يبلغ امتداده نحو ١٣ ميلاً إلى شرق المهوف والبرّ ، غير أن هناك مناطق أخرى مزروعة فى الشمال غير متصلة ببعضها ببعض محاطة بالعيون

ومنطقة الاحساء مشهورة بمياهها الكثيرة فى المناطق المزروعة ويعبونها العديدة الدائمة والحارة ، وجميع المنطقة تكاد بعض بالعيون ، والأرض لا تكاد تشكو الطأ من كثرة المياه ، والطرق تمتد على شواطئ العيون ، والأشجار والحصرة أينما سار الإنسان . وقد ساعدت كثرة المياه على زراعة الأرز وغيره من الحبوب .

أما المحصول الرئيسى فى الاحساء هو التمر : وهو أنواع كثيرة أنفصلها النوع المعروف بالحلاص ، ويُدعها أحياناً الحسطة والشعير .

وأشهر واحة الاحساء : الأترنج ، والليمون ، والحواح ، والشمس ، والزمان ، والسب ، والبن . وفى الاحساء كثير من الخيل العربية ، وأصل الخيل والبقر ، وفيها الإبل والنم بكثرة . وفى الاحساء يطعمون البقر أنواع من الأعماك الصغيرة ، كما يعلفون بعض الحيوانات التمر القديم . وأشهر بلدان الاحساء هى :

المهوف :

وهى قاعدة المنطقة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من المنطقة المزروعة ، وتنقسم البلدة إلى ثلاثة أقسام : الكوث فى الشمال الشرقى ، والزمنة فى الشرق ، النائل فى الجنوب والغرب .

والكُوت^(١) هو مقر الإمارة ، محوط بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدماً ، مشيد عليه أبراج عديدة بناها إبراهيم باشا لحماية البلدة . وقد كان الكُوت مقراً للحامية التركية حتى سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٣ م . ويبلغ عدد بيوت الكُوت نحو ١٥٠٠ بيت وبيوت الرُقَّة نحو ٢٣٠٠ بيت ، وهي أهل منطقة وأسمها ويسكن بها أهل الثراء والتبيل من أهل الاحياء . أما التَّمَائِل التي فيها نحو ٢٠٠٠ بيت ، فتحتوي على القسم الأكبر من الطبقات الفقيرة ، وتضم أكبر مسجد للشيعة ، وفي الجهة الشرقية من الكُوت السوق وحواييت التجارة ، ويفصل الكُوت عن التَّمَائِل من جهة الجنوب غابة من النخيل .

ويحيط بباقي البلدة سور آخر يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً . وتبنى بيوت الاحياء في الناب من التجارة والحصى ولكل بيت بئر ، وحائطه المرتفع لحمايته ، وطرق الاحياء ضيقة . ويريد خارج البلدة من جهة الشمال سوق الخميس وهو مكان يجلب إليه أهل البلد والبدو حاصلاتهم ومصنوعاتهم حيث تعرض فيه يوم الخميس .

يبلغ سكان المَقُوف ٣٠٠٠٠ نفس ، وهم ما عدا البجطين الفسيين في الاحياء مزيج من العرب ومن أجناس أخرى فارسية وتركية وكردية ، ويبلغ أهل الشُّنة ثلاثة أرباع السكان والشيعة نحو الربع

٢ — المَبْرَز :

يقع المبرز على بعد ميلين من شمال المَقُوف ، مزروعة كلها من القرب ، ومحاطة بسور متهدم ، له بابان من جهة الشمال والجنوب . وتوجد خارج السور لجهة القرب قلعة صاهود وتشتمل المبرز على خمسة أقسام : أكبرها العيون في الوسط ، وفي الجنوب الغربي السوق والحوانيت التجارية ، ومباي المبرز كساي المَقُوف من التجارة في الغالب ويبلغ عددها ١٨٠٠ بيت ، يسكنها نحو ٩٥٠٠ نفس . والعمل الرئيسي لأهل المبرز هو الزراعة . وهناك سوق يقصده البدو المجاورون كل يوم جمعة لقضاء حوائجهم الضرورية واشتهرت المَقُوف والمبرز بمركزهما العلمي والأدبي مدة طويلة فكانتا مقصداً لطلاب

(١) الكُوت : القلعة (كلمة برتالية) كثر استعمالها بعد دخول البرتاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض الأماكن

العلم من سائر أنحاء الخليج الفارسي ، وأهلها مركز ممتاز في جميع بلدان الخليج الفارسي
يقالون بالإحلال والترحيب ، ويكرمون بأحسن أنواع الإكرام أيما حلوا
ومن العائلات التي اشتهرت عالم في تلك المنطقة عائلة آل مبارك ، ولا يزال أفرادها
يحفظون على تقاليد العائلة من دراسة العلوم الدينية والأدبية

السكان

بلغ سكان منطقة الاحساء نحو ٣٥٠ ألفاً ما بين حصر وادية ، ويبلغ البدو نحو
ثلاثة الأرباع ، والمميز الرئيسي بين السكان هو المذهب ، فالسكان ينتمون إلى المذهب
الشيعة ، وإلى مذهب أهل السنة والجماعة حيث يكونون الأثرية الساحقة في القطيف
وتاروت وحيث يلقون النصف في الاحساء

ولقد احتار بعض القبائل العربية الإقامة في بعض الأماكن بصفة مستديرة ؛ معذرة
من قبائل بني خالد يبلغ نحو ستة آلاف يقيمون في جزائر المسقية وحيث تاروت وفي مصر
القصية والكلاية والحيث في الاحساء ، وفي أم الساهك في القطيف ، وفي وادي المياه
يقم نحو ١٤٠٠ من قبائل شتي ؛ وأهم العشائر الضاربة في منطقة الاحساء .

البحبان :

ويقوم بهم في منطقة الاحساء نحو ٤٥٠٠٠ ويقيمون في جنوب المنطقة .

آل مرة ٨٠٠٠

بني خالد ١٢٠٠٠

بني هاجر ٦٠٠٠

الموازم . الرشايدة : وهؤلاء يقيمون في شمال المنطقة .

أما قبائل الدواسر : السهول ، مطير ، سبيح ، عتيبة ، حطان ، فإنهم ليسوا من قبائل
الاحساء بل يأتون إليها لأغراضهم الخاصة .

نبذة تاريخية

كان يسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي خلق كثير ، من عبد القيس و بكر بن وائل ونجم^(١) ، وكانت إذ ذاك تحت حكم الفرس ، فوجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله المصري حليف بني عبد شمس ليدعوا أهلها إلى الإسلام أو الخزبة فأسلم أهلها العرب وبعض المحوس ، وصالحه الباقون على الخزبة وأول من عمر الاحساء وحملها قصة عمر أبو طاهر القرمطي^(٢) و بقيت الاحساء تتنازعها الأيدي الحاكمة ، وتعبت بها أيدي الدؤى إلى أن فتحها آل سعود في دولتهم الأولى ساد الأمن وانقطع القصاد ، و بقيت في حكمهم إلى أن انتزعها منهم المصريون بعد دخولهم الدرعية سنة ١٢٣٣ ، ثم استردها منهم الإمام فيصل ، و بقيت في حكمه زمن ولايته وصدر ولاية ولده عبد الله ، ثم استولى عليها مدحت باشا في سنة ١٨٧١ م وألحقها بولاية البصرة . وفي ٥ مايو سنة ١٩١٣ انقض عليها الملك عبد العزيز واستولى عليها وطرد الحامية التركية منها ؛ وباستيلائه عليها ساد الأمن وانقطعت غارات البدو على القوافل والسكان

٣ - القطيف :

تقع واحة القطيف في الجهة الشمالية الشرقية من الاحساء ، ويمحدها شمالاً وغرباً صحراء تياض ، وجنوباً برّ ظهران ، ويبلغ طول هذه الواحة ١٨ ميلاً ، ومتوسط عرضها ٣ أميال ، وتقع مدينة القطيف في الوسط ، ويرتفع سطحها بصع أقدام فقط عن سطح البحر القسم الأعظم من المساحة رملى مشمع تياه العيون العذبة في المنطقة أما القسم المزدوع فينتهى ستة أميال جنوبى مدينة القطيف ، غير أن هناك مناطق أخرى سرروعة غير متصلة ببعضها ، سيأتى الكلام عنها

وهواء القطيف كثير الرطوبة غير سمى وينتشر فيها حمى اللاريا ، ولذا فإن المشائى التى تقصدها في الصيف تفر منها أول الحريف ؛ لأنه فصل الحيات حسب تجارهم يبلغ سكان القطيف نحو ٣٠٠٠٠ نسمة ، وكلهم من الشيعة تقريباً ، وهناك بعض

العرب من بني خالد يسكنون أم التاهك ، وقليل من العرب الخلط — يطلق عليهم حوثة — يسكنون في مدينة القطيف
والزراعة والأحسن زراعة الخيل هي العمل الرئيسي للكان . والتقسيم الأعظم .
يصدر إلى عمان والبحرين والهند وفارس ؛ وأنهر بلدان القطيف :

١ — مدينة القطيف :

وهي (Giparro) القديمة التي كانت محزباً كبيراً مشهوراً للأفاوية والخرابات الواردة
من ناروت (Taroot) ^(١) ؛ تقع مدينة القطيف على خليج يشمل أيضاً جزيرة ناروت ،
وتتعد المدينة على الساحل مسافة عشرة أميال ، منها ميلان شرق المدينة خاليان ، وهما
أطلال قلعة قديمة ، وفي الشمال يوجد ثلاث قنوات متصلة بالبحر ، منها يمر بوصول إلى المدينة ،
والبحر غير عميق ؛ وقد قالهفن الكبيرة نقي مراسيها بعيداً عن الساحل
ومن أقسام المدينة القلعة : وهو القسم المحصن من البلدة ، ويبلغ سكان المدينة
وضواحيها ١٢ ألف نس ، كلهم من الشيعة تقريباً ، وليس بها من أهل السنة إلا الأمير
وحرسه وموطنو الحكومة وبعض التجار التجديدين والأحاثيين
وقد مر الرحالة ابن بطوطة بالقطيف ^(٢) سنة ٦٣٢ هـ فوصفها بأنها مدينة كبيرة حسنة
ذات بحيل كثير يسكنها طوائف من العرب وهم رافضة غلاة

٢ — صيحات :

على الساحل في الجنوب الشرق من عتق ، وهي كغيرها من المدن العربية مسورة
بجور صخر يضم نحو ٧٠٠ نس ، وسها كثير من البيوت العزيرة ، وسكانها يعيشون
على الزراعة

٣ — المقير :

أعني في الجنوب الغربي من مدينة القطيف ، تبعد عنها أربعة وسنين ميلاً وليس

(١) مدينة صغيرة شرق القطيف

(٢) صبطا ابن بطوطة بالصنير . أما القاموس والوثق فبسطاطا خير نصير كما يلقونها أهلها الآن

بالتغير سيوت ولا سكان ، وكل ما فيها من المياى هو الجرك ، وباء آخر (حان) السكى وكلاء التجار ، ويعتبر العقير مياء الاحساء ومحد الجموية ، وأم الواردات التى ترد إليه من طريق الدهرين : الأرز والسكر والبن والسوجات بأنواعها

القبائل المحاورة للعقير هى السحان ، آل مرّة ، بنو هاجر . وقد اشتهرت العقير فى السنوات الأخيرة بالاحتفالات السياسية التى كانت يقيمها الملك عبد العزيز والسيررمى كوكس المندوب البريطانى

٤ — جَبِيل :

ميناء فى شمال القطيف سكنه قبائل بُوعَيَّيْتِىر أصهار بنى خالد سنة ١٩١٠ على أثر مهاجرتهم من قطر ، ولم يكن لهذا الميناء شأن يذكر حتى سنة ١٩٢١ م فإن الحرب الاقتصادية التى أعلنتها محدد على الكويت جعلت هذه الميناء تنمو نمواً سريعاً ، وكثرت مبانيها ، وأصفت شأن الكويت من الوجهة التجارية ، ويبلغ سكانها ٢٠٠٠ نس

وقرب حيل جزيرة السدية على خليج هذا الاسم ، على بعد خمسة أميال من رأس البديع ، بها نحو ٤٥٠ بيتاً ، وسكانها من المماثر (فرع من بنى خالد) وهم يعيشون على استخراج الأؤلؤ والأبحار به

جزيرة جَبَّة :

جنوب السدية ، وسكانها كسكان سابقتها من بنى خالد ، يعيشون على استخراج الأؤلؤ والأبحار به

جزيرة بُوعَلَى :

فى الجنوب الغربى من رأس البديع ، وهى غير مأهولة بالسكان ، تمتد ١٢ ميلا من الشرق إلى الغرب ، محاطة بمناصات الأؤلؤ ، ويطلق على الساحل الغربى من الكويت إلى ظهران اسم عَدَّان ، كما يطلق اسم قطر على الساحل الممتد من العقير إلى أخوار بنى ياس ، كما يطلق أحياناً على القطيف اسم الخط

أنهر قرى مسمرة القطيف عثك على الساحل تبعد أربعة أميال عن جنوب شرق مدينة القطيف ، ونحياها مملوك ابنى خالد

العوامية :

قرية محاطة سور يضم نحو ٣٥٠ بيتاً في الشمال الغربي من مدينة القطيف ، وفيها كثير من الميون التزيرة المياة

الجش :

جنوب مدينة القطيف ، وتمدد عنها أربعة أميال ، كما تبعد عن الساحل ثلاثة أميال محاطة سور يضم نحو ٣٠٠ بيت ، وبها ثلاثة عيون تروى المنطقة

صفوة :

في الشمال الغربي من مدينة القطيف تبعد عنها ثمانية أميال ، محاطة بسور يضم نحو ٤٥٠ بيتاً ، وبها عين كبيرة تسمى داروش يتفرع منها سبعة أنهر .

الدمام :

على الساحل الجنوبي الشرقي ، تبعد تسعة أميال عن مدينة القطيف ، وقد خربت في القرن التاسع عشر ، ولكن عاد إليها العمران مرة أخرى بعد هجرة الدواسر من البحرين سنة ١٣٤٠ ١٩٢١ م

حاكم منطقة الاحساء العام : هو الأمير عبد الله بن جلوي ابن عم الملك عبد العزيز ، وأحد صحبه المختارين الذين رافقوه في مخاطراته العديدة ، ولا سيما في انتزاع الرياض من آل رشيد ، وهو مشهور بالشدة والقسوة على المجرمين وأشرار البدو . وقد وقته عين جلالة الملك ولده الثاني سعود بن عبد الله حاكماً على الإمارة ، وقد كان إقليم الاحساء يضرب به المثل في احتلال الأمن ومساد الإدارة في أيام الحكم التركي ، فأصبح بعد حكم آل سعود كاسر البلدان البعيدة يسوده العدل والأمان

ولقد طرأ على هذه المنطقة تطور عظيم بعد اكتشاف الزيت بها فشيئت المدن وشقت الطرق ونشأ عمران عظيم لم تهمه المنطقة من قبل كما ربطت المنطقة بالرياض بواسطة الخط الحديدي كما سيأتي شرح ذلك في قصة الزيت .

الكويت

اشتهر اسم الكويت قبل الحرب العظمى بسواها ؛ بسبب المراع السياسي بين بريطانيا وألمانيا على السكة الحديدية التي كان الألمان يريدون أن تمتد إلى الكويت ، والعربانيون يحاولون إحباط المشروع أو وقفه عند حدود ولاية البصرة ، صيانة لتعودهم في خليج فارس ، ودفاعاً عن إحدى طرق الهند . وإن مركز الكويت التجاري الحر ، وقرها من محرمي الدجلة والفرات ، واتصالها الوثيق بتعدد حمل لها مركزاً ممتازاً ذا أهمية خاصة

حدود الإمارة

تكونت إمارة الكويت^(١) نصف دائرة على الساحل العربي من رأس الخليج الفارسي ، وتقع جنوبي مملكة العراق ، وشمالى مقاطعة الاحساء الخاضعة للدولة العربية السعودية ، تمتد حدودها الشمالية من أم قصر إلى سَفَوْن مارة قرب جبل سَنَام إلى الباطن . أما الحدود الغربية فتتبع الباطن إلى قرب الحَفَر ، حيث تتصل بالحدود العراقية والنجديّة ؛ ومن هنا لك تتجه إلى الجنوب العربي حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية . يمتد طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلاً ، ومن الشرق للغرب نحو ٢٥ ميلاً

الوصف الطبيعي

ترمة القسم الشمالى من خليج الكويت حصبة ، وثرية القسم الجنوبى بعضها رملى وبعضها طينى ؛ وهى على العموم مقفرة خالية من الزراعة ، يوجد بها بعض اللال مثل نلال واره في جنوب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٣٥ ميلاً ؛ ونلال مَنَاقِيش في غرب مدينة الكويت ، تبعد عنها نحو ٢٥ ميلاً

(١) في بروكول العير ١٩٢١ عيّن حدود الكويت ونجد والتظفة الحامدة بينها .

وليس بمنطقة الكويت ماء جار ، ولكن بها آبار مبعثرة في الصحراء يبلغ عمقها ٢٠ قدماً ، ولكنها صارة إلى اللوحة ؛ وربما كانت منطقة البجعة هي أعز المالحات مياهها .
وأهم أشجار الكويت النخيل ، وهناك أشجار متنوعة تستعمل للوقود ولرعى الإبل ، أما الأعشاب فتجود إذا جاد المطر .
وأما الحيوانات فتألف من الكوييت ، ويوجد منها الدب وتتلعب والمزال والأرنب .

الجو

حو الكويت على الموسم معتدل ، يميل إلى البرودة إذا هبت الرياح الشمالية الغربية ؛ أما الصيف فيحترق وطأته تسم البحر وبرودة الصحراء المجاورة السريعة ليلاً ، وأعظم درجة لحرارة هي ١١٤ ° ف ، وأقل درجة هي ٣٥ ° ، وتشتد الحرارة من مايو إلى نوفمبر ، والبرودة من ديسمبر إلى فبراير .

أما المطر فقليل في الكويت ، وقد يمحود بعض السنين فتخضر الأرض ، وينم البدو ، ويخرج الأهالي للبر استجماماً للراحة واستمتاعاً بالظفرة .

السكان

يبلغ سكان الكويت الآن نحو ١٨٠ ألفاً ، يسكنون — عدا عمال النفط — مدينة الكويت ، ومنطقة الكويت التي تبلغ مساحتها نحو عشرين ألف ميل مربع قاحلة ، يسكنها عدد قليل من السكان فيها وراء المدينة .

أما عشائر الكويت فقد كانوا قبل سنة ١٩٢١ يملنون نحو ١٥ ألفاً ، وقد التحق أكثرهم منذ بناء المحر وذبوع التعالم الحديث . وتنشئ العشائر إلى قبائل التوازم والرشيدة ، وذيبل من الصبابة ، وبي هاجر ، والمجمان ، وبي خالد ، ومطير ؛ وقد كان البدويون من حمير وبدو يقصدون الكويت لبيع اللحم والسنن والمصوف وسائر الحاصلات المحلية ، وشراء جميع حاجاتهم منها ، واسكن الخلف د بين البلدين منذ سنة ١٩٣٩ هـ (١٩٢٢ م) لأسباب اقتصادية جعلت ملك البلاد العربية السعودية يأمر رعائهم بمقاطعة الكويت ، ولكن أعيدت العلاقات الاقتصادية والروابط الودية القديمة بين البلدين سنة ١٩٤٠ وهي الآن تحتل مكاناً مرموقاً بعد اكتشاف الزيت في أراضيها ، وقد تصاعف عدد سكانها بسبب كثرة الوافدين عليها حتى بلغ ١٨٠ ألفاً أو يزيد

الصناعة والتجارة

البلاد الكويتية غير زراعية ما عدا البهيمية التي سيأتي وصفها فيما بعد ، وأهم ما يشغل به السكان هو صيد الأسماك ، وأجود الأسماك ما يسمى بالزيتوني ، وهو يصطاد بالشبك الطويل ، وكثير من الأسماك أيضاً تصطاد بواسطة ما يسمى بالمخطور ، وهو عبارة عن حواجز من القصب تنصب على الساحل ، تدخلها الأسماك في وقت المد فإذا جاء الجزر استطاع الصيادون إمساكها بسهولة — وطريقة المخطور منتشرة على طول الساحل البحري

وقد كان للكويت شأن يذكر في الموصى على القول حتى سنة ١٩٣٢ ، فقد بلغ عدد الممالي ١٠٠٠٠ في سبي الرخاء ، كما بلغ عدد السفن التي تستعمل في الموصى نحو ٨٠٠ ، ولكن عدد السفن والممالي نقص كثيراً في عشر السنوات الأخيرة ، حسب التقاطع التجاري بين الكويت ومجد من جهة ، والفساد الذي حل بتجارة القول ، ولا أظن عدد الممالي الآن يبلغ ثلاثة آلاف .

وصناعة ساء السفن الشراعية من الصناعات التي اشتهرت بها الكويت ، وقد باعها البحرين في السنوات الأخيرة ، وانحسب والحبال اللازمة لبناء السفن تحلب كلها من المد ولا سيما من إقليم مليبار . وأكثر السلع التجارية تنقل بالبواخر ، غير أن السفن الشراعية لا تزال تقوم بقسط كبير من النقل بين الكويت والبصرة ، وبينها وبين السواحل العربية الأخرى .

وأهم هذه السفن المتعة (wolaufu) والبوم والشوعي . وتحمل البعثة عادة نحو ٢٥٠٠ طرد بصاعة من البخر ، أو من أكياس الأرز . وتحمل البوم عادة نحو ٥٠٠ — ٦٠٠ طرد أيضاً ؛ وسفن الكويت الآن من هذا النوع . وقد بنت قبة نخارة الكويت قبل الحرب المظلي ٥٧٠٥٥٨ جنباً ، منه مبالغ ٣٧٠٨١٧ جنباً لوارد والبقي للمصدر ، ولهند منه الصيب الأكبر والباقى موزع على جهات مختلفة .

وأهم الواردات : المدوجات القطنية والحريية ، والأناويه ، والسكر والبن ، والشاي ، والحبال التي تستخدم في السفن ، والزيت ، والدخان ، والشمير ، والماء ويحلب إليها السفن الشراعية من شط العرب ، التمر ، والأخشاب .

أما الصادرات فهي : الأولو ، والسمن من الياذة ، والخيول ؛ وقد قلت الأنواع الأخيرة في السنوات الأخيرة : الجلود ، والصوف ، والتمر

وقد أسست الإدارة الحركية في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فكانت مورداً للحكومة لم يكن موحوداً من قبل ؛ وقد زاد هذا المورد زيادة عظيمة أثناء الحرب المالية ، غير أنه نقص في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب المقاطعة التجارية التي وضعها ملك نجد على جازته الكويت وقد عادت الحالة الاقتصادية إلى ما كانت عليه بعد زوال الجفاء بين البلدين وبعد المشور على التمرول في محاربا

وقد أسس في الكويت أثناء الحرب المالية الأولى ، إدارة البريد والتلغراف ، فارتبطت الكويت بالعالم الخارجي ، وأصبحت تجارتها تتبع الحركة التجارية المالية صموذاً وهبوطاً

مقاطعات الكويت

ليست للمقاطعات التي سنذكرها فيما يلي أماكن مسكونة كما يقبدر إلى ذهن القارئ ، بل هي محاربي مسكونة بالثياب أحياناً ، وبالتزلان أحياناً أخرى ؛ ونولاً أن الإفرنج عتوا بكتابة أسمائها على الخرائط المصورة ما احتسنا بها . وأكثر هذه المقاطعات مراعٍ طينية إذا جاء المطر ، وأشهر هذه المقاطعات في الشمال : هي الباطن — في الزواية الشمالية ، وهي قسم من الوادي العظيم المسمى هذا الاسم ، وهي ملتقى الحدود العراقية والنجدية ؛ والشق ، والشقيق ، والنياح ، وقرعة ، والمرو ، والزبلة . وهذه كلها مقاطعات قراء

والزور في الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وهي عبارة عن تلال تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي قرب البجعة

وكبد ، قرعة ، نارة ، التدان ، الهزيم ، الدبديبة ، أما كن قراء أيضاً ، ينزلها البدو إذا جاء المطر

ولا نريد أن نطيل الكلام بذكر باقي المقاطعات أو الآبار التي يرد بها البدو ، والتي تمتد من الكويت ، لأن ذلك يسوقنا إلى التطويل ونخرجنا عن الغرض الأصلي من الكتاب

جزر الكويت

١ - بُيُوتَان :

في الزاوية الشمالية الغربية ، وهي جزيرة خالية من السكان ، وقد كانت مزارع
بين شيخ الكويت والترك في سنة ١٩٠٢ ؛ ويكسها في الصيف أفراد من القوازم لصيد
الأسماك بالخطور

٢ - فِيلَكَة :

وتنطق كلها شيئاً شأن أهل الكويت في النطق بالكاف . في الجهة الشرقية من
خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت نحو ١٥ ميلاً ، والسكون من الجزيرة هو
الساحل الغربي ، وناق الجزيرة يكاد يكون خالياً من السكان
وسكان الجزيرة منهم عرب خلص ، وأكثرهم يطلب عليهم المنصر الفارسي ، وهم
يشغلون بصيد الأسماك واستخراج القلؤ ، وينزع بالجزيرة الحطة والشعر ، والخضر ،
والماء كثير بالجزيرة ، قريب من سطح الأرض

٣ - كُبَر :

جزيرة غير آهلة بالسكان ، تبعد عن الساحل نحو ٢٠ ميلاً
وبقرب الكويت بنهر الشؤينج وهو متصل مرسى للسفن في الكويت ، وهناك
جزر أخرى غير مكونة تابعة للكويت لا أهمية لها

بلدان الكويت

١ - مدينة الكُويْت :

هي عاصمة الإمارة ، على الساحل الجنوبي من خليج الكويت في الجنوب الشرق
من البصرة ، وتبعد عنها نحو ٨٠ ميلاً ، وفي الشمال الغربي من البحرين ، وتبعد عنها
نحو ٢٨٠ ميلاً ؛ تمتد على الساحل نحو ثلاثة أميال ، مع عرض يختلف ما بين ٦ ميل ،
وميل ونصف

وأرض الكويت غير مزروعة ، فلا ترى فيها ما تراه في الاحساء من البساتين
والخضرة لقلة المياه ، وبسبب نمو السكان في الحسين سنة الأخيرة تركزت مياه الآبار التي
كان يعتمد عليها السكان وأخذ الناس يقلون حاجتهم من الماء من شط العرب ، ولشيخ
الكويت آثار خاصة يستقى منها أحياناً .

ومهاى مدينة الكويت كاستر المباني العربية ، من الطين أو اللبن أو من الصخور البحرية .
وأحسن المباني قصر الشيخ ، وهو مبني من الآجر ، ويقام على ساحل في وسط البلد تقريباً .
وسوق الكويت في منتصف البلد تقريباً ، وليس فيه ما يسلف الطر من من البناء
أو جمال المباني ، وبالكويت مستشفى أسسه محسن الأمريكان ، ومؤسسة للتبشير . وقد
أدى المستشفى البلد والبلد الصاريين حول الكويت خدمات عظيمة ، أما التبشير فإنه قد
فشل فشلاً عظيماً لا في الكويت وحدها ، بل في سائر الشرق الأدنى . وسها أيضاً
مستوصف انجليزى يؤدي مهمته الخيرية على أتم وجه ، وسها مدرستان نظاميتان ، ووضعت
مدارس صغيرة تشبه الكتاتيب في طريقة التعليم .

وبالكويت محو حسين مسجداً ، وأهمها ثلاثة مساجد ، وهي تميل إلى الباطنة في
بنائها وأثاثها ، وليس لمساجدها منائر كاستر القاهرة ، أو بغداد ، وأكثر السكان يكتفون
في المدينة ، وهم ينتمون إلى القبائل العربية الشهيرة ، وعنايت هؤلاء يوجد ٨٠٠٠ من
أصل فارسى ، وعدد قليل من الموالي وطرق الكويت ضيقة كثيرة التماريح ، وأهم
الطرق هو الطريق الذى يبتدى من قصر الشيخ على ساحل البحر ؛ محترقا السوق إلى
خارج البلدة ، وقد أسست للبلدة بلدية من خمس عشرة سنة لتنظيفها وتنظيمها وإدارتها ،
وقد أدت خدمات جائلة للبلدية في هذه المدة القصيرة .

وفي العشر سنوات الأخيرة اختطت الكويت تخطيطاً جديداً كاذ يعانى على المدينة
القديمة وربما غدت الكويت في طليعة البلاد العربية تقدماً بما حباها الله من البترول النزير

٢ - الجزيرة

قرية كبيرة على طرار البلدان العربية ، قرية من خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة
الكويت بثمانية عشر ميلاً بالطريق الغربى ، وهي أهم قرية زراعية بالأراضي الكويتية ،

وهي محطة للقوافل القاصدة البصرة ونجد من طريق الحفر ، وموقعها مرتفع يطل على البحر ، فترى جميع السفن التي تمر خليج الكويت .

يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ نسمة يشتغلون جميعاً بالزراعة ، غير أن المدد يزيد عادة في الصيف بما ينزل حولها من البدو .

وقد كانت الجهرة^(١) قبل الإسلام مأهولة بالسكان ، خاصة بهم ، ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الأنقاض ، وكثيراً ما يعثر على النقود القديمة ، وبعض الآثار عند حفر الآبار . وهذه التلال القائمة على أنقاض البلاد القديمة تمتد إلى مسافة مائة وخمسين من الشمال للجنوب ، وفروخ ونصف من الشرق للغرب .

وإلى الشمال الشرق من الجهرة على بعد أربعة عشر فرسخاً في اتجاه البحر توجد الضبيّة ، وكانت قديماً أهلة بالسكان^(٢) كما تدل عليه خرائبها ، ويشق اسمها كما يقال من الصابئة ، ويقال إنها إحدى مدنهم التي بنيت بعد خراب بابل ، ويقال أيضاً إنها استمرت أهلة بالسكان والحضارة إلى زمن الخلفاء الأمويين ، حيث تدهورت منزلتها وهجرها سكانها ، ويؤكد السكان أن بعض سكانها لا يزالون يعيشون في خورستان ، ويقع العرب في هذه المنطقة زمن الصيف لمواثيها العليل .

خلاصة تاريخية

ليس للكويت تاريخ قديم معروف ، ويرجع أن تاريخه لا يتجاوز الثمانية مئة . أما حكامها الحاليون آل صباح ، فناريخهم في سكنى الكويت لا يتجاوز سنة ١٧١٦ م ، وهي السنة التي تحالف فيها الشيخ سليمان بن أحمد رئيس آل صباح ، وخليفة بن محمد رئيس آل حليمة ، وجابر العتيبي رئيس الخلايمة ، فاستخلصوا الكويت من القرس وسكنوها ، وسيأتي في الفصل الخاص بالبحرين ذكر اغتيال آل خليفة عن الحلف ، واستقلالهم بالزبارة وحكم البحرين .

أما السكان القدي وند منه هؤلاء الخلفاء ، فيظن أنه كان قريباً من شط العرب في أم

(١) انظر تقرير حكومة الهند سنة ١٨٥٤ ، ولع الصحاب الهندية المحلية بدار الكتب البريطانية

(٢) لع الصحاب .

نصر ، حيث كانوا يعملون هنالك للفرصة ونهب السفن البحرية ، ضد كان هذا العمل هو السائد في ذلك الوقت في خليج فارس ، وهو يشبه غزو القبائل بعضهم لبعض في البر .

وفي القرنين سنة الأولى من تأسيسها نمت البلدة نمواً سريعاً في السكان وفي الثروة وفي الأهمية . وتمكن آل صباح وحلفاؤهم ومزارعهم من القبائل المجاورة في تثبيت مركزهم وتقوية صدق حاكم الدين كانت لهم اليد على جميع الشاطئ الشمالي الشرقي

وقد زاد في تقدم الكويت وعمارتها استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ . فقد كان ذلك مدعاة لمهاجرة الكثيرين من السكان إلى الكويت ، والزراعة وفي أثناء الاحتلال الفارسي تحوت تجارة البصرة المهدية مع بغداد وحلب وأرمير والأستانة إلى الكويت وما جاءت سنة ١٧٩٠ م حتى أحدثت الكويت تشارك ماقى موانئ الخليج الفارسي في التجارة ؛ وقد ساعد على ذلك احتلال عرب بني عتبة البحرين سنة ١٧٨٣ ، فصارت المضائق ترد إلى الكويت من سقط والمهد والبحرين والقطيف .

وبعد استرداد الأتراك للبصرة انسحب عمال (القابريكة البريطانية) فيها مؤقتاً إلى الكويت سنة ١٧٩٣ م لقيام بهم المشاكل مع الموظفين الأتراك .

وفي هذا الوقت حاول السعوديون غزو الكويت والاستيلاء عليها ، فشلوا في كل محاولاتهم .

وفي سنة ١٨٥١ زار السائح Stocquier الكويت ، وهو يقول بأنه الأوربي الوحيد الذي رآه هذه القلاع منذ آمد بعيد . ويقول إن المدينة في زمانه كانت تمتد على الشاطئ بحوميل ، وتجويز بحواربة آلاف من السكان ، وهو يظن أن الميناء ربما كانت استعملت أو اتخذت قاعدة للبرتاين ، بالنسبة إلى مراكز المياه الطلل على مصب نهر العرب . والتي يمكن اتخاذها قاعدة لماكة التجارة التركية وتجارة فئس مع الهند . ويقول إن المدينة في زمانه كانت تحكم بواسطة شيخ ، وليس لديه أية قوة مسلحة ؛ وكان يحصل ضريبة قدرها اثنان في المائة على جميع الواردات .

بعد ما وصل المصريون إلى شواطئ الخليج الفارسي في محاربتهم للسعوديين ١٨٣٨

— ٣٩ وضعوا مندوباً لهم في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية . وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ حار ، الذي كان على صلات طيبة مع الحكومة البريطانية إلى أن توفي سنة ١٢٧٦ ، وقد خلفه ابنه الشيخ صباح ، وفي أثناء حكمه قام الكولويل (pany) سنة ١٨٦٥ رحلته الشهيرة من الكويت ليقابل حاكم نجد في الرياض ؛ وهو أول من لاحظ مستقبل الكويت التجاري . ويقول إن الكويتيين يعتبرون أحسن وأقدر بحارة بلاد الخليج الفارسي ، وهم محل ثقة في أحلافهم ومعاملاتهم . ومنذ خمسين سنة لم تكن ميناؤهم ومدينتهم شيئاً مذكوراً ؛ والآن أصبحت أهم موانئ الخليج الشبلي ، ورئيسها له سمعة طيبة في الداخل والخارج ، وإليه يرجع الفضل في حسن الإدارة الداخلية ، والسياسة الحكيمة . فالضرائب المنخفضة على الواردات ، والجو الصحي ، والكان المتآخون ، وحسن الميناء ، وطرق المواصلات وقربها ؛ كل هذه العوامل حولت كثيراً من المتاجر إلى الكويت ، مما كان يرد بُونْهر والبصرة^(١) . وبالنظر إلى موقعها وحالتها السياسية كانت هذه الميناء هي المخرج البحري الوحيد لجبل شمر .

وقبل أن نغضى عدة سنوات أخذت شركة الملاحة البريطانية British India Steam Navigation Com تجعل ميناء الكويت إحدى موانئ الخليج التي تخرج عليها بواخرها ، وهذه الحركة أثارت غيرة السلطات التركية ، وجددت محاورتهم من أن يكون تقدم ميهام الكويت سبباً في إنقاص أهمية البصرة ، وعليه فقد عدلت الشركة عن جعل الكويت إحدى الموانئ التي تخرج عنها بواخرها ، ولكن هذا المدول كان إلى حين ؛ فقد عدلت بريطانيا أن روسيا تنوى إنشاء محطة لقم حرك ، والساعي كانت تبذل لدى الباب العالي قاصداً على امتياز باسم الكويت ، كما سعت لبناء سكة حديدية من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي ، وهو مشروع لو تم لجعل قروس حقولاً في مياه الكويت الساحلية .

واقفاً لما يسعى إليه الروس ، عقدت بريطانيا سنة ١٨٩٩ م اتفاقاً مع الشيخ مبارك على متوال الاتفاق الذي عقدته بريطانيا سنة ١٨٩١ م مع سلطان مسقط ، فهذه الخطوة

(١) خطبة الكولويل بل في الجمية الجغرافية .

حركت عواهل الأتراك الذين اجتهدوا في أن يثبتوا سلطانهم في الكويت ، ولكن الشيخ مبارك قاومهم ، واستمر محاطاً على حسن علاقته مع بريطانيا

وقد تميزت سنة ١٩١٠ بوصول بثنة سكة حديد بغداد إلى الكويت للبحث عن النقطة التي تنهى إليها السكة الحديدية ، ولولا معاهدة سنة ١٨٩٩ لكان لهذا الحادث تأثير كبير في تعيين مركز بريطانيا في الخليج الفارسي لخطر كبير

وفي سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣ رار الكويت «ص الصراعات الروسية والفرنسية ، ولكن هذه الزيارة لم تؤثر في الحالة المحلية كما أنها لم تؤثر فيما بين بريطانيا والكويت من صلات .

وحكام الكويت الحاليون ثلاثة جابر بن عبد الله الملقب ببحر الكبير ، الذي جاوز المائة ، وم أبناء صباح بن جابر بن عبد الله

واشتهر في أوائل هذا القرن من هذه العائلة الشيخ مبارك الصباح ، فقد تسم هذا الأمير حكم الكويت على حتى شقيقه (محمد جراح) ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ — ١٨٩٩ م ، فأنار بذلك زعماً داخلياً استمر نحو تسع سنوات ، وقد عظم شأن الكويت في أيامه ، وزاد عدد سكانها زيادة عظيمة ؛ وفي أيامه خرج الأمير عبد العزيز بن سعود واستولى على الرياض ، وغير محرم تاريخ الجزيرة كما سيأتي في تاريخ آل سعود

كان الشيخ مبارك طويل عمارة ، أسمر البشرة ، قوي ذاكرة ، صلب الإرادة ، مستيداً ، طموحاً إلى شرسطة وعوده على البلاد المحورة ، ولكن الظروف لم تساعد . وقد اشتهر الشيخ مبارك بالثقب وعدم الثبات على سياسة واحدة ، فقد كان يساعد آل سعود لإضعاف نفوذ الرشيد وحصد شوكتهم ، كما أنه كان يمد أحياناً إلى تقوية صلاته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود ، وكان لا يعب عما في أيدي الناس ؛ فقد كان يتوسل بأوامر الأسباب اقترض للصرائب على الناس وأبتراز أموالهم ، ولكنه كان بجانب ذلك غيوراً على مصالح الكويت مدافعاً عنهم أبها حلوا ، وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والفرس ، فكان يباهر بالمعصية حتى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضحون منه .

لقد حاول الأتراك في سنة ١٨٩٧ أن يستولوا على الكويت ، وبنفوا الشيخ مبارك إلى الآستانة ، ولكنه أحبط هذا المشروع مما دله من المال في البصرة وبنفاد ، غير أنه في سنة ١٨٩٨ أرسل إليه الأتراك وفدًا مؤلفًا من كبار المواطنين وبعض أميان البصرة على إحدى السفن الحربية القديمة لذهبه إلى الآستانة حيث عين عصوا في مجلس شورى الدولة ، فالتجأ إلى الإنجليز فأنقذوه من الأتراك ، وأعلنوا في تلك السنة حمايتهم على الكويت

وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب القتيب بهذه القصة للدلالة على قصر نظر الأتراك ، وسعيهم الدائم لإصعاف العرب ، مما اضطر عولا إلى الالتجاء إلى الدول الأجنبية غير أن بريطانيا اضطرت إلى إعلان الحماية إسداء لكل نفوذ أجنبي على الكويت ، نظراً لظهور الروس في الميدان

واجه الشيخ مبارك في أوائل حكمه كثيراً من الصعاب التي يقبها في وجه أبناء شقيقه الشيخ محمد بن صباح وجراح ، والشيخ يوسف بن إبراهيم نصيرهما ، فأوزع الأتراك إلى عبد العزيز بن الرشيد بمناوأة مبارك ، فأخذ يميز على أطراف الكويت ، كما أخذ مبارك يميز على أطراف البقاع الناسة لأمير حليل ، ففي سنة ١٩٠٠ غزا مبارك سجن جهات تابعة لعبد العزيز آل رشيد ، وسلبهم آلافاً من الجمال ، وفي حريف هذه السنة حاول مبارك أن يقتنص قافلة كبيرة إلى العراق ، كانت مكللة بإحصار مواد غذائية ، وملاس وذخيرة لفصل الشتاء من السماوة ، ولكنه فشل في ذلك . وفي ذي القعدة سنة ١٣١٨ — ١٧ مارس سنة ١٩٠١ كانت معركة الحريف التي اكسر فيها مبارك مع بمدان قل فيها أخوه وأحد أولاده ، كما قتل فيها عدد كبير من أهل الكويت ، وقد حاول ابن الرشيد في حريف هذه السنة أن يتقدم ويستولي على الكويت ، ولكن الظروف الداخلية والخارجية لم تساعد على تنفيذ خطته ، فالتورات الداخلية ، وسياسة بريطانيا في الخليج قضت على هذه المحاولات ، وقد استقراخ الشيخ مبارك بعد قتل عبد العزيز بن الرشيد سنة ١٩٠٥ ، وموت عدوه الأله الشيخ يوسف ابن إبراهيم سنة ١٣٢٣ في السنة نفسها ، فلم يمتد له خصوم يؤم له ، وأصبح السيد المطاع في الكويت

وفي سنة ١٩٠٣ زار الكويت اللورد كيرزون في رحلته إلى خليج فارس ، وعلى أثر هذه الزيارة عينت الحكومة البريطانية وكيلًا سياسيًا للكويت ، فاحتج الأتراك على هذا التعيين الماس سيادتهم على الكويت ، ولكن لم يكن له أي أثر .

وقد توفي الشيخ مبارك في مساء الإثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٥ ، متولى إمارة البلد بعده أكبر أسيانه الشيخ جابر بن مبارك الصباح ، وقد اشتهر بطيبة القلب وحسب الخير ، ولزق الناس ، خفف الضرائب ، وأزال كثيراً منها مما فرضه أبوه ، وحسن صلاته بالناس ، وكان قد أصابها شيء من التصدع أواخر أيام مبارك .

وفي الخامسة من فبراير سنة ١٩١٧ توفي الشيخ جابر بن مبارك ، فاستلمت إمارة الكويت إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك .

كان الشيخ سالم شجاعاً يحيد الزمالة وركوب الخيل ، ملأ بشيء من الثقة وبعض قواعد النحو ، وكان طبعه يميل إلى العناد والشدّة ، ولم يكن موثقاً في سياسته مع ابن سعود ، ولا مع الحكومة البريطانية فلهذا كانت ثمة بين ابن سعود عليه .

وقد اشتبك في معارك حربية مع الإخوان النجديين كانت الغلبة فيها للإخوان ، ففي تخمس هاشم الدريش ومطير سنة ١٣٣٧ هـ — سنة ١٩١٩ م معسكر ابن صباح ، واستولى على ما فيه من مال ودخيرة . سنة ١٣٣٨ هـ — سنة ١٩٢٠ م هاجموا الجفرة وحاصروا الشيخ سالم فيها ؛ وكادوا يقبضون عليه ، وفي السنة التالية توفي الشيخ سالم بن مبارك ، فاختار الأهالي ابن أخيه الشيخ أحمد جابر ، وهو رجل في غاية الفداحة يميل إلى الأنانية والتبصر في أعماله ، كما يميل إلى البساطة ، وقد قابل الأهالي بده حكمه بحماسة وارتياح وفي أيامه ازدهرت الكويت بما آتاه الله عليها من الزيت والفزير وقد وطد علاقاته مع نجد ومع أمراء الخليج عامة وهو محبوب من رعاياه ومن الحكام المجاورين .

وقد توفي سنة ١٩٥١ متولى الإمارة ابن عمه الشيخ عبد الله السالم .

لقد كانت العلاقات الاقتصادية بين الكويت والسعودية على أتم ما يكون بين البلدين

واستمرت نحو عشرين سنة . وقد أثرت هذه الناحية الاقتصادية على ما بين البلدين والسائتين الحاكمين من روابط تقليدية .

وفي محرم ١٣٥٩ — فبراير ١٩٤٠ أوفدى جلالة الملك إلى الكويت لحل هذا النزاع الذى طال عليه الأمد . وقد حثى على بذل الجهد وجميع الساعى للوصول إلى اتفاق يضمن مصالح الفريقين المتجاورين والصديقين القديمين ؛ والكويت لها فى قلب الملك عبد العزيز ذكر مائل وأثر لا يزال وسكانها فى صفه أصبحت قسما من تاريخه .

ومن جهة أخرى فإن الكويت وأهلها وأسرارها تربطهم بهم صلة ود لا تنقسم ، فقد حانت الفرصة للقيام بواجب نحو أصدقائى ونحو مليكى المحترم .

وقد وفق الله الوصول إلى هذا الترض ، فبعد مفاوضات بينى وبين الوكيل السياسى بالكويت استمرت نحو أسبوعين أمضيتها فى ٢٦ محرم سنة ١٣٥٩ — ٥ مارس ١٩٤٠ ثلاثة اتفاقات عامة .

(١) معاهدة صداقة وحسن جوار .

(٢) معاهدة تجارية .

(٣) اتفاقية لتسليم المجرمين .

ويجب أن لا يفوتنى وأنا أسجل هذه الحوادث لتاريخ التنويه بخدمات وحسن مساعى مندوبى الحكومة البريطانية فى جدة والكويت وموظفى حكومة جلالة الملك عبد العزيز ، فإنهم فى العشرين سنة الماضية ، قد خطوا فى سبيل التمام خطوات واسعة لولاها ما تمكنت من الوصول إلى الغاية المنشودة .

ولا شك أن الروح الطيبة التى كان دائما يملئها جلالة الملك عبد العزيز على مندوبيه كانت أكبر معين .

إمارة البحرين

يطلق اليوم اسم إمارة البحرين على مجموعة الجزر الواقعة في وسط الخليج الفارسي منفصلة عن ساحل قطر والقطيف ، وهي الجزر التي كانت تسمى (Tylos) ، وهي جزيرة البحرين ، وجزيرة المَعَرَق وأم نَمَسان وسِتْرَة ، مع عدد من جرد صغيرة صخرية لا أهمية لها .

الجو

جو البحرين قرب السواحل وفي المناطق المزروعة حار رطب لا يكاد يحتمل ، واقتد كلحت.البحرين حتى سنة ١٩٢١ موبوءة كالقطيف بالحيات ، ولكن منذ السنة المذكورة قامت إدارة البلدية ببجود كبير في ردم المستنقعات والبرك ، فصحت حالها تحسناً محسوساً ، وأقصى درجة الحرارة ١٠٤° في أغسطس ، وتنخفض الحرارة في ديسمبر ويناير إلى ٤٨° ، والجو من أكتوبر إلى أبريل مقبول نوعاً ، فالحرارة تتراوح من ٦٠ — ٨٠° ف وفي يناير وفبراير تهب الرياح الشمالية فيبرد الجو ، ويستعمل الناس النار في منازلهم للوقاية من أذاه ، وفي مايو ومتصف يونيو يهب نسيم البحر فيخفف من شدة الحر ؛ أما من منتصف يونيو إلى آخر سبتمبر فإن الحرارة لا تكاد تنخفض عن ١٠٠° ، وعندئذ تكاد الأنفاس تنقطع ويكاد العرق لا يحف ليلاً ولا نهاراً ، ولا يلطف الهواء إلا نسيم البر ولكنه قليل والأسطار قليلة في البحرين ، وموسم المطر من منتصف أكتوبر إلى منتصف مايو .

والرياح التي تهب على البحرين ، هي البارح ، وهي رياح شمالية غربية ، ومنتها أرمون يوماً تشدق من الأسبوع الثاني من يونيو ، وتكون شديدة هبوباً في الشتاء حين تهب من الشمال ، وهذه تهب على البحرين من وقت لآخر في غير شدة ثم الرياح الجنوبية الغربية يسمونها القوس ، وهي إذا هبت في الصيف اشتد الحر ؛ ولا سيبا في شهر أغسطس ، وهي تهب بتير انتظام من ديسمبر إلى أبريل .

السكان

يبلغ سكان البحرين حسب إحصاء ١٩٥٠ : ١٠٩٦٥٠ . الثثنان من أهل السنة والثلث من الشيعة . وأكثر الشيعة من القرويين ، كما أن أغلب أهل السنة من أهل المدن . وأكثر أهل السنة من الحوالة الذين يسكنون في النمامة والمحرق والميدع والحد ، وهم يشتملون بالحارة وليس بينهم رابطة اتحاد أو موؤذ على غيرهم .

أما المتوؤب (بنى عنة) والسادة والذواسر فهم أكثر الفئائل نفوؤاً في البحرين ، وينوؤنية لهم بالعائلة الحاكمة صلة النسب ، والسادة نفوؤهم مستمد من اتصال نسبهم بالنبي الكريم ، والذواسر نفوؤهم مستمد من سلوكهم الحس في الجزيرة ، ومن ثروتهم التي اكتسبوها من التجارة . وهناك بعض قبائل أخرى تنفئ إلى بنى خالد .

وأغلب السكان السنيين يسكنون على السواحل ومعيشتهم مرتبطة بالبحر أكثر من الزراعة ، وهناك أيضاً عدد من الموالى لا يقل عن ٩٠٠٠ نفس ، وجالية صغيرة من الإيرانيين والمؤنود .

والحياة في البحرين تختلف عنها في جزيرة العرب ، وليس في البحرين كما في جزيرة العرب روح التعصب لعدم مصاعرة غير العرب إلا في العائلة الحاكمة فقط ، وليس في البحرين كما في الجزيرة البط عن السكاليات ، وتجد في البحرين أثر الروح الفارسية والمؤندية في المأكل والبناء ، وفي الملابس وبعض المؤادات الأؤرى .

الصناعات والتجارة

أهم الصناعات في البحرين هو الاشتغال باستخراج المؤؤ من البحر ، والبحرين تلى عمان في الأهمية من حيث كثرة السفن وعدد النواصين . والنواصون وإن كان منهم عدد غير قليل يقد من الاحساء ونجد ، فإن التجار الذين يعدونهم بالمال من تجار البحرين .

لا يقل عدد المشغولين باستخراج المؤؤ عن عشرين ألف نفس ، ويبلغ عدد السفن نحو ٩٠٠ سفينة صغيرة وكبيرة ، وموسم القرمس يتؤدى في مايو وينتهى في أكتوبر حيث يؤرد ماء البحر .

وقد تداخلت حكومة البحرين في عشر السنوات الأخيرة في عمل النوص والتجارة ؛ فبعد ما كانت التجارة حرة في السنين الطويلة ، أوجبت الحكومة على التجار تنظيم دفاترم كما حددت أرباح الشلف ، وكما حالت دون تحكم التجار في النواصين الصغار ؛ والحالة على العموم في البحرين حيرتها في بعض السواحل الأخرى . وقد جهزت حكومة البحرين سفينة أعدها بكل المعدات الطبية لمساعدة المرضى وتخفيف آلام المعرّاه من سكان البحرين ، والمشتغلون باستخراج اللؤلؤ قد يشتغلون في غير موسم النوص بعيد الأسمك إما بالشبك أو بالقطرة .

ويستغل عدد كبير بالزراعة ، ولا سيما في السنوات الأخيرة حيث أكثر الأغنياء من حفر الآبار الارتوازية .

وأم حاصلات البحرين : التمر ، الليمون ، الانرج ، التين ، البطيخ ، ويزرع بها بعض الخضراوات .

وأم الصناعات اليدوية في البحرين : سيج الشعر للفن ، واللبابات وبعض أنواع أخرى من الأقمشة ، الحصر الذي يصنع من سمار الاحياء ، وبناء الفن من الأخشاب التي تستحضر من الهند خاصة لذلك ، وكثير من هذه الفن يصنع لقطر وعمان .

واقدم تقدمت التجارة في البحرين في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب بناء رصيف للفن الشراعية ومستودعات لبضاعة . وقد أصبحت البحرين بالنظر إلى مركزها الجغرافي سوقاً هاماً لتجارة اللؤلؤ وغيره من أنواع المتاجر الأخرى . فتجار اللؤلؤ من الكويت وقطر والقطيف وسائر السواحل العربية يبيعون فيها ما يجتمع لديهم من اللؤلؤ ، حيث يصدر بعد ذلك إلى الهند فأورما . وقد بلغت قيمة ما صدر منه في سنة الرخاء مليونين من الجنيهات . وأما المتاجر الأخرى فتزد البحرين من الهند وأوربا ، ومنها يصدر إلى القطيف وقطر والمقيم حيث يرسل للاحياء وجنوب نجد .

وأم واردات البحرين : الأرز ، والسوجات ، والسن ، والبن والتمر ، والسكر ، والشاي ، والدخان ، والأفاوية ، والوقود ، والأغنام الذبح .

وأم الصادرات : كان اللؤلؤ أم صادرات البحرين . أما اليوم فإن يقول قد حل محله وأصبح له المكان الأول في ثروة البحرين ولا يوجد صادر آخر ذو قيمة غيره ، وتكاد الهند تستولى

على أكثر من نصف الواردات ، والبلاد الأخرى — فارس والعراق وأوربا — تستولى على النصف الآخر .

ونقل السلع التجارية من الهند بواسطة الشركة الانجليزية الهندية وهي تكاد تحتكر بحارة الخليج وتمر أسبوعياً بالبحرين في طريقها إلى البصرة ، وفي رجوعها إلى عباى ، وقد أصبحت البحرين مد سمين مركزاً من سراكز الطيران الذي ، فأصبحت الطائرات تمر بها كل أسبوع في طريقها إلى الهند أو أوربا ، وأصبح في وسع السافر أن يصل إليها في أربعة أيام من لندن ، ويوم ونصف من الهند أو مصر .

جزيرة البحرين

أو (أوال) كما كان يسميها العرب^(١) أكبر جزر الإمارة وأهمها ، كثيرة المياه ، خصبة التربة ، قابلة للسو والتقدم ، ويمكن زيادة المناطق القابلة للزراعة فيها إذا نظم الري ، وجيبت الضرائب بالعدل ؛ وقد اتسعت المساحة الزراعية في العشرين سنة الأخيرة ، وأكثر الناس من حفر الآبار الارتوازية . وازدادت حركة شراء الأراضي سواء كان البناء أو للزراعة ، بعد أن مجدت شركة الزيت الأميركية في استنباط البترول من أراضيها .

يبلغ طول الجزيرة ٣٠ ميلا ، وهي على العموم مسطحة ومنخفضة ، ولكنها ترتفع تدريجياً إلى نجد داخل يبلغ ارتفاعه ، من ١٠٠ — ١١٠ أقدام .

ويزرع في الجزيرة ما عدا النخيل ، القيمون ، والرمان ، والتوت ، والتين ، والبطيخ ، والأترج ، وأنواع الخضراوات .

ويقال إنه كان بالبحرين ثلثمائة قرية ، وسواء كان هذا القول صحيحاً أم مبالغاً فيه ، فإن قرى البحرين اليوم لا تتجاوز المائة ، وهي أشبه بالأكواخ . ويوجد في بعض القرى الملوك لعائلة الحاكمة ، أو كبار التجار بيوت مبنية بالحجارة ، ومظلة تغطيها حسا ، وهي معلقة في الناب لفصل الصيف .

وقد احتل البحرين البرتغاليون كما احتلوا القطيف ، واحتكروا جزءاً كبيراً من

(١) بالقوت . القاموس المحيط .

الؤلؤ وتجارة الخليج الفارسي ، ولا يزال في الجزيرة بقايا خزانات مما شيده البرتغاليون
ولسكها تداعت كلها كما تدعى تاء القلعة التي بنوها لحماية الميناء التي هُجرت وأُخذت
بدلاً منها المئامة

ويوجد على الشاطئ الشرقي من الجزيرة خرائب مدينة كبيرة يقال لها جَو (Jow)
كانت مقراً لشيوع البحرين ، ولسكها تركت سنة ١٨٠٠ لأن سرقاها غير أمين ، ودخل
سكانها إلى جزيرة المحرق

بلدان البحرين

المئامة :

عاصمة البحرين التجارية على الساحل الشمالي الغربي من الجزيرة ، ولكون البحر
محملاً عند المئامة تقف البواخر على بعد أربعة أميال لتفرغ شحناتها في السفن الشراعية
التي بدورها تنقلها للساحل ، وفي وقت الجزر لا تستطيع السفن أن تقرب من الساحل ،
وقد أُنشئ في الخمس عشرة سنة الأخيرة رصيف على ساحل البحر يمكن السفن أن ترسو
بالقرب منه

وقد أُنشئ بالمئامة بلدية سنة ١٩٢٠ م ، فقامت في الخمس عشرة سنة الماضية بمخدمات
جُلَى البلد ، فشيّدت طريقاً على ساحل البحر ، وغرست الأشجار على الطريق الخارجي ،
ووسعت الطرق الصيقة المتفرقة ، كما قامت بتصيب وافر في سبيل تنظيف البلد ، وقد
نحمت البلدية في إنارة الأبدية بالكهرباء كما رطت المئامة بالبحرين بحسب ريسل الاتصال
بين الجزيرتين . والمئامة ما يزيد على ٥٠٠ دكان ، وكثير من البيوت التجارية الأوربية
والهندية . والمهجرين أيضاً حانة أمريكية ، ومستشفى أمريكي قام بمخدمات تذكر في سبيل
الإنسانية .

يبلغ سكان المئامة ٣٩٦٩٨ أكثرهم من أهل السنة ، وبها أيضاً نحو ألف من غير
المسلمين : متوحد ونصارى شرقيين ، وقليل من الأوربيين

ويستقي قراء المئامة من يترنسى عين مُثْقِل ومن مستودع آخر للماء يسمى القنول
في غرب البلدة . أما غير القراء فيشربون من ماء الزئاع الشرقي أو الغربي حيث ينقل

بواسطة الجبال ؛ وأما الماء المستعمل للتنظيف فكل بيت لا يخلو من منبر
هذا ما كان في الماضي أما الآن فأكثر المبوت والأماكن التجارية قد وصلت إليها المياه
بواسطة الأنابيب محافظة على صحة السكان

البديع :

ترب الزاوية الشمالية الغربية من جزيرة البحرين تمتد ميلا على السواحل ، ويبلغ
عدد سكانها نحو ٨ آلاف نفس أكثرهم من قبائل الدواسر ، ويشمل أكثرهم تجارة
الؤلؤ والممل على استخراج

وقد وقع خلاف بين حكومة البحرين والدواسر في أواخر سنة ١٩٢٢ م لجلا الدواسر
من البديع إلى الدمام ، وبعد سنتين رجع قسم منهم إلى البحرين بعد استمرار حكومتها
لهم . وأهم قرى البحرين :

البلد القديم :

في الجنوب الغربي من قلعة المنامة على ميل ونصف منها ، وسكانها من التجارة^(١) ،
وبشغلون الزراعة وتجارة الؤلؤ والخطاطة ، وعدد سكانها نحو ٤٠٠ ، وأكثر بيوتها مبنية
بالطين ، وفي الجهة الشمالية الغربية يوجد سوق الخميس نسبة لليوم الذي يقام فيه السوق ،
وعلى مد نصف ميل من القرية في الجهة الغربية توجد عين أبو زيدان ، وبحوارها مدرسة
متهدمة بهذا الاسم ومنارة يهتدى بها ، وبها عدد كبير من أشجار النخيل

عسكر :

قرية على الشاطئ الشرقي تبعد عن جبل الدخان أربعة أميال ونصف ، وسكانها
من الوعيتين

بورى :

في الجنوب الغربي من المنامة تبعد عنها سبعة أميال وسكانها من التجارة ، وسكانها
كثير من النخيل لا يقل عن ١١ ألف نخلة

(١) تطلق هذه الكلمة على سكان البحرين

جَدَّ حَفْص :

في الجيوب الشرقى من القلعة البرتغالية الخربة (قلعة المتجاج) ، تبعد عن المامة بثلاثة أميال ونصف ، وهي من القرى الكبيرة في البحرين ، وسكانها من البحارة المشتغلين بعرس النخيل والتجارة وإحراق الجبس وتجارة اللؤلؤ ، وسها من النخيل ما يتجاوز ١٦ ألف محلة ، وسها أيضاً سائين جميلة بعرس فيها الأترج والتواكه ، وتزرع الحضر بأرصها كما يزرع (القث) الرسم ، وجربها قرية صغيرة تسمى عين الحدار .

الأمير :

على الساحل الشرقى ، بعض بيوتها مبنى بالحجارة ، سكانها من البحارة ويشغلون بالقوص .

رفاع الشرقى :

قرية كبيرة في جنوب المامة على بعد سبعة أميال منها ، وسكانها من العرب الذين يعيشون على بيع الماء المستخرج من آبارها المسمى بالحنبنى ، ويقم بها بعض أعضاء المائلة المالكة ، وقد كان لهم شأن يذكر قبل النظام الحالي في البحرين ، والرتفاع تعتبر أصح منطقة في جزيرة البحرين .

رفاع الغربى :

مثل الارتفاع الشرقى في موقعه ويبعد عنه ١٠ ميل وهو في الغرب الشمالى منه ، وسكانها سنيون أكثرهم من قبيلة بنى عتبة ، وبعض أعضاء المائلة الحاكمة كانوا يسكنونها ويحكمونها كالارتفاع الشرقى ، والسكان يشتغلون بنقل الماء ويبيع في المامة ، والمطقة غير مزرعة .

ستائيس :

على الساحل الشمالى من الجزيرة بها مسجد ، وسكانها من البحارة الذين يشتغلون ببناء السفن وصيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ .

الزقاق :

على الساحل الغربي من الجزيرة أسفل البديع ، وسكانها من الدواير الذين يشتغلون بالنوص وبها قلعة غربية .

جزيرة المحرق :

تقع جزيرة المحرق في الشمال الشرق من جزيرة البحرين حيث يفصل الجزيرتين مصيق صغير يبلغ طوله ميلا ونصف ميل فقط يمر بالسفن الصغيرة ، وقد وصلت حكومة البحرين أخيراً الجزيرتين ببعضهما البعض بواسطة جسر

يبلغ محيط الجزيرة أربعة أميال ، وساحل الجزيرة رملي منخفض محاط بشعوب مرجانية مما جعل الملاحة إلى البحرين محاطة بشيء من الأخطار ، ولكن الملاحين من العرب في عاية المهارة ، ولذا فالسفن البخارية القادمة من الهند ترسو بعيدة عن الساحل نحو أربعة أميال .

والمحرق عدة يتنازع على الساحل تحتوى تحت ماء البحر وقت المد وتظهر وقت الجزر ، ويبلغ سكان المحرق والحد ٢٥٥٧٧ .

وبجزيرة المحرق ١٦ قرية صغيرة ملحقة بمدينة المحرق أهمها :

عمرآد :

على الساحل الجنوبي وسكانها بآخرة ، وبها قلعة تدعاه فائمة على خليج عماد ، وبها نحو ١٥ ألف نسمة .

بساتين :

على الساحل الغربي من جزيرة المحرق تبعد نحو ميل عن مدينة المحرق ، وسكانها من أهل السنة يشتغلون بالنوص ، وبها قليل من النخيل .

الدير:

على الجهة الشمالية الغربية من الساحل تبعد ميلين عن مدينة المحرق ، وسكانها بحارة يشتغلون بالفوس وبها قليل من النخيل .

حالة أبو ماهر:

جزيرة صغيرة حنوى بلدة المحرق تصل بالجزيرة وقت الجزر ، وسكانها من أهل السنة يشغلون بالفوس وقل الماء إلى المحرق من عين تحت البحر ، وبها قلعة صغيرة على نهاية الجزيرة قد دُفع عن الماء .

قلالي:

في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل ، وسكانها من أهل السنة ، وأكثرهم من قبائل النسيبة ، يشتغلون بالفوس وصيد الأسماك .

مدينة المحرق:

مقر العائلة الحاكمة الأعلى ، وأمة على الجهة الغربية من الجزيرة ، تبعد عن مدينة النامة ميلين .

ويستق أكثر سكان المحرق من عين أبو ماهر الواقعة حنوى الدينة في جزيرة صغيرة تسمى هذا الاسم ، تلعب مساحتها نحو ٨٠٠ ياردة ، وتحاط مدينة المحرق بالماء وقت المد العالي من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية ، يساعد هذا على إزالة الأتجار وتنظيف الساحل .

يبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً ، بعضهم من الجوّالة ، وعرب المحرق ينتمون إلى بني عتية وبني علي والزكّانية ؛ وبالمحرق عدد لا يذكر من البعارنة ، ويشتغل أهل المحرق بتجارة المؤن واستخراجه وصيد الأسماك واللاحة وبعض الناجر الأخرى ، وفي موسم

الصيف بهجر القسم الأعظم من أهل المحرق مساكنهم وينتشدون على سواحل جزيرة البحرين .

الحدة :

في الجنوب الشرقى من جزيرة المحرق ، يبلغ سكانها نحو ٨٠٠٠ نسمة ، وهم من السادة وقبائل بنى ياس ، وهم يشتغلون بتجارة اللؤلؤ والموص ، وأجدد أكبر مراكز القوص .

سيرة :

جزيرة واقعة في شرق البحرين ، منفصلة عنها بقناة ضيقة ؛ يبلغ طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ونصف ، وعرضها ميل ونصف ، وبها كثير من الميون والآبار ، وسكانها في الشمال بحارة ، ويسكنون في سبع قرى صغيرة ، وبها كثير من أشجار النخيل .

الجزيرة :

أو كما يسمونها — النبي صالح — هي جزيرة صغيرة قريبة من الساحل الشرقى من البحرين ، تبلغ نصف ميل في كل ناحية ، وهي من الأماكن المأهولة بالنخيل ، فيها نحو ١٤ ألف محلة ، وبها قريتان سكانهما من البحارة ، يشتغلون بالزراعة والقوص وصيد الأسماك .

أم قيسان :

جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من البحرين تمتد عنها نحو ميلين فقط ، طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ، ونحو ميلين ونصف عرضاً ، وهي جزيرة غير مسكونة ، وبها عين ماء عذبة قرب الساحل المسمى . ويرسل سكان البديع واللاق من قرى جزيرة البحرين حبواتهم في الصيف لقرى فيها .

نبذة تاريخية

لا يعرف شئ كثير عن تاريخ البحرين القديم ، وما يعرف عن تاريخها لا يحاوى

سنة ٤٢٠ قبل الميلاد ، حيث كانت البلدة تدار بواسطة رؤسائها الوطنيين الوثنيين ، وفي سنة ٦١٥ بعد الميلاد غزا بهرام بلاد العرب وأقام بالجزيرة مندوباً من قبله يدبر شؤونها ، وقد بقي بها إلى زمن الفتح الإسلامي ، وبعد الفتح الإسلامي بمدة قصيرة استقر الحكم المحليون استقلالهم ، واستمروا في حكمهم حتى زمن هشام بن عبد الملك ، حيث استرد الجزيرة مرة أخرى ، وأقام من حائه حاكماً قرشياً عام ٧٢٣ م ؛ وقد استمر حكم الحريرين على هذا النحو حتى آخر حكم العباسيين في القرن الحادى عشر ، فعاد حكم الوطنيين مرة أخرى ، واستمر حتى القرن السادس عشر ؛ وفي القرن السادس عشر استولى عليها الفرس وعينوا من قياهم حاكماً عليها ، ثم أسولى عليها البرتغاليون كما استولوا على هرمز والتطيف سنة ١٥٠٧ ، واحتكروا جزءاً كبيراً من تجارة اللؤلؤ وتجارة الخلايج الفارسي . وقد طرد الفرس البرتغاليين سنة ١٦٢٢ بعد سقوط هرمز ، كما أن الفرس بدورهم طردوا منها مرة أخرى ، ومارات الحرية يتناوب عليها الحكم من الفرس تارة ومن العرب مرة أخرى ؛ حتى تمكن عرب بني عتبة من الاستيلاء عليها ، وهم الحكم الذين تنحدر منهم العائلة الحالية .

آل خليفة

إن تاريخ آل خليفة أمراء البحرين يشمل ضمناً آل صتماح أمراء الكويت ، ولذا فإن البحث في تاريخ إحدى العائلتين لا محلو من استعراض شيء عن العائلة الأخرى للارتباط الوثيق بين العائتين في الماضي .

قدمنا في الفصل الخامس بالكويت أنه في سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦ م) تحالفت ثلاث قبائل كبرى وهم : الصباح ، والجلامة ، وآل خليفة . واتخذوا الكويت موطناً لهم ، وانفقوا فيما بينهم على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم ، وآل خليفة التجارة ، والجلامة العمل في البحر ، على أن ينقسم الجميع الأرباح بينهم بالتساوي . وبعد مضي حين منة من الحلف سنة ١٧٦٦ رأى ابن خليفة أن يفصل عن الحلف فعرض على حلفائه مبلغ ما يصيبهم من الغنى إذا هم سمحوا له ولشقيقه بالانتقال إلى الجزء المجاور لخاص اللؤلؤ

مؤسس هنالك محلة تدر الشئ الكثير من الأرباح فيستغنى الحلفاء ، فاستولى جلال الفكرة عليهم وصرحوا لرئيس آل خليفة بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته ، فتركها ونزل الزبارة قرب قطر والبحرين على الشاطئ العربي .

١ اكتشف ابن صباح — ولكن بعد فوات الفرصة — الأسباب الحقيقية التي دعت بحليفهم ابن خليفة إلى مفادرة الكويت ، وشعروا بسخط الحسارة المالية التي سببها بفقد عضوم أعضاء التحالف ، ففكروا في اقتفاء أثر حليفهم ابن خليفة بالتخلص من قيود الحلف مع الخلافة ، فامتنعوا من مقاسمتهم الوارد ، ثم انتهى الأمر إلى طردهم من الكويت ومينائها ، فلبثوا إلى إخوانهم آل خليفة في الزبارة فأجروا لهم من الرواتب ما يتناسب مع صرهم ، وسد ذلك جرى بينهم وبين أهل الكويت من المارك ما كان سبباً لقضاء عليهم وعلى نفوذهم .

يسود المدعو البحرين ، ويسود الصفاء بين الشيخ محمد الحاكم وأخيه الشيخ علي آل خليفة ، ويتماوان على قمع الفن وإنماء حركة التجارة ، ويستمر هذا التعاون حتى سنة ١٨٦٧ ، ثم يتنافس الأخوان على الحكم فيطلب الشيخ علي أخيه ويفرد بالحكم ، فيترك الشيخ محمد البحرين إلى الكويت مقر آبائه الأولين ، يسي عبد الله بن صباح حاكم الكويت في الصلح بين الأخوين فلا يوفق ، فتقوم الحرب بين الأخوين فيطلب الشيخ محمد علي البحرين بعد قتل أخيه الشيخ علي ، فيجبه أبناء الشيخ عبد الله بن طريف فيتدخل الإبلز في الأمر ، فيطلقون سراح الشيخ محمد ويحملونه مع بعض الرؤساء إلى سيلان ، ويهينون الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين سنة ١٨٧٠ ، ويستمر حاكم عليها حتى سنة ١٩٢٣ ، حيث تفل يده بالنظر إلى كبر سنه ، ثم يتولى ولد الأكبر الشيخ محمد بن عيسى . وقد توفي الشيخ عيسى بن علي في شعبان سنة ١٣٥١ هـ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م كما توفي الشيخ محمد بن عيسى ، وقد تولى الأمر من بعده ولده الأكبر الشيخ سلطان بن محمد وهو الحاكم الحالي .

الحكومة البريطانية والبحرين

كانت سياسة الحكومة البريطانية في خليج فارس في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قائمة على إيجاد عهد من السلم والأمان في تلك المنطقة ، فأعلنت الحرب على القرصنة وحاربها بشدة .

وقد أرسلت الحكومة البريطانية مستر روس Bruce^(١) عام ١٨١٤ إلى البحرين لاستطلاع أحوالها ، فوصل إليها في ١٩ يوليو واستقبله فيها الشيخ عبد الله بن أحمد استقبلاً ودياً . ويقول مستر روس : إن رياراته للبحرين كانت موفقة ومفيدة جداً ، فقد علم أن إمام^(٢) مسقط عرس في أذهان العرب أشياء كثيرة ضد الإنجليز : ثم أدركهم أن بريطانيا تصدر من البحرين التي تقصد للمواي الإنجليزية ، ولهذا السبب كانوا معززين مشاركة الخوارج في القرصنة ، وقد شرح الشيخ عبد الله أسباب الخصام بينه وبين إمام مسقط وتقص هذا الأخير المعاهدة التي عقدها معهم ، وإنه هو نفسه وأفراد قبيلته مستعدون للارتباط مع مسقط لأن مصلحته لا تتعارض وهذا الاتفاق .

وقد أبان الشيخ عبد الله للمستر روس أنه في الوقت الذي كان إمام مسقط يتظاهر بالتعاون معهم ، كتب سراً إلى إمام محمد بقرية بالبحرين لإقامة رحمة بن جابر حاكماً عليها ، وقد رفض شيخ بني ياس الإصمام للإمام في ذلك كما رفض أسراء العرب المنقبضون على الساحل الفارسي ، وقد رحب شيخ البحرين بالسفن الإنجليزية والنجدة البريطانية ، وصرح بأنه مستعد لدفع أي حط من الجزية ، وأنه لا يشعل بالله غير الإنجليز ، وأن الشيخ ينتظر أن تتدخل بريطانيا معه نفس المعاملة التي منحت لها سفنها في البحرين ، وطأه مستر روس وأخبره - ولأنه ليس لديه التهرب الكافي - بأنه مستعد أن يضع معاهدة تزيل مخاوف شيخ البحرين ، فوعده الشيخ بأنه سيصدر أوامره الصارمة لقتل على معن ما احترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجاً .

(١) سنذكر في الجزء الثاني تفاصيل الانقلاب في البحرين وآثره في سائر البلاد العربية ، وبلا حظ مما أن خليج فارس في القرن السادس والسابع عشر كان عربياً - مع توجوه - غير أن هؤلاء الحكام كانوا معاً في تنازع وحمام دائم حتى أصعبهم ذلك وجعلهم لغة - ، لا لعل طاع قوى .
(٢) إمام : سلطان .

ازداد غزو آل خليفة في الزبارة وآل صباح بالسكوت ، ونمت ثروتهم ولا سيما بعد احتلال القرس بالبصرة سنة ١٧٧٥ م فقد انتقل بذلك جزء كبير من تجارة القز واللؤلؤ والتجارة الهندية إلى الزبارة والسكوت ، وقد انتهر عرب الزبارة وحاكمهم ابن خليفة فرصة موت كريم خان واشتغال القن في خليج فارس ، هاجم البحرين واستولى عليها سنة ١٧٨٢ ، ولكنه ترك الجزيرة بعد نهبا ، وبعد مارك متعده بين آل خليفة وأتباعهم ، وبين غيرهم من رؤساء العرب الموالين لفارس ، ثم تمكن آل خليفة بمعاونة حلفائهم آل صباح من أن يستولوا سائبا على البحرين ويحضرها لحكمهم ، وقد ساعدتهم ما وقع في فارس من التقلبات على الاستقرار في الجزيرة والتفرغ لتوسع التجارى ، وفي سنة ١٧٩٩ م هاجم إمام مسقط جزيرة البحرين ، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ١٨٠١ م وأرسل إلى مسقط نحو ٢٥ عائلة من كبار العائلات ، ولم يقد عرب البحرين استنجادهم بقارس أو تركيا ؛ لأنه كان لدى الدولتين من المشاغل ما حال دون التدخل في حوادث البحرين .

وفي نفس السنة تمكن آل خليفة بمعاونة النجديين الذين انتشرت سركتهم واستد سلطانهم إلى الاحساء من التغلب على قوات إمام مسقط واسترداد البحرين . وفي سنة ١٨١٠ م احتل النجديون البحرين والزبارة ، وعين إمام محمد عبد الله ابن عقيصان وكيلا عليهما وعلى القطيف وقطر ، ولكن شيوخ البحرين استمروا على إدارة الأحكام ، واكتفى مندوب نجد باستلام الجزيرة وإرسالها إلى مولاه في نجد .

وفي سنة ١٨١١ م اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب قواته من الخليج بعد غارة إبراهيم باتنا ؛ فانتزع إمام مسقط هذه القصة ، وهاجم الزبارة وأحرقها وقبض على وكيل عبد الله بن سعود وأرسله إلى مسقط ، واسترد آل خليفة شيئا من سلطانهم ، ولكن غزو النجديين رجع بعد ذلك بقليل ، وفي سنة ١٨١٩ م حاول إمام مسقط أن يتولى على البحرين ، ويقضى قضاء تلمأ على آل خليفة . وقد أوضح في كتاب له للحكومة البريطانية أن الذي دفعه إلى ذلك هو مساعدة عرب بني حبة لقرصان واعتراضهم بسيادة الوهابيين ، وقد وصل الإمام إلى الجزيرة ، ونزلت الجنود في عراد ونمحت الحزة

بعض التجاع . ولكن عرب البحرين هزموه أخيراً هزيمة منكزة نصت على آماله في امتلاك الجزيرة ، وقد اكتشف إمام مسقط بعد ذلك أن حكومة فارس التي كانت تخرصه في ذلك الوقت على امتلاك الجزيرة بما تعمل للمدبره وساق رؤساء العرب .

ومن سنة ١٨١٦ — ١٨٤٢ م أخذ النفوذ المجدى في الجزيرة في الظهور تارة وفي الخفاء تارة تحاً لقوة الدول السعودية وضدها . وفي سنة ١٨٤٤ م طاهر الإمام فيصل أصغر شيوخ البحرين محمد بن حلينة صدمه وعصده بإرسال قوة قوية ضد الإمام فاستولى عليها وأقام فيها .

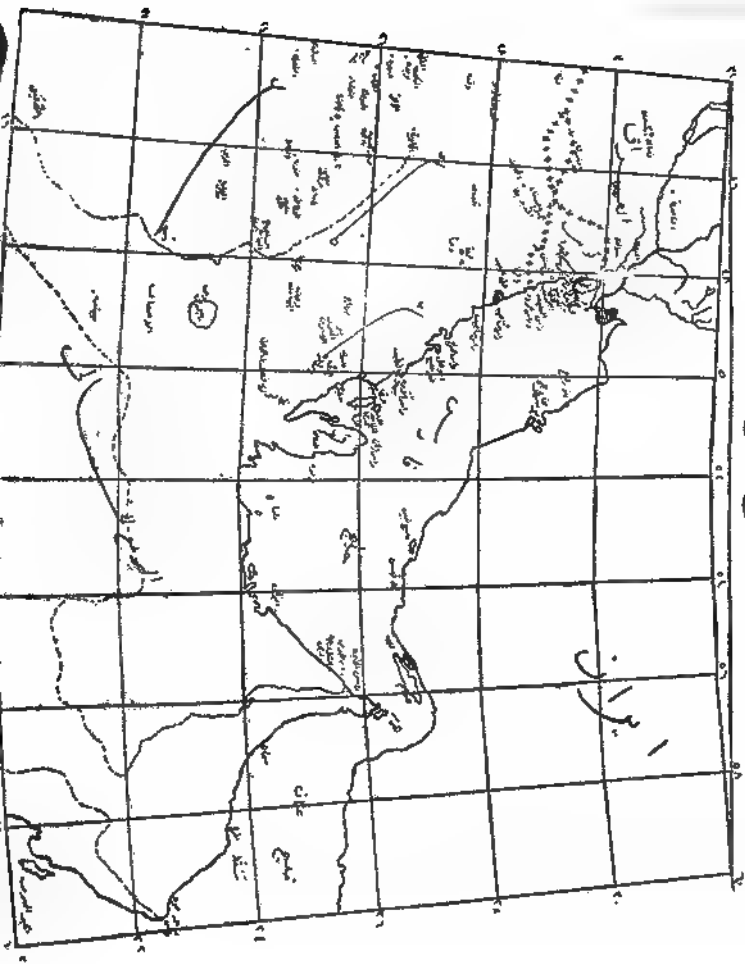
وقد وصف متر روس عرب بني عتبة في البحرين بأنهم من أقوى وأكف الملاحين العرب في الخليج ، وأهم يملكون جاماً كبيراً من التجارة الهندية ، وهم يفضلون التجارة عن حياة القرصنة . وتعتبر هذه السنة أول سنة وضع فيها أساس التتاهم بين الحكومة البريطانية وبين رئيس بني عتبة حاكم البحرين . وفي سنة ١٨١٩ عقد معهم السير W. G. Ren معاهدة تتعاون ضد القرصنة ، لأن الجزيرة كانت أكبر مركز لتصرف منهوبات القراصنة وأخذ ما يلزمهم من الحاجيات الضرورية . وفي نفس هذه السنة عقدوا معاهدة أخرى مع إمام مسقط وتمهدوا له بدفع ضريبة سنوية قدرها تسعة آلاف ريال . وفي سنة ١٨٤٧ عقدت معاهدة مع الأتباع بالريق . وفي سنة ١٨٨٠ عقدت الحكومة البريطانية مع الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين معاهدة مثل المعاهدة التي عقدتها مع سلطان مسقط قبل ذلك ، ثم مع شيخ الكويت بعد ذلك ، وهي معاهدة حماية تنص على ألا يعمل الشيخ أى وكيل سياسي غير محابري ، وألا يتتد الشيخ أو يتنازل عن قطعة من أراضيه لحكومة أجنبية .

وفي سنة ١٨٩٣ أعطى للوكيل السياسي في البحرين حق الفصل في نصايا الأجانب ، ثم توسع هذا الحق حتى شمل القضايا التي فيها صالح للأجانب .

لقد طال حكم الشيخ عيسى والد الحاكم الحالي حتى جاوز الخمسين ؛ وفي عهده تقدمت البحرين تقدماً عظيماً : في التجارة ، والثروة ، واستقر بها السلم بعد أن كانت لا تعرف السلام ، وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والتقوى ، ولكنه كان عافظاً على القديم

لا يحب النخيل ويكره كل جديد ، ولذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السياسي عندما يراد القيام بأى عمل عمراني ؛ وأخيراً انفقت الحكومة البريطانية مع أبنائه على أن يحتم الشيخ حياته السياسية ويستكف في بيته وينوب عنه ابنه الأكبر الشيخ محمد ، فاحتج الشيخ على هذا السل الذي لا يتفق مع روح الصداقة ، وغضب على ولده نحو خمس سنوات ، ثم رضى عنه بعد ذلك . وقد ترك عزل الشيخ عيسى من إمارة البحرين أسوأ الأثر في نفوس أمراء البحرين وأهلها ، وقد أعقب هذا الانقلاب تغييراً في الإدارة موضع بحاب الشيخ مسد . إنجليزى لمساعدته في الأمور الهامة ، وأقيم على الجارك أيضاً مدير بريطاني ، ووضع البحرين أيضاً موازنة لموازنة الدخل والمخرج ؛ وقد تأسس في آخر عهد الشيخ عيسى فرع (لمصرف) الإيسرني ، وقد نشطت حركة التعليم في العشرينات الأخيرة نشاطاً يذكر فأسست إدارة لتعليم قامت بإنشاء مدرستين : واحدة في المنامة وأخرى في المحرق ، كما أسست مدارس للبنات ، وأسست إدارة خاصة للصحة والهوايس ، وأصلحت الأسواق ، وشقت الطرق في أنحاء الجزيرة فسهلت المواصلات بين أطرافها .

خليج فارس



العوائد والأضداد

ذكرنا شيئاً من العوائد والأحلاق فيما كتبناه في فصل السكان ، وسندكر في هذا الفصل بعض الصفات الأخرى المشتركة بين البدو والحضر ، أو التي يتميز بها البدو عن الحضر ، أو الحضر عن البدو ، مما لم يذكر في الفصل السابق .

الألقاب

المرقب الأكبر من سكان جزيرة العرب ولا سيما البدو أو القبائل الرجل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الأقطار الأخرى ، فهم ديموقراطيون بفطرتهم ، يدعون بعضهم بأسمائهم المحرمة ، وبخاطيون ملوكهم وأسماهم بأسمائهم وألقابهم العادية ، فأصر البدو بمخاطبة الملك عبد العزيز بيا عبد العزيز ، أو يا أبا تركي ، ويا طويل العمر ، وإذا سأل عن ملكه فيقول الشيوخ أو الإمام ، والملك نفسه قلماً يعبأ بالألقاب ، فالألقاب تعرف فقط في الحواضر الكبرى مثل المبحاز .

المساواة

إذا استحيى التفاؤل في الأسباب والإمارة فليس فيها سوى ذلك يكادون يتساوون في جميع ما هم من اعتدق وما عليهم من التواضع ، وليس فيها كسرة في طر الشريعة الإسلامية ، لا فصل الشريف ولا العبد ولا ملككم إذا تسمى أمير على حاكم عادي فالحاكم الشرعي كقيل بإصافه ورد الحق إليه ، وأول الناس حسباً شريعة ابن العود نفسه .
هل أن هذه المساواة لا تسكد تعرف إلا في نجد ، أما في غيرها فالمدل يورن بميزانين :
الأميان والأشراف والنسبون إلى العائلات الحاكمة لهم ميزان خاص ، وسائر طبقات الشعب لهم ميزان آخر ، ولما يحسر أحد من عامة الشعب على مطالبة أو مخاصمة أحد من الأشراف أو عائلة الحاكمة ؛ لعله بأن حقه لا يصل إليه من هذا الطريق ، بل لقد يصل الأشراف بعض أعضاء العائلات الحاكمة أن يحسب بعض المحرمين ، ولا يرى الحاكم من واجبه أن يجبر ابن عمه على طرد اللاحق .

وإن من له اتصال بالتخليج القارص والحجاز ونجد يدرك بسهولة ما سعى ، ورعا كان من التقيد بإيراد بعض الحوادث التي لا تزال تتعلق بالذاكرة :

في سنة ١٩١٦ شكّا إلى الأمير عبد الله بن جلوي أمير الاحساء رجل من فلاحى الاحساء تعدى بعض الخدم عليه وعلى أبنائه ، فأحضر الأمير جميع خدمه كي يتصرّهم الشاكى ، فلم يجد من يبيهم للمتدى ، فأدرك الأمير أن المتدى قد يكون بعض أبنائه فأمر بإحصاءهم فعرف الشاكى المتدى ، ولكنه لما علم أنه ابن الأمير نارل عن الشكوى واعتذر بأنه لم يكن يعرف أنه ولده ، فأنبه الأمير وقال له : أنت أخطأت ، إذا لم تكن نحن مثال المدالة فكيف نطلب من الناس احكام الشريعة ؟ لقد هلك من قبلنا من بني إسرائيل وغيرهم بسبب هذه التفرقة ، أما أنت أيها الحرم (يقصد ولده) فيجب أن تلقى جزاءك . وهنا قام الأمير من محله واهال عليه بنفسه بالصا وهو يقول : يجب أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الناس .

وفي سنة ١٩٢٠ شكّا أحد أهل الرياض إلى الملك عبد العزيز أن زوجته -- وقد حكم عليها القاضي بالرجوع إلى بيت الطاعة لادّت بيت ثلاثين من أقاربه ، فأمر الملك نوا من بلغ قريبه بالزام المرأة الرجوع إلى زوجها تنفيذاً لأمر الشرع ، وإذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية فإنه سيدخل البيت بنفسه لتنفيذ أمر الشرع ؛ إذا لم يحترم نحن الشرع فكيف نكلف الناس باحترامه ، يجب أن نكون قدوة حسنة للناس في كل شيء .

وفي جمادى الثانية سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٢ كنت زائراً للرحوم خالد بن نوى في بيت الإمارة بمكة ، وكان إذ ذاك أميرها فرأيت أمام الشيخ ابن داود (وهو قاضى الخرمة وقاضى مكة في أول عهد الاستيلاء النجدى) رجلين يتخامعان أحدهما من الأشراف من سكان الطائف والآخر من صناع الساعات ، وكان هذا الشريف أعطى الساعى ناظوراً لإصلاحه ، ولما أصلحه ادعى أن الإصلاح لم يكن طلق الشرط ، والرجل الآخر يدعى بأنه طبق الشرط ، ويطلب تحويل المأنة إلى رجل خبير .

أراد الشريف أن يجلس بحوار خالد بن نوى ، فنهزه الشيخ وأمره أن يجلس أمامه مع خصمه ، وأنها أمامه سواء ، وبعد أن سمع الشيخ الدعوى حكم على الشريف بما

يقدره صانع خير . قال الصانع : وإن لم يقبل الشريف ذلك فاما مستد أن أرد إليه
الناظر كما كان ، ولا أريد أن أطالبه بشيء مطلقاً جزاءً أنابى . قال الشيخ : وما تقول
في هذا ؟ فارتبك الشريف ، فالتفت إليه الصانع وقال : الحمد لله . إن وغوى ملك جنباً
لجنب أمام القاضي يسأوى عندي الدنيا وما فيها ، لقد مضى وقت الظلم ، قد كانوا
يكلفونا بصل الأشياء ولا يعطونا أجرة ، بل لا يتنازلون أن يكلمونا ، بل كانوا يضربونا
في بعض الأحيان ، الحمد لله . قال الشيخ القاضي : إن الناس جميعاً أمام الشرع سواء ،
وإن الأشراف أولى الناس باتباع جدم سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم القى يقول :
(يا فاطمة بنت محمد ، إني لا أملك لك من الله شيئاً) . والله يقول : (إن أكرمكم عند الله
أتقاكم) ، ويقول : (فإذا نفخ في الصور فلا أسأب بينهم موشد ولا يتسالمون) . وهنا أخذ
خالد الناظر من الشريف ، وقال : لانسلكم حتى نسلم الأجرة التي يقدرها الخبير ، فقبل
الشريف ذلك سرعاً ، وخرج وهو يطلب السلامة ؛ لأنه كان محملاً بالإخوان الذين
كانوا يؤمنون على أقوال الشيخ ويسمون الشريف همماً ما يكره من قولهم السلام

الكرم

الكرم من الصفات المروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام ، ولا يزال العرب
إلى الآن يتفاخرون بها . وفي الحديث الشريف : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه) ، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من مضيف (مكان يقابل فيه
الضيوف) قد يكون حجرة واحدة وقد يكون بيتاً من الشجر ، وقد يكون بناء مستقلاً
واحترام الضيف وحمايته من السائل للمسلم بها في بلاد العرب ، وحق الحماية ثلاثة
أيام ، كما أن حقوق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً . لقد كان ينزل القاتل في بيت الطالبين بالتأثر
فيستأجرون عن كل شيء ما دام في ضيافتهم ، والنساء لمن هذا الحق مثل الرجال ، وإذا
أعطيت كفة الضيف الثلاث باليت قبلتها القليلة كلها ، غير أن أكثر هذه التواعد كاد
يقضى عليها الآن بعد ما استتب الأمر للملك عبد العزيز ، فسلطان الشرع فوق كل
سلطان ، ولا حق لأى إنسان في إيذاء مجرم ، وكلهم احتراماً للشرع يساعدون على القبض
على المجرم وتقديمه للشرع

لقد حوت المادة عند أمراء العرب أن يدفعوا بيوتهم لكل صيف يقصدهم ، ولكن بعد مضي ثلاثة أيام من إقامته يأل عن حاجته

وقد يباع صيوف الملك عبد العزيز نحو عشرة آلاف ، تمتلئ بهم بيوت الرياض ويطحاؤها ، وربما كان عدد الصيوف الدائمين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم

ومن العيوب في بعض النواحي العربية أن يأكل الرجل وسنته معلق ، فإن إغلاق البنت من أمارات الحمل ، كما أن من العيوب عدم شراء اللحم من السوق ، بل رطل ، فالأرصة أو الخنجة يشتركون في شاة يشترونها ويقسموها بينهم

والسيد ينادى خادمه : يا ولد أو يا وليد ، ولا سيما إذا كان لديه خدم كثيرون ، وإذا كان يريد القهوة فإنه يقول : هات قهوة ، فباتي الخدم بصيغ هات قهوة ، حتى يصل الصوت إلى عامل القهوة فيحضرها ، وهذه العادة لا تزال تستل في سائر البلدان العربية ؛ والملك ابن سعود يستعمل الأحرار الكهريائية في قصره بدلا من النداء القديم ، ولكنه يرجع إلى العادة القديمة إذا كان في الصحراء أو في أحد الأماكن الأخرى التي ليس فيها أحرار

وإذا كان الملك في الصحراء للصيد ، ورل الراحة وأراد بعض خدمه أو أحد أفراد حاشيته ، فليس هنالك وسيلة إلا النداء بأعلى الصوت ، وكل خادم يسمع النداء ينادى بدوره حتى يدوى الصوت في المسكر ويسمع الشخص المطلوب ، فيقول : حاك أي حاك ، والخدام ينادى سيده : عمي ، وسيدته ، حتى

وإذا حضر الطعام وجلسوا جميعا حول المائدة ، نادى الخادم بأعلى صوته : سم ، أي باسم الله ابتدؤا

والقهوة تقدم لكل ضيف مهما صغر مقامه ، ولكن إذا سما مقامه فإن القهوة تحضر له جديدة ، ولا يصح الاعتذار عن قبول القهوة

وقد كانوا من عهد غير بعيد يطولون للصيوف بعد القهوة : إما على الزعفران أو على الليمون ، أو القرعة ، أو شيئا من الحليب على السكر ، ولكن في العشرين سنة الأخيرة انتشرت عادة الشاي في البادية والحاضرة ، ويستهملونه غالبا غير ممزوج بالبن ، والبادية

تستعمله غليظاً موزع العلم من كثرة غلبه على النار . وأهل عمان يقدمون شيئاً من الحلوى أو البسكوت يدعونه القهوة .

ومن حق القادم من سفر أن أصدقاه ومعارفه يزورونه في بيته ويقولون لأقرب الناس إليه : قرت عينك (أى سررت بمحضر فلان) فيقول : قرت عينك بنيك ، وعند لقائهم يقل الأصغر أنف أو جبهة الأكبر أو كمينه ، وعادة الكنتف في البحرين والكويت ، والأنف والجبهة في نجد والبادية — أما تقبيل اليد فمضمر معروف إلا في الحجاز ، وقد استنكرها الإخوان والعلماء النجديون عند أول دخولهم الحجاز ، ولكنهم بعد بضع سنوات تسامحوا فيها ، فأهل الحجاز الآن يقولون يد الملك والقصة ولا يرون في ذلك شيئاً ، وقد كان الأشراف في مكة يترفعون عن مد أيديهم للناس لتقبيل ، فيكتفي الناس بلطم طرف الثوب .

والغالب أن يدعو أصدقاء القادم صديقهم إلى دعوة عشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقائه ، وعادة الدعوة للقهوة بمجدها بكثرة عند أهل نجد أينما حلوا في الكويت أو البحرين أو الهند .

ومن عادة الأشراف زيارة المائلات الكبيرة في رمضان ، وقد كانت العادة في الكويت والبحرين حضور الشيخ أو أحد أبنائه المقدمين على رأس الأهالي عند إتمام بناء السفينة الكبيرة وإزالتها إلى البحرين . كما يجرى أمثال ذلك في أوروبا وأمريكا ، وقد مانت هذه العادة من البحرين والكويت ، وأصبحت مقتصرة على الأهالي بعين بعضهم بدءاً عند إكمال السفينة إلى البحر .

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة ، والعادة في نجد أن يُصَبَّ للضيف بضع قطرات من القهوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكثفاً . أما في البحرين والكويت والحجاز فيصب نصف الفنجان تقريباً للضيف ، والقهوة في جميع البلاد العربية تحضر بلا سكر ، والقهوة من أمارات الكرم تحضر أمام الضيف في مجد والادبة ، وفي بعض البيوت الكويتية التي تمت بنسب إلى نجد : كما جرت العادة أن يتناول الفنجان الأول صاحب البيت إن كان هو المتولى لخدمة ضيفه ، أو الخادم المتولى

لصعب ؛ فهل هذا لتحقيق من أن القهوة محضرة تمخيراً لا يجب فيه من حرق ، أو لا يزال ينقصها شيء من حب المال أو الزعران ، أو أن ذلك من بقايا الموائد القديمة : موائد الاغتياي ؟ إلى أرحح الاحتمال الأول ؛ فإن العرب معروفون باحترام الصيف وصرعاته والدفاع عنه .

والغالب في الضيافات أن يُرشد الضيوف بماء الورد والخور من قبيل زيادة الإكرام ، وإذا أحصر للصيف ماء الورد ومحور الورد فلا يجوز المكث بعد ذلك ، فمن قبل الأمثال الدارحة على السنتهم : ما بعد العود من قوم ؛ ويطلقون على المرش قُتم (تركية أو فارسية) إشارة للصيف : قم ولا تمس ؛ ولذا فإن أكثر المضيفين يؤخرون الورد والبخور حتى يهيم الضيف بالانصراف من قبل نفسه ، وفي بعض الأحيان يقدمون الورد والبخور قبل الأكل ليرتكوا للضيوف حرية البقاء أو الانصراف بعد الفراغ من الطعام ، ومن المبادئ الإسلامية التي لا يزال التجديون محافظين عليها الانصراف بعد الأكل بقليل : « فإذا طعمتم فانقشروا » .

والدعوة على شرب القهوة كال دعوة على شرب الشاي في البلاد المتقدمة ، ولا شيء ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف . ولقد رأيت الملك عبد العزيز المعروف بسعة الصدر والحلم يتقلب إلى رجل آخر عند ما علم أن ضيوفه قد أمعنوا من رجائه للنوط بهم إسكان الضيوف وخدمتهم وتوفير أسباب الراحة لهم ، ولطراتها نورد بعضها :

في صيف سنة ١٣٤٤ هـ — أغسطس سنة ١٩٢٥ م كنت جالساً في حضرة السلطان عبد العزيز (الملك عبد العزيز) في مكة في قصره في المائدة (المروف بيت السقاف) ، وكان من عادته أن يجلس على شرفة داخل البيت ، ويشرف على الطريق بواسطة نافذة كبيرة ليرى المادى والرائح ، فمر رجل يدعى حاول أن يتكلم معه فقهره ، قال الرجل : لملى لم أذنّب يا محفوظ ، لملى لم أخطئ ، لقد بت من غير عشاء ، فالت هذه الكلمة الجلمة الحساسة منه ، فناداه : ما مالك أيها الرجل ! أدخلوه ، فلما حضر أمام عظمته قص قصته بالتفصيل : من أنه وصل إلى مكة بعد الترويب بساعتين ، ثم طلب شيئاً يأكله ولو تمراً يدفع به غائمة الجوع فلم يصفه أحد ؛ فنادى عظمة السلطان القائم بأمر المضيف والمشرفين عليه ،

وما : إبراهيم بن جسيمة وابن إدريس ، وثارت ثائرتهم حينما رأهما ، ثم أخذ يوسمهما ضرباً بنمسه حتى كادا يهلكان ، ثم أوقفهما عن الخدمة بضعة أيام ردما يبعدها إلى الخدمة بعد توسط بعض القربين .

وفي شتاء سنة ١٣٥١ ١٩٣٢ م كان جلالة في الصيد ، وكست معه ، فصارا بعد الغروب إلا رثيو جلالتهم وأمره بضرب الطباخ نصار ، والشويعر المشرف على المصيف والطباخ ، فسألت عن جلية الخبير ، فإذا بعض الضيوف يشكو من قلة الطعام ، وأنه أرز من غير سمن ولا لحم ، فسألت ماذا يضر هؤلاء لو أكثروا الضيوف الأرز واللحم ! إن الخبير كثير . فقال لي صاحبي : ليست هذه أول مكلة لنصار وزميله ، لأن المادة الجارية أن ما يبقى من الزاد قل أو أكثر بعد انتهاء الصيد سيكون من نصيبهما ، فمن مصلحتهما التقتير على المصيف ليكون لما النصيب الأوفر .

ولما حضرنا إلى مجلس الملك ، وكان ولي عهده الأمير سمود هو رئيس الركب أخذ جلالة الملك يعطيه درساً من أمس الدروس في المراقبة والملاحظة ، وعدم الاعتماد على الخدم ، ثم أخذ يقص علينا درساً تاريخياً فيما أصاب أعمامه من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مرا كثر الناس ومشايخ القياثل ، حتى انقضت الناس من حولهم . وقد اقترح إلغاء هذه المادة ورد ما بقي من الزاد إلى الخزن ، وبذلك نستأصل شأفة العلة ، ولكن الموادات غالباً ليس من السهل إلغاؤها .

الأكل

والمادة في الأكل أن تقدم قصة واحدة أو عدة قصص إذا كان العدد كبيراً ، ويحيط عدد قليل أو كثير بالقصة بدون تفاوت في منازلهم ، فذلك والشيخ والوزير والخدام يأكلون جميعاً بأيديهم من قصة واحدة ، ولا يرى الملك غضاضة في أن يكون بحواره من هو أدنى منه ، لأن الجميع من آدم وآدم من تراب .

والمادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل ، ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة ، فإذا قام واحد خطأ قام الجميع ، ويمدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من

الشره ، وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة ، فأتاح لمن شبع أن يقوم إذا أراد ، ولكن لا يزال للمادة أثرها في كثير من أنحاء نجد .

والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حدة ، ومن السيوب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها أو الأم مع أولادها الذكور الكبار ، أما الأطفال الصغار فيأكلون مع أبيهم أو أمهم ، ولكن إذا كثرت البهات اصطنع في الأكل عن أبيهم وصرن يأكلن مع أمهن فقط ، وهذه العادة ليست خاصة بنجد ، بل الكويت والبحرين وعمان ومادة الحجاز مثل نجد في ذلك ، أما المدن الحجازية فإنها لا تملك هذه العادة إلا في البيوت التي يمت أهلها بصلة إلى نجد .

والعادة في الأكل أن لا يجهز بكية تناسب الأكلين ، فاليث الذي يعم ثلاثة أغفار يحضر الطعام فيه لحمة أو ستة احتياطاً للطوارئ ، فإن لم يحضر صيف أعطى الطام للقراء أو ألبى الحيوانات .

وطريقة تحضير الطعام تختلف في نجد والحجاز وسواحل الخليج الفارسي ، فكل جهة تقتبس من الجهات القريبة منها طريقة تحضير الطبخ : ففي القصيم نجد أثر الطبخ السورى ولا سيما الحلويات ، في الكويت ترى طريقة الطبخ المصري ، وفي البحرين أثر الطبخ الهندي والفارسي ، وفي الرياض أثر الطبخ الكويتي ، وفي الحجاز أثر الطبخ الشرقي على اختلاف أنواعه ، على أن لكل بلد أصنافاً خاصة تفصلها عن سواها .

والطعام الثالب في البادية التمر والأرز واللحم في بعض أيام من الأسبوع ، أما في المدن فالطعام الرئيسي الأرز واللحم والسكك والزؤبيان في الجهات الساحلية ، وفي أواسط بلاد العرب يستعمل الجريش (الميزغل) بجانب الأرز .

المرأة في بلاد العرب

المرأة على العموم في بلاد العرب غير مسئلة التعليم المعروف في البلاد الأوروبية وبعض البلاد الشرقية ، ولكنهن في الغالب يعطى في صغرهن قراءة القرآن وشئون المنزل ، أما الكفاية فلا تعرف إلا نادراً ، وتعد من العيوب السائدة في بلاد العرب ولقد قامت قيادة أهل الزبير وبعض البصريين حينما اعترفت حكومة العراق بفتح مدرسة للبنات في البصرة ، فعدوا ذلك من أعظم المكورات ، ولكن الحكومة العراقية مضت في سبيلها ولم تأبه لشأن المعارضين هذا ما كان بالأمس أما اليوم فإن مدارس البنات في الكويت والبحرين فقد زاحمت مدارس البنين ويذكر ما ذلك بالحلة الشديدة التي قام بها المصريون ضد قاسم بك أمين عند ما نشر كتابه تحرير المرأة والمرأة في الحاضرة تتارعن امرأة البادية بالحجاب الكثيف ، فإساءة بمدحهن عملازمتن البيوت وقلة خروجهن منها إلا لضرورة قصوى كزيارة الأقارب وعبادة المرضى ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في الليل ، ومن المأخوذ عندهم أن المرأة بعد زواجها لا تخرج من بيت زوجها إلا لغيره . أما البادية فليس هناك إلا أثر ضعيف للحجاب والدوية تشارك الرجل في كل شيء حتى الفرس ، وهي تقوم بقطر وافر من العمل ، وتجد البدوي يصحب ساءه ويتأبطهن في الحاضرة كما يفعل النرييون ؛ متجسد البدوي والدوية في أسواق الكويت والحجيرة يشتركان في الشراء وفي البيع وفي المشي بدون أن يكون عنده أدنى اكتراث ، بخلاف عصرية فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، والمرأة في بعض حواضر عن تشمل مالبيع وتقاتل الصيوف إذا كان زوجها غائباً ، ولكن مائر العرب يسيرون ذكك على أهل عمان . والمرأة في الحاضرة لا يكاد يكون لها رأى حتى في الزواج فأهلها يوافقون على الزوج وهي تجربته على سبيل الإخبار فقط ، وليس لها حق الاعتراض وإن اعترضت فلا يسم لها رأى .

والغالب في الزواج التكبير في الرجل والمرأة تنزوج البنت إذا باتت ١٣ - ١٤ ، والولد في ١٥ - ١٦ ومن أنواع الزواج الشائعة إحمارت الم على التزوج ببن عمها ، وليس لها أن تنزوج بأجنبي إلا إذا أذن ابن الم لها بذلك ، وقد يحدث الزواج بين أبناء

الم أهم أولى بالزواج . ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بزوجة الزوجة قبل الزواج ، فإن هذا الإذن لا يعرف مطلقاً في بلاد العرب ، فالزواج يتم بدون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلية الزفاف .

أما في البادية فالأغلب أن الزوج يكون له سابق معرفة بالزوجة ؛ لأن الحجاب في البادية رقيق وشأنه ليس كشأن الحاضرة .

والعادة في الزواج بعد قبول ولي الزوجة الزوج أن يرسل الزوج مائة من النقود قد يكون مائتي ريال أو أكثر ، وبضعة ثياب غير محبطة إلى بيت الزوجة ، ويسمى عندهم (المأثرة) أي المقدمة ، وهذه المأثرة تعرض في بيت الزوجة ليراها أقاربها وأصدقاؤها ، ويتفكرون بها إن كانت تستحق الاختيار ، وهذه العادة معروفة في نجد وسواحل خليج فارس وبادية الحجاز ، ثم بعد ذلك يتفق على يوم الدخول ، ويفقد المقتد قبل يوم الدخول ، فإذا كان اليوم المتفق عليه أعلن الزوج ذلك ودعا أصحابه وأصدقاءه إلى بيته أو بيت أحد أصدقائه أو المسجد ، ومن هناك يذهب الجميع — الزوج يحيط به أصدقاؤه — إلى بيت الزوجة حيث تعد هناك حجرة فرشت بوثير الفراش وزينت أرضها بالزرابي الفاخرة ، فيدخلون بيت الزوجة في وسط صفوف من النساء يحمين الزوج ومن معه بالملاليل^(١) ، (وقد يكون بعض الفتيات ، وهذا في غير نجد) وبعد بضع دقائق من إقامتهم في الحجرة يطاف عليهم بماء الورد وبحور المود والتند ، ثم يصرفون ويبقى الزوج وحده في الحجرة ، وبعد بضع دقائق تنحصر الزوجة محطوطة بأقاربها وتقدم إلى الزوج .

وفي ثاني يوم يقدم الزوج للزوجة هدية من الهدايا نفوساً أو غيرها ، ويمسك الزوج في بيت الزوجة سبعة أيام إن كانت بكرًا وثلاثًا إن كانت ثيبًا ، ثم تنقل الزوجة إلى بيت الزوج حيث يكون قد أعد فرشه وتحضيره .

ولا يكاد يختلف الزواج في البادية عن الحاضرة إلا في المهور ، فالمهر القدي يتأخر به في البادية هو قطعة أو قطعتان من السجاد وجل أشجع (أبيض) ومائة أو مائتان من الريالات ، وهذا آخر مهر في البادية .

وقد حدد جلالة الملك عيد المهرز المهر في نجد بمائة ريال حتى يسهل الزواج للناس ،

وإذا كان الزوج غنياً استطاع أن يهدي زوجته ما يشاء

أما في الجباز : في المدينة إذا رغب متى في الاقتران بفتاة اتفق أهل مع أهلها ، ثم تذهب أسرة الزوج إلى منزل آل العروس ، فيقوم خطيب من قبل الأولين يحطب خطيباً ثرية وشعرية يمدد بها مفاخر الزوجة ، ويعرض فيها باسمها ، ثم يقوم خطيب من قبل المخطوبة ، فيمدد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ، ثم يقبض المهر الذي يستحضر في صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر ونفقة الحارية التي يشتريها والد الزوج لتخدم الزوجة ، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشمولة بالعمضة والثقل قد تتجاوز قيمتها مائة جنيه ، وقد يبالغون في النكحة (حزام القباس) حتى لقد يسارى ثمنها عشرين جنيهاً ، والغالب ألا يكون يوم القدخول قبل سنة من هذه الحفلة ، ويشترط بعض الزوجات في المهر شيشة مرصعة بالفضة والذهب ، وتقام وليمة في منزل الزوج يوم نقل الجباز يدعى إليها أقارب العروسين والأصحاب ، ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجباز ، وتزف العروس وقت السحر إلى منزل زوجها ، وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشموع ، ثم يدخل بها الخدم ، فإذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج إلى منزل العروس لينفذ فيه ثم يرجع إلى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة ، وربما تساهلوا إلى ستة أشهر ، وتقام ولائم لرجال ولنساء ليلة 'زفاف' وليتين قبالة وليمة بعده ، وقد أبطلت بعض هذه العوائد في السنوات الأخيرة كما غطت عوائد آسام ودمر على عوائد أهل البلاد وتعددت الزوجات والسرى منتشر كثيراً في بلاد العرب بين الأغنياء والأسماء ، أما الفقراء فحالاتهم لا تساعد على تعدد الزوجات ولا على تنمير الزوجة ؛ ولذا فإن الخصومات العائلية لا يكاد يكون لها أثر في بيوت الفقراء ، والزوجة تقوم بنصيبتها من الخدمة المنزلية ، وإذا سالت زوجة الفقير عما تنميه في حياتها قالت : أن يبقى زوجي فقيراً كما هو حتى نعيش سُدءاء ، لأنه إذا استثنى ذأول ما يفكر فيه هو الزواج ؛ والغالب أن يخصص الثروة بأكثر من واحدة لكل واحدة بيتاً ويساوى بينهما في جميع الحقوق ، فيبيت عند كل واحدة ليلة ، ويكسوهن في موسم واحد ، إلى غير ذلك من الواجبات المنزلية ،

والمرأة قلما تترض على هذا الزوج وإن كانت تمجد على ذلك بطبيعة فطرتها ، ولكنها تعلم أن هذا حق من حقوق الزوج يستعمله

والطلاق كثير الانتشار في البلاد العربية بين الأسراء والأعنياء فقط . أما الفقراء فأكثرهم يحافظ على زوجة واحدة يقنع بها ويميشان معاً في ظل السعادة والمناه . وقد يطاق الرجل أسرته فتزوج من أحيه ، وقد يطلقها هذا فترجع إلى زوجها الأول ، وأسراء العرب وشيوخ البادية على الموسم كثير الزواج سريع الطلاق

ويجب أن نذكر هنا بمزيد الإكبار والإجلال أولئك التسوة اللاتي اشتهرن بالمقل والحكمة وسداد الرأي ، وكان لهن دور عظيم في بناء الملك وسياسة الدولة ، فمن أولئك زوجة الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ، فهي التي كان لها الفضل الأول في التقارب بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الإمام محمد بن سعود ، وتحبيب الدعوة الدينية إليه ، وإليها يرجع الفضل أيضاً في تثبيت محمد بن سعود وتقوية عزيمته عند اشتداد الكروب وتآلب الخصوم والأعداء ، ونذكرنا هذه السيدة بأسمائها من ساء العصر الأول في إحياء المزايم وإذكاء النشاط والحاسة

وإن شأن المرأة في نجد خير منه في الكويت والبحرين ، فقد بلغ الامتهان بالمرأة في هاتين المدينتين أنه إذا ورد ذكرها في الحديث قالوا : أكرمك الله أو يكرم من سمع كالو نحدثوا عن حيوان ، وقد يبالغ الجمل ببعضهم ويقول : أمى أكرمك الله ، كان أمه شيء خيث ، على أن هذه المادة قد أخذت تتلاشى ، فالأولاد للتملون لا يستملون هذه الألفاظ

والمرأة في بلاد العرب على الموسم إذا أس أهلوا حلاً في سيرتها فلا يصلح هذا الخلل إلا التخلص من حياتها ، والحاكم لا يرى من حقه التحقيق في هذا الموضوع ، بل يفرض دائماً أن الأقارب محقون في عملهم ، أما الولد فلا يصيبه شيء من الجزاء ، غير أن الشريعة كفيفة بجزاء الخطي في الماتين في البلاد التي يسودها سلطان الملك عبد العزيز .

ويجب أن نقرر هنا أن ما يجري في البلاد العربية من معاملة النساء في الزواج والطلاق واليراث أكثره متأثر بالعوائد أكثر من تأثير الدين ، فالدين الإسلامي قد أعلّى شأن المرأة وحصلها مساوية للرجل في كثير من الحقوق في الوقت الذي حرمت فيه المرأة من كثير من حقوقها في الديانات الأخرى . ولقد نقل لنا كثير من أحكام الدين ، كما نقل كثير من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المنزلية بواسطة زوجاته . ولقد سمع كثير من النساء في القرون الأولى والمتوسطة في البلاد الإسلامية الشرقية والبلاد الأندلسية ، ولكن لما أصاب الانحلال الخلق والديني المسلمين سرى هذا الانحلال إلى المرأة أيضاً وإلى حقوقها المقررة في الشريعة .

الطب في بلاد العرب

لا يزال الاعتماد في بلاد العرب وسواحل خليج فارس العربية على الطب القديم وتحارب المحربين ، ويرجع الفضل في إجماع الأطباء الحديثين في بلاد العرب إلى الأسريكان ، والإنجليز في البصرة وخليج فارس ، وإلى الأتراك في الحجاز واليمن والاحساء ، ولذلك عبد العزيز في نجد ، كما يرجع الفضل للحكومة البريطانية وللتurكية في إجماع نظام الكورنيتينات في جميع السواحل العربية لوقاية السكان من الأمراض الفتاكة وحصر المرض في دائرة ضيقة ، ومع ذلك فالعرب على العموم لم يقبلوا على التطبيب الحديث إلا في الجراحة فقط ، وهذا من نحو عشرين سنة فقط . أما في الأمراض الباطنية فلا يكادون يمتنعون بفضل الطب الحديث ، ولا يزال القسم الأكبر منهم يعتمد على الأعشاب وعلى معالجات ابن سينا وتلاميذه .

وقد كان ولا يزال كثيرون يحترمون التطبيب العربي ، وكان منهم رجال مشهورون بإخراج المظام المكسورة وتركيب عظام غيرها بدون استعمال البتج بالطبع ، وهم يستعملون السكي^(١) في كثير من الأمراض ، ولا سيما الكلب ، وفي الإصابة بالرماح يستعملون نوعاً خاصاً من السكي ، وهو أن تحفر حفرة صغيرة ثم تشعل فيها النار ، حتى إذا خفت حرارة النار وضعوا المضو المصاب داخل الحفرة بطريقة خاصة ؛ وهي وإن كانت من العمليات الشاقة ، إلا أنها في الغالب يعقبها الشفاء .

وهناك نوع خاص من تطبيب الحيوانات في البادية : فأولها العزل ، وهو يستعمل في الخيل والجمال ، فإذا أصيبت ببعض الأمراض الفتالة المذبة عزلوا السليم إلى أماكن بعيدة ، وهذا نوع من الكورنيتينة القطرية ، وهناك مرض يصيب النعم يسمى (أبورمخ) يسلل الحيوان ثم يموت سريعاً ، فالبسودو يذبمون الحيوان الميت ويحفقون رقبته ، ثم

(١) غير أنهم يفرطون في استعماله ، فهم يكادون يستعملونه في كل مرض ، ولد روى من أبي سلمة أنه عليه وسلم الإباحة والله ع . بهي عنه إذا أمكن التداوي بنيره وإذا لم يمكن التداوي نيباح

يأخذون من الرثة المحمفة قطعة صغيرة ويشرطون بالشرط أذن الحيوانات السليمة ، ثم يضعون قطعة مما أخذوه فوق الأذن فتسلم الحيوانات من العدوى ، هذا معروف في كل المادية تقريباً ، وهناك مرض فتاك يسمى (العاقوش) يصيب الخيول ولا دواء لها إلا عزل الحيول الصحيحة في أماكن بعيدة ، أما التفقيح ضد الجدري فقد انتشر كثيراً في البحرين والكويت والإحساء وقد أخذ ينتشر في السنين الأخيرة في نجد والحجاز وبرجيم الفصل في انتشاره في داخلية نجد المحمودات التي يبدلها الملك عبد العزيز ، وقد كان لعلماء مباحث طويلة فيه ، وفي أنواع التفقيح ضد الطاعون ولشكوليرا وغيرها ، هل هي جائزة أو غير جائزة ، ولا يفهم من هذا أن هذه المباحث كانت من علماء نجد فقط ؛ بل إن علماء البحرين والإحساء ومصر كان لهم محاولات طويلة في هذا الموضوع ، ولم يقل أهل عمان وضع كرتية عند دم وفاية من القادمين من البصرة حين انتشار السكوليرا ، ولم يقل أكثرهم التطعيم من الجدري وقت انتشاره ، ولا تزال هذه الأمراض تفكك بالسكان الجبلية من وقت لآخر .

ومن البذاهة في بلاد واسعة كجزيرة العرب لم ينتشر فيها ذبوع الطب الحديث أن يسود سوق التجارب وجهاً المفيد النافع والضرار القذى لا تؤمن نفسه ، فمن الأدوية الشائعة للأمراض السمعية ، ولا سيما الأمراض العصبية كتابه سورة من القرآن في سخن ثم سمى الكتابه ماء القوي ، ثم فيها الخريش ، وفي "بحرين والكويت يتخذ بعض الأفاقيين هذا النوع من الدواء من نخارة راجحة ، ومن الأدوية الشائعة فيها لكثير من الأمراض حتى للقروح السمعية أن يذهب أحد أثرياء الخريش وسمه فجان مملوء بانه أو السن ثم ينف على باب المسجد لينفش به كل المصابين عند خروجهم من المسجد ، ففهم من ينف بلا قراءة ، ومنهم من ينف بعد قراءة ما يريد من قرآن أو دعاء . وقد كانوا ولا يزالون ينهون عن تنظيف العين المصابة بالعدوى الذي يسمى « أبو طيبي » ، ويكتفون بمنع الطفل المريض من بعض المأكول ، وقد كانت النتيجة إصابة الكثير بالعمى أو غيره من الأمراض .

وربما كان لأول مره وصفت لأحد المرضى بالكويت سنة ١٣٢٣ هـ (١٩١٤ م)

النفل المكرر بالبوريك ، فكانت النتيجة شفاء الطفل بعد أيام قليلة ، فكثير استعمال البوريك بعد هذه الحادثة في الكويت . على أن البعثات الأمريكية والانجليزية في البحرين والكويت والصرة وسائر السواحل العربية فضلاً كثيراً في تحييب الطب الحديث إلى الناس ؛ ولكن هذه البعثات بما يحيط بأعمالها من أغراض دينية جعل الناس يتعدون عنها ، وجعل فريقاً من الناس يهتمونهم بالشىء لعداوة الدينية المتأصلة . ويدأون مرمى الأطفال بالحصبة بمجرى في حُجَرٍ مظلمة لا تداعلها الشمس ورحمة الأطفال حية تامة عن جميع المآكل . ويدأون اليرقان الذى يسمونه « أو صُغَيْر » بالكى في أصابع اليد والرجل . ومن العقائد الشائعة في البلاد العربية أن الجروح تشم أو تتأثر بالروائح المطرية فتتفخ وتؤذى المريض ، ولذا فالجرى يضمون قطعة من الخليليت في خرقه يسدون بها أفواههم حتى لا يشموا أو حتى لا يتأثر الجرح بالروائح الطيبة .

ومن الشائع أيضاً أن لحم بقر الوحش يخرج الرصاص من الجروح ، فإذا أصيب أحد برصاصة في حرب واستمعى عليه إخراجها ، أكل قطعة من لحم بقر الوحش اعتقاداً منه بأنها هى الدواء الوحيد لإخراج الرصاصة من الجرح ، ولذا فمن آخر الهدايا أن تقدم بكرة وحش ، وما أقلها في بلاد العرب مقددة إلى أحد الأسرء لأن ذلك يقوم مقام مستشفى كبير للجراحة .

ومن الأدوية الشائعة المعروفة عندهم أن أكل المارة سبعة أيام على الريق يشفى من الدمل ، وفي بلاد العرب استعمال المجاجين لاكتساب الشيخ شاط الشباب ؛ ولذا فإذا ما قدم أحد من الهند أو من السواحل أو قدم أحد الأطباء لزيارة السواحل العربية ، كان أكثر ما يلقي عليه من الأسئلة ، وما ينال عليه من الطلبات هو هذا الدواء .

ومما يناسب ذكره في هذا الموضع قصتان وتما على شخص الملك المرحوم عبد العزيز ابن السعود : الأولى في أواخر سنة ١٣٤٢—١٩٢٢ ، والثانية بعد الأولى بصفة أشهر : أصيب الملك ابن السعود بمرض صغير في شفته ، ولما أهملت العناية بهذا الجرح الصغير حصل تقحح شديد في الجرح وسبب حتى شديدة كادت تؤدى بحياة الرجل ، فاستعملوا كل أنواع العلاج المستعملة في نجد من كي وغيره ، فكانت الحالة تزداد كل يوم خطراً ، فدعى الطبيب الأمريكاني

من البحرين الدكتور (ديم) فعمل له عملية جراحية بسيطة شفى بعدها بعد أسبوعين ،
فكان هذا خير شاهد لفضل الطب الحديث

الحادثة الثانية أصيب جلالتة برمد حاد ، بعد أن طال علاجه على يد الطبيب ، اقتنع
بالملاج المحلي الذى كانت عاقبه ظهور قرحة في العين ، غير أن الطب الحديث أصلح ما أفسد
الملاج المحلي^(١) ، فاد العين شيء من قوتها وبورها .

وبعض أسراء العرب وشيوخهم لم ينام بالطب الباطنى القديم ، فشكل واحد منهم
مصحرات خاصة يستعملها لنفسه ويشير بها على أصدقائه وعجبه . وقد كان المرحوم
الإمام عبد الرحمن والله الملك عبد العزيز ملماً بكثير من المعارف الطبية المتبعة من قانون
ابن سينا وتذكرة داود وأشباهها ، وقد كان يرجع إليه في بعض الأمراض فيصف لها ما يعرفه
من الدواء ، وقد ورث عنه المرحوم جلالة الملك عبد العزيز بعض هذه المعارف ، كما ورث
عه بعض هذه الوصفات ، فهناك وصفة يستعملها الملك عبد العزيز على الريق حضراً
وسفراً ، وهى مزيج من خشب العود والصبر والمسطكا تخرج بالتساقى .

ومن لطائف الطب التجربى القصة التالية الشائعة في البحرين ، ولعلها مختلفة للدلالة
على بساطة أهل البحرين : كان يسكن جزيرة المَحْرَق رجل مُسَيَّن مصاب بالذئبتاريا
المزمنة حتى بنس منه أهله وبنوه ، ولم يفكروا في عرضه على الطبيب ، لأنهم ممن لا يؤمنون
بدائدة الطب ولا بملاج الطبيب . طلب هذا الشيخ من ولده وقد كان ملاحاً أن يصحبه
في سفينه ليستنشق الهواء ويدع هذا العالم ، وصلت السفينة المنامة ، وهناك ترك الولد
السفينة وفيها والده لقضاء حاجة في السوق ، وفى أثناء غيابه حضر عبد من عبيد شيوخ
البحرين الممينين للسفينة ، فسال الشيخ السن عن البحار لأن لديه فناً (برسيا) فأخبره
الوالد بأن صاحب السفينة في السوق ، فاستكثر السيد هذا الجواب ، فنزل عليه بالمصا بدون
رحمة ولا شفقة ، فقتل الرجل من شدة الألم إلى البحر ، وبقى في البحر حتى جاء ابنه الذى
نقل البرسيم في سفينه إلى الجزيرة الثانية ، ونقل والده أيضاً إلى البيت ، فأما الوالد فقد
شفى بعد هذه العملية من مرضه ، فاعتقد أن ظروف الحادثة هى التى شفته من مرضه

(١) ويجب أن تذكر عزيز الاحقر الهارة التى أجراها أحد الأطباء للسرين المرحوم الدكتور سالم
متداوى ، وللهارة الفضل الأكبر في نجاح العملية

المتنص ، وصار يصف لكل مريض مصاب بالنوستاريا أن يذهب في السفينة ويبحر عليه ما جرى عليه .

وقد أخبرني على القهد الخالد من كبار أهل الكويت . أن رجلاً أصيب بقرحة استصعبت على الدكتور « نيت » الطبيب الأمريكي بالبصرة وأشار عليه بقطعها ، فذهب إلى مزرعته بالبصرة يسود الحزن والغم على هذه المصيبة ، فلما رأى أنه إحدى الفلاحات استكشفت أمره وهي تعبه مرهقاً مرهقاً ، فأحضرها بأمره وأمر الطبيب وبأن حياته في خطر ، فقالت لا تخزن لقد حوت الطبيب نحو شهرين أملاً تحرب دوائ أسوعاً ، فبعد تردد قبل ، فأحضرت له مرهماً من مختلف الأعشاب ، ولم كانت دهشته حين شفى تماماً بعد أسبوعين ، وقد عرض أمره على الدكتور بنت فوجد القرحة قد زالت تماماً ولم يبق أى أثر للتقيح ، وأخبرني المذكور أن الدكتور حاول أن يتعرف الأعشاب المذكورة ليختبرها علياً وعرض جائزة كبيرة على المرأة فلم تبيح له بسرها .

وهناك نوع من الطب له صفة التقديس ؛ وهو ما يسمى بالطب النبوي ، فقد ورد في البخاري وغيره من كتب الحديث بعض الأدوية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعملها أو يوصي باستعمالها ، فأخذت هذه الوصفات صفة التقديس ، وكثير من هذه الوصفات لا تسكر فائدتها ، ولا يزال الطب الحديث يأخذ بقسم منها . ولقد تكلم العلامة ابن خلدون على الطب النبوي في مقدمته فقال : والبادية من أهل العمران طب يسونه في غالب الأمر على تجربة مقصورة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحلي وعجمائهم ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على فائدته طبيعى ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون : مثل الحارث بن كلدة وغيره ، والطب المقول في الشرعيات من هذا القليل ، وليس عن الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عادياً عند العرب ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بحث لتحليلنا الشرائع ، ولم يبحث لتعريف الطب ولا غيره من العادات ، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة على أنه مشروع ، فليس هناك ما يدل عليه ، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، فيكون من آثار الإيمان وليس من الطب المزاجي

ورأى ابن خلدون وإن كان يحد له أنصاراً ممن ضربوا بسهم في العلوم الطبية الحديثة ، فإن أنصاره قليلون في جزيرة العرب .

وإن سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٣ م تعتبر فتحاً جديداً للطب الحديث في جزيرة العرب ، ففي هذه السنة عين الملك عبد العزيز أحد الأطباء السوريين طبيباً حاصلاً له وللقصر أيضاً ، ولما تم جلالته فتح الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م نظم الإدارة الطبية فيها على أحدث الطرق ، وجعل شعباً في نجد والاحساء وغير فصلا عن مدن الحجاز المهمة ، وهي تقوم بمهمتها خير قيام حسب ما تسمح به موارد البلاد المادية ، وإذا كنا نأسف لانحطاط المستوى العلمي الطبي في البلاد العربية فلا يجب أن ننسى فضل العرب وما قدموه للعالم في فن الطب والعلاج ، وما أسوه من مستشفيات لمختلف الأمراض في بغداد والشام والقاهرة والأندلس ، فلقد كانت جامعاتهم في أم المدن العربية مرجع الطلاب الأجانب كما هي حال جامعات الغرب اليوم ، وتقد ظل الطب العربي مرجعاً للعالم مدة غير قصيرة إلى أن حلت النظريات والتجارب الحديثة محل النظريات القديمة .

ومجربنا ونحن نكتب للتاريخ والحقيقة أن نذكر الخطوات الواسعة التي تسهر بها إدارة الصحة في المملكة العربية السعودية ، والبلاد العربية الأخرى مثل البحرين والكويت فقد شيدت المستوصفات في كثير من البلاد التي كانت محرومة كما أسست بعض المستشفيات في بعض الأنحاء الثانية . وودست سنة حسنة في إنشاء المستوصفات القنالة أو الطبيب الرحالة للتنقل من بلد إلى بلد آخر فقد أدت هذه الطريقة إلى النهوض بالحالة الصحية نهوضاً لا ينكر . وبما حبذا لو أن إدارة الصحة تملن حرباً لاهوادة فيها على الملايا في المناطق التي تنتشر فيها الملايا وتقضى في ذلك بالأطباء الأمريكيين في مناطق مناجم البترول على الخليج الفارسي . إنها بلا شك ستجد تمعيداً من السكان ومن الحكام المحليين ومن الحكومة المركزية . وإذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بحسبهم العلمي في الطب وسائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون بيدعة ، بل يعتبرون كمخنيين لهم أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن ، وقدموا للسان خدماً لا تنكر — إن ذلك دين في عنق العالم العربي يجب عليه رقاؤه . إن النشاط العربي والتطورات السريعة التي نراها في البلاد العربية تجبنا متتالين خيراً من المستقبل — فاقهم حق الآمال .

العلوم والمعارف في جزيرة العرب

إذا استنبينا بيوت بعض علماء نجد والاحساء ، فإننا نستطيع أن نقول : إن بلاد العرب كانت خلواً من المدارس ، منها العروف ؛ فالأترك لم يتركوا أنراً يذكر أثناء حكمهم في بلاد العرب من هذه الماحية ، فكل جهوداتهم انحصرت في إنشاء بعض مدارس ابتدائية صغيرة لم يكن الإقبال عليها يذكر لما كان يحوطها من الشبهات ؛ ففي إقليم الاحساء الواسع لم يؤسس إلا مدرسة صغيرة بعد إعلان الدستور الثاني . وكذلك الحال في اليمن والحجاز ؛ ولذا فالأمية تكاد تكون سائدة في جزيرة العرب ، وربما كانت أول محاولة لتثقيف العقول والقضاء على شيء من الأمية كانت من باب السيد محمد علي زينعل رصاصاً في الحجاز ؛ فإنه في سنة ١٣٢٦ هـ وما بعدها قام بإنشاء مدرستين : إحداهما في جدة والأخرى في مكة ، ومع ما وضع في طريقه من العقبات وما أحبط بمشروعه من الشكوك من الأتراك والأشراف فإن هذه المدارس قد قامت بنصيب وافر في الحجاز ، وربما كانت الشيء الموجودة في الحجاز اليوم هي من غرس هذه المدارس .

وهذه المدارس وإن كانت تسير في التسليم على الطريقة القديمة التي ترتكز على الحفظ لا على التفكير ، فإنها كانت المدارس الوحيدة في الحجاز . على أننا لا ننسى هنا بعض المعاهد التي أسسها المهتود في مكة والمدينة ، فإنها قامت أيضاً بنصيب يذكر ؛ وكل ما كان في الحجاز هو حلقات الدروس في المسجد الحرام على نظام التدريس في الأزهر قديماً ، ولم يكن العلماء يلحون إلا ببعض العلوم الشرعية والقنوية .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ أسس أهل الكويت مدرسة سموها المدرسة الماركيتية ، لأنها أسست في عهد الشيخ مبارك الصباح ، وفي السنين الأخيرة نشطت البلدة نشاطاً عظيماً في فتح دور العلم وإرسال الطلبة إلى مصر وأوروبا للاهتمام من موارد العلم في مختلف فروعها .

وفي سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) أسس أهل البحرين مدرستين : إحداهما في جزيرة المحرق ، والأخرى في جزيرة المنامة ، كانت التعليم فيها لا يتعدى تعليم القراءة

والكتابة ومبادئ النحو والحساب والجغرافيا . ولقد أراد المصلحون في الكويت والبحرين والمحاز إحداث انقلاب في التعليم يرسى إلى إيجاد شبان مفكرين متورين بصلحون أن يكونوا نواة صالحة للمستقبل ، ولكن العقبات كانت كثيرة ، وأكثرها قائم من الجامدين الذين يعتقدون أن كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة .

لقد قام في الكويت والبحرين ومعد ضجة عظيمة من جانب العلماء على القول بكروية الأرض وحركتها ، وتعليم الفئات الأجنبية ، مما يذكرها بحوادث المصور الأولى ، ولولا أن السلطة نقص هؤلاء لأزغوا من العقومات بمحسومهم ما لا يقل عما وقع في القرون الوسطى في أوروبا .

ولقد تطورت حالة التعليم في الكويت والبحرين وسائر البلاد العربية تطوراً حسناً ، فأنشئت إدارة خاصة للإشراف على التعليم ومنحه العناية الواجبة ، واختير لإدارته في كلا البلدين أحد أعضاء الأسرة الحاكمة المرويين بالاهتمام بأشجار العلم ، ولقد سادت روح التعليم المصرية المبنية على نمو الفكر الطريقة القديمة المؤسدة على الحفظ وتقوية الذاكرة .

وفي السنوات العشر الأخيرة زاد عدد المدارس زيادة كبرى في كلا البلدين وأرسلت البعثات العلمية إلى العراق وسوريا ومصر للاغتراف من مناهل العلم العذبة ، كما وفد على الخليج الفارسي بعثات منتدبة من حكومتى مصر وسوريا لمساعدة حكومات الكويت والبحرين لتهوض بالعلم والتعليم ، فأدى هؤلاء الرسالة العلمية والتهدبية على أتم وجه .

واقصد شاهدت لأول مرة الرياضة البدنية يعنى بها في تلك البلدان وأصبحت محل العناية اللائقة بها ، فالقليل السليم في الجسم السليم . وعما لا شك فيه أن انتشار التعليم وتطوره سيكون له أثر فعال في مستقبل العرب عامة وهو وحده الكفيل بتقارب البلدان العربية وتكون رأي عام عربى صحيح .

إن الحالة في المحجاز في أيام الشريف حين لم تكن تختلف كثيراً عنها في أيام الأتراك ، فعلم وضمت أسماء كبيرة : مثل المدرسة الراقية والزراعة والمحربية وغيرها من المدارس ، فإنها كانت أسماء لا تطابق الحقيقة ، وما هى إلا ملاء لا يحوى من ورائة شيئاً وفي أيام أول عهد الملك عبدالعزيز ابن السعود قامت حركة لا بأس بها في التعليم ولكنها

أقل بكثير مما كان ينتظره الناس من رجل عظيم مثله ، على أن هذه المدارس التي أسست بالحجاز لا يشمل برنامجها أكثر من برنامج المدارس الابتدائية الأخرى ، والتعليم فيها سائر على الطرق القديمة البالية من الاعتماد على الحفظ دون التفكير .

وإننا نسوق القصة التالية لتعلم مقدار الصعوبة التي يعانيها الملك ابن السعود ويعانيها أي مصلح يريد النهوض بالتعليم :

في أوائل شهر يونيو سنة ١٣٤٧ - ١٩٢٧ قامت ضجة بين علماء الدين البعدين ، واحتشروا في مكة ؛ وسد التشاور فيما بينهم وضوا قراراً يحتجون فيه على إدارة المعارف في مكة ، لأنها قررت في برنامج التعليم أولاً تعليم الرسم ، وثانياً تعليم اللغة الأجنبية ، وثالثاً تعليم الجغرافيا التي منها دوران الأرض وكرويتها .

ولما كان لي شيء من الإشراف على إدارة المعارف ، فقد تذاكرت مع جلالة الملك في الموضوع ، فرأى من الحكمة أن أجمع بكبار المشايخ وأبحث معهم الموضوع ، فاجتمعت معهم ودار الحديث على الصورة الآتية :

حافظ : لقد أصرني جلالة الملك أن أحضر عندكم لأشرح لكم حقيقة المسائل التي رأيتم إغاثتها من برنامج التعليم ، إنكم تطعون مبلغ حيي لكم لأنكم من أنصار السنة ، الأحاديث والاجتهاد ، الرادين كل قول يخالف القرآن أو السنة الصريحة ، وقد مضى الزمن الذي كان قول العالم مهما كان حجة ، ولا أعتقد أنكم تريدون منا أن نقبل كل ما تقررون بدون مناقشة ؛ فإن ذلك لا يتفق مع الروح التي تدعون إليها ، ولا معنى لأن نميب على الناس اتباعهم لمثلهم من غير حجة أو دليل ، وهنا نسير على نفس النسق .

أحد المشايخ : إن ما قلته حق وصحيح ، ولكن لقد بينا للإمام عبد العزيز الأدلة والمناسد التي تقترب على تقرير هذه العلوم . أما الرسم فهو التصوير وهو محرم قطعاً . وأما اللغات فإنها فريسة لقوتوف على عقائد الكفار وعلومهم الفاسدة ، وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا وعلى أخلاق أبنائنا ، وأما الجغرافيا فيها كروية الأرض ودورانها ، والكلام على النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأكبر علماء السلف .

حافظ : أما الرسم فليس هو التصوير لأن المقرر في المدارس الرسم أي التخطيط ، وهي

معلومات أولية ، انمضى منها تعليم الأولاد الدقة ومعرفة المسافات على المخروطات ومواقع البلدان ، وهذا أمر لا شيء فيه ، وقد اشتغل به كثير من علماء السلف ولم يبلغ الأولاد درجة تمكنهم من التصوير ؛ لأن علم التصوير هو من العلوم العالية التي تحتاج ممارستها إلى وقت طويل ودراسة واسعة . أما اللغات الأجنبية فقد كان كثير من الصحابة يعرفون لغات عصرهم ، ونحن في هذا العصر أصبحنا الحياة على مخالطة الأجنبيات ، فبدلاً من أن نتخذ لنا مترجمين لا نشق بهم نمتد على أولادنا ونطعمهم اللغات ، أما علوم الإفرنج : فمنها ما هو صالح بصبح أن نأخذه ونتمسكه ، ومنها ما لا يتفق مع ما نعتقد فرفضه ، وعلوم الإفرنج التي تقولون عنها قد ترجم كثير منها إلى اللغة العربية في مصر وسوريا والعراق ، فالجمل باللغات لا يمنع الناس من الاطلاع على ما كتب وترجم إلى اللغة العربية . وإن الحرف على العقيدة الإسلامية هورمى لما بالاضف ، لأن العقائد يجب أن تكون كالبيان المتين لا تقوى عاديات الزمن على زلزلتها ، ونحن نعتقد أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا امتزجت بالهدم وتمسكت مشاعر النفس ، فلن يقوى أي شيء على زعزعتها

أما الجغرافيا فإنا لا نعلم الأولاد منها إلا ما يتعلق بوصف البلدان ومواقعها وجاصالاتها ، وما يهتأ منها من الوحة التجارية والمالية ، وما عدا ذلك من المسائل فانه لا يعلم في المدارس على أنه عقيدة دينية يجب الأخذ بها ، بل على أنه نظرية مقررة

وهنا يحسن قبل أن أختم كلمتي أن أقول لحضراتكم : إن مسألة سد الذريعة قد وسعت بدرجة قصت على كل معنى مقصود منها ، فحضراتكم كلما أردتم منع شيء قلتم سداً للذريعة ، فما قولكم في المنع والنزير يستخرج النحر منها ، والحكومة قد ضبطلت في بلد الله الحرام من يصنع النحر من هاتين التاكتين ، وقد وقع مثله في عصر الصحابة ، ولم يقل أحد بقطع أشجار الكروم والنخيل

فما رأي حضرات المشايخ أن البحث طال قالوا : لقد قررنا ما نعتقد ورفضناه إلى الإجماع ولست في حاجة إلى الجدل النعي عنه شرعاً ، فإن قبل الإجماع ما رأينا فالحمد لله ، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها

لقد وقف جلالة الملك ابن السعود على هذه المناقشة واقتنع بشاقب فكره أن ليس

لدى العلماء دليل ديني يصح الاعتماد عليه ، فلم يراقبهم على رأيهم ، واستمر تعليم الفئات
والرسم والجغرافيا كما كان هذا ما كان قبل ربع قرن مضى . أما اليوم فقد أنشئت وزارة
التعليم وضوعف عدد المدارس الابتدائية والثانوية وأرسل إلى الخارج عدد كبير من الطلبة
لإتمام دروسهم العالية كما أحضر عدد كبير من الأساتذة للاستفادة من تعليمهم
ومع شيوخ الأمة في بلاد العرب فإن بعضهم يتفنن في طريقة ضبط معاملاته
أو حساباته مما يدل على ذكاء كامل أو بساطة في التفكير

لقد شاهدت في الكويت رجلا من أهلها الأميين يصور علاقه (زبانية) بصور
محلقة : يصور أحدهم جلا ، والآخر حاراً ، والثالث فرساً ، وهو في ذلك لا يكاد يخفى ،
وهو لو صرف بعض وقته في تعلم القراءة والكتابة لوفر على نفسه مؤونة الإحتراف . أما
الآخر وهو يمت إلى العائلة الحاكمة بالكويت فقد كان مشهوراً بالعمل والحرص ؛ ولكي
يكون أميناً على نقوده من اختلاس أبنائه كان يضع في زاوية من زوايا بيته عدداً من
الطوص يساوى عدد النقود الخبأة ، ويزيد ويقتص بقدر ما يقص أو يزيد من النقود ،
فلما اكتشف أحد أبنائه هذه الحيلة أصبح يأخذ ما يحتاج من القرامم مع ربع عدد من
الطوص مساوياً ، وقد لبث على هذه الحال مدة إلى أن صبغه والده يأخذ النقود ، فأحرق
الطوص من الركن إلى مكان آخر كي يأمن شرابه .

وقد كان علماء الاحساء والبحرين يفكرون على المدارس تعلم الجغرافيا والقول
بكروية الأرض ، بل وينكرون على بعض المعلمين قراءة الصحف السيارة ، غير أن
تقارب الأمم واحتلالها قد قضى على نفوذ هؤلاء في البحرين والكويت .

علماء الدين في جزيرة العرب

ليس في جزيرة العرب علماء بالمعنى المعروف في أوروبا ، وإنما يطلق لفظ العلماء على
الفارسين لم الدين الملمين بمسائل الفقه الإسلامي .

وفي جزيرة العرب على العموم تُطلق هذه الطليقة على نفسها طلبة العلم من باب التواضع ،
ويراد بالعلم في جزيرة العرب : التفسير ، الحديث ، الفقه ، أصول الدين ، علم العربية ،
التاريخ الإسلامي . وعلماء الدين في نجد أكثر إطلاعا في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية
من غيرهم من علماء الكويت والبحرين وعُمان ، وسيرتهم في القضاء والافتاء تشبه سيرة

العلماء المتقدمين ، كما أن حياتهم الشخصية في الورع والزهد يشبه سيرة علماء السلف المسلمين ، لا تأخذهم في الحق لومة لائم . وعلماء نجد أشجع علماء جزيرة العرب ولا يبالون في سبيل الحق ، وبعضهم وقوف تام على أحوال البلاد المجاورة لنجد . وهم يكادون يصرون أعمارهم في سبيل العقيدة الإسلامية ، والرد على مخالفينهم من الطوائف التي لا تنهج سبيلهم ، عبر أسهم في بعض الأحيان يمتنون كثيراً بالرد على بعض الفرق التي انقضت ولم يبق لها أثر إلا في كتب العقائد .

وشأن علماء نجد شأن غيرهم في هذا القرن ليسوا كطبقة الشيخ ابن عبد الوهاب في علمهم وتبصرهم ، بل شأنهم كغيرهم من علماء الدين في البلدان الأخرى يمتدنون في حياتهم العلمية على من سبقهم من المؤلفين ؛ ولذا فإن مؤلفاتهم ورسائلهم ليست كرسائل الشيخ محمد وبيه في متانة الأسلوب وحسن التصرف وكثرة المصادر التي كان يرجع إليها ، وهم لا يدعون الاجتهاد المطلق ، هم مقلدون للإمام أحمد وللإمام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وغيره . والعلماء الجزيرة على العموم المقام الأول عند الأسراء ، والنموذ العظيم في نفوس العامة ، ومع أن أكثر العلماء في جزيرة العرب أميل بطبعهم إلى الهدوء والبعد عن مظاهر الدنيا ، فإن بعضهم قد يفلو في حب الدنيا بل وقد يستعمل مركزه لقراء . وعلماء الرياض أشد علماء نجد بصفاً ومقياً للفقار والمتدعة من المسلمين .

في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) كنت مع الشيخ عبد الله بن حسن كبير علماء نجد ورئيس القضاء الآن في زيارة للشيخ في المدينة لمسرة ، فزلنا على ماء في وسط الطريق يدعى آبار بن حسان ، وهناك التقينا مستقربي (نيل إسلامه) وكان آتياً من ينبع ، فعد التحية دعوه لأكل مما فندما جلس معاً على لائحة سأل الشيخ : من هذا الرجل ؟ فقلت له : هذا نبي . فقال أهو نصراني ؟ قلت له : نعم . فقال : أعوذ بالله . أنقوم للمصراني ونمناقه ونهش في وجهه وتدعوه لأكل مما ؟ إن هذا كثير ، فلما سمع مستقربي ذلك قام منعا للشاحنة ثم أخذ الشيخ يؤنني على على .

فقلت : أيها الشيخ مهلاً . إننا نطمح في إسلامه ! جل وزريد أن نستيل قلبه ولا نفره من الدين ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جذب الناس إليه بحلقه الحسن وابن جلد

(ولو كنت قد عايت القلب لا نقضوا من حوائك) وإن الملك عبد العزيز كثيراً ما يقوم له وتغيره تأليفاً لم ودنماً لشرم ؛ وكثيراً ما يدعوهم إلى مائدته ، نقل : أما القسم الأول فحسن ، وأما الثاني فالملك قد يفعل الشيء المصلحة يراها وهو غير حجة في عمله وتصرفاته ، وكثيراً ما أنكرنا عليه هذا وأمثاله .

على أنى أرى من الواجب على أن أذكر أن هذا الرجل كان لي نعم الرقيق المواسى أثناء مرضي في المدينة ؛ لقد كان لا يرضى إلا أن يَسْتَقِي الدواء بنفسه كما أنه كان يصرف قطعاً من وقته في تخفيف آلامي وأسقامي مما يدل على ما نظر عليه هؤلاء من الإخلاص وطيب القلب ، لا يحملون حقاً لأحد . ولا ينضبون إلا حيث يستقدون أن منكراً أُقْرِفَ أو أن حقاً من حقوق الله قد ضيع أو أهمل .

وعلماء نجد يحرمون التصوير ودروس المنطق والفلسفة ، ولا يوجد لديهم من يعرف هذه العلوم ، وقليل من علماء نجد من يحيط بأسرار اللغة العربية وآدابها إحاطة تامة ، وقليل جداً من يعرف علوم البيان والاشتقاق أو أسرار البلاغة ، وقليل منهم المحيط بمجالات التاريخ الإسلامي أو التاريخ القديم ، فمعلوماتهم التاريخية لا تتجاوز السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، والتاريخ القديم لا يطو علمهم فيه الطبري وابن الأثير ، أما الاكتشافات الحديثة وما غير معالم التاريخ القديم ، فلا يكاد يعرف في جزيرة العرب كلها ، على أن هنالك روحاً جديدة في الأسرة المالكة في أبناء الملك وبعض أشقائه في اقتناء الكتب الحديثة وحسب الإطلاع على المؤلفات الحديثة في التاريخ والقانون وآداب اللغة العربية .

ونرى واجباً علينا أن نقول : إن الملك عبد العزيز لولا ما يحيط به من الصوبات من جهة استمداد شبه لاسر بيلاذه خطوات واسعة في سبيل نشر الثقافة وتمعيم التعليم ، وهو يفضل السير التدريجي على قدر استمداد الأمة ، ولهذا الاعتبار فإن الحالة العلمية في الحجاز ونجد أقل مما يجب أن يكون وينتظر من ملك حكيم كالملك عبد العزيز ، ومع هذا فإن حالة العلم في الحجاز ونجد أفضل من حالة بعض البلاد المجاورة كمان واليمن . وعلماء نجد يحافظون على القديم جداً ولا سيما ما يتعلق بالدين ، فهم يرون بقاء العقيدة سليمة كما وردت في الكتاب والسنة من غير حاجة إلى تأويل ، ويقولون :

لبننا ما وسع عصر النبوة وحير القرون ، وتري كتبهم ورسائلهم مشحونة بالرد على الترقق التي تمنح إلى التأويل أو تطبيق الطريقات الفلسفية في العقائد .

ومع أن العلم والملاء منزلة في عبوس شيوخ العرب وعامة العرب ، فإن الشيوخ قلما يعنون بتعليم أبنائهم وثقيفهم ، وتلما يعنون بتدريس الرماية والقوسية والصيد والقتل ، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً لأن ذلك قرين الجود والخيول وانتظار الصدقات . أما الإمارة فتربة الحركة والنشاط والتفكير .

والقصة التالية تروى في السكوت عن جابر الكبير حد الشيخ مبارك الصباح : فإنه حينما رأى أحد أبنائه يحضر محاسن العلم وصفه بإحلال العقل لأن الإمارة لا تجمع مع طلب العلم ، ولكن هذا القبي الذي اشتهر أول أمره بالفتوى وحب العلماء تغير سلوكه ، فاستبدل محلات الدروس محاسن الأنس والطرب ، وبالملاء أهل الملاعة ، وفسر والده من هذا التبديل وقال إن دم الصباح قد تآكل عليه ، فصيرهم للكلاب وكبيرهم قد تكون هذه القصة موضوعة على جابر ، ولكنها تسترأ صدق تعبير عن خلق كثير من أبناء الشيوخ : صغارهم مولعون بتربية الكلاب ، وكبارهم مولعون بالقتل والبطالة وديماً قال الشاعر :

إن الشاب والفرغ والمجدد مفسدة للره أي مفسدة

على أن من بين شيوخ العرب قديماً وحديثاً من شدد عن هذا السبيل فاشتغل بالعلم والأدب وقرض الشعر ورع في ميون الشرع حتى بذل نفسه ، ويسرنا أن نشوه هنا عما بدأ في السنين الأخيرة من اهتمام بعض الشيوخ بالأسانسة بتعليم أولادهم . لقد أرسل بعض شيوخ السكوت والبحرين أولادهم إلى بيروت والإسكندرية للتعلم في السكينة الأمريكية وكلية فكتوريا ، كما أن جلالة الملك عبد العزيز ما زال من وقت لآخر يبدى مزيد العناية بهذا الموضوع ويستعين برأي خبراء في أمر التربية والتعليم وقد أبدى الملك سعود نشاطاً ملحوظاً في نشر العلم وتشجيع المتفهمين من الطلبة كما أسس في أول عهده وزارة للتعليم نرجو أن تقوم بالواجب العظيم الملقى على عاتقها .

الصناعات في بلاد العرب

هي الصياغة والنجارة والحدادة والحياكة والقصابة وإصلاح البنادق والبيطرة وبعض أنواع الطبابة : كالخجامة والقصد والسكى وغير ذلك .

والصناعات على احتلامها معدودة من ثلثين الحصة التي نخط بقدر صاحبها ؛ ولها فالذين يحترفون هذه الصناعات . إما من غير العرب أو من العرب الذين لا يفتنون إلى أصول مشهورة أو غير قبيل . وما يدل على احتار الصناعات ألقاط السباب المعروفة عند العرب (يا ابن الصانع) إذا أرادوا تحقير إسان وسه بكلمة تكون يجمع السباب ، وهذه المناسبة يذكر أن الملك ابن السعدي يجمع كبير (وكان حائفاً على آل عابص حكاه ابنها السابق لما تكرر من حياتهم له) قال لأخذه هذه الكلمة ، فمدما اصرخوا وذهبوا إلى بيوتهم ابتدرته زوجته وقالت له : لا يمكن أن أعاشرك بعد الآن ؛ لأنك من أبناء الصانع لا من أبناء القبائل وابن السعد لا يكذب ، ولولا أن أهميت فيما بعد أن ذلك كان عن بادرة غضب ما أمكن أن تغتفع بالرجوع إلى بيتها .

ولقد ذك عبد الكريم السعدون بعد الله بك الصانع مدير الداخلية العراقية ، لأن عبد الله بك — وهو من ذرية الصانع — تجاسر على الزواج مائة أحد أبناء السعدون الأشراف ؛ ولقد عطف حلاله الملك عبد العزيز على موقف عائلة السعدون ، ولو استقطاع لتغير موقف القضاة في هذا الموضوع الذي حرر أحسن ناحية في حلالته .

وبهذه المناسبة أيضاً عند مذاكرتي في هذا الموضوع أخبرني للرحوم السيد رجب النقيب (نقيب أشراف البصرة) أنه في إحدى - ياحاته إلى بغداد أوصى أحد أصدقائه بأن يتوسط له في الزواج بابنة أحد الأشراف ، فكان ذلك الصديق يذكر له سيدة من بنات الأشراف المشهورين ببغداد كبيت ماسجي وجادزي وغيرهم ، فكان السيد يتمتع من القول ويقول : أريد الأشراف . وما كان صديقه ليفطن لما يريد السيد ، وأخيراً قال له صديقه : لقد عرضت عليك كل أشراف بغداد فمن تريد بعد ذلك ؟ قال : أريد

الأشراف ، قال : لا يوجد أشرف من هؤلاء هنا ، قال : لا ، أمت ذكرت لى أسماء الصاع وأنا أريد أصحاب الأساب ، قال : ها ! لو أخبرتى بذلك لأنتيك كل يوم بأسماء عشرين بدويًا من أقدر البدو ، لقد احترت لك أهل اللطافة والمدنية والطلاقة والكياسة ، أما لا أتوسط فى هذا الموضع ، اذهب إلى السماوة أو غيرها من البادية واحتر نفسك ما تشاء . . . وإن من له اتصال ببلاد العرب يقف على كثير من القصص التى تنتفع فيها فقيرات البدو عن الزواج بأعياء الحضر احتجاجًا بالنسب ، فقد رفضت إحدى البدويات الفروج بان لشرى حاكم الرعي أيام الأراك لآه من أبناء العبيد

ولا تزال التجارة فى البحرين من الحرف التى لا يصح اشتغال العربى الأصيل بها ، ولذا كانت الأيدى غير العربية هى القابضة على زمام التجارة فى البحرين ومن المريب أن العربى لا يزال يفعل رعاية الإبل والتمن والخدمة وراء الجير على البيع والشراء والصناعة أو فتح متجر لبيع والشراء

ومن الصناعات المشهورة التى يحترفها كثير من البدو والحضر عواسة اللؤلؤ ، وعواسة اللؤلؤ لها نظام خاص فى غاية الرابة : ليس هناك أجور معينة للعمل ، ولكن العمال يشاركون صاحب السمينة فيما يحصل ، فإلى بقوص له سهمان ، ولذى يخرج القواص — وهو ما يسمونه سيبا — له سهم ، وذلك على ما يخرجون خمس الحاصل قسمة وتمن الأكل والشرب ، ولا يمكن أن يقل أى عامل أحرًا سمينة لأنه يرد أن يحرق حظه مع صاحب السمينة ، إن كان قليلاً قليلاً ، وإن كان كثيراً فكثيراً وصناعة اموص من الصناعات الشائعة ، وهى تحرى حسب الطرق القديمة ولا تستخدم الآلات الحديثة ، ولا يقل عدد من يشتغل هذه الصناعة عن مائتى ألف عامل من العرب والإيرانيين لمدة خمسة أشهر . وموسم اللؤلؤ من أحسن المواسم وأجملها ، وفيه تنشط الحركة التجارية ، ولذا لا يمكن أن يتصور مقدار صيق أهل هذه الصناعة فى الأزمات الحالية لأن أكثرهم فقراء ، وليس لهم تقانات وشركات تعاوية مثل ما هو فى جميع البلاد المتقدمة

والطريقة المتبعة الآن فى عواسة اللؤلؤ هى طريقة الجبر : يربط حجر كبير بطرف الحبل ، فإذا أراد القاصص أن ينزل إلى الماء تمسك بالحجر ونزل إلى قاع البحر بكل سرعة ،

وإذا ضاق نفسه حَزَّ الحبل بيده ثم صمد بمساعدة رفيقه الآخر الموجود بأعلى السفينة والمتيقظ لكل حركة يأتيتها المائص . والنوص يشبه من جميع الوجوه ، بالمربعى فتجد في جهة مئات السفن ، بينما ترى بعض الجهات الأخرى ليس فيها سفينة واحدة ؛ وصاحب السفينة ينتقل من جهة إلى جهة وراء الحمار والؤلؤ ، وهالك في البحر تجدد التجار الذين يدعون « بالطواريش » ينتقلون من سفينة إلى سفينة لشراء ما يستحصل من الؤلؤ

وتقد اكتشف البترول في السنوات الأخيرة في أكثر بقاع الجزيرة العربية مسكان مصدر خير وبركة على البلاد رادت به موارد الثروة العامة ومكنت البلاد من الأخذ بنصيبها في نواحي الإصلاح المختلفة أسست المدارس الابتدائية والثانوية وأرسل الطلبة النابهون إلى مصر وأوروبا لغزود من مناهل العلم كما أسست الإدارات الصحية وشيدت الطرق والمجلمة تطورت البلاد تطورا سريعا لم تكن تصل إليه لولا وجود هذا المسكن الثمين

قصة البترول

في شتاء سنة ١٩٣١ وفد إل الكويت رجل بريطاني يدعى ميجر هولمز متنبها من الشركة الشرقية وهي شركة بريطانية تقوم بشراء الامتيازات وبيعها للشركات الكبرى وقد تمكن ميجر هولمز من الحصول على ثلاث امتيازات قيمة هي مناطق الكويت والأحساء والبحرين نظير مبلغ صغير هو ستة آلاف جنيه لكل امتياز وستة آلاف جنيه أخرى سنوية إلى حين العثور على البترول بصورة تجارية

لقد حصل ميجر هولمز على امتياز منطقة الكويت . والأحساء . والبحرين وذلك بمساعدة الأستاذ أمين الريحاني الكاتب القاسي المعروف

وبعد فترة وجيزة من التصديق على الامتيازات زار هذه المناطق بثقة من المهندسين الجيولوجيين وقد كانت مؤلفة من مهندس بريطاني من الشركة الامريكية وآخر سويسري ومهندس آخر بريطاني مستقل فرأت البعثة بعد زيارة هذه المناطق أنها لا تحوى نفولا مطلقا ولكنها غنية بالمياه الصالحة للزراعة . ولكن الشركة الشرقية لا تهتم بالزراعة ولذلك فقد أمنت امتياز الكويت والأحساء وتمسكت بامتياز البحرين فقد عز عليها في أول محاولاتها في هذه المنطقة أن تحقق هذا الاحتمال النام وتخرج من هذه المحاولة بمحاربة لا تقل عن ثلاثين ألفا من الجيوش وهي شركة ليست من الشركات الكبرى ذات الاحتياطي الكبير للمدائل هذه الحوادث

تمسكت الشركة الشرقية بامتياز البحرين ولكنها لم تجد من شركات البترول البريطانية استعداد الشراء هذا الامتياز فيست شطر العالم الجديد وعرضت هذا الامتياز على شركة استاندر أوويل اف كالفورنيا فوجدت منها استعدادا لشراء الامتياز إذا رأى مهندسوها أن هناك نفولا في المنطقة المذكورة وقد تم لشركة الامريكية شراء الامتياز بعد أن تأكد مهندسوها أن المنطقة وإن كانت صغيرة ولكنها غنية بالبترول فكان هذا أول مفامرة

الشركات الأمريكية في منطقة الخليج بعد أن كان الخليج وإماراته من المناطق التي لا يجوز
لغير البريطانيين القرب منها

لقد حاولت الحكومة البريطانية منع الشركة من الحصول على الامتياز بحجة أن اتفاقية
الحماية تمنع شيوخ البحرين من منح امتيازات كهذا الامتياز لغير الشركات البريطانية ولكن
الشركة أسرعت فأست شركة خاصة في كندا لهذا الغرض فسقطت حجة وزارة الهند
وبالرغم من أن الأمانة التي كانت تمنحها حكومة البحرين كانت مثيلة لعامة إذا قيست بما
تدفعه أي شركة بقول أخرى إلا أن هذه الأمانة كانت سببا في نهوض البحرين وازدياد
الرخاء فيها وقد ارتفعت الأمانة تدريجياً حتى وصلت في العام الماضي إلى ٥٠ في المائة من
صافي الأرباح

إلا أن المستخرج من البحرين قليل إذا قيس بما يستخرج من الكويت وقطر فهو
لا يتجاوز للمليون ونصف المليون من الأطنان سنوياً . أما الكويت فقد تجاوزت الثلاثين
ألفاً بيد توقف الشركة الإيرانية عن التصدير بسبب الخلاف المعروف بين إيران وبريطانيا
وقد فشلت جميع الساعي التي بذلت لدى الشركات البريطانية لتمنحها امتياز بقول في
البلاد العربية السعودية لأنها كانت تستند أن لا زيت على الإطلاق في البلاد
العربية السعودية .

ففي سنة ١٩٣٢ بذل سمو الأمير فيصل مجيودات عظيمة أثناء زيارته ل لندن مع
وزارة الخارجية أوفى بعض الموائر المالية لبيع امتياز الزيت لاحدى الشركات البريطانية
فلم يشر سامي سموه كاشفت مساعيه أيضاً في الحصول على قرض تفرجه الحكومة العربية
السعودية أزمتها

وأخيراً وقد على البلاد العربية السعودية مستر لويدها ملتون موفداً من شركة استاندر
أويل أت كالفورنيا الحصول على امتياز لاستخراج البترول فحصل عليه بعد مفاوضات
قصيرة وقد ساعده كثيراً استئجار الشركة لتقديم قرض صغير للحكومة . وقد أرسلت شركة
البترول العراقية مستر لوبنجرج إلى جدة لمفاوضة الحكومة العربية السعودية في نفس المرض
الذي أوفد إليه مستر هاملتون ولكن هاملتون كان مطلق اليد فنجح حيث فشل منافسة

حيث كان مقبدا بتعاليم شركته . وهكذا بدأت صفحة جديدة من الرخاء في البلاد العربية
السعودية كما بدأت صحيفة أخرى من صحف المفامرة الأمريكية

لقد حرص المرحوم الملك عبد العزيز حرصا لا يعادله حرص في منع هذا الامتياز إلى
البريطانيين لأنه لم يتعامل أو يعرف غيرهم ولكن البريطانيين كانوا متأثرين بتقارير المهندسين
من جهة وبتقارير السر اندرويان من جهة أخرى ، وكلها كانت لا تشجع على استثمار
الأموال البريطانية في جزيرة العرب

الحكومات العربية

نريد هنا أن نتعرض أمام القارئ النظام الحكومي للإمارات والملاطات العربية ، والطريقة التي يدار بها الحكم في بلاد العرب ، وهي صورة مستمدة مما يفهمه العربي العادي من الحكومة ، وهي الصورة التي لا يفهم سواها شوخ العرب ، وسأذكر فيما يلي قصتين يتجلى فيهما كل ما هو واقع من الحقائق :

في شتاء سنة ١٣٣٣ (١٩١٥) كنت في ح.بث مع الرحوم الشيخ جابر الصالح أخي الشيخ مبارك شيخ الكويت : كنت أنكر فيه على الشيخ مبارك «داحة الضرائب وطريقة صرفها ، فإن الشيخ مبارك في أحريات أيامه خرج على كل مانوف من التقاليد الدينية والعربية ، وأحد يستهتر بكل شيء ، كما أنه وضع ضرائب على البيوت تقضى بدفع ثلث قيمة كل بيت يباع مما لم يعرف من قبل في بلاد العرب ، وكنت أشرح للشيخ جابر حديث . كلكم راع وكلكم مسئول عن دينه ، وإلى في حس الوقت لم أسس أن أذكر بعض الصعاب الطيبة التي امتاز بها الشيخ مبارك من غيرته على الكويت وأهلها ، ودفاعه عن مصالح أهلها والعمل لاستقرار الأمن وزيادة حركة التجارة فيها .

فقال الشيخ جابر :

إن كلامك كلام مُطَاوَع (أهل الدين) ما هي ميزة الأمير على الباعة وأصحاب الدكاكين يا شيخ حافظ ؟ أخذا كلمة جامعة الرعية مثل القم كلما طال صونها جَدَّ ذَنَاه . فقلت له : ولكن القم يا حضرة الشيخ نحتاج إلى من يعيها كي يتسكار نسلها ، وأنتم لا تكلمون بالصوف ، فإن القمص كثيراً ما يصيب الجلد ، فقال : إن الحاكم يجب أن تكون يده مطلقة في كل شيء ، في المال وفي الأرواح ، والرعية إذا استغثت وكثر ما لها طنت على الحاكم وربما أفنت من يده . فقلت له : أيها الشيخ ! إن الرعية والراعي متضامنان في حب الخير للبلد ، وليس أحدهما خصماً للآخر ، والحاكم والد الجميع ، ولا يولد الحزازات والضغائن سوى الجبروت . فقال : أيها الشيخ ! ليست هناك فائدة من

الناقشة ، فمن لا نهم من الحكم إلا ما أسلفناه لك ، وكلام أهل الدين قد سمعاه كثيراً في دروس الوعظ وخطب الجمع ، ولنا في حاجة إلى المزيد .
أما القصة الأخرى فقد حدثت في نجد بعد ١٩ عاماً من القصة الأولى .

في شعبان سنة ١٣٥١ - ديسمبر سنة ١٩٣٢ زارني أحد مشايخ البدو وأخذ يسألني عن أوروبا وما فيها من جمال ورجال وملحون وعشب وأمطار وغير ذلك ، ثم قال : هل عليهم شيخ مثل ابن سمود ؟ فأجبته إن عليهم ملوكا ، منهم الملوك الصغار ، ومنهم ملك بريطانيا الذي لا تمرب الشمس عن ملكه . فقال : وهل تعد عليه وفود ، وهل يحزل الهدايا لوفوده ؟ فقلت : إنه لا يعطى حرام لأحد ولا يند عليه إلا الملوك وكبار الرجال ، ولا يسمع إلا النياشين ، أما جنوده ورؤساء الجنود فاهم مرتبات خاصة يتقاضونها .

— لا بد أن يكون هذا الملك غنياً ما دام ملكه لا تنيب عنه الشمس ، لا بد أن تكون قصوره مربعة ذات مئذنين وأبراج كثيرة . فقلت : إن الملك لماثلته مرتبة خاصة لا يتجاوزونه ، والخرافة العامة تحت أمر وزير المالية وهو مراقب من مجلس الأمة ، فالخرافة يصرف منها أولاً على الموظفين الملكيين والصكرين ، ثم على الأسطول ، ثم على سائر المصروفات الحربية ، ثم التعليم والأشغال العامة والصحة وغير ذلك ، كل شيء من هذه الأشياء لها مبالغ مرصودة لا يمكن تجاوزها .

— هل يقتل الملك الناس ؟ فأجبته : إن ملك إنجلترا كثر ملوك أوروبا الآن لا يباشرون الأعمال بأنفسهم ، فالمحكمة إذا حكمت بالقتل فالملك يأمر بالتنفيذ وقد ينفو عن القتل فيستبدل الحكم بالأشغال لمدة معينة ، أما الملك بدون محكمة فلا يستطيع أن يأمر بقتل أحد ، وليس بين الملوك وبين الناس خصومة حتى يأمرؤا بقتلهم .

— ليسوا هؤلاء ملوكا ، إن من لم تطلق يده على الخزانة ومن تكف يده بهذا الشكل فليس بملك .

هذه هي الروح السائدة ومن هذه الروح تتكون الحكومة العربية ولا يستثنى من ذلك إلا البلاد التي كان يسودها النفوذ التركي ، فطريقة الحكم في الكويت والبحرين ونجد وقطر وعمان متشابهة ، وهي بسيطة ليس فيها من التعقيد ما في البلاد المدنية ،

ولكن صمان العدل يرجع إلى شخصية الحاكم وسهره وميله إلى العدل والإنصاف .

والشيخ أو الساطن أو الأمير هو الحاكم المطلق مصدر السلطات كلها ، إليه ترجع الدعاوى وهو يحولها بدوره إلى الشرع وما يحكم به الشرع بعد ، وفي المسائل التجارية يستأنس برأى التجار فتحول القضية إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة من التجار حسب أهمية القضية ، والشيخ بعد ذلك يأمر بتنفيذ الحكم ، وفي بعض المسائل الهامة يجمع الشيخ كبار الجماعة لأحد رأيهم وكثيراً ما يأخذ رأيهم هذا في الكويت وعمان أما في نجد فإن جميع القضايا تحول إلى الشرع فقط ، والقضاة أنفسهم قد يستأنسون بالعرف التجاري في البلد . كذلك كان الحال في البحرين إلى سنة ١٩٢٠ ، وبعد هذه السنة قد وضع للبلد نظام التقاضي خاص كما وضع لها نظام إداري حديد . وعلى كل حال فالشرع لا يزال ينفذ على الوطنيين ما عدا الحدود الشرعية

والبلدة إن كانت صغيرة مثل الكويت يمين الحاكم لها أميراً للسوق لفصل في القضايا الصغيرة ولا سيما قضايا البادية ، ووظيفة هذا الأمير تشبه وظيفة مدير النوايس ، وإن كانت مقسمة الأطراف يمين لكل ناحية أمير من قبل الملك ابن السعود وهو بمحدد سلطة ، وسلطته لا تمتد إلى تنفيذ الأوامر الشرعية .

ورعما كان الأميران ابن مساعد وابن جلوي هما أكبر الأمراء سلطة ونفوداً ، فإن ابن مساعد يمتد نفوذه حائل إلى القصيم والجوف وما حولها من البادية ، ولأمير عبد الله بن جلوي يمتد نفوذه على مقاطعة الاحساء والقطيف والبادية المحيطة بها ، وهما يفرضان المقويات البدنية والمالية حسبما يريدان ، والغالب عليهما الصرامة في العقوبة

وليس من حقوق الأمراء التداخل في الوظائف المالية ولا التعرض لبيت المال بأي شكل من الأشكال ، ولكنهم إذا رأوا شيئاً من التنبه على الحكومة أو الأهالي فإنهم يرفضون الشكاوى إلى الملك وهو يبعثها ويأمر بما يراه ، ولم تكن لهذه الحكومات إرادات تذكر إلا ما يرد من زكاة الترع وما يؤخذ من البادية ، ورعما كانت أقل البلاد إراداً للحكام الكويت حتى سنة ١٣٩٤ — ١٨٩٧ أي قبل تسم الشيخ مبارك كرسى الحكم بعد اغتيال أخوية محمد وجراح ، فقد كانت شيوخ الكويت في ذلك

يتقاضون أشياء ضئيلة على التجارة لم يفرضها الحاكم على الأهالي بل فرضها الأهالي أنفسهم مساعدة للشيخ الذي ليست له موارد تقوم حاجاته وحاجات عائلته ، وكان شيوخ الكويت يعيشون مع الأهالي كاخوان لهم ، وكان مفروضاً على الدكاكين ضريبة ضئيلة أيضاً لقيام بنفقات الحرس في الليل .

وكانت البحرين كالكويت في أكثر هذه التدابير ، ولكن حكام البحرين كانوا أعمى وأعمى من شيوخ الكويت لكثرة أملاكهم في البحرين ، ولأن سكان البحرين أكثر وأغنى من الكويت .

أما حكام عهد السافون والخاليون فواردات الحكومة عندهم من الزكاة على الزرع والحيوانات ، وما كان يوضع على الحجاج من الضرائب ، وما يدخل بيت المال من خمس الجهاد ، وما يدخل خزانة الحاكم يصرف منه على حاجاته الشخصية وعلى الأعطيات التي يحود بها على الواقفين . أما المدارس والصحة ووسائل تنظيف البلد وتجميلها فإنه مع استثناء المجاز وعهد ، عهد الأهالي والحكام مشتركين في عدم الشعور بالحاجة إليها .

أذكر أن أول مدرسة نظامية أسست في الكويت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) كانت من تبرعات الأهالي وإحسان بنت آل إبراهيم ، ولم يدفع الشيخ مبارك شيئاً لمساعدة أول مشروع على في بلاده ، وقد تبدل الحال كثيراً في السنوات الأخيرة سواء في الإدارة أو في نظام الحكم وطريقته .

ليس في البلاد العربية ما عدا المجاز ونحداً جيوش لحمايتها من الطواري ، وكل ما هناك خمسون أو مائة نفر (لحماية الشيخ) ويقومون في البلد بوظيفة البوايس ، وهذا العدد ينقص أو يزيد تبعاً لما يحس به الشيخ من الضعف أو القوة في البلد وما يحس به من أبناء محومته نموه . أما إذا أصبحت البلاد في حالة حرب فإن الشيخ يضع على أهالي البلد نفقات وهم يوزعونها على البلد كل بقدر ما يستطيع ، والشيخ يوزع عليهم ما ينقص من السلاح والذخيرة .

ول البلاد التي لم يمتد أهلها الحرب والطمأن مثل الاحساء والقطيف وبعض بلدان المجاز يفرض عليها ضريبة تسمى إعانة الجهاد .

وبالنظر إلى قلة الواردات التي تستوفى باسم الحاكم ، فإن بعضهم لا يرى غضاصة من الاشتغال بالتجارة : كشيوخ عمان وخطر وبعض شيوخ البحرين الآن . أما شيوخ الكويت والبحرين قبل سنة ١٩٣٠ وأمرأه نجد فلم يسمع أن أحداً منهم اشتغل بالتجارة وهم يملكونها عيباً .

لقد كان المعروف في أكثر الملاد العربية أن كل من ينتمى إلى عائلة الشيخ يمكن أن ترفع إليه الدعاوى وهو يحولها إلى الشرع ، وحده يقومون بالتمديد ، ولما كان الشيخ لا يمتنع على هذا التصرف إرضاء لبق عجمته ، وفي الحقيقة كان هذا الضرب مبعثاً لقوضى ومصيحاً للمسئولية . على أن بعض الأحكام يأس من هذه القوة ويقبض بكلتا يديه على البلد ويمنع أى شخص سواء وسوى من يمينه لمباشرة الأحكام .

فالشيخ مبارك الصباح كان هو الشخص الوحيد في الكويت المرحع في الشكاوى ، وأحياناً كان يكل بعض المسائل إلى أحد ولديه الشيخ جابر أو الشيخ سالم .

والملك ابن السعود أشد من الشيخ مبارك في هذا ، لا يسمح لإحونه أو لأولاده أن يتصرفوا في أمر من الأمور بدون مراحته ، ولقد عين الآن النعل الأكبر الأمير سعود (الآن الملك) نائباً عنه في نجد ، والولد الثانى الأمير فيصل للحجاز وله الإشراف العام وقد ألف قبيل وفاته مجلس وزراء أصبح أساساً لإدارة البلاد .

ولقد كانت حماية الأفراد معروفة في بلاد العرب ؛ فالشخص الذي يريد الفرار من الحكم أو التخلص مما عليه من التبعة يلحق بخدمة أحد الشيوخ أو يحتج بظله أو يلجأ إلى بيته ، كانت هذه الحماية معروفة في البادية على أكل مظاهرها كما هي معروفة في المدن ، وكان الحاكم يرى من واجبه حماية من التجأ إليه ما دام يأس في نفسه القوة والمنعة ، فإذا رأى أن ذلك يجر عليه مشاكل تركه إلى حيث يجد السلامة ، أما تسليمه إلى من يطالبه فذلك محدود من العيوب التي لا تقتصر ، فإذا كان رجل مدينياً لأحد وأراد المدين أن يتخلص من المطالبة فما عليه إلا الاحتياء بأحد الشيوخ وذلك بخلاصه من المطالبة ، ولكن هناك من الشيوخ من لا يرضى بهذا العمل المزرى فيأمر تابعه بتسليم ما عليه من الدين أو يعارده من خدته والقتال إذا التجأ إلى بيت من البيوت الكبيرة فإنها لا تسفه إلى المطالبين بالدم ،

وم يحومونه أو يطفون سبيله إلى حيث يجد السلامة . وربما كان منشأ هذه احدية
الافتزاز بالمصيبة ، والحماية وإن قضى عليها في عهد والمجاز فلا يزال لها أثر عظيم
في بادية عمان

قلنا : إنه حتى سنة ١٨٩٧ لم تكن على سواحل البلاد العربية في الخليج الفارسي
جارك بالمعنى المعروف ، وكانت هناك ضرائب على البضائع لا تتجاوز ٣ ٪ ولكن كان
لكل كبير الحق في جلب ما يحتاجه من أرز وقمح وضوء وسكر وملابس بدون دفع رسوم
جمركية ، وكان أهل السفينة حين رجوعهم من الهند يحضرون حاجاتهم الضرورية معهم
بدون دفع رسوم جمركية مادامت لا تشمل في التجارة ، ويمكن أن يُعبر مدير الجرك
بقدم السفينة أو الشيء المطلوب السماح عنه ، وربما كان الشيخ مبارك أول أمراء العرب
على الشاطئ الشرقي الذين غلوا في زيادة الجمارك ، فقد زادت الجمارك حتى ١٠ ٪ على
بعض الأصناف

وقد اشتغل أحد أولاده بالتجارة ، وهو الشيخ ناصر المبارك ، وكانت تجارته مغطاة
من الضرائب ، فكان يصرنها في السوق ببيع الجرك فأثرى في مدة قصيرة ، ولكن والده
بعد احتياج التجار أمره بالامتناع عن المتاجرة أو يحصل منه الجرك أسوة بسائر التجار
ومن المسلم به عند العرب عموماً أن فرض الضرائب على التجارة حرام ، وم يطلقون
اسم المظالم على كل نوع من الضرائب غير الزكاة ، ولذا فإن الشيخ عند ما يعين يرى إرضاء
لشبه تخفيف هذه الضرائب

فالشيخ جابر الصباح بن الشيخ مبارك عند ما تولى الحكم أنشئ بعض الضرائب التي
أحدثها والده ، والتي لم تعرف في عهد الشيخ مبارك ، والشيخ سالم بن الشيخ مبارك
بعد ما تولى الحكم بعد أخيه خفف بعض الضرائب أيضاً

والبحرين إلى سنة ١٩٢١ كانت جماركها مملعة بالضمان لأحد الممتلكين ، والأمير ابن
سعود لم يكن يعرف قبل احتلال الاحساء الجمارك ، ولكنه بعد ما استولى على الاحساء والتخفيف
وضع الجمارك على البضائع الواردة إلى نجد والاحساء ، وكانت الضريبة لا تتجاوز ٥ ٪
وكان الجرك التزاماً ، وفي أثناء الحرب العالمية نظم الجمارك النجدية الشيخ عبد الطيف

التدليل ، فزاد الإيراد من خصة آلاف جنيه في السنة إلى ٢٠ ألفاً ، ثم أخذها بالضمان مرة أخرى أحد أغنياء القطيف بأربعين ألف جنيه ، وفي سنة ١٩٢٠ أخذها بالضمان بمبلغ ٧٢ ألف جنيه على شرط منع التجارة مع الكويت ، فأجيب إلى طلبه ثم نظمت الجمارك بعد ذلك وألتي الضمان

وهالك ضرائب أخرى في السوق العام كان يؤخذ شيء معين على ما يرد من البادية : من السس والقم والجبال ، وعلى كل حال فإن بلاد العرب أقل بلاد العالم ضرائب ، وهي بلاد فقيرة لا تحتمل ما يفرض على غيرها في البلاد الأخرى

ونظام نجد في تحصيل الضرائب لا يختلف عما يجري في البلاد العربية المجاورة لها ، وإن كانت نجد تأخذ من الضرائب الجركية أكثر من غيرها بالنظر لما عليها من التبعات أما في الحجاز ، فالحالة تختلف كل الاختلاف عن باقي البلاد المجاورة ، لقد كان النظام التركي في الجمارك والإدارة مطبقاً في الحجاز ، ولكن وجود الأمير أو الشريف في مكة يحجب الوالي جعل للشريف شخصية أخرى ونوعاً آخر بجانب الوالي

كان الشريف يتدخل في كل شيء في مكة ولكنه من طريق غير مباشر ، فكان أمر البادية راجعاً إليه ، يفصل في خصومات البادية ، وكان يضع الضرائب على المطويعين والحجاج والمخلاة ، ويختص بها أو يتقاسمها مع الوالي التركي ، وكان الأشراف يمنحون حق التطويق لمن يريدونه من أهل مكة : إما مقابل خدمة قام بها الشخص لهم ، أو مقابل مبلغ من المال . وهذا يفسر لنا الثروة التي يجمعها الأشراف أثناء حكمهم في الحجاز ، وبالطبع كان الناس في طريق معاملتهم للحجاج يتبعون الخطة التي يرسمها الشريف ، وربما كان الشريف حسين في الستين الأولى من حكمه أفضل الأشراف خلقاً ، وأعلاماً بها ، وأنزههم كفاً

أما علاقة الناس بالحكام في سائر البلاد العربية فمعلقة قائمة على الصداقة والولاء للحكام ، والحكام أنفسهم لا يتربصون عن مخالطة الأهالي ، غير أن الأشراف كانوا يتربصون عن مخالطة الناس ، ويكبرهم بغرب الملل في سائر الجزيرة العربية

ولقد قضت الثورة العربية على الملك حسين أن يغير الوضع الإداري الذي كان سائداً

في الحجاز بوضع آخر يتفق مع روح الثورة وما يتطلبه العرب منه ، فأمر في أوائل سنة ١٣٣٥ م — ١٩١٧ هـ بتأليف وزارة ، كما أمر بإحداث مجلس شيوخ معين من قبله لوضع القوانين والنظم الإدارية . غير أن الباحث في سجلات الحكومة الهاشمية يرى أن الملك حينئذ كان يتصرف في كل صغيرة وكبيرة ، وأن الوزراء والمجلس لم يكونوا إلا طلاء ، كما أنه لم يكن هناك نظام لتوزيع العمل والمسئوليات ، فأقل المسائل أهمية تأخذ سلسلة طويلة من التحويل من وزارة إلى أخرى حتى تشي إلى الملك الذي يأمر بقطع ، وبجواب هذه التشكيلات الإدارية قد وضع الملك حسين موطعين حاصنين للفصل في منازعات البدو — لأنها تحتاج إلى السرعة .

أما الحكومة الحالية فإن الملك عبد العزيز قد ألقى أولاً النظام الذي أسسه الملك حسين لأنه لم يرق في نظره : وفي الوزارة وجس السلطة التنفيذية في يده ، وعين بضعة مدبرين للدوائر المهمة . معصم مرتضى مع جاريته رأساً ، ومعصم مرتضى سموه نائب العام ، وسطة هؤلاء المدبرين نصيب وتنوع اعتبار شخصياتهم وروح ملك عنهم ، ونسب الدب العام كان مجلس صغير معين من بضعة أشخاص ومستشارين معينين لمساعدة سموه ، وقد تعبر هذا النظام تدريجياً ، فبدلاً من مجلس الإدارة أسس مجلس الشورى من نخبة المتعلمين وأعيان البلاد ، وبدلاً من المدبرين عين بضعة وزراء للخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، غير أنه لأن لم يوضع نظام لتوزيع الأعمال وتحديد المسؤوليات ، فالأعمال كانت ترحم إلى سمو النائب العام الذي بدوره يحول أكثرها إلى جلاته الملك تحملاً من المسؤولية ، كما أن مجلس الشورى ليس له حدود معينة ، فكثير من المسائل الصغيرة تحول إليه في الوقت الذي يفصل عنه في مسائل عظيمة الأهمية .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م أمر جلالة المرحوم الملك عبد العزيز بتشكيل مجلس وزراء أسند رياسته لولي عهده الأمير سعود ، وبعد وفاة جلالته أسندت رئاسة الحكومة إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولي العهد ، ووزعت الوزارات على أخوانه ما عدا وزارة المالية ووزارة التجارة فقد أسندت إلى رجلين من غير العائلة المالكة .

وبالإجمال فإن أمراء العرب اعتادوا الاعتماد على أنفسهم فقط ومباشرة صغار الأمور

وكبارها ، وليس فيها نظام لتوزيع الأعمال ، على أن نظاماً كهذا يمتد إلى موظفين يجوزون
ثقة الملك ورضاءه الدائم ويعملون لصالحه وصالح بلاده بكل نزاهة ، ومهما كانت عيوب
النظام الإداري فإن شخصية الملك عبد العزيز وحبه للعدل ، وحرصه على صالح شعبه ،
وسهره الدائم على مصالح رعيته ، ومواصلته الليل بالنهار في مراقبة صغير الأمور وجليلها ،
جعل أكثر الأعمال تسير في طريق مرضى بفضل شخصيته وشخصية أمحاله المباشرين
للأعمال .

السياسة الخارجية

لم يكن لأمرء العرب اهتمام بالسياسة الخارجية ، لأن بعض أمراء هذه البلاد تمنعه
المعاهدات الموقعة بينه وبين إنجلترا من مخافة أي دولة أجنبية مثل الكويت والبحرين
وعمان ، وبعضها كنعجد والحجاز كان معطوفاً دولياً من الامبراطورية العثمانية ، على أن
كثيراً من شيوخ العرب لا يفهمون السياسة الخارجية على وجهها الصحيح

لقد سألت قبل أربع سنوات أحد شيوخ البحرين عن حقيقة ما أشيع من أن جلالة
الملك سيقبل تعيين أحد القناصل في القطيف أو في الاحساء . فقلت له : إن الإشاعة غير
صحيحة ، ولكن ماذا يمنع من ذلك إذا كانت هناك مصالح لرعايا الانجليز مثل الهندود
وغيرهم توجب تعيين قنصل ؟ فقال : إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاده السلام ؛ إن الراية
الانجليزية ما رفضت على بلد إلا وأعقبها الاستيلاء عليه . فقلت له : إن هذا غلط عظيم ،
فأدلت لا تترك بملك مفتوحاً فلا الانجليز ولا غيرهم يدخلون ، وإن رفع الراية على القنصلية
ليس معناه أن البلد تابع للانجليز ، فنحن يمكننا أن نرفع رايتنا في بلادهم وفي الهند .
فقال : لقد رأيت ما صنعوا في البحرين ؟ إنهم في خمسين سنة قضوا على كل نفوذ
لشيوخ البحرين :

فأجبت أنه اعتقد لو أن شيوخ البحرين كانوا ساهمين على مصالح رعاياهم ومصالح
الساكنين في جزيرة البحرين ما تدخل الانجليز في شئون البحرين ، ولكن كيف يقف
الانجليز مكتوف الأيدي وأموال رعاياهم ورعايا غيرهم من الدول في خطر ، ولست في حاجة

إلى بحث الحوادث الكثيرة التي نقلت فيها البحرين من جهة اختلال الإدارة ، فإن ذلك معروف . فقال الشيخ : مهما كان الأمر فقد كان يجب النصيح والإرشاد فقط ، وعلى كل حال فأرجو أن يعتبر الملك عبد العزيز بغيرانه ولا يقبل تعيين قنصل في بلاده .

وهذا الشيخ في الواقع يمر أحسن تعبير عن العقيلة السائدة في جزيرة العرب ، بل لقد امتنع أهل دُحَى من ساحل عمان من وضع كرنسبة في بلادهم سنة ١٩٢٨ وقت حدوث الكوليرا في المرافق ، وقالوا لا نمر الدواحر بلادنا حتى تصبح حالة انصبحة للصحة مرضية ، ولا داعي لإقامة محجر صحي في بلادنا ، وامتنعوا أيضاً عن قبول إرساء محطة للطيران في بلادهم ، كل هذا استناداً عما يمكن أن يقع لبلادهم مثل ما وقع في البحرين .

أشراف مكة

كانت مكة حتى سنة ٣٥٨ هـ إمارة تابعة لبلاد ، شأنها في الإدارة شأن سائر الإمارات التابعة للخليفة

ولما استولى الفاطميون على مصر واقطعوا مع بعض البلدان الأخرى من بلاد الخليفة العباسي استغل الأشراف الحنفيون بمكة ، وأولهم جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثالث ، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات : الموسويين أو بنو موسى ، والسليمانيون ، والمهاشم ، وهذه الطبقات الثلاث حكمت مكة من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٥٩٨ هـ أي ٢٤٠ سنة والطبقة الرابعة فتادة وبنوهم ، وهؤلاء حكموا من ٥٩٨ هـ إلى سنة ١٣٤٤ هـ وهي السنة التي أحلى فيها الملك على بن الحسين عن جدة

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والقطائع ، فالشريف منهم في سبيل الإمارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في سبيل الحكم ، ولقد بلغت بينهم القسوة أن قتل أخاه وطخ لجه ودعا إخوانه الباقين لولية قدم لم فيها لم أخيه ١٩

لقد كان الأشراف في سبيل الإمارة يستعيون بكل من يمكن الاستعانة به من أمراء الحج المصري أو الشامي ، كما أن النفوذ المصري في الحجاز كان يظهر تارة ويختفي أخرى ، كان تارة مباشراً وأخرى غير مباشرة إلى أن فتح الأتراك مصر سنة ٩٢٢ هـ فقدم شريف مكة طاعته للسلطان سليم الذي بويح بالخلافة وأقب بخادم الحرمين الشريفين ، وكان نفوذ الأتراك والمصريين يظهر تارة ويختفي أخرى ، وكلما أس الأشراف ضعفاً من الأتراك والمصريين وسعوا نفوذهم إلى الجهات المجاورة . ولما ضعف الأتراك في القرنين الماضيين وساد الاضطراب مصر أصبح الأشراف ذوي الكلمة المسموعة في الحجاز والنفوذ القوي ، ولو أنهم مازالوا يتظاهرون بأنهم خدام السلطان ويخطبون باسمه في المساجد . وإلى القرن الثامن عشر كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً في

بنى بركات (نسبة إلى الشريف بركات بن السيد حسن الجعلان الذي خلف أباه سنة ٨٢٩ هـ وهو من جهة أمه ينتسب إلى المواسم الذين خلفوا من حكم مكة سنة ٥٩٨ هـ)

وبعد حروب بين بنى بركات ومناصبهم من القبائل غلبوا على أسرهم ، ونظم الإمارة ذوو ريد ولم يكن بينهم منصب شريف مكة وراثيا ولكنه على كل حال بقي في هذه القبيلة حتى علت على أسرها ، فكان بمجرد موت الشريف يعول إلى المنصب أقوى العائلة سلطاناً وأكثرهم أنصاراً ، وربما كان أقوى الأشراف في القرن الثامن عشر الشريف سرور ١١٨٦ هـ — ١٢٠٣ هـ ، فإنه أول من أدل الأشراف وكسر شوكتهم وسلطانهم وأسس حكماً عادلاً في مكة

لقد كانت عادة الأشراف أن يكون في بيت كل شريف ٣٠ — ٤٠ عبداً مسلحاً عدا الخدم والأقارب ، ومن تمت إليه بصلة القرابة من الهدو الذين يعيشون بقرية النعم والإبل وعطايا الحجاج ، وكان الأشراف قبل حكم الشريف سرور حكاماً في مكة فلما يحصون لأوسر شريف مكة ، وكان مهم جمع المال بكل الوسائل الممكنة ، فكانوا كثيراً ما يفتالون الحجاج ويقطعون عليهم الطريق بين جدة ومكة ، أو مكة والمدينة ، بل كثيراً ما كانوا يفتالون الحجاج في بيوتهم مما تأباه شريعة العربي الكريم

فبعد جهاد طويل تمكن الشريف سرور من إخضاع الأشراف فجعل مكان مكة محبوبه من كل قلوبهم ، وكان هو نفسه خير قدوة للطبقة الوسطى في ساطة حياته وتواضعه وكرمه لأهله وعشيرته ، مع اشتهاره بالشجاعة النادرة ولذكاء المتوقد

أما ما رواه ركزته من أن الشريف سروراً اكتفى بنفى التأسرين عليه ، فإنه يخالف ما رواه السيد دحلان من أن الشريف صلب رئيس العصاة ومثل ببعض العبيد وقتل البعض الآخر

وبلى سروراً في الشهرة الشريف غالب وإن كان دونه في حب العدل ، وفي أيام غالب غزا السعوديون الحجاز ، كما أنه في أيامه أيضاً كان غزوة المصريين للحجاز ونجد ، وقد قبض عليه محمد علي باشا ونفاه إلى سلاتيك حيث مات هناك

وبعد استرداد مكة بأيدي القوات المصرية قوى النفوذ التركي والصري ، وأصبح

الأشراف خاضعين تمام الخضوع لأوامر الباب العالي . وقد أراد المصريون أن يكون نفوذهم فعلياً يعنيوا الشريف محمد بن عون وجعلوا إلى جانبه محافظاً في مكة ومحافظاً في جدة ، كما أنهم وضعوا لأول مرة حامية أجنبية في مكة لتضمن لهم السيطرة والسلطان وتحول دون انتفاض الأشراف عليهم

ولما أصبحت الحاميات المصرية سنة ١٢٥٦ هـ حسب الصلح الذي تم بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي استبدل بالولاة المصريين الولاة الأتراك ، كما استبدلت بالحاميات المصرية الحاميات التركية في مكة والمدينة والطائف وجدة ، وأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر الباب العالي المطلقة ، غير أن هذا لم يمنع الأشراف من إرهاب الحجاج وظلم السكان

كان الباب العالي يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل ، وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم ، فلا يكون للأشراف غش أو تأثير في قضاء القاضي ، ولكن هذا الفرض لم يحصل إلا نادراً ، وكان أكثر القضاة آفة في يد شريف مكة ، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضي

وكان سكان مكة معذنين من جميع الضرائب الشخصية والعقارية ، غير أن الأشراف كانوا يضعون ضرائب صغيرة على الأغنام والواشي ، كما كانوا يضعون ضرائب على الحجاج وقوافلهم

وفي سنة ١٢٢٦ هـ — ١٩٠٨ م رشع كامل باشا الصدر الأعظم الشريف حسين بن علي أميراً على مكة بعد وفاة ابن عمه الأمير عبد الإله في طريقه إلى مكة ، وكان قد اختير شريعاً لمكة خلفاً للأمير علي باشا الذي خلع من الإمارة وأسد مع عائلته إلى مصر

ولد الشريف حسين بن علي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨٥٣ م) بالآستانة وبقى مع والده مدة فيها ، ثم ذهب إلى مكة بمعية والده الذي عين أميراً لمكة ، وبقى بها إلى أن تولى إمارة مكة عمه الشريف عون الرقيق سنة ١٢٩٩ هـ . مطلب إعاده عن مكة لأنه خطر على لأمن فأبعد إلى الآستانة ، وبقى بها حتى أُسندت إليه إمارة مكة ، وقد اختير الشريف حسين للعمل على نشر السلم في بلاد العرب وتقوية نفوذ الأتراك بها بعد أن كاد نفوذهم يتصدع ،

وقد عمل الشريف مكة في هذا السيل بكل ما أوتي من قوة لأنها تنفق مع الخطة التي كان يضرها في نفسه من تقوية نفوذه ويسط يده على بلاد العرب

لقد سافر سنة ١٣٢٧ هـ ١٩١٠ م على رأس الحملة التي أعدت لتأديب الإديسي الشاق عصا الطاعة على الأتراك ، مدرس قوات الإديسي ودخل إليها دخول الفاتح الظاهر ، وفي السنة نفسها سافر على رأس قوة وصلت للشعر^(١) لإجبار حاكم نجد على الاعتراف بتبعية عتبة الحجاز

وإذا كان الأشراف قد سلكوا في الناس سلك الكبر والجور والترفع عن الناس وعدم مخالطتهم ، فإن الشريف حيناً قد امتازت أيام إمارته الأولى بالتواضع والعدل والنيرة على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم ، كما أنه اشتهر أيضاً بالشجاعة وعلو النفس وقاء القيل

لقد وقف الشريف حسين في وجه جميع الإصلاحات التي كانت يريد الأتراك الاتحاديون القيام بها في الحجاز ؛ لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشل يده عن العمل في الحجاز ، يعرفل مد مكة حديد (جدة — مكة) كما عرفل مد طريق مكة إلى الطائف من جهة جبل كركى

لقد سمعنا ونحن في الآستانة سنة ١٩١٢ م ما يهيج به الأتراك نحو الشريف مكة ، ومن سوء ظنهم به وتحديوي مصر السابق وعزمهم على التخلّص منه ، ولكن الشريف تمكن من التغلب عليهم ومن التخلّص من مؤامراتهم ، واستعد سرا للتخلّص من سيادتهم ونفوذهم على الحجاز ، فاحتر الوقت المناسب له ، فأعلن الثورة عليهم وتغلب على حامياتهم الواحدة بعد الأخرى بمساعدة بعض القوات المصرية التي أوهدها الانجليز لمساعدته حتى دانت له الحجاز كلها

(١) الشعرا : أول قري نجد من ناحية الحجاز

العرب والترك

في القرن العاشر الهجري بسط الأتراك نفوذهم على سائر البلاد العربية : الحجاز واليمن وسواحل الخليج الفارسي ، وأصبح القسم الأكبر منها جزءاً من الأميراطورية العثمانية ، وبقيت منقطة جزءاً منها في العرف الدولي حتى إعلان الصلح مع تركيا

كانت التورات تقوم من وقت لآخر في بلاد العرب بين الحكومة التركية وبين الأسماء المحليين سعيًا وراء الاستقلال الداخلي ، مرة في اليمن وأخرى في عسير ، وآونة في نجد ، وطوراً في سوريا ، فكانت هذه التورات نتيجة لصف التركي ، أو لجهل الأتراك عادات وتقاليد العرب

إن الواقع الذي لا يفكر أن الأتراك كانوا رجال نتج وحرب ، ولم يكونوا رجال تسيير وتدين ؛ فالبلاد التركية والبلاد العربية التي خضعت للسيادة التركية مدة طويلة كانت في التثقف والتأخر سواء ، فلما انضم أحرار العرب ومستلومهم من ضباط وغيرهم إلى أحرار الأتراك ؛ وعملوا معهم في الجميات السرية ، واشتركوا معهم في جميع الأعمال الثورية التي أسقطت السلطان عبد الحميد وبمجت في إعلان الدستور العثماني في تركيا

كان متعلمو العرب يأملون أن يلاهم في ظل الدستور سيئسها الإصلاح الذي هو في أشد الحاجة إليه ، ولكن الأمل خاب ، فإن شيان الأتراك أخذوا ينظرون إلى الشعب العربي عامة وإلى زملائهم خاصة ، لا نظر الأخ إلى أخيه بل نظر الحاكم القشوم إلى المحكوم ، فلم يكن بُد لقادة العرب المتعلمين من النظر في أمرهم وأمر بلادهم ، ووضع حد لغلوا الأتراك ، فألقوا الجماعات السرية في الجيش ، كما ألقوا الأحزاب السياسية للدفاع عن حقوق العرب ولإصلاح البلاد العربية ، وأهم هذه الجماعات :

الجمعية القحطانية

تشكلت في الآستان سنة ١٩٠٩ م من قبل وزير الأوقاف خليل حمادة باشا ، والسيد عبد الحميد الزهراوى ، وسلم بك الجزائرى وزملائه

جمعية العهد

شعبة من الجمعية القبطانية ، أسسها عزيز على بك المصري بعد عودته من طرابلس الغرب سنة ١٩١٢ م وحصرها في ضباط العرب

حزب اللامركزية

تألف في مصر سنة ١٩١٢ م من السيد الزهراوي ورفيق بك العظم ، والسيد رشيد رضا ، وحقى بك العظم ، وزملائهم ، وغايته الوصول بكل الوسائل المشروعة إلى تأسيس حكومة لامركزية في جميع الولايات المعنية

كانت جميع هذه الجمعيات على اختلاف منازعها تواصل مساعيها في بث الدعوة القومية وإنهاض الروح العربية ، فأنشأت القروع والشعب في معظم المدن العربية : بغداد ودمشق وحلب وحمص وحماة ويبروث

وفي سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ م أخذت الصحف العربية والتركية تناقش بعضها بعضاً مناقشات كانت حادة في كثير من الأحيان ، وأخذ متطرفو الأتراك يؤلفون الكتب في الطعن في العرب وكل ماله علاقة بالعرب ، واتهموا القائمين بالحركة الإصلاحية بأنهم يعملون لحساب الأجانب وأن الأيدي الأجنبية هي التي تدير هذه الجمعيات

لم يكن حزب من الأحزاب العربية يرى إلى الانغصال عن الترك ، بل كل ما كان يرى إليه الجميع هو الإصلاح الرئى وإحياء القومية العربية وبقاء العرب بجانب الأتراك كاخوة وحلفاء لا كسيدهم ومسود

المؤتمر العربي بباريس

فكر متعلمو العرب المقيمون في باريس في عقد مؤتمر عربي ، فخابروا الجمعية اللامركزية في مصر بفكرتهم وحددت المسائل التي ستكون مدار البحث وهي :

(١) الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال

- (٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية
(٣) ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية
(٤) المهاجرة من سوريا وإليها

موافقت اللجنة العليا على الاقتراح ، وقررت إرسال مندوبين من قبلها ، فانقد المؤتمر العربي في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية في باريس من ١٨ يولييه سنة ١٩١٣ م إلى ٢٣ منه ، وقد قال السيد عبد الحميد الزهراوى في حطة افتتاح المؤتمر :

« إن العرب كانوا أئفوا الترك ، وهؤلاء قد ألقوا العرب منذ عشرة قرون ، ولكن كما مرجحت بينهم السياسة عرقت بينهم السياسة أيضا ، ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين البعض ، وهذه الرابطة لا تزال تعد ثغينة عند الترك والعرب معاً ، ولكنها مع عزتها قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت من قبل ، ومعلوم أن السياسة في هذه المملكة بيد الترك ؛ ولذلك تعرفوا أوروبا أنها تركية ، فلما رأى العرب الآف ما وصلت إليه هذه المملكة بتلك السياسة التي مضى العمل عليها حتى الآن ، وكأولاً حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة ، تنبهوا إلى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعاً غير مهتمين به كما ينبغي ، وهو اشتراك الفريقين في سياسة البلاد ، فانه قد تبين واضحاً أنه لا العرب انزعوا ببراءتهم من ذنب إضاعة البلاد ولا الترك انضموا بنحلهم وحدهم ثمة ذلك العبء الثقيل ، وبدعى أن هذا الاشتراك لا ينافى الإحياء بل الذى ينافيه هو عدم هذا الاشتراك »

قلقت جمعية الاتحاد والترقى لهذه الحركة فأيقنت أنها إن لم تعالج الموضوع بحكمة وعقل ، فإن بلاد العرب قد تفلت من أيديهم ، وأيد هذا الاعتقاد في نظرم اعتيال قومندان البصرة بيد أعوان السيد طالب النقيب ، وانزعاج الاحياء والقطيف من أيديهم بيد الأمير ابن السعود ، وهم كما قلنا يعتقدون أن الحركة العربية وليدة تحريضات الأجانب لا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح

بدأت الحكومة العثمانية تستعمل الشدة في أول الأمر ، فألقت القبض على عدة من أعضاء الجمعية الإصلاحية في بيروت ، فأغلقت المدينة دكا كينها أياماً ، فأخرجهم

الوالى من السجن ، وأخيراً رأت أن تسالج الشكيلة بالطرق السياسية ، وأرسلت جمعية الاتحاد والترقى مدحت شكرى بك سكرتيرها إلى باريس ليتفاوض مع أحرار العرب ، ويتفق معهم على خبير الطرق التى تعيد إلى الأمتين العربية والتركية الثقة المتبادلة . والصدافة الوطيدة القدينة التى ربطت بين الشعبين قروناً طويلة ، فانفق القويقان على أكثر المسائل المختلف عليها

وأصدرت الحكومة العثمانية فى أوائل أغسطس سنة ١٩١٣ م القرار الرسمى التالى :
إنه بالنظر للضرورات واختلاف الأسرعة فى الولايات العثمانية إلى وحروب ترقية البلاد وإسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم ، تقرر بعد الانكسار على الله ومفاوضة الولايات (١) أن يعهد فى إدارة الأوقاف الموقوفة على أعمال الخيرية المحلية إلى المجالس المحلية فى الولايات حسب قانون ينشئ قريباً

(٢) أن تكون الخدمة العسكرية فى زمن السلم فى دائرة التفتيش ، إلا إذا رأت الحكومة أن هناك من الأسباب ما يدعو إلى حشد الجنود فى جهة من الجهات فترسل الجنود على الطريقة العثمانية

(٣) يكون التدريس بالغة العربية فى الجهات التى يتكلم أكثر سكانها اللغة العربية ، ويبدأ بذلك فى المكاتب الرشيدة والإعدادية ، والاستعداد لتوفير الأسباب فى التعليم العالى (٤) يختار الموظفون من الآن من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة التركية ، ويعين الموظفون الثانويون من الولاية رأساً حسب قانون الولايات

وعلى أثر ذلك تبادل العرب والترك الزيارات ، وأظهروا رضاهم وولاءهم للأتراك ، وفى الوقت نفسه عمل الأتراك على إيقاع الشقاق بين قادة العرب ، فعينوا السيد الزهراوى رئيس مؤتمر باريس عضواً فى مجلس الأعيان ، وعينوا بعض شبان العرب فى بعض الوظائف العامة ، فاشتد غضب الشيعة العربية على هؤلاء الذين قبلوا الوظائف ورموم خيانة الأمانة التى أوتمنوا عليها

أما الإصلاحات فبقيت خيراً على ورق ، وأراد الأتراك أن ينالوا من العرب بالتسويق والمطل ويضربوا زعماء الحركة الواحد بعد الآخر ، غير أن ذلك لم يطل كثيراً ؛ فان الحرب العامة قد استعر لهاها وأظهر الأتراك ميلهم إلى الألمان وأخذوا انضموا إليهم

الثورة العربية

كان الشائع في الدوائر التركية العليا أن شريف مكة يعمل في الخفاء على الانفصال من الأتراك ، وأن أولاده أثناء سرورهم بمصر ، يذوقون الطريق لذلك بواسطة اللورد كنشتر ، وأن شريف مكة لا يحاول الانفصال فقط من الأتراك ، بل يعمل أيضاً لاستعادة الخلافة منهم ، وكان يقوى هذه الإشاعات عند الأتراك مقاومة الشريف لكل عمل إصلاحى يراد إدخاله إلى الحجاز ، فصمموا على التخلص منه ميمينوا وهيب بك والياً للحجاز للقيام بهذه المهمة ، ولكن شريف مكة كان عالماً بكل ما كان يدره الأتراك له في الخفاء ، وكان يطلع على جميع المخبرات التي بين الوالى ووزارة الداخلية والحربية في الآساسة ، ولذا كان يعمل لإحباط المساعي من جانب وهيب بك والحذر من الوقوع في التبع ، وهو يعلم أنه ليس أول شريف خلعه الأتراك من إمارة مكة

أعلن الأتراك الجهاد على الخلفاء ، ووزعوا المشورات في أسائر الولايات التركية كما أرسلوها سراً إلى بعض الجهات الخاضعة للحلفاء ، وعثوا أن المسلمين سيتبعوهم ، وكانوا جاهلين تمام الجهل حالة الإسلام والمسلمين المعنوية والمادية ، وغرهم بعض الزعماء بأن أى حركة يقوم بها الأتراك ضد انجلترا أو فرنسا لاثبت أن توجد النار في المسمرات البريطانية الفرنسية ، ولكن الحوادث كشفت خطأ الأتراك فيما تحيلوه ، ولما تنكر ما حدث من الأثر بسبب دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء ، ولكن الأتراك لم يكن عظيمًا فإن ما أخذه الحلفاء من الاحتياطات وما بثوه من الدعايات في كل مكان قد أحبط مساعي الأتراك والألمان

دخل البريطانيون في مفاوضات مع الشريف حسين لوصل ما انتفع من المفاوضات مع اللورد كنشتر ، واتفق الانجليز وشريف مكة على خطة العمل . وإتنا هنا لا نريد أن ننقل رأى الترك في حركة الملك حسين ولا أن نعيد ما نشره بعد الثورة العربية ، ولا نريد كذلك أن نعيد ما نشره الملك حسين لتبرير ما قام به من الثورة ضد الأتراك الذين أجلسوه على إمارة مكة ، ولكن الشيء الذى لا يمكن أن يدفع ، والذي أدى لقلب العرب هو

تلك الأساة التي قام بها جمال باشا في الشام من قتل وتغريب ومصادرة ، عاجل شريف مكة بتجبل الثورة فيل أن يصل إليه الدور ، فقد قاموا بآسرون على خلة والانتقام منه ومن أولاده فأحبط مساعيهم ، وأبطل خططهم بعد أخذ ما تمكن منه من مالهم وسلاحهم ، وقد أوقعت الثورة العربية طغيان حال باشا وأبدلت شدة ليناً ، ولكن الجرح الذي أحدثه في قلوب العرب لم يتبدل

مقررات النهضة

يسمى الملك حسين الكتب المتبادلة بينه وبين الإنجليز مقررات النهضة أي الأسس التي قامت عليها الثورة العربية

والخبايا التي كانت دائرة بين الملك حسين والحكومة البريطانية حتى إعلاند الثورة ضد الأتراك كانت مربية شخصية لم يشترك فيها أحد من أسراء العرب أو قادتهم ، حتى أبناء الملك حسين لم يكونوا محيطين بهذه الخبايا كما كان يجب أن يكون ، وقد صرح المرحوم الملك فيصل لأحد مراسلي الصحف العربية بأن الحجب التي يجب أن يتذرع بها لم يكن بملئها ؛ لأن والد له لم يرسل إليه وهو في باريس الكتب الرسمية التي تهديها الإنجليز بتكوين الملكة العربية

ورى زاماً علينا أن نشر الكتب الأربعة ونفصّل رأى الملك حسين في الامبراطورية العربية ، ثم رأى الجانب البريطاني وما يدلى به من الحجب لرد على ما يمسك به الملك حسين تاركين الحكم للقارئ ، فليس من غرضنا إصدار الحكم على هذا القريب أو ذاك ، بل الغرض الأسمى هو نشر ما لدينا من الوثائق لخدمة التاريخ العربي

الكتاب الأول

إلى السيد الحبيب النقيب ، سلافة الأشراف وناج الفقار ، وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع ، والمكابة السامية ، السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبحل دولو الشريف حسين سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ، وعظم رجال المؤمنين الطائنين ، عمت ركنه الناس أجمعين ، بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتلقيات القلبية الخالصة من كل شائبة ،

نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لظهاركم عاطفة الإخلاص ، وشريف الشعور والإحساسات نحو الانجليز ، وقد يسر ما علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأى واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز ، والعكس بالعكس ، ولهذا النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشتر التي وصلت سيادتكم عن يد على أفندي ، وهي التي كان موصفاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابها للخلافة العربية عند إعلاها ، وإياه نصرح هنا سرراً أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة الماركة . وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم ، فمناوصة فيها بطور أنها سابقة لأزمتها ، وصرف الأزقات سدى في مثل هذه التعاضيل ، في حالة أن الحروب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك أيضاً لا يرالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الأخص ما عساه ردو ما يدهش ويحزن ، أن قريباً من العرب القاطنين بذلك الجهات نفسها قد عمل وأهل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وذلك إقدام ذلك التريق على مساعده بره من يد الألمان إلى الألمان والأتراك . نعم من يد المساعدة لذلك الثَّباب السلاب الجديد وهو الألمان ، وذلك الظالم المصوف وهو الأتراك

ومع ذلك فلما على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما تحتاجه البلاد العربية المقدسة والعرب السكرام من الحبوب والصدقات التزوية في البلاد المصرية ، وتستعمل بمجرد إشارة سيادتكم ، وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة بمساعدة رمواسكم في جميع سفراته إلينا : ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً ، مستشقين راحة مودتكم الزكية ، ومستوقين جري محبكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن الملاقى بيننا

وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي

المخلص

السيرارز مكرماتو

مائب جلالة الملك

تحريراً في ١٩ شوال سنة ١٣٣٢ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدعوة الحمديّة ، وسلافة النسب النبوي ، الحبيب للنسب دولة صاحب المقام الرفيع ، الأمير العظيم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً متيناً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين . وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم ، المؤرخ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ هـ ، وبه من عباراتكم الودية الحقة وإخلاصكم ما أودرته رضا وجوراً .

إني متأسف أنكم استنجنتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والقصور ، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي ، ولكفي رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن حانت للبحث بعد في ذلك الموضوع بصورة نهائية .

ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، ولذلك قد أسرعتم في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى بمضمون كتابكم ، وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تفرحونها منزلة الرضى والقبول .

إن ولايتي سمرسين واسكندرونة ، وأجزاء بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام ، وحمص ، وحماة ، وحلب ، لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية خالصة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة مع هذا التديل ، وبدون توخ للمعادنات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب ، نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من حيث الأقاليم التي تصنها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة الصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا ، فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية ، وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) إنه مع مراعاة التديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن

تتعرف باستقلال العرب ، وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

(٢) إن بريطانيا العظمى تصن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجود منع التمرد عليها .

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بمصالحها ، وتساعد على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة .

(٤) هذا وإن المفهوم أن العرب قد ورروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها ، وأن المستشارين والموظفين الأوربيين اللارمين لتشكيل هيئة إدارية قديمة يكونون من الإنجليز .

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة ، فإن العرب تعترف بأن مصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير درية محصورة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي ، وزيادة حيرسكها ، وحماية مصالحها الاقتصادية المتضادة

وفي متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى بحورعائب أصحابها العرب ، وتتنبئ بعقد لجنة دائمة ثامة مهمم ويكون من نتائجها المستعملة طرد الأتراك من بلاد العرب ، وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

واقد انتصرت في كتابي هذا على المسائل الحسوية ذات الأهمية الكبرى ، وإن كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكرها فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل . ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وإتها بفضل إرشاداتكم السامية وتدابيركم المحككة قد أرسلت إلى البر بلا تب ولا ضرر ، رغمًا عن الأخطار والصعاب التي سببتها هذه الحرب الحزينة ، ورجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم . إلى مرسل خطائي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن عارفان ، وسيمرض على مسامحك بعض المسائل للثيدة التي هي في الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في كتابي

هذا . وفي الختام أبث دولة الشريف ذا الحسب الشريف ، والأمير الحليل كامل تمحيى
وخالص مودتى وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجياً من ذى الخلال
أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب ، فيده مفااتيح الأسر والنيب يجرهما
كيف يشاء ، ونسأله تعالى حسن الختام والسلام

نائب جلالة الملك

السير ارثر مكماهون

تحريراً في يوم الاثنين ١٥ دى المجة سنة ١٣٣٣ - ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥

المكتاب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الربيع دى الحسب الطاهر والنسب الفاخر ، دولة الإسلام
والمسلمين ، معلى الشرف ، وطيد المحدث ، سلاة مهبط الوحى المحمدى الشريف بن
الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن على أمير مكة المظم ، زاده الله رمة
وعلاء آمين . بعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من العجلة والاحترام ، وتقديم خالص التحية
والسلام ، وشرح عوامل الأئمة وحسن التمام والمودة المزوجة بالحبة القلبية ، أرفع إلى
دولة الأمير المظم أننا تلقينا رقيبكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ من يدرسولكم
الأمين ، وقد سررنا لوقومنا على التداير الفعلية التى تمومها ، وإنها موافقة فى الأحوال
الحاضرة ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها . وقد يسرنى أن أخبركم
بأن حكومة جلالة الملك قد صادقت على جميع مطالبكم ، وأن كل شئ رغبتم الإسراع فيه
وفى إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا ، والأشياء الباقية ستحصر بكل سرعة
ممكنة وننقى فى بورت سودان تحت أسركم حين ابتداء الحركة . وإبلاغنا إياها بصورة
رسمية (كما ذكرتم) ، وبالمواقع التى يقتضى سوقها إليها والوسائط الذين سيكونون حاملين
الوثائق لتسليمها إليهم

إن كل التمليات التى وردت فى محورك قد أعلنا بها بحاظ بورت سودان وهو

سيجريها حسب رغبتكم ، وقد علمت جميع التسهيلات اللازمة لإرسال رسوكم حامل خطابكم الأخير إلى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج ، وسيجود إلى برت سودان وبسدها يصلكم بحماسة الله ليقتص على مسامح دولكم نتيجة عمله

وانتهز الفرصة لتوضح لدولكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم ، وما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو القطف العسكرية فيها بعض المساكن التركية على سواحل بلاد العرب يقال إنهم يحاصرون بالماء لنا ، والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر ، وعليه نرى من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدكم ، ولكنا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالمعاداة وبين العرب الأبرياء الذين يكتفون تلك الجهات ، لأننا لا نقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية

وقد أبلغنا دولكم ذلك حتى تكون على بينة من الأمر إذا بلغكم خبر مكذوب عن الأسباب التي تضطرننا إلى أي عمل من هذا القبيل . وقد بلغتنا إشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء يبدلون جهدهم في أعمال السفن ليقتلوا بها الأنعام في البحر الأحمر ولإلحاق الأضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وإما نرجوكم سرعة إخبارنا إذا تحقق ذلك اليوم لديكم ، وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد ماع للأتراك عدداً عظيماً من الجبال ، وقد أرسلت إلى دمشق الشام ، ونؤمل أن نستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صمم على ما هو عليه أمكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يتبضوا على الجبال حال سيرها ، ولا شك أن في ذلك صالحاً لمصالحنا المتبادلة

وقد يسرني أن أبلغ دولكم أن العربان الذين ضلوا السبل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الأتراك ، قد ابتدأوا يعرفون خطاهم ، وهم يأتون إلينا واحداً واحداً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إليهم ، والحمد لله قد هزمت القوات التي جمعها هؤلاء المفسدون ضدينا . قد أخذت العرب تبصر الدش والخديعة التي حاقبت بهم ، وإن لسقوط أرضروم من يد الأتراك وكثرة انهزاماتهم

في بلاد القوقاز تأثيراً عظيماً وهو في مصلحتنا المتبادلة ، وخطوة عظيمة في سبيل الأمر
الذي نعمل له ونعملون له

وسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بنجاح البجاح والفلاح ، وأن يهدى لكم في
كامل أعمالكم أحسن السبل والمناجى . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم
الشريعة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التي لا يزعزعا
كر المصور ومرور الأيام

كتبه الخالص

السير أرتغر هنري مكنزهو

نائب جلالة الملك بمصر

تحريراً في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤

الوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦

الكتاب الرابع

من السير مكهاون إلى الشريف حسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الإحسان والرمعة وشرف المحمّد ، سلامة بيت النومة والحسب الطاهر
والنسب الفاخر ، دولة الشريف العظيم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة ، قبلة
الإسلام والسليبي أدامه الله في رمة وعلاء ، وبعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة سنة ١٣٢٣ وسرني ما رأيته فيه من

قبولكم لإخراج ولايتي مرسين وأطنته من حدود البلاد العربية

وقد تاقيت أيضاً بمزيد السرور والرضاء تأكيديكم أن العرب عازمون على السير

بموجب تعاليم الحليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وغيره من السادة الخفاه الأولين —

التعاليم التي تضمن حقوق الأديان وامتيازاتها على السواء

هذا وفي قولكم إن العرب مستمدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع

رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود

الحكومة العربية ، لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء . أما شأن ولايتي حلب وبيروت لحكومة بريطانيا العظمى قد صمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفنا فرنسا داخلية فيها ، فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق ، ومنعاجكم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب .

إن حكومة بريطانيا العظمى مستعدة لأن تنطى كل الضمانات والساعات التي في وسعها إلى المملكة العربية ، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأنتم مما تسمح به الحالة الحاضرة ، والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات ، وإننا نتصوب تماماً رعبكم في اتخاذ الحذر ، ولما تريد أن تلتصقكم إلى عمل سريع رغماً بقرنل بجاح اعراضكم ، ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبدلوا بمجهوداتكم في جمع كافة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة ، وأن تحثوهم على أن لا يمددوا يد المساعدة لأعدائنا بأي وجه كان ، فإنه على نجاح هذه المجهودات وعلى الدوائر القبلية التي يمكن أن يتخذوها لاسفاف غرضنا عند ما يحىء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته .

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا قد وضعت في أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى إبرام أى صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية ، وخلاصها من سلطة الأتراك والألمان هذا وعربوياً على صدق نيتنا ، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسالتكم الأمين مبلغ عشرين ألف جنيه ، وأقدم في الختام عامر الحيات القابلية ، وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإحلال والتمغيم للمشمولين بروابط الألفة والمودة الصرفة لمقام دولتكم السامي ، ولأفراد أسرته المكرمة مع فائق الاحترام ؟

الخلاص

نائب جلالة الملك بمصر

السيد آرثر هنري مكماهون

قد فهم الملك حسين من هذه الكتب ومن أحاديثه مع المدوين البريطانيين أن الحكومة البريطانية توافق على إنشاء مملكة عربية على الأسس الآتية :

(١) تتمهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معنى الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وتكون حدودها شرقاً بحر حليج فارس ، ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والوصل الشمالية إلى نهر الفرات وبحتممة مع المدخل إلى مضيقها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فأما حارجة عن هذه الحدود ، وتتمهد هذه الحكومة رعاية المعاهدات والمفاوضات التي أجرتها بريطانيا العظمى من أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل محلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد

(٢) تتمهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع أيام داخل من دساتر الأعداء ، أو من حسد بعض الأسراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه ، وهذه المساعدة في القيامات والنزوات الداخلية تكون ملتبها محدودة ، أي حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) تكون البصرة تحت إشغال^(١) العظمة البريطانية لحين يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ، ومن من جانب تلك العظمة مبلغ من القود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية ، التي هي حكما قاصرة في حضن بريطانيا ، وتلك المبالغ تكون في مقابل الإشتغال

(٤) تتمهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتا والذخائر والقود مدة الحرب

(٥) تتمهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استمدادها

هذه هي الحكومة العربية التي كان يتخيلها الملك حسين ، ويسمى لها بمختلف الوسائل ، وسواء كانت هذه الحكومة بهذا الشكل تنفق مع آمال أحرار العرب أم لم تحقق ، فذلك حين كان يرى أن حكومة عربية يكون هو على رأسها تسدها بريطانيا بما لها وسلاحها تكون مقدمة لحكومة عربية مستقلة استقلالاً تاماً من جميع الوجوه

بدأ ينفذ خطه بإعلان نفسه ملكاً على العرب في أوائل سنة ١٣٣٥ - ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، فكان هذا الإعلان الذي لم يسبقه تقدم مع أمراء العرب ، ولا مع الحلفاء شيئاً يشكوك أمراء العرب ، كما أنه لم يقابل بالارتياح من قبل الإنجليز والفرنسيين

فذلك بن سعود يقول إنه احتج على إعلان الملك حسين نفسه ملكاً على العرب ، فإنه حين كتب إليه عقب هذا الإعلان بطلب الدخول في مفاوضات لتحديد حدود نجد والحجاز والقبائل التابعة لكلا البلدين ، أجابه الملك حسين أي حدود نطلب ، إنك إما محبون أو سكران ، فم يسع أمير نجد إلا الاحتجاج على هذه الإهانة ، وأندر إنجلترا بأن الحالة مستضرة للدخول في قتال ضد الملك حسين ، لأن الرجل يصير الشر لنجد وأمير نجد ، فتدخل الإنجليز في الأمر مؤقتاً وحاولوا دون ونوع الحرب بين الفريقين ، وذلك سكنت الزوامة ، وفي الوقت نفسه اضطروا الملك حسيناً إلى إنشاء القلب الجديد مكافئاً لمملكة الحجاز

فكان هذا أول قبضة أصابت آمال الملك حسين ، كما أنها دلت على أن الإنجليز والفرنسيين لا يشتركون الملك حسيناً في همه للمملكة العربية

ولكن الملك حسيناً كان كله آمالاً وأن جميع المقدم ستحل بعد انتهاء الحرب لصالحه ، وأن المستقبل سيكون في مصلحته ، وأن استكثرت ستعمل كل ما يمكن لإرضائه وإرضاء أماني العرب الذين ثاروا ضد الأتراك في صف الحلفاء

وماذا كانت يع الملك حسيناً عمه بعد إعلان الثورة وطرد الأتراك من بعض المدن الحجازية

وقد صرف الملك حسين كل هم لإخراج الترك من الحجاز وسائر المدن العربية

مذكراً إنجلترا كلها منحت الفرصة بالملكة العربية وآمال العرب فيها ، وكان قواد
إنجلترا في بعض الماسبات يضررون على هذا الوتر الحساس مثل منشور الجنرال مود بعد
فتح بغداد وغيره من سياسي الخلفاء .

وبما أن القضية العربية أخذت شكلها الجدي بعد أن وضعت الحرب أوزارها وعلى
مائدة مؤتمرات الصلح ، نرى زاماً علينا أن نعالجها بشيء من التفصيل ستمينين بصوء
الوثائق لا سيما التي لم يسبق نشرها قبلاً .

مؤتمرات الصلح

قبل أن نتناول موضوع القضية العربية في مؤتمرات الصلح يجب علينا أن نرحم قليلاً إلى البلاد العربية قبل الحرب وتسرب نفوذ الأجانب إليها ، فإن ذلك سيعايدنا كثيراً على تفهم الحالة من كل وجوها .

كان احتلال تركيا القملى موجوداً فقط في العراق ، وسوريا ، ولسطين ، ومكة ، والمدية ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطىء عسير ، واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبي القوي كان يتسرب إلى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقى الجبوى من بلاد العرب من الكويت إلى عدن فلم يكن للأتراك سلطة يعتد بها ، بل كان النفوذ الإنجليزى متغلباً ، ولو أنه لم يكن مباشراً إلا في عدن .

لقد كان النفوذ الإنجليزى سائداً في بغداد والبصرة وسواحل ما بين النهرين ، كما أن المصالح الإنجليزية كانت متشعبة هناك ، ولكنه كان ضعيفاً في سوريا وفلسطين ، والنفوذ الأجنبي الآخر الذى كان يعمل بنشاط هو النفوذ الفرنسى والألماني ، والفرنسيون الذين يعتبرون أنفسهم حماة المسيحية في الشرق قد أسسوا نفوذاً قوياً على شواطىء سوريا بما أسسوه من المآخذ ، وبما عملوه لنشر ثقافتهم ولغتهم في تلك البلاد . وفي السنوات التي سبقت الحرب جاء الألمان ينافون الفرنسيين ، ولكن قصر المدة لم يمكنهم من إيجاد أى أثر في سوريا وآسيا الصغرى ، وإن إنشاء السكة الحديدية (الآستانة — بغداد) قد جعل للألمان نفوذاً لا يستهان به .

أما في فلسطين فإن النفوذ الأجنبي كان دينياً في الأكثر ، إذ يعتبر مسيحيو العالم القدس أرضاً مقدسة ، وقد تأسست بعثات مسيحية أهمها الألمانية ، كما أسس غيرها من المنشآت الأجنبية الدينية والعلمية . وبيت المقدس محترم أيضاً عند المسلمين ولم فيه آثار دينية من أهدم المصور . وقد وضع اليهود أساس حركتهم لإنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، تلك الفكرة التي لا يزال اليهود يحملون بها منذ كارتهم الكبرى .

وزيادة على ذلك فإن سلطة الأتراك في آسيا الصغرى لم تكن قوية ، نتيجة ما ابيضت
الحكومات الأوروبية من سلطة الامتيازات الأجنبية في المسائل التجارية والقضائية
هذه حالة تركيا قبل الحرب الكبرى ، أما بعد مغامرتها في ٣١ أكتوبر سنة
١٩١٤ ، فقد كانت تركيا حريصة على أن لا تنفذ شتاً من أطرافها لاسيما البلاد المقدسة ،
فإن فقدانها يضرب الخلافة ضربة قاسية ، و وراء تركيا ألمانيا التي تعلم في تأسيس
امبراطورية الشرق الأوسط الألماني ، تدعها وتمدها بجميع المساعدات المادية والأدبية
صد الخفاء . هذا من جانب ، ومن جهة أخرى فرنسا تريد بسط نفوذها وتوليد سلطتها
في الشرق الأدنى ، لأنها حامية المسيحية ، ولكنها عاجزة عن إثارة حرب أخرى خارج
بلادها ، واليهود يحاولون تحقيق أحلامهم القديمة ، والعرب يتطلعون إلى استرداد حريتهم
واستقلالهم بعد اكسار تركيا . ويحمي بعد هؤلاء الإنجليز ، وهم ليسوا بأقل من هؤلاء
بالنظر إلى مصالحهم العديدة في خليج فارس والبلاد العربية ، تلك المصالح التي من أجلها
جعلوا لهم السيادة في خليج فارس كما قال The Duke of Argyll في سنة ١٨٧٠ ، والتي
من أجلها أيضاً صرح اللورد لاسدون سنة ١٩٠٣ بأن بريطانيا تعتبر إنشاء قاعدة
بحرية ، أو تحصين أى ميناء على خليج فارس كتهديد لمصالحها التي يجب حمايتها بكل
ما يؤديه معنى الحماية من معنى

لذا فقد كانت السياسة الحربية البريطانية في الشرق الأدنى ترمي إلى عاتين رئيسيتين :
الأولى أن تحتل رأس الخليج الفارسي فتحصى منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس
مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات
مع الهند مفتوحة عن طريق قناة السويس والبحر الأحمر

هذه هي الحالة التي كانت تسود بلاد العرب والتي على أساسها تم الاعاق والندم
بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦ على تحديد نفوذ كل دولة منهما ، وعندها أيضاً كان
اتهام مؤتمر الصلح

ولكن العرب الذين خاضوا غمار الحرب كانوا يجهلون كل ما تم في الخفاء أو

كانوا لا يمتنعون به لأنه منافي لشروط ويلسن التي اخارها الحلفاء لإعلان الهدنة وأساساً للصالح

موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح

يجب علينا أن نذكر هنا الحقائق الآتية خدمة للتاريخ

(١) إن الملك حسيناً كان يثق ببريطانيا ثقة لا حد لها ، وكان يعتقد اعتقاداً لا يشوبه أدنى شك أن بريطانيا التي قادت العالم ضد ألمانيا ستسعى بكل الوسائل الممكنة لتكوين الملكة العربية كما يفهمها وأن الأتراك حاولوا في أثناء الحرب التأثير في هذه العملية بإيجاد جو من الشكوك في نفوس العرب فلم يفلحوا .

لقد كتب جمال باشا إلى الأمير فيصل يخبره بما نشره الروس من وثائق تثبت ما اعتزمه الحلفاء من تقسيم البلاد العربية^(١) واستعداد الأتراك لمقد صلح مع العرب أساسه استغلال البلاد العربية ، ولكن الملك حسيناً اتقى لا يشك في نيات بريطانيا رفض اليد التي قدمها جمال باشا بعد تأكيدات بريطانيا^(٢)

(٢) إن الملك حسيناً لثقته ببريطانيا كان يعتقد من كل قلبه أنه لا فائدة من المؤتمرات ، وأن إرادة بريطانيا وبداها فوق المؤتمرات وفوق كل شيء

وترى هذا واضحاً تمام الوضوح في كتاب الملك حسين إلى نائب الملك بمصر (٢١ أغسطس سنة ١٩١٨ — ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٦) حيث يقول :^(٣)

« أما عطف الأمر وتعلقه على مؤتمر الصلح ، فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنا به ، ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور إضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها ، فنكون من الطرودين من

(١) يشير إلى جامعة سايكس — بيكو

(٢) في التلخيص في الكتاب

(٣) في الكتاب المذكور في التلخيص

رحمة الباري حل شأنه الرقيب على قولي هذا ، الذي أتوسل إليه أن يتولانا جميعاً بنفايات
رأفته الأبدية » .

وضعت الحرب أوزارها ، وقبل الأتراك شروط المذنة ، وانسحبوا تماماً من البلاد
العربية التي أشعلت بالقوات الإنجليزية الصرفة ، فيما بين الموصل والبصرة ولسطين ،
والقوات الإنجليزية والعربية وبمض القوات الفرنسية في الجبهة السورية .

اعتقد الملك حسين ومن ألف حوله ، أنه ما دام الإنجليز هم الشاغلين للبلاد العربية ،
فيقومون بتشييد المملكة العربية المتحدة ، غير أن هنالك اعتبارات خطيرة أمام
الحكومة البريطانية ستحول دون هذه الأمنية ، ولما محلها الأول في نظرم ؛ هنالك معاهدة
(سايكس — بيكو) التي عقدت بين فرنسا و إنجلترا سنة ١٩١٦ وأتت أمرها الروس ،
وهناك العهد الذي قطعه الإنجليز للصهيونيين سنة ١٩١٧ وفرنسا دولة عظيمة لما فوضها
الدول وقوتها الحربية ، واليهود لم مكانتهم المالية ونفوذهم المعنوي ، وجانبهم أقوى من
جانب العرب . غير أن العرب الذين خاضوا غمار الحرب بقية الوصول إلى نعيم الاستقلال
لم يبالوا بما أمامهم من المشاكل ، واستسلموا كل صعب في سبيل غايتهم المقدسة ، وبالفعل
فإنهم ساروا في الطريق الذي كانوا يعتقدون أنه متفق تمام الاتفاق مع ما كانوا يعتقدون
أنه حق لهم ، ومع ما كانوا يفهمونه من تصريحات قواد الحلفاء ، فبمجرد أن دخل الأمير
فيصل (المرحوم الملك فيصل) طاعاً إلى دمشق في أوائل أكتوبر سنة ١٩١٨ أرسل
الجنرال شكري باشا الأيوبي حاكماً عسكرياً على بيروت ، فذهب المولى إليه وجلس في
سراي الحكومة مدلاً من وإلى التركي الذي انسحب من هناك .

في أواخر أكتوبر احتل العرب اللاذقية ، وانطاكية ، وبيسان ، والاسكندرونه ،
فثار المردسيون واعتبروا هذا العمل حرقاً لمعاهدة (سايكس — بيكو) واضطروا الإنجليز
أن يأمرؤا العرب بإحلاء البماكن الساحلية ، فكان ذلك أول ضربة أصابت آمال
العرب وأمانتهم .

أشارت المملكة البريطانية المتحدة على الملك حسين أن يرسل من قبله مندوباً إلى

مؤتمر الصلح ، فقبل الإشارة وعين ولده الأمير فيصلاً مسدوداً عنه ، ووروده بالتلغراف الآلى الذى يدل على ميلغ أمل الملك حسين فى بريطانيا :

« حليمتنا الويفة بريطانيا العظمى ترغب حضورك دائماً عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساساً لحياتهم سواء ما يتعلق بالحدود أو لإدارة مما هو معلوم لديك فى مجتمع سيمقد فى باريس فى ٢٤ نوفمبر الجارى ، قائداً لراى عظمتها توجه بكل سرعة بمكة لباريس بعد مذاكرتك لخدمة القصد العام فى كيفية سيرك وطريقته ، و بعد تقرير ما ترونه لحالات البلاد وإدارتها فى مدة غيابك الذى لا يجاوز تقريباً شهراً ، وحيث أن رايشتنا الوحيدة هى المنظمة البريطانية ، ولا علاقة لنا ولا مناسبة مع سواها فى أساسنا السياسية ، فكل ملاحظتك وما تراه فى الموضوع تبديه لوائها وعظماؤها الأمراء إن كانوا زملاءك فى المجتمع أو معتديها السياسيين ، وما يكفونك به من قول أو عمل إن كان فى المجتمع أو فى سواء عمل به ، وتحتب كل ما سوى ذلك ، هذه درجة مأذونيتك عما يختص بالمجتمع ، وسير الأهالى بالمصلحة والقصد والله يتولاك » .

الأمير فيصل بباريس !!!

لقد قام الأمير فيصل بما يجب عليه من الدفاع عن قومه ، فوسط لمؤتمر السلام القضية العربية ، وعود الحلفاء لوالده ، وآمال العرب فى عدل الحلفاء^(١) ، فكان أول جواب عمل اسوه مذكرة متر لويد جورج الأورخة فى ١٣ ستمبر إلى كل من الأمير فيصل والحكومة الفرنسية . وتقضى هذه المذكرة :

(١) انسحاب الجيوش الإنجليزية من سوريا وكنكية فى أول نوفمبر سنة ١٩١٩ .

(٢) يحل محل الحاميات البريطانية جنود فرنسية فى غرب الخط المتبر فى معاهدة مايكس ليكون فى كنكية .

(٣) القاطعات التى تنق فيها الجنود الإنجليزية فى العراق وفلسطين ، وهذا الاحتلال مطابق للاتفاق المفقود فى ديسمبر سنة ١٩١٨ بين السيوكنصور والمستر لويد جورج

(١) راجع فى المذكرة فى القبل .

كانت هذه المذكرة أول ضربة لأمانى لأشراف وآمال العرب ، ولذا فإن الأمير فيصلا أجاب على هذه المذكرة بمذكرة أخرى بتاريخ ٢١ سبتمبر تشتمل على النقاط الآتية :

(١) اجحاف هذا القرار بقانون المدل ، وما كان يتوقمه العرب من الحلفاء ، وقد تأنى الملك حسين ما يؤيد هذا من وزارة الخارجية البريطانية عند ما أذاع جمال باشا ما عثر عليه الدوليميك من أمر هذه الاتفاقية وغيرها

(٢) إنه ما دام هذا التغير مؤقتاً فما هي الضرورة للجنة لهذا التمييز ، ولماذا لا يبقى الاحتلال البريطاني كما هو إلى أن يتم الصلح مع تركيا

(٣) الاحتجاج شدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد

(٤) إذا كان لابد من انسحاب الجيش البريطاني من سورية ، فيجب أن تسحب أيضاً سائر الجيوش الأوروبية ، ونترك المسؤولية للجيش العربي

(٥) رفض العرب لتحرته بلادهم وإسكارهم لكل اتفاق لم يكن لهم علم به

وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الأمير فيصل كتاباً^(١) إضافياً إلى رئيس الوزارة البريطانية يشرح فيه رفضه للبحث مع القائد العام للجيشو للتحالفة في سورية في مسألة الاحتلال ، ويطلب إعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما كانت عليه الحال في أوائل الاحتلال ، وهي تتولى مسؤولية الأمن وحماية البلاد ، أو إبقاء الحالة على ما هي عليه الآن حين إبرام الصلح مع تركيا

الأمير فيصل في لندن

رأى الأمير أن يوم لندن لهله يمد له ساعداً هالك لحل المسائل التي تعقدت وكادت تخيب آمال العرب

فكان باكرة أعماله إرساله مذكرة إلى رئيس الوزراء بتاريخ ٩ أكتوبر^(٢)

(١) إسكار اتفاق باريس والاصرار على مضمون المذكرة المؤرخة في ٢١ و٢٣ سبتمبر

(١) راجع من الكتاب في القيل

(٢) راجع من المذكرة في القيل

(٧) التأكيد بأن اسحاب الجيوش البريطانية سيمحدث أسوأ الأثر في سوريا
ويؤدى إلى كارثة عظيمة

وقد حتم سموه المذكورة بالطلبات الآتية :

(١) إلقاء القرار الباريسى أو على الأقل إرجاء العمل به

(٢) عرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل النظر
فيها من المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة فرعية مؤلفة من أعضاء بريطانيين وفرنسيين وعرب
تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة ، وتقديم تقرير عنها إلى مؤتمر
السلام . يتلقى سموه جواباً مطولاً من وزارة الخارجية بتاريخ ٩ أكتوبر^(١) يتضمن :

(١) وصول الملاحظات الابتدائية على مذكرة رئيس الوزراء (التى أرسل منها
نسخاً أيضاً إلى كل من السفير فولك مندوب الولايات المتحدة ، وإلى السيور تيتوف
مندوب المملكة الإيطالية)

(٢) أن المذكرة المذكورة لا تعبر عن اتفاق سابق بين الحكوميين ، بل تشمل
مقترحات قدتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكرى فى الولايات
التي كانت تابعة لتركيا إلى أن يقرر مؤتمر السلام مستقبلها نهائياً

(٣) أن المقترحات التى تتمك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن
قررت أنه يستحيل عليها أن تنسحب على احتلال سوريا بالجيوش البريطانية

(٤) أن الحكومة البريطانية لا ترى أن هذا القرار مغاير للجهود التى عقدتها
حكومة جلالة الملك مع الملك حسين

(٥) رفض الطلبات التى اقترحتها الأمير فيصل ، لأن الشعب السورى عاجز عن
القيام بشئون نفسه فى الوقت الحاضر ، ولأن تجربة هذا الحل الذى أشار به سمو
الأمير يكون مضرراً لترقى الشعب السورى سريعاً ، وبالنسبة لاستقلال الشعوب
السورية العربية

(٦) أن تمهدات الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية قد يبتها الحكومة البريطانية لذلك حين قبل دخوله الحرب

(٧) أن الحكومة البريطانية لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطد لموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتمل على دمشق ، وحماة ، وحصص ، وحلب

(٨) يصح الحكومة البريطانية للأمير فيصل بقبول التدبير المؤقت الذي أشارت إليه المذكورة ، والبحث — حالا — في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية

وبعد هذه المذكرة اجتمع سمو الأمير فيصل ومعه الجنرال حداد باشا والشيخ فؤاد الخطيب في وزارة الخارجية البريطانية بالقورد كرزون ومعه الكولونيل كور واليس نائب المتمد البريطاني بدمشق ، والكولونيل مترلنج ، ودار البحث تفصيلا في الموضوع ، وقد أصر القورد كرزون الوفد العربي بأن الفرنسيين يرون أن محل البحث هو باريس لا لندن ثانيا لا يرين ضرورة لا مشترك عضوا أمريكي في الموضوع إلا إذا رغبت أمريكا نفسها في ذلك الاشتراك

وقد أشار القورد كرزون على الأمير فيصل بالفرح حالا إلى باريس والاتصال بالفرنسيين ، فإن ذلك يكون أمح لقصد ، وأن الفرنسيين قد لا يرتاحون لمفاوضات الحاربة في لندن ، فلم يسع الأمير إلا قبول النصح الذي أسدى إليه ، وسافر إلى باريس مرة أخرى

الأمير فيصل في باريس للمرة الثانية

بمجرد وصول الأمير فيصل إلى باريس أرسل مذكرة^(١) بتاريخ ١٢٥ أكتوبر إلى رئيس المؤتمر ميو كلينصو تتضمن :

(١) علم الأمير فيصل رأى الحكومة الفرنسية في مذكرة المستر لويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر القاصي برد جميع الاقتراحات ما عدا اسحاب الحشوش البريطانية من كليكية وسوريا

(١) راجع نص المذكرة في التذييل

(٢) اعتراض الأمير فيصل على هذا الانسحاب ، وتحذير فرنسا من السير في الموضوع حيث إنه سيقتضى على السلم في البلاد العربية ، التي سيعتقد أهلها أن الحلفاء لا يزالون يريدون تقسيم بلادهم

فرد مسيو كليمنصو على كتاب الأمير بكتاب^(١) مؤرخ في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ وأخبره :
(أولاً) بوصول كتابه والاضطراب الذي أحدثه في نفس الأمير قرار المؤتمر الصادر في ١٥ سبتمبر ، بشأن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية وكليكية ، واستبدالها بجيوش فرنسية

(ثانياً) اقتراح سمو الأمير بتأليف لجنة يعهد إليها درس طرق انسحاب الجيوش البريطانية ، وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد وتحفظ النظام في المناطق المختلفة الخاضعة له
(ثالثاً) التأكيد لسمو الأمير بأن الحكومة الفرنسية لم ترل ترغب بكل إخلاص في توطيد دعائم الحكم المؤدى إلى الحرية والرق والنظام في سوريا والعراق ، وسائر بلاد الشرق المحررة بفصل انتصارات الحلفاء ، عملاً بمبادئ سياستها الحرة التي هي نفس المبادئ لمؤتمر السلام ، وأن الثقة اللعوية المؤسفة بين العرب وحلفائهم في أيام الحرب ستساعد على توطيد علاقاتهم

(رابعاً) رفض اقتراح تعيين اللجنة لأنه فضلاً عن أنه مشوش للحالة الحاضرة فإنه يخالف لقرار المجلس الأعلى ، في ١٥ سبتمبر أعلن المسترلورد جورج للونمر بأن الجنود الانجليزية منسحب من كليكية وسوريا ، وقد طلب استبدالها بجنود فرنسية وقد وافقه المجلس الأعلى

(خامساً) أن المسيو كليمنصو مقتنع بأن رؤساء الجيوش الفرنسية قادرين على تطمين الأهالي وحفظ النظام في جميع المناطق التي ستمتثلها الجيوش الفرنسية بدلاً من الجيوش الإنجليزية ، وعلى الأمير بما لديه من السلطة أن يفعل ذلك في الشام وحلب

(سادساً) أن الحكومة الفرنسية مستعدة لتلبية أول طلب يصدر من سمو الأمير بمساعدته على صون النظام ، فيما إذا اختل بأغراض المحرضين الذين لا يقدرّون على غير إلحاق الضرر بمنافع العرب

(سابعاً) استعداد الحكومة الفرنسية لتنظر مع سمو الأمير في جميع الشؤون الخاصة بالمصالح المشتركة

نقد كان لهذا الرد أثر عميق في نفس الأمير فيصل ؛ ولذا فإنه أرسل كتاباً آخر بتاريخ ٥ نوفمبر لرد على المذكرة الفرنسية ، وقد تضمن الكتاب النقاط التالية ^(١).

(١) شكر الحكومة الفرنسية على مودتها التي مازالت تظهرها نحو الأمة العربية ، ورعيتها الخاصة في تأييد حكم يصمن الحرية والنظام والرق في سوريا والعراق ، وسائر البلاد العربية المحررة

(٢) حرصاً على توطيد عرى الثقة بين العرب والحلفاء قد ألح سمو الأمير في كتابه المؤرخ ٢٥ الشهر الماضي بوجوب تأليف لجنة تبحث في اسحاب الجيوش وتأسيس إدارة مؤقتة في سوريا تكفل وحدتها وفقاً لرغائب الشعب

(٣) أن مذكرة مستر لويد جورج التي كانت منار البحث ، والتي لم توافق الحكومة الفرنسية على مجمل ما احتوته ، نشأت عن تنفيذ معاهدة (سايكس - بيكو) السرية ، فليس القصد من هذا التبديل الجديد سحب الجدل فقط بل تحديد مبادئ سياسية واقتصادية ، وتقرير مصير بلادنا وفقاً لمصالح لا تنعق مع مصالحها ، ولهذا فقد لقت نظرة الحكومة البريطانية إلى هذا الأمر وبمد المناقشات العديدة والاجتماعات المتوالية ، قبلت مبدئياً تأليف لجنة لتنظر في هذا الشأن

(٤) أن الخوف على مستقبل البلاد قد أوجد اضطراباً في الأمة العربية ، وهذا الاضطراب لا يسكن إلا إذا أزيل الأمر السيئ القوي ولدته التدابير الأخيرة

وأن الشعب السوري لا يمكن أن يتلاعب به المخرضون بقصد إخلال الراحة والأمن معه ، وأن هذا الشعب لا يحجم عن أن يهب مرة أخرى للدفاع عن حريته وكيانه .

(٥) ذكر في المذكرة الفرنسية أن الحكومة الفرنسية على يقين من إخذاد كل حركة قد تنور في الجهات التي احتلتها ، والحقيقة أن الحركة التي ستثور في كل البلاد لا تنشأ من أعمال المخرضين بل حركة وطنية عامة ، ولا يستطيع سمو الأمير أن يستعين بمجنود

(١) راجع نص الكتاب في القبل .

أجنبية لإخفاء حركة وطنية تمت واختبرت تحت بيانات الحلفاء الرسمية وتأثيرها .

(٦) اندعاش سمو الأمير من قرار مؤتمر الصلح بدوثة دعوته لسباع ما لديه من الملاحظات .

(٧) إلحاح الأمير في المدول عن مسأله إحلال الحمود الفرنسية محل الجنود البريطانية ورغبته الصادقة في الوصول إلى اتفاق نهائي يضمن للأمة العربية التقدم والرقى مع الحرية والاستقلال .

غير أن الحكومة الفرنسية أصرت على نظر رأيها ولم تصنع إلى مقترحات الأمير ؛ ولذا فإن الأمير رجع إلى الإنجليز مرة أخرى لعلهم يساعدونه في حل هذا المشكل ، وهو يستند أن أمثال هذه المشاكل لا يستعصى عليهم حلها .

كتب الأمير مذكرة^(١) لستر لويذ جورج يباريس بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ يشرح فيها ما لقيته مفاوضاته مع الفرنسيين ، ورفضهم تشكيل اللجنة التي كان الإنجليز قبولها ، وأن الفرنسيين لم يقصدوا بدعوته إلا اجتماعه مع الجنرال غورو الذي صرح للأمير بأنه سيضطر إلى تنفيذ كل الأوامر التي يلقاها وأنه مع كرهه لسفك الدماء لا يجمع عنه إذا دعت الأوامر . والنمس الأمير في آخر كتابه مساعدة رئيس الوزراء الإنكليزية ، وفي ٢١ نوفمبر أرسل مذكرة^(٢) إلى رئيس الحكومة البريطانية محتج فيها باسم والده على ما يراى من احتلال بعض الأراضي السورية ، وبطلت مساعدتها ويذكرها بمعاملتها مع الملك حسين . ويظهر لنا من البرقية التي أرسلها سمو الأمير لوالده في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ التي فيها يصرح بأن الحكومة الفرنسية مصرة على إشغال أرقام مهمة من مقاطعات دمشق ، وحلب ، نسكاً بمذكرة ستر لويذ جورج ، وأن الأمور كانت سائرة في اتجاه مضاد لما كان يريده الأمير ويسى إليه ، ولكن يظهر أن توسط بريطانيا قد أثمر ، ففي ٢٦ نوفمبر أي بعد إرسال البرقية الأولى بأربعة أيام أرسل^(٣) الأمير فيصل إليه شقيقه الأمير زيد نائبه في سوريا ، وأرسل وزير الخارجية الفرنسية إلى الجنرال غورو

(٢) راجع نص المذكرة في القيل

(١) راجع نص المذكرة في القيل

(٣) تجد نص البرقيتين في القيل

الاتفاق المؤقت الذي تم بين سموه وبين وزارة الخارجية الفرنسية ليقوم الطرفان بتنفيذه ويقضى هذا الاتفاق :

(١) تأليف لجنة من فرنسي وأنجليزى وعربى لأجل نسوية المشاكل التى قد تحدث بين المناطق .

(٢) انسحاب الجنود العربية من القاع مع بقاء الدرك العربى فيها لحفظ النظام والأمن تحت أوامر القاعقام .

(٣) لانتحل الجنود العربية البقاع ولا محلا آخر من المناطق المحاصرة .

(٤) تشكيل لجنة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عربى للملاحظة حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدرك فى تلك الجهة ورفع تقريرها إلى القاعقام .

وفى نوفمبر سنة ١٩١٩ أرسل مسيو برتولو السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية كتاباً^(١) للأمير فيصل يسر فيه عن سرور مجلس الوزراء بالاتفاق على اللجنة العسكرية . الذى كان نتيجة لروح التآلف المتبادل ، غير أن مسيو برتولو صرح الأمير فيصل أن ما تم الاتفاق عليه هو تنازل مؤقت من الحكومة الفرنسية عن حقها الذى صادق عليه المؤتمر . وأنه إذا لم يؤكد هذا الاتفاق باتفاق مرضى وقاطع إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن الفريقين يستأفان حرية العمل .

غير أن هذا الاتفاق لم يمس على تنفيذه وقت طويل ، فإن السلطة العسكرية الفرنسية رأت أن تقع الثورة الوطنية التى بدت فى الأحزاب العربية والشباب العربى ، وأن أى صفة صدر أو تهاون قد يجعل مركزها فى سوريا حرجاً ، وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ حدث اعتداء على ضابط الارتباط العربى فقتل وجرح جاريشه ، فأرسلت القيادة الفرنسية قوة من الجند فاحتلت بعلبك ، فاحتج الأمير فيصل على هذا الاحتلال الخالف لروح الاتفاقية بكتاب مؤرخ فى ١٩ ديسمبر ، وأعاد الاحتجاج بكتاب آخر مؤرخ فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩^(٢) ، غير أن الاحتجاجات لم يكن لها أثر يذكر .

(١) راجع نص الكتاب فى القيل .

(٢) راجع نص الكتاب فى القيل .

رجوع الأمير فيصل إلى سوريا

وإعلان الملكية في دمشق

سبقت الأمير فيصلاً إلى سوريا إشاعات كثيرة منها : أنه عقد اتفاقاً أولياً مع الفرنسيين في باريس في ٦ ديسمبر يتضمن الاعتراف بالانتداب على سوريا وطلب المستشارين اللازمين لتنظيم الإدارات الملكية ، والمالية ، والأشغال العمومية من الحكومة الفرنسية وحدها ، ومدربين للدرك والشرطة ، كما أن الاتفاقية أعطت الأمير فيصل حق تعيين مندوب مفوض في وزارة الخارجية للدفاع عن الشؤون السورية ، كما أن الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج يقومون بتثيل المصالح الخارجية للدولة السورية . وشاع أيضاً في سوريا أن الاتفاق الأول عدّل في ١٦ ديسمبر باتفاق آخر في ١٢ مادة لا يخرج في حوزهم عن الاتفاق الأول ، وإن كان فيه شيء من التعديل فيما يختص بعمل المستشار المالي ، وإعطاء حق الأولوية التامة للفرنسيين في المشروعات والقروض المحلية ، واعتبار اللغة الفرنسية لغة إضافية إجبارية مع اللغة العربية . وقد قضت الاتفاقية الأولى والثانية على كتمان هذا العهد من الفريقين إلى وقت الإيضاح النهائي .

لقد نشرت الصحف هاتين الاتفاقيتين في وقتها ، كما نشرها بعض المؤرخين العرب بدون أن يخبرونا عن المصادر الوثيقة التي استقوا منها هذه المعلومات . وإننا لم نعرفها لدينا من الأوراق على شيء يتعلق بهذا الاتفاق . غير أنه في الكتاب المؤرخ في ٢٦ نوفمبر المرسل من سمو الأمير فيصل إلى السيو برتلو السكرتير العام للأموال السياسية الذي يشكره فيه على الحل الموفق الخاص بسحب الجنود الإنجليزية ، وتعيين لجنة مشتركة الخ . جاء في الكتاب المذكور الجملة الآتية :

« وإنني لم أزل منذ وصولي إلى باريس أصر كما هو معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهي أن تصدى كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التي مع قبولي ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية ستمنح للبلاد يطلب مني معونها المالية ،

ومستشارين بقصد التعاون الودي مع الحكومة العربية الوطنية المؤسسة من قبل الأهلين » .

وسواء كان الاتفاق المشار إليه صحيحاً أو غير صحيح ، فإن الأمير فيصلاً كان يود من كل قلبه الاتفاق مع الفرنسيين والاستعانة بهم على تسيير دفة الحكومة العربية ، غير أن سموه حينما وصل دمشق لم يجد حوها السياسي ملائماً لما كان يريد ؛ صهت الأحزاب في وجهه لا ترضى بغير الاستقلال التام بديلاً ، وأطلت زمام الأمور من يد القادة ، ووجد الشباب السوري (والشباب في كل بلد) قوة ريثية تندفع إلى ما تمتدده الحق بدون أن تفكر في النتائج التي قد تنتج . كثرت المصائب في البلاد ، وقامت النزاعات الطائفية مرة أخرى ، وهذا بالطبع لم يكن برضاء أو إيلاز الحكومة الوطنية السورية ، بل الظروف التي أحاطت بالبلاد هي التي حركت المازعات من جديد .

وأخيراً دعى المؤتمر السوري مرة ثانية لبيت في قضية الاستقلال وإعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا ، وأعلنت الأحزاب على اختلاف نزعاتها رفض الانتداب الفرنسي على سوريا . كما رفضوا الانتداب البريطاني على فلسطين ، فاجتمع المؤتمر السوري العام وقرر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ — ٧ مارس سنة ١٩٢٠ بإجماع الآراء استقلال البلاد السورية بمحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين استقلالاً تاماً . لا شائبة فيه على الأساس الذي التبابي ، وحفظ حقوق الأتاية ورفض مزاعم المصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو دار هجرة لهم ، واختاروا سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سوريا ، وأعلن انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في الماطق الثلاث . وقد حذا العراقيون القيسون في سوريا حذو إخوانهم السوريين فاقتاروا قادتهم الموجودين في سوريا الذين شكلوا المؤتمر العراقي الذي انعقد بجانب المؤتمر السوري وأعلن استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً له .

وفي يوم الاثنين الموافق ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ — ٨ مارس سنة ١٩٢٠ يوبع الملك فيصل ملكاً على سوريا ، كما يوبع شقيقة ملكاً على العراق ، وتأنقت بعد ذلك الوزارة السورية الثانية برئاسة هاشم بك الأمامي .

لم يقابل البريطانيون والفرنسيون هذه الحركة بالرضا واعتبروها تحدياً لهم ، وبالطبع فإنهما لم يتربعا بالمعيرات التي وقعت في المنطقة السورية ، واتقد جرت حوادث احتكاك كثيرة بين السلطات العربية والحكومة الفرنسية حملت سوء التفاهم بزداد بين الفريقين ، فاجاب السوري بنظر إلى الفرنسيين ، نظر المنعمر الذي يريد استبعاد الشعب والحكم فيه ، والفرنسيون ينظرون إلى السوريين نظر المخرض السكاره لهم ، العامل على خلق المتاعب في مستقبلهم ، وبالرغم مما كان يبذله القلاء لتكسين الحواطر الثائرة ، وإحلال الوئام مقام الخصام ، فإن جميع المساعي التي بذلت ذهبت سدى ، حتى أنه كان يتم بالخيانة كل من كان يشير بالاعتدال ، وأخيراً أرسل الجنرال غورو إنذاره النهائي في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ باسم الحكومة الفرنسية ، وقد تضمن البلاغ المذكور :

(١) تحمل حكومة سوريا كل تبعة إراء سكان سوريا الذين عهد مؤتمرو الصالح إلى فرنسا أن تمتعهم بمحفات إدارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والرخاء

(٢) أن سمو الأمير قد أجاب على ما أظهرته فرنسا من تأييدها رغبة السكان الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، بأن لسكان سوريا مصلحة كبيرة في طلب الثورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شئون الأمة ، نظراً لما أصاب البلاد من الإرهاق التركي ، وأن سمو الأمير دعا فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية

(٣) ذكر حوادث متعددة سببت إلى الحكومة العربية

(٤) سياسة حكومة دمشق العدائية بإدخالها بعض العناصر المشهورة ببداء فرنسا في الحكومة ، وانتخاب الوزارة من تلك الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض مساعدتها ، بل تتناول المجلس الأعلى الذي منح فرنسا الانتداب في سوريا

(٥) التباير الإدارية ضد فرنسا بمنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سوريا في المنطقة الشرقية ، ورفض التعامل بالورق النقدي السوري

(٦) اجتياز السلطة الشريفة حدود المنطقة الشرقية ، وتقديمها داخل المنطقة لظهور أنها توسعت توسعاً به إخراجنا

(٧) الاعتداء على الحقوق الدولية التي توجب على قائد جيش الحجاز الخذل قطراً سوريا أن يظل عثمانياً حتى تنقضى الماهدة بتغييره ، وألا يحاول تغيير الحالة الراهنة التي هو حارس عليها ، ولكنه تصرف عكس هذا متخذاً صفة السيادة العليا ، وقد قرر التجديد الاجبارى ونفذ مع أن البلاد لا تزال أجنبية ، وهذا الميث قد أكره عليه الشعب حتى فى المناطق التي لها شكل حاص كالنقاع ، وإعلان المجلس الملقب بالمؤتمر السورى الذى تألف واحتتم بصورة غير قانونية بين القوانين وتشكيل حكومة غير معترف بها ، فضلاً عن أنه قدم الملقب الملكى لسموكم بدون حق ولا وكالة

وطلب الجنرال غورو باسم الحكومة المطالب الآتية كضمانات لسلامة جنوده وسلامة السكان ، والضمانات هي :

(١) التصرف بسكة « رياق — حلب » الحديدية لإجراء جميع النقلات بمراثة مفوضين فرنسيين

(٢) قبول الانتداب الفرنسى الذى يحترم استقلال سوريا ولا يتضمن سوى المعاونة بين الدولة المنتدبة دون أن يتخذ شكل استثمار

(٣) قبول الورق الصورى

(٤) تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداء لفرنسا

وفد أعطيت مهلة أربعة أيام الاجابة ، تبتدى من نصف ايل ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠ ، على أن الحكومة الفرنسية ستكون مطلقة اليد فى العمل إذا لم يصلها إشعار بقبول هذه الشروط فى الوقت المعين

ثم أعقب هذا الإنذار مشوراً من الجنرال غورو على سكان سوريا ببيان موقف الحكومة فرنسا تجاه الحكومة العربية فى دمشق

لقد كان لهذا الإنذار أسوأ أثر فى سوريا كما أنه أوقع الحيرة فى نفوس المشولين ، أيسرون إلى النهاية فى خبطهم وينتظرون ما يحكم به القدر ، أم ينزلون على إرادة الجنرال غورو ويقبلون مطالبته بلا قيد ولا شرط

بعد محاورات كثيرة بين رؤساء الجيش وبين جلالة الملك ، وبين الملك وبين المؤتمر

السوري الذي كان يصر على خطة الدفاع عن حقوق البلاد مهما كانت النتيجة ، سلمت الوزارة لجلالة الملك الرد الذي وضعته على الإنذار الفرنسي ، ويتلخص في إنكار التهم التي نسبت إلى الحكومة العربية بتأليف العصابات وإيجاد جو مضاد لفرنسا ، وأن الحركة العربية هي في الحقيقة حركة طبيعية ضد الاستعمار ، وحتمت المذكورة بما يأتي :

(١) السماح بالورق السوري بالدخول إلى المنطقة السورية

(٢) إجراء التحقيقات القانونية في قضية المشتركين في الجرائم ، ومعاقبة كل من

ثبت إدانته حسب القانون

(٣) الاكتفاء بالمدد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط

(٤) قبول قرار مؤتمر سان ريمو على أن يعين شكله الصريح بواسطة الوفد الذي

سيُرسل إلى أوروبا لهذه الغاية

(٥) الموافقة على وضع الخطط الحديدية من رفاق إلى حلب تحت أمر السلطة السكوية

المشتركة من الجيوش السورية والفرنسية ، واتخاذ مدينة حلب قاعدة حرية على شرط

أن يشترك الجيش السوري مع الجيش الفرنسي في تحديد حدود سوريا الشمالية

ثم استبقت الوزارة الاناسية عقب ذلك ، ويقول الذين كانوا في سوريا في هذا الحين

إن الرد لم يرسل ، وهو في الحقيقة كان أساس قبول الملك فيصل شروط الجبرال غورو

بلا قيد ولا شرط ، فقد أرسل جلالته في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ برقية يخبره فيها بذلك ،

فخلق جواباً من الجبرال يقول فيه : إني أشكوك على تحكيم العقل في هذه الأمور ، وإما

أرغب إليك أن يكون جوابك على الوجه الآتي : أخذت إنيذارك للضمن الشروط الآتية ،

وقد قبلتها رمتها ، وقد كانت هذه البرقية سبباً في مد مدة الإنذار أربعة وعشرين ساعة

أخرى ، ثم أربعة وعشرين ساعة أخرى ، حيث انتهت مدة الإنذار في الساعة الثمانية

عشرة من يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٠ ، غير أن جواب الملك فيصل قد تأخر وصوله إلى

الجبرال غورو لأسباب لا تزال مجهولة قد تكون من بعض الموطنين الذين لا يروهم

أن يروا الصفاء سائداً بين الفرنسيين والعرب ، وقد تكون الأسباب انقطاع الأسلاك

البرقية ، وقد تكون غير ذلك . ولكن المهم أن الجبرال غورو قد عرف رأي الملك فيصل

في الوضوح ، ومع ذلك فقد تدرع بتأخير التلغراف ، وأمر الجيش الفرنسي بالزحف بهزم الجيش العربي بعد قتال لم يستمر أكثر من بضع ساعات ودخل دمشق في ٢٥ يوليو ، وأبلغ رئيس البعثة الفرنسية الملك فيصل أن يفادر دمشق عملاً بقرار حكومة الجمهورية ، ولم يحن يوم ٢٨ يوليو حتى وضمت فرنسا يدها على المدن الأربع ، وقصت القضاء الأخير على الحكومة العربية السورية

ولقد احتج الملك حسين أشد احتجاج على ما أنه فرنسا في سوريا ، ولكن الاحتجاجات لا تمثل من خطه القوى

لقد كان ما أصاب سوريا أكبر ضربة أصابت آمال الملك حين وعدت صرح أحلامه في إنشاء الإمبراطورية العربية . وفي الواقع لم تكن ضربة لآمال الملك حسين ، وحده بل ضربة لآمال متعلمي العرب وشبانهم الذين طامحوا الأتراك في أساليب حكمهم واستبدادهم بشئون البلاد العربية

على أن الملك فيصل في أثناء الحرب وأثناء إقامته في أوروبا ترك أحسن الأثر في نفوس عارفيه ومن اتصل به من البريطانيين ، فرشح لعرش العراق واختير في سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق ، ومنذ ذلك الوقت وجلالته يذأب على السهر في مصالح العراق حتى تمكن بكيامته ومساعدة قادة العراق من إلقاء الانتداب على العراق ، واستخلاص استقلال العراق والاعتراف به بشكل دولي محترم ، وجعل العراق منزلة تجسدها عليه سوريا إن تطورات الحوادث وسعى ملوك العرب في التفاهم وترك الخصاص والعداء الشخصي القديم مما يبشر بحير عظيم للأمة العربية ، وكل ما رجوه أن تحتج كلة زعماء العرب قاذمهم ، ويحملوا صالح شعب العربي مقدماً على كل ما سواه ، ويسلكوا الطرق العملية للوصول إلى غرضهم ، فإن ذلك كفتيل بمستقبل حسن للعرب

وإن من ينظر إلى الروح العربية قبيل الحرب في سائر البلاد العربية ، ويقارنها بالروح الحالية يشعر بتقدم عظيم وتطور في الشعور القومي يبشر بأمل كبير في المستقبل وإن الحرب العالمية الأخيرة قد أثرت خيرات الثمرات بإخراج الفرنسيين من سوريا ولبنان وتأييد حكومة جمهورية مستقلة غير أن عدم الاستقرار والطاحن الحزبي سادا البلاد ولعل القادة الحكماء بقودون الأمة إلى ساحل الأمان

أثر الثورة العربية في الحرب العامة

لا يصح أن نبائع كثيراً في تأثير الثورة العربية في الحرب العامة ، فإن الحجاز كانت معتقرة إلى الخلفاء في كل شيء . في السلاح والدخيرة ، والمؤونة والمذاء ، والقوات القوية . ولكننا من جهة أخرى لا يصح أن نقلل من أهمية الثورة وتأثيرها في موقف الأتراك في الشرق

والقورردسل وزير الحصار (وهو أخبر من غيره بمدى هذا التأثير) قد وصف الأعمال العسكرية بعد إعلان الثورة في مجلس القورردات في خطبة الآتية : —

« إلى باذن مجلس الدولة أصف بقدر ما يمكن من الإنجاز أدوار الأعمال الحربية التي جرت منذ إعلان الاستقلال العربي في مكة في شهر يوليو سنة ١٩١٦ . كان لفكر في ذلك الوقت في الأنظار الحجازية جيش نظامي مؤلف من عشرين ألف جندي مزود بالمدفعية المناسبة وكل لوازم القليات والمواد الغذائية والمهمات الحربية ، علاوة على السكة الحديدية العسكرية التي تصل الجيش المذكور مباشرة مع مراكزه الشمالية . إن العرب الذين انضموا تحت لواء الحرية والاستقلال لم يكونوا منظمين ولا مزودين بالأسلحة الحديثة ، وبالرغم من ذلك فقد تسنى لهم منذ أول الحركة الاستيلاء على جدة ، ومكة ، والطائف ، وينبع ، والوجه ، والمقبة وتبعا ؛ وعلى أثر ذلك انضم كثير من القبائل العربية إلى جانب جلالة ملك الحجاز ، وتطوع كثير من الضباط والجنود العرب الموحدين عندنا في الأسر في الجيش العربي ، وشكل جلالته منهم قوة متميزة مستديمة ليحفظ بها ما استولى عليه ، ويوسع نطاق الاستقلال العربي ، ولقد كانت نتيجة المجهود الذي بذله هذا الجيش القوي بقيادة أصحاب السمو : الشريف علي ، وعبد الله ، وفصل ، وزيد ، أن سواحل البحر الأحمر طهرت من الأتراك على مسافة ٨٠٠ ميل ، كما أن مواصلات السكة الحديدية العسكرية انقطعت مراراً عديدة ، وألحقت خسائر جسيمة في أدرات السكة الحديدية وعرباتها ومسودعاتها ، والمدينة المنورة نفسها محصورة منذ سنة . وقد تقدم الشريف

فيصل بمحبة حيثه من مكة إلى الطَّنِيفَة على شواطئ البحر الليث يعنى على مسافة ٨٠٠ ميل . وقد كانت نتيجة الثورة التي قام بها فريق من الجيش البريطاني على عمارة أسها ساعدت الجيش العربي على الاحتفاظ بمراكزه ، والخصائر التي ألحقت بالأتراك حتى الآن جسيمة جداً ، ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان : إن القوات العربية منذ الاستقلال العربي حتى الآن قد حصرت وأسرت وأشغلت ٤٠٠٠٠ جندي تركي ، وغنت أكثر من مائة مدفع ، وبالرغم من انهماك الحكومة الحجازية في الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال فقد تسمى لها انتاح عصر جديد من النظام والترتيب لم تعرضها الأنظار الحجازية منذ دخلت تحت سلطة الأتراك ، وقد نجحت الحكومة العربية باتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل الحج في السنين الأخيرتين ، ولقي الحجاج من ضرر الرفاهية والعناية الطبية ما لم يسبق لهم التمتع به من قبل ، وكان الحج في كلتا السنين سالماً من الأوبئة والأمبيدات العادية والاضطرابات . وفي القسم الشرقي من جزيرة العرب قد برهن الأمير ابن سعود أنه حليف متين ، وقد أحس استقلال القسم الأعظم من نجد ، وما زال أمير حائل شخصياً تحت حكم الأتراك ، وقد مضى عليه سنة وهو متغيب عن عاصمته ٥

وقد أطرى اللورد القتيبي شجاعة الجيش العربي وإبلاءه البلاد الحسن في إقصاء الأتراك عن البلاد العربية ، كما أطرى المساعدات العظيمة التي أسدوها والأثر الحربي الذي لا ينكر في ميدان فلسطين ، وأن العرب بانضواءهم للحلفاء لم يفيدهم فقط فائدة مادية ، بل إن الملك حينئذ بذل نفوذه المعنوي في سائر الجهات التي كان دعاة الأتراك يبتشرون فيها دعوتهم ضد الحلفاء

أرسل الملك حسين الشيخ (عباس ماسكي) من علماء الحجاز إلى اللجنة حسب طلب الإنجليز ، فشر الدعوة للشرية أو ببارة أخرى للحلفاء ، لأن غاية الجميع واحدة ؛ وأحبطت بمئة الشريف حسين مساعي رسل الأتراك وأعادت السكون إلى تلك الأطراف . كما هيا الشيخ سليمان أزمه لإرساله إلى بلاد التركستان ، ولكن الانقلاب الروسي حال دون سفره

سم إن الجيش العربي كان يستمد من الحلفاء لاسيما الإنجليز كل شيء : المال والذخيرة

والعداء والسلاح ، ولكن العرب لم يرضوا بشيء في سبيل استخلاص بلادهم من الأتراك ، بل بذلوا مومسهم وهي أعز شيء بذل السماح ، واقد أمد الحلفاء بعضهم البعض بالسلاح والرجال وغيرهم ، كما أمد الألمان الأتراك بالسلاح والمال ورجال الفن

ومهما قيل فإن ما أسداه العرب لحلفاء من الأعمال العسكرية وما حقنوا به الصنط عنهم أمن من الذهب الذي تدفق سرة تالية إلى الخارج بما اشتراه العرب من الضروريات لقد بالغ الناس كثيراً في هذه الإعانات ، ولم تركن أباً من الكتب التي شرت أحياناً أزال الستار عن هذا وأوضح لنا هذا الغموض ؛ ولذا فإننا نحاول باختصار أن نذكر شيئاً هاماً من الأوراق التي تحت أيدينا خدمة للماريخ العربي ، والحقيقة التي يشدها المصومون في كتاب بتاريخ^(١) ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ من دار الاعتماد البريطاني لذلك حسين أن الإعانات كانت توزع كالآتي : —

٤٠ ألف جنيه لسمو الأمير فيصل

٣٠ » » » » عبد الله

٢٠ » » » » علي

٢٠ » » » » زيد

١٥ » » » » بلدة

١٢٥ ألف جنيه

وإنه من ذلك التاريخ سيراد ١٠ آلاف على ما يدفع لسمو الأمير فيصل ، وشاهها لسمو الأمير عبد الله ، فيصبح ما يتناوله الأول ٥٠ ألفاً وما يتناوله الثاني ٤٠ ألف جنيه أي أن المبلغ الشهري كان أولاً ١٢٥ ألف جنيه فأصبح ١٤٥ ألف جنيه على أن هذا المبلغ قد زاد حتى وصل إلى ٢٠٠ ألف جنيه

وفي كتاب^(٢) لدار الاعتماد البريطاني بمدة تاريخ ١٣ أبريل سنة ١٩١٩ أن الحكومة البريطانية خفضت الإعانة التي تدفع إلى الحجاز إلى ١٢٠ ألفاً منها ٨٠ ألفاً للحكومة

دمشق أو بعبارة أخرى للأمر بمصل ، ولكنها زيدت بعد ذلك إلى ١٥٠ ألفاً ، ثم خفضت إلى ١٢٠ ألفاً مرة ثانية ، ثم إلى ١٠٠ ألف ، وأن في النية تخفيضها إلى ٨٠ ألفاً ، غير أن

الحكومة البريطانية استمرت تدفع ١٠٠ ألف للحجاز حتى شهر يوليو سنة ١٩١٩ وفي كتاب^(١) آخر من دار الاعتماد البريطانية لذلك حسين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٠

أن المبلغ الذي وصل إليه من الخزانة البريطانية عن المدة ما بين إبريل سنة ١٩١٨ لغاية ٣١ مارس هو مبلغ ٤٧٥٠٠٠ ر. باعبار ٢٠٠ ألف جنيه كل شهر مع إضافة ٢٥ ألف

جنيه علاوة على كل من ثلاثة الأشهر إبريل ومايو ويونية

وفي كتابين بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ وأول فبراير سنة ١٩٢٣ أن المبلغ الذي

وصل إليه من أول إبريل سنة ١٩١٩ إلى ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ كان ٩٢٥٠٥٧٥ جنيهًا و ٧ شللات ، و ٥ بنسات ، وفي أثناء سنة ١٩٢٠ للتداخلة في ١٩٢١ وصل إليه ٢٧٢٥٣

جنيهًا و ١٥ شللاً و ٦ بنسات

هذا ما يختص بالنقود التي كانت ترسل من الجانب البريطاني لمساعدة الثورة العربية ،

أما الأغذية فيمكن أن نقول : إن الحجاز ليس بلداً زراعياً يمكن أن يقوم بمحاجات سكانه وما فيه من الأودية المزروعة لا يكفي بمحاجات السكان ؛ ولذا فقد كان الحجاز دائماً محل

عطف ورعاية من سائر ملوك المدين ، وفي أثناء الثورة العربية كانت إنحلترا تقوم بتقديم كل ما يحتاج إليه الجيش العربي في سائر الميادين ، كما أنها كانت ترسل إلى مكة مقادير

غير قليلة للأهالي الذين كانوا في أشد حاجة لهذه المساعدة ، ربما كان من المفيد أن نشر قائمة مما أرسل من الأغذية في سبتمبر من سنة ١٩١٧ ليكون لدى القارئ صورة

صحيحة مما كان يقوم به بريطانيون أثناء الحرب لتأمين الثورة العربية

شهر مسقط

باقى وحدة لبيع وموالت	ياحرة القشرة الثانية	من المند	يرسل على الحرة	يرسل على الأرثورا	ما أرسل في هذا الشهر
٥٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	١٠٠٠	دقيق	يبيع
٣٠٠٠	٥٠٠٠	٣٢٠٠	١٠٠٠	أرز	
—	٢٥٠	—	٦٠	بن	
—	١٨٠	—	٣٠	سكر	
—	٢٠٠	٥٠	٥٠٠	شعير	
	٣٠٠٠	—	١٦٠٠	دقيق	الوجه
	٥٠٠٠	—	٤٠٠٠	أرز	
	—	٢٥٠	—	بن	
	—	٢٥٠	—	سكر	
	—	٢٥٠	—	شعير	
			١٢٠٠	دقيق	الأمير زيد بالشفقة
			١٢٠٠	أرز	
			٥٠	بن	
			٤٠	سكر	

ملاحظة :

١ — كل الأعداد معتبرة بأكياس صغيرة بخلاف الشعير فحسب بأكياس كبيرة

٢ — البن معتبر بالصناديق

اما الأسلحة والقشيرة فالشيرة كلها كانت مسلحة بأسلحة إنجليزية وقليل من

الأسلحة الفرنسية ، ولكن الشيء الذى يجب أن نذكره ها : أن الحكومة البريطانية كانت دائماً تتجنب كل ما من شأنه أن يثير شبهة تداخلها في الحجاز ، فلم ترسل طائراتها أو رجالها القنبيين إلا إلى الأماكن البعيدة عن مكة والمدينة ، ولعلها أن جيش الشريف ينقصه الشيء الكثير من الضباط المدربين والسكر النظاميين فقد أمدت جيشه بمدد من ضباط الجيش المصرى وجنوده في الطائف ، مكة ، والوجه ، كما أن الفرنسيين أيضاً أمدوا الجيش العربى ببعض الضباط ، ولكن أثرم كان صميماً بالمقارنة إلى المساعدات البريطانية

ويظهر أن هذه المساعدات كانت دون حاجة الجيش ، فإن الملك حسيناً كان كثير الشكوى ويطلب من وقت لآخر المزيد ، كما أنه كان يتهدد البريطانيين بالاستقالة إذا لم تحب طلباته ، ولكن البريطانيين كانوا يعالجون الأمر بالحكمة والصبر والأناة شأنهم في معالجة سائر الأمور حتى انتهت الحرب كما يشتهون من انتصاراتهم وانتصار حلفائهم على ألمانيا وشركائها

المعاهدة البريطانية مع الملك حسين

لا شك أن آمال الملك حسين قد أصابها شيء من التصدع بعد حوادث سوريا ، ولكن الآمال انهمشت قليلا بعد أن تموا ولده المرحوم الملك فيصل عرش العراق ، غير أن الملك حسين ما زال من وقت لآخر يراجع على البريطانيين بالوفاء بهودهم المتطوعة له ، والبريطانيون كما يتبين من أحاديثهم مع الملك فيصل شرحوا موقفهم جليا ، وأهمهم لا يفتقون مع ما يفهمه الملك حسين من اليهود ، ولكسهم من حبة أخرى كانوا يفتقون ، مساعدات الملك حسين لهم في الحرب العامة ، فكأنوا يودون أن يصفوا الحساب بينهم وبينه بمعاهدة سياسية ، فوعدوا لهذا الغرض الكولونيل لورانس سنة ١٩٢١ فتفاوض مع الأمير على ، والشيخ مؤاد الخطيب ، ودار البحث بين الطرفين على الحدود المجازية الجدية المتنازع عليها ، والحدود اليمنية والاعتماد العربي ، ثم على مشروع معاهدة بين الطرفين ^(١) ، ويظهر أن الاتفاق كان تاما ، لأنه ليس من المعقول أن يتم أى شيء بين الأمير على وبين الكولونيل لورانس بدون موافقة الملك حسين ، ولكن الملك حسين رفض المعاهدة لأنه لم يجدها متفقة مع أمانه ، لا سيما ما يتعلق منها بالبلاد المحاورة للبحر الأحمر وخاصة ابن سعود

وقد أراد سمو الأمير عبد الله حينما كان في لندن في حريف سنة ١٩٢١ أن يتدخل في الموضوع بإنهاء موضوع المعاهدة ، لا سيما وقد سبق له البحث مع الكولونيل لورانس أيضا في جدة ، وبالفعل فقد استخبرت دار الاعتماد الانجليزية في جدة في ١٢ نوفمبر ١٩٢١ عما إذا كان الملك حسين يرغب في أن يعيد سمو الأمير عبد الله فتح المفاوضات وإمضاء المعاهدة الثانية عن جلالة الملك ، فأجاب جلالته بكتاب صدره بالشكوى والعتاب ، وأنه أمضى المعاهدة وأرسلها للأمير عبد الله بناء على مذكرة الكولونيل لورانس بعد تعديل بعض المواد ، وأنها وإن لم تقف على التعديلات التي أدخلها الملك حسين ، غير أن تدخل

(١) في ذيل الكتاب نص مشروع المعاهدة وخلاصة المناقشة التي دارت بين الكولونيل لورانس

سمو الأمير عبد الله لم يقدم الموضوع خطوة ؛ وأن التعديلات التي أودعها على النص الموضوع لم يقبلها الجانب البريطاني

وتعد أوند الملك حين الدكتور ناجي الأصيل عدة مرات إلى البلاد الإمبريية لحل معضلة المعاهدة والقضية العربية على الوضع الذي يريده . أما ما يتعلق بالقضية العربية واليهود التي قطعت للملك حسين . فالدكتور ناجي الأصيل لم يكن له من العوذ والشخصية ما كان الملك فيصل والأمير عبد الله ، ولذا فإنه لم يكن يسطر له الأمور من هذه الناحية

أما من جهة المعاهدة فإن الحكومة الإمبريية قد استغفمت من الحكومة الهاشمية كتاب سرى مؤرخ في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ عما إذا كان الملك حسين مستعدا لقبول بعض إصلاحات في المعاهدة التي يحملها الدكتور ناجي الأصيل ، إن مستعد وتصل بريطانيا في حمة . - حدثت البحث والتوقيع على المعاهدة ، والإصلاحات المشار إليها قد ذكرت في كتاب سرى آخر مؤرخ في أول فبراير سنة ١٩٢٣ وهي :

- ١ - يحذف ما يتعلق بالإعانة لأن الإعانات كان قد تقرر قطعها
- ٢ - حذف ما يتعلق بالتمثيل القسلي بمصر لأن مركز مصر قد تغير عن سنة ١٩٢٢
- ٣ - إضافة مادة جديدة كالآتي : إن جلالة الملك حين ينفرد بالمركز الخاص لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وفلسطين

وإضافة مادة أخرى ترحيح النص الإمبرييري في حالة وقوع خلاف في مهم إحدى المواد ، وجاءت الملك حين على هذه التصحيحات كتاب مؤرخ^(١) ١٧/٦/١٩٢٣ بأنه قد تحقق طه الآن بأن القبط والمصعب عليا من بريطانيا المعطي بشأن المعاهدة هو من حمة الموء المتعلقة من سعود ، وهذه المسألة لا نقول عنها إلا شيئا واحداً ، هو أن عظمتها ترجح من سعود عليا ، بل من يقول إذا لم تروا أنها تكون معه على ما كان الآباء والأجداد في المادة والمعنى ، حدوا البلاد كلها وسلموها إليه ، ولا تنق عليه مؤاخذه أو معاتبة ، وهل من موجب بعد هذا على مشاركة بريطانيا له على ما يسلك من الدماء ، وما ينهب من الأموال

(١) قد احررها من الكتاب المأزات التي استعملها الملك حين دون أي تحرير

ويسحق ويمحق من الديار ، لإعانتها له بالمال والسلاح ، وإني لم أزل ولن أزل على هذه الفكرة .

أما إدخال المادة الخامسة عشرة (وهي الخاصة بالعراق وسلسطين) فحيث إننا معتقدون وجازمون بأن كافة البلاد العربية المحدودة في الوعود والعهود هي معنى قائمة بما يراد بقواكم في العراق وسلسطين ؛ فلا نرى لهذا إلا التشويش والاضطراب على شخص حالته خاصة والبلاد عامة ؛ وأشرنا إلى ذلك في كتابنا إلى مندوبنا الأصيل ، وفي برقيتنا إلى دار الاعتماد في ١٩ رجب سنة ١٣٣٧ ، وهو طلب ما تقرر أساساً من جهة حدود الشام والعراق والبصرة ، وحملت الإعانة الشهرية في مقابلة إشغالها للبصرة ، وأن أول شرط في مقرراتي المذكورة جعل ملادما المحدودة بتلك الحدود والمطلومة في تلك المقررات تحت حماية بريطانيا من كل تمدد الخ .

وهكذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولات التي سبقتها ، وقد ارتطمت المعاهدة بصخرة قضية فلسطين وموقف بريطانيا من ابن سمود ، وقد أناحت هذه الحلفاء القرمحة لابن السمود أن يغير على الحجاز ويضع آخر حد للخلاف مع الملك حسين .

المسألة الفلسطينية

لا يريد هنا أن نأخذ على تاريخ محاولة اليهود إنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، فقد أوردت لهذا الغرض مؤلفات خاصة ، ولكن الذي يهمنا أن نقرره هنا أن الحركة الصهيونية التي ظهرت بعد الحرب واتخذت شكلا أروع العرب لم تكن حديثة ، فالحكومة التركية كانت تعلم خطر هذه الحركة فوصفت في سنة ١٩٠٠ م بعمليات تقصى جمع مهاجري اليهود من الإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وقد احتجبت إيطاليا وأمبركا على هذا المحر ، ولكن الحكومة التركية لم تصغ إلى ذلك ، وقد بذل هرشل أكر القاتنين بالدموع جهودات عظيمة في الآتامة ، ولكنه فشل في حل الباب العالي على مؤمنة على أنه حكومة يهودية في فلسطين ، غير أن المساعي اليهودية لم تعرف اليأس بل سارت في أعمالها الاقتصادية والزراعية بكل تكتم ، كما أنها اشطت في عقد المؤتمرات المتعددة لإثارة حماسة اليهود وتوحيد مساعيهم والتعاطف في الوائل الملمكة

مدارأت الحكومة الاتحادية بيع نحو ثلاثة ملايين فدان من الأراضي في فلسطين وسوريا ، وأسكن الشهيد شكري بك القسلى هاجم المشروع في المجلس الباني التركي وبين المصار والأخطار التي تصيب البلاد من أحله ، فخطبت المسعى المدولة وطوى المشروع ، غير أن العموم لم يحدوا الوش أن التي يملكون بها الأرض ، والدرهم سحر كل شيء . دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا وحدثاها فانتشت آمال اليهود يوم صرح مستر اسكويث رئيس اودارة لإيجليرية بأن جرس حدة تركيا قد دق ، لاني أورو ما فقط بل في آسيا أيضا ، فاستشروا بأن تأسيس دولة يهودية في فلسطين أصبح ممكنا ومستقولا ، وبرز الدكتور ويزنس الأستاذ في جامعة مانستر واندفع حتى أصبح قائد الحركة الصهيونية العامة ، وهو الذي اعتبر دخول تركيا في الحرب مهدا جديدا فلسطين وفرصة مادرة يجب الاستفادة منها

قابل الدكتور ويزنس مستر لويد جورج وكان يومئذ وزير المالية ، وبسط له آراءه

وآماله يحمل فلسطين بلداً يهودية ، فارتاح إلى هذا الطلب ثم عمل على الاختراع مع مستر بلقور فآس منه كل تشجيع . لقد بحث الحلفاء (فرسا و بريطانيا) في تقسيم تركية الرجل المريض (تركيا) . وأمضى اتفاق (سايكس — بيكو) في ربيع سنة ١٩١٦ ، ولم يحظر بيال الحلفاء إذ ذاك مسألة اليهود ، غير أن اليهود الأترياء الأذكيا استطاعوا أن يصلوا إلى غرضهم بإقناع الإمبرليز بأهمية ما يرمون إليه

وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، أي بعد تصريح فانور بأسبوعين أرسل السير مارك سايكس كتاباً^(١) دورياً إلى زعماء العرب يوجه نظرهم فيه إلى أن الاهتمام بالنضية العربية يجب أن لا يوجه فقط إلى محاسنها في ميدان الحرب ، بل يجب أن يوجه أيضاً إلى بقائها سائرة بالاتفاق مع سياسة العالم والنهضة المصرية لأن النهضة العربية إذا صادفت محاسناً في ميدان الحرب فقط ، ولم تكن موافقة لأراء الحكومات وعناصر العالم المختلفة ، فإنها لا تنال التأييد السياسي اللازم لحفظ كيانها والضامن لحياتها بعد الحرب .

ووجه نظر قادة العرب أيضاً إلى أن العرب ، مع اتحادهم في اللغة والجس ، منقسمون انقساماً عظيماً جغرافياً وتهديبياً ، علاوة على الاختلاف الفاضى . عن تأثير الظالم مدة ستين طويلاً ، وقد أسدى النصيحة الآتية :

إن الحكومة البريطانية قد اعترفت بالمسيونية ، والمسيونيون أعظم قوة يهودية ، واليهودية منتشرة في العالم أجمع ، فإن اتخذت قوة المسيونية والعرب فإن تحرير العرب محقق ، وأما إذا انشقت هاتان القوتان فإن ذلك لا يفضى إلى الارتياح فقط ، بل يؤدي إلى القوضى الثالثة ، ويحلل العرب إذ ذاك إلى عناصرهم المختلفة من يهودى وحضرى ، مسلم ومسيحى ، ويستحيل ضمهم وجمع كلمتهم ؛ والمسيونيون لأن مستعدون لأن يتحدوا مع العرب في تحرير سوريا وغيرها من البلاد الباقية تحت نير تركيا في اتفاق تام مع الأرمن ؛ وعاية ما يبينه المسيونيون أن ينالوا حق الاستمرار في فلسطين ، وأن يمدشوا في مستمراتهم عيشتهم القومية الخاصة ؛ وقد طلب السير مارك سايكس من حكومة الحجاز أن ترسل مندوباً في اللجنة المؤلفة من الدكتور ويزمن رئيس المسيونيين

البريطانيين ، والمستر ملكولم مندوب الأرمن في لندن ، وهذه اللجنة تحت رئاسة السير مارك سايكس لمراقبة الاتفاق العربي الأرمني الصهيوني ونشر دعوته في العالم ، ومنع حدوث ما يضر به ، وحفظ الاتفاق بين النهضة الثلاث ، وضبط الأركان على الدوام ، غير أن الملك حبيباً لم يرسل مندوباً من قبله للاشتراك في أعمال اللجنة المذكورة ، كما أنه لم يبد رأياً خاصاً في هذا الموضوع الخطير ، إما لعدم علمه بالقضية الصهيونية ومخاطرها ، وإما لتفاته الدائمة بالبرطانيين ، وأهم سدا انتهاء الحرب العامة وانسحاب الأتراك من البلاد العربية سيدهوسها إليه كلها ، وهو يديرها بمساعدة الحكومة البريطانية .

توطدت العلاقات بين الصهيويين والحكومة الإنجليزية وحازت رضا كل من فرنسا وإيطاليا .

أخذت الصهيونية تدخل في دور دولي جديد اسماح مجلس الحلفاء الأعلى سنة ١٩١٩ لوبرن ومستر سكولوف بالحضور أمامه لتمثيل اليهود وشرح مطالبهم ، وقد سمع المجلس المذكور في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ اقتراحاتهم وهي :

(١) وجوب اعتراف الدول بحق اليهود التاريخي في فلسطين وشد أزهم لإعادة بناء وطنهم القومي .

(٢) أن تسل سلطة الحكم العليا في فلسطين إلى جمعية الأمم ، وأن يعهد إلى إنجلترا بالصاية عليها وتكون مسئولة أمام جمعية الأمم .

(٣) أن يضاف إلى صك الانتداب لحكومة فلسطين الشروط الآتية :

(١) أن توضع فلسطين في أحوال إدارية وسياسية واقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومي اليهودي ، وأن يؤزل ذلك في النهاية إلى إبعاد حكومة مستقلة بشرط أن يعمل شيء يبعث محنوق غير اليهود (العرب) في فلسطين ، أو محنوق اليهود التي يتمتعون بها خارج فلسطين .

(٢) للوصول إلى هذه الناية تقوم الدولة الوصية .

١ — بتشجيع الهجرة اليهودية وإسكان اليهود في الأرض الفلسطينية مع المحافظة على حقوق السكان الحاليين من غير اليهود .

ب - ونأسي وكالة يهودية في فلسطين وفي العالم الإنتراف على بناء الوطن القوي اليهودي في فلسطين .

ج - وبعد الاقتناع بأن قانون هذه الوكالة لا يصنع جلب الربح الخاص يجب أن يفصل على غيره بإعطاء المشروعات الاقتصادية وتمنح له الأولوية في كل امتياز الأعمال العامة أو في تشييد الثروة الطبيعية التي تحت الحكومة من الضرورة إعطاءها لها .

ومع أن مجلس الحلفاء لم يبد جواباً حاسماً لمندوبي اليهود ، إلا أن اليهود كانت ثقتهم عظيمة ببريطانيا ، وأسهم بواسطتها سيصلون إلى الغاية التي يتوخونها .

وفي سنة ١٩٢٠ بحث الحلفاء مرة أخرى في مسألة فلسطين فاعترفوا بمطالب الصهيونيين ووعد بنفور ، وقد تقرر أيضاً في سان ريمو بناء على أمان الصهيونيين أن تكون الحكومة الإنجليزية هي الحكومة الوصية على فلسطين ، فأندلت الحكومة البريطانية الإدارة العسكرية بمحكمة مدنية ، وهددت رياستها إلى السير هرت صمويل .

العرب واليهود

لم يكن من الطبيعي موافقة العرب على حمل فلسطين وماتاً قومياً لليهود ولا موافقتهم على فتح باب الهجرة لليهود بلا قيد ولا شرط ، لأن أراضي البلاد الزراعية محدودة ، وقدرتها على قبول السكان محدودة أيضاً ، وفتح باب الهجرة لليهود فقط مضاء إيجاد مزاحمين جدد للسكان .

لذلك بأنهم قد هبوا في وجه نمريج بنفور واحتجوا على السياسة الجديدة التي أدخلت على فلسطين ، وأرسلوا الوفود إلى كل من مكة ولندن ، فأما وفد لندن فإنه لم يصادف نجاحاً كبيراً لقوة اليهود المادية والأدبية وعظم نفوذهم في محتب الأكراب الإنجليزية ، أما وفد مكة فإنه أثار اللك حينئذ وحكومة مكة ووجد صدراً رحباً من جريدة القبلة ، فشر كل ما يريد نشره كما أنه أثار حاسة الحجاج المسلمين .

لم يسع الإنجليز السكوت على الحملات الموجهة إليهم قبل اليهود ، لأنهم هم المسئولون عن إدارة البلاد ، فكتبوا كتاباً طويلاً لذلك حسين بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٢٢ هاجموا

فيه الوفد الفلسطيني واتهموه بسوء النية ، وكذبوا كثيراً من دعاويه التي نشرها في الحجاز ، كما أسهم لاموا حكومة الحجاز والقائمین بتحرير القبلة على تركهم البيانات بدون تعليق ، وأردفوا الكتاب بيان من وزير المستعمرات عن سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ، فرد الملك حسين على هذا الكتاب المملول مدافعاً عن الوفد تارة ومعتزلاً تارة أخرى وقال :

« وحيث إن هذه المباحث كلها مخالفة لمقررات حلالة الملك مع بريطانيا وتمهيداتها لذلك لا يمكن البحث في الموضوع » ثم أبقى باللائمة على مشروع رتبرج وتسليح اليهود ، ثم على وعد بنفور بما لا يرى ضرورة لفصله ها .

وقد استمر الملك حسين على موقفه في فلسطين تحت تأثير الأحزاب العربية حتى آخر لحظة من حكمه ، وكان موقفه في فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الإنجليز ، وقد كانت عقيدة الملك حسين أن فلسطين هي حرم من الملكية العربية التي وعد بتشكيلها ، وأن وعد بنفور باطل لخالفته لليهود والوعود المنطوعة له من بريطانيا .

ولقد رأى الملك حسين أخيراً أن يوجه خطاباً للشعب البريطاني في نوفمبر سنة ١٩٣٣ يشكو فيه ما أصابه هو وقومه من حمية الأمل ، وما أصاب البلاد العربية من التقسيم بالرغم من اليهود والانفاقات ؛ واستنصر همه الشعب البريطاني المعروف بتفانيه في إنصاف الشعوب المظلومة . فلم تطمئن الحكومة البريطانية إلى موقف الملك حسين الجديد وتشجيمه للأحزاب العربية . فصنعوا النظر عنه وتركوه لحصه ابن السوء يحمل مشاكله معه بنفسه ، فغلب عليه وأقصاه عن الحجاز .

أما المسألة الفلسطينية فقد تطورت تطوراً خطيراً وتقتوى مركز اليهود بازدياد مهاجرينهم ، تارت فلسطين المرة تلو الأخرى ، واقترحت الحكومة البريطانية تقسيم فلسطين ثم عدلت عنه لأنها لم تجد عربياً يؤيده . وفي أواخر سنة ١٩٣٨ عقد مؤتمر فلسطين المشهور في لندن ولأول مرة اشتركت فيه الحكومات العربية ، ولكن المؤتمر قد فشل لأن مطالب العرب واليهود لا يمكن التوفيق بينهما . وأخيراً وضعت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض المعروف ، وقد كان خطوة طيبة لا بأس بها ، ولكن العرب واليهود قد رفضوه . وبعد انتهاء

الحرب الأخيرة عقدت الحكومة البريطانية مؤتمراً نقاش كاساغه ، وأخيراً تقدمت الحكومة البريطانية إلى الأمم المتحدة تخبرها باسحقها من فلسطين ، فقررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين فرفض العرب التقسيم ، ثم دخلت الحكومات العربية في حرب مع اليهود من غير استمداد حربي ومن غير اتفاق على الخطط التي يحب عليهم السير عليها ، فكانت النتيجة المزمجة المنكرة ، وكان من نتيجة هذه المزمجة ترك عدد كبير من سكان فلسطين مساكنهم وأملأهم إلى البلاد المجاورة وأبناؤهم مشردون هالك يعيشون عبثة يؤس وتعلمة لا يمكن تصورها .

أما اليهود فقد تجاوزوا الحدود التي حددتها الأمم المتحدة ، وما زالوا يهددون القسم الباقي من البلاد العربية المتناورة ، وهم بتشكيلاتهم المنظمة وبمؤدبهم الدولي يؤسسون خطراً عظيماً على الشرق الأوسط ، فطامهم لا يحدوم يحملون بما بين العرات والبليل . وواجب العرب أن يلجوا شملهم ، وبرأوا صدعهم ، ويصلحوا من أسرم ؛ وإلا فالخطر واقع لا محالة على بلادهم .

الملك حسين وجهيرانه

قلنا من قبل : إن جلالة الملك حسين كانت كل آماله موجهة إلى إنشاء إمبراطورية عربية^(١) برأسها ، وسواء كانت هذه الفكرة سهلة النال أو مستحيلة فإنه ما زال حتى آخر لحظة يدعو إليها ويدافع عنها حتى فقد ملكه في سبيل تحقيقها ، ونقول هنا أيضاً : إن أنجاله كانوا يوافقوه على هذه الفكرة ويسهون إليها بالرغم من أن الحلفاء عارضوا في لقب ملك العرب لأنه سيثير شكوك حكام العرب الآخرين .

لقد كان جلالة الملك فيصل من المعتقدين بهذه الفكرة ، فقد كتب إلى والده في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ يخبره بمساعيه في فرنسا ونمى لورفع العلم العربي على كافة أنحاء الجزيرة كالين وعسير وغيرها ، وإعلان انضمامهم له لكي يبلغ ذلك للدول ، ويتخلصون من كلمة ملك الحجاز ويقولون ملك العرب ، والأمير عبد الله في كتابه المؤرخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٠ إلى نائب الملك بمصر الذي يطالب فيه الحكومة البريطانية بالإمبراطورية العربية التي وعنتهم بإنشائها ، يقول في آخره :

وخلاصة المقال أن جلالاته يبحث عن أمرين :

الأول — عن المسألة العربية الكبرى

الثاني — في المسائل البدوية لبشايخ العربان الذين كانت لهم صلات بالحكومة البريطانية منذ الحكم العثماني على ساحل خليج فارس والحيط الهندي ، كان الصباح وابن سعود وغيرها ، ولا سيما الأخير الذي يدعى أن العهد البريطاني الذي بيده يسوغ له أن يفعل ما فعله من الحركات المعلومة التي شرع فيها إبان الحرب .

ولقد كتب الملك حسين ، بعد وفاة السيد محمد الإبريسي ، كتاباً لرؤساء قبائل عير يحث إليهم الانضمام إلى الحجاز ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، كما حاول الاتفاق مع

(١) راجع في القيل معروض الوحدة العربية الذي وضعه الملك حسين .

الإمام يحيى . أما ابن سعود فالتصومة بينه وبين الملك حين كانت أشد وأعنف
ولذا فإننا سنوضحها حقها من التفصيل .

عبد العزيز بن سعود والملك حسين

إن الرابع بين الأشراف وآل سعود برحم عهده إلى حركة الإصلاح الديني التي قام
بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمساعدة آل سعود ، هذه الحركة صحها حركة فتح وسط
سعود في سائر جزيرة العرب ، وأصبحت الحجاز مهددة في ذلك الوقت ، ومكة والمدينة
كانتا كالمهمة من حيث المركز العلمي ، كما أن الأشراف كانوا يرون في أمهم
الامتياز بالنسب وحكم البلاد المقدسة ، وكل شأنهم كشأن حكام جزيرة العرب من
حيث الانصال بالبادية والاشتغال بالزوايا ، فكان من الطبيعي أن يقوم بينهم وبين
آل سعود ما وقع من الخلاف :

أولاً - حسب الدعوة الدينية ، وأساسها فأنهم على إسكار البدع والمخالفات والقبور
والعائدين عليها .

ثانياً - الرابع على السيادة . فالأشراف يرون أن مركزهم الديني بالقرابة وإمارة
مكة حماهم في مركز لا يصح أن يقارن بمركز أي أمير آخر ، والحدود طامعا
بمخالفهم في هذا .

وفي سنة ١١٨٥ هـ أرسل الأمير عبد العزيز بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب
هدايا إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد مع الشيخ عبد العزيز الحصبني الذي أوفد إلى
مكة بطلب من الشريف لشرح ما عليه أهل نجد ، وبيان وجهة نظرهم الجديدة . وقد
وصل المذكور إلى مكة وتباحث مع علماء مكة في بعض المسائل ويقول ابن غنام المؤرخ
الجددي : إنهم أحضروا كتب الحنابلة فانتنعوا بأن ما عليه أهل نجد من هدم القباب ومنع
دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم حق ، وأن هذا مذهب الإمام الأعظم ، وأن الشيخ
عبد العزيز انصرف مبهجلاً مكوماً .

وفي سنة ١٢٠٤ هـ أوفد الأمير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشريف

غالب الشيخ عبد العزيز الحضيف مرة أخرى إلى مكة حسب رغبة الشريف غالب ،
واسكن علماء مكة في هذه المرة لم يقبلوا مناظرة الشيخ عبد العزيز ، ويقول ابن غنام : إن
الشريف غالباً قبل دعوة أهل نجد ، وقد يكون الشريف غالب تظاهر بذلك ليخفى
ما كان يدبره سرّاً من غزو نجد والقضاء على الدعوة الجديدة في عقر دارها ، إذ ليس من
المحتمل أن يكون شريف مكة أراد أن يمدح أمير نجد حتى ينصرف لتسكين الأحوال
الداخلية في مكة لا سيما مؤتمرات بي عمه صده ، فإن الدعوة الدينية وقوة أمير نجد لم تلبح
من القوة التي يحشى على مكة منها .

ويقول السيد دحلان : إن أمير نجد قبل انشاع أمره أراد الحج إلى البيت الحرام في أيام
الشريف مسعود بن سعيد ، فأرسل يستأذن في الحج ، وكان أرسل قبل ذلك ثلاثين من
علمائهم ، وطلب من الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الجديدين ، فأمر
الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكتهم وأمر بسجنهم ووصمهم في السلاسل
والأغلال ، وفي أيام لشريف مساعد أخى الشريف مسعود أرسل يستأذن في الحج ، فأى
وامتنع من الإذن له ، ولما تقلد الأمر الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة
من علماء نجد المناظرة مع علماء الحرمين ، فأى الشريف بعد ذلك أن يأذن لم بسبب
الاختلاف الواقع بين الفريقين ، وفي أيام الشريف سرور أرسل إليه يستأذن في
الحج ، فأجابه إن أردت الوصول فأى آخذ منك مثل ما آخذ من الأبحام ، وآخذ منك
مائة من الجياد لم يقبل . وفي أيام الشريف غالب أرسل أيضاً يستأذنه في الحج ، فدنه
وتهدده بالزحف عليه .

ومما كان الفرق بين رواية التجديدين والسيد دحلان ، فيما لا شك فيه أن أشرف
الحجاز كانوا يعتبرون أنفسهم ملاك البيت ، يسمحون لمن يريدون ، ويعمنون من
يريدون ، ولا شك أنهم كانوا يضمون الفراقيل في سبيل الحجاج التجديدين بسبب الدعوة
الدينية التي قامت في نجد .

وفي سنة ١٢٠٥ هـ هزم الشريف غالب حملة كبيرة لعزو نجد ، والقضاء على الدعوة الدينية
واجنثا أصلها ، ونزل عرش آل سعود ، وسار الشريف بنفسه إلى الشّرا ، ولكن هذه

الحلة وما تبعها من حملات رجعت نحو وراها الخبية والفشل ، كما كانت فاشحة شر بين آل سعود والأشراف ، فإن آل سعود لم يقبلوا تحكيم الأشراف في البيت الحرام ومنعهم من الحج ، كما رأوا في الأشراف قوة أخرى لا تزال تهدد من وقت لآخر ، وهي موئل الرحبة ولقنص للقبور ، ولذا فإنهم بعد أن استتب لهم الأمر في الجزيرة وقصوا على الإمارات الصغيرة واحدة تلو الأخرى ، ولم يبق لهم ملاذ في نجد وحدها بطرم شطر الحجاز ، فتنهوا وحكوه من سنة ١٢١٩ هـ إلى سنة ١٢٢٧ هـ ، ولولا الأعلاط التي ارتكبوها ضد الأتراك والعرب ما اعترض حكمهم أحد في الحجاز ، فإنهم يفضلون الأشراف بقوةهم وقدرتهم على اسط الأمن والضرب على أيدي قطاع الطرق والظالمين في الحجاز من البدو .

وفي سنة ١٢٦٣ هـ تولى الشريف محمد بن عون جد الشريف حسين قيادة حملة تركية للقضاء على ساطة الإمام فيصل جد الملك عبد العزيز ، فوصلت هذه الحملة إلى القصيم ، غير أن الإمام الداهية البعيد النظر أحبط هذه المؤامرة بالاتفاق مع الأتراك على أن يكون مستقلاً في بلاده خاضعاً لسيادتهم ، ويدفع لهم مقابل ذلك مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف ريال . ولقد كنا نظن أن مرور الأيام طوت صحائف العداوة والحقد بين هاتين العائلتين ، ولكن الزمن بدد هذا الظن ، وظهر أن الأشراف لا تزال قلوبهم مملوءة بالحقد على آل سعود بالرغم من أن آل سعود لم يكن لهم قبل ربع قرن من الزمن من القوة والعبود ما يؤبه له ، ولقد سمعت من كثير من النجديين لا سيما من كانوا في بطانة آل رشيد ، وقد أكد هذه الرواية الملك عبد العزيز أن الشريف علياً باشا أمير مكة الأسبق كانت باكرة أعماله في إمارة مكة بعد الشريف عون إهداءه أسلحة ودماحاً إلى الأمير عبد العزيز الرشيد خصم الأمير عبد العزيز آل سعود ، والقارى يعرف أثر هذه الهدية في نفس الأمير عبد العزيز آل سعود (الملك عبد العزيز الآن) .

ولما تولى الشريف حسين إمارة مكة بعد الدستور الثاني ظننا أن عهداً جديداً سيكون للبلاد العربية ، لأن الشريف ذاتي من ظلم الأتراك بإساعدهم له من مكة كما ذات طم الحرية بعد عصر الحرية ، ولكنه أبى إلا أن يكون آلة في يد الأتراك لضرب العرب ،

فقد سار هو وأولاده في الحلة التي سيرها الأتراك لصرب الإديسي في حير ، وهذا كله ليبرهن الأتراك إخلاصه التام . أما الأمير عبد العزيز بن سعود فقد كان له من مشاكلة في نجد ما يفتنيه عن خلق مشاكلة جديدة بينه وبين الشريف حسين ، ولكن الشريف حيناً بحجة المطالبة بمقتبة خرج من الحجاز حتى الشُّعرا ، أول قرى نجد ، واعتقل سعد بن عبد الرحمن شقيق أمير نجد كرهينة ، ولكن أمير نجد تقام مع الشريف حسين وجاراه في أغراضه وأعلن أنه لم يكن من مصلحته إلا إخلاصه للدولة التركية وللأشراف ، فإن الرابع بينه وبين أبناء عمه ، وبينه وبين حصصه الأولاد ابن الرشيد كان على أشده ، بل إن مصلحته تقضى بحطب ود شريف مكة ومحاسنته ، وهذا ما كان .

وبعد هذا التغام أرسل أمير نجد في رمضان سنة ١٣٢٨ أحد أبناء عمه إلى مكة مع هدية من جواد الخليل ، وقال في كتابه (١) : « إنا حاسبون (٢) أنفسنا من خواصكم وإلا هديتنا رؤوسنا وما نحت أيدينا ، وحررنا هذا الكتاب لموجب الترضي غلظتكم وما يبدو من اللازم ، وإلا أسركم علينا تام على كل حال ، وما تفضلون معنا ونحطون أنظاركم علينا ، نجدون إن شاء الله مضاعفاً بالخدمات والسمع والطاعة » .

وفي كتاب آخر مؤرخ ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٣٠ يقول : « اطلنا على تحرير عطفكم لحضرة سيدي الوالد المحرور في ٢١ صفر سنة ١٣٣٠ ، وقد سرنا سلامتكم وبما أشرتم من اجتناب كل ما يخالف مراضى سماحتكم الماددة ، والله الطلع أنقى أسى إليها ، وإني حريص لاستجلاب مراضيك لأن من أحسن آمالنا وأقصى مرامنا رضاكم ، وبالعكس نحن محرومون من التمانك حتى نال منا تشقياء المفسدون الذين لا غاية لهم إلا التهب واللب ، وإفلاق الراحة وإحداث الفتن ، فاعتقدوا أننا لم نخاف مراضيك ولم نقصر في إبراز الصداقة والحبة والمحسوبة لحضراتكم في جميع مساعينا ، ونرجو من لطفكم بأن لا نكونوا من فكر من جهتنا أبداً ، وألا تخرجوا من دائرة الحبة والصداقة ، ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعا الحكومة الشورية ، وتعرضوا لإحلاصنا وخطامنا

(١) راجع نص الكتاب التي أرسلها الأمير عبد العزيز إلى الشريف حسين في القبل .

(٢) هذه لغة للكتاب تشعرا كما هي طبع الأصل .

الصادرة في مرضاة دولنا الدستورية ، وتروى حاضراً استعداداً مع عموم أهل نجد لكل ما نكفوننا وتأمرنا به ، أبدى السدة العثمانية تميزاً وروحاً »

فإن السعود في كنهه كان يصترف للأشراف عالم من المصلحة والرياسة ، وذلك على شرط أن لا يدخل الأشراف في الشؤون المحلية المخصصة

بعد اشغال بار الحرب أو حس الأتراك شئ . مما سيجاوله شريف مكة ، فعرضوا على أمير نجد إمارة مكة ، غير أن ابن السعود رفض هذا العرض ، لأنه سيجر عليه مشاكل لا قبل له بها ، ولأن قول هذا العرض سيجعله في موقف عداء مع الإمبراطور ، وابن سعود يحرص على مصالحهم ومصادقاتهم .

وفي سنة ١٩١٦ م حلق الشريف حسين الأتراك ، أعلن الثورة العربية واستقلال البلاد العربية وانهضها نهائياً من الحكم التركي

رحب أمير نجد بالحركة العربية ، وتبادل هو وشريف مكة الكتب الودية والمدايا مما جعلنا نعتقد أن العرب سيدخلون في عصر جديد من التقدم والاتحاد .
غير أن إعلان الشريف حسين نفسه ملكاً باسم ملك العرب ، أثار شكوك أمير نجد ، فاحتج ، ولم يسمع إلا بالإحباط إلا الاعتراض على لقب ملك العرب .

لقد كان من آثار تجديد الدعوة الدينية في نجد دخول المشائر الناجمة للحجرات من سبع وعتية في دين الله ، تلك المشائر التي اشتركت مع تلك حسين في إعلان الثورة وكان لها أثر يذكر في فتح الطائف وحدة ، والميل على الحميت التركية ، فكان من آثار ذلك ازدياد الحياء بين الملك حسين والأمير ابن سعود بالرغم من سعي الحكومة البريطانية للتوفيق بين الفريقين ، فإن هذا السعي لم يشر النمرة المطلوبة وإن قلل حدة الخلاف . لقد دخل كثير من المشائر التي كانت موالية لذلك حسين في الدعوة الدينية ، وأصبحوا بمقتضى هذه الدعوة يرون أن ملك الحجاز ليس من حماة الدين ، بل بالعكس حامى البدع ، وأخذت زيارة شيوخ القبائل للأمير نجد تثير سخط الملك حسين ، واعتبر هذا خيانة عظيمة له .

أرسل الملك حسين بعض قوات تأديبيه لتأديب أولئك الخارجين وأدهم بالفعل ، بعد

إن السعود هذا التهديد موحياً إليه ؛ اختل الأمن على حدود الحجاز بالغزو المستمر ، ووصلت الكتب التي يرسلها أمير نجد إلى شيوخ القبائل يدعوهم إلى التمسك بأهذاب الدين ، وأن أهل نجد لا يقصدون إلا إعلاء كلمة الله . فثارت تاترة الشريف حسين على ابن سعود ، ومن ابن سعود هذا ؟ أليس هو بأمير صغير ؟ كيف يتطاول على مقامنا ويتجاوز حدوده ؟ كانت نفس الملك حسين تميش بهذه الكلمات طبعاً ، إذن يجب تأديبه أو انتصاؤه عن ملكه حتى يقف غيره عند حده

قام الملك حسين فانتجهرات العسكرية في الطائف وتزينة وحجز كل قواته بالدائع والرشاشات ، إن عشائر الحرمة لا تحتاج إلى كل هذا ؛ فإلى أين هذه القوات ؟ إلى الإحصاء أى إلى الساحل الغربي على خليج فارس ، هذا كان يقوله قواد الملك حسين ، وماذا في نجد ؟ ألم تكن لكم عظة بمن حاول هذه المحاولات قبلكم من الأشراف والأتراك ، ألم تبتلهمهم رمال نجد ؟ إلى نجد نحن لا نكلكم مؤونة الذهاب إليها ، إن دون نجد أهلها ورجالها . هذا جواب أمير نجد عبد العزيز بن سعود

سار أمير نجد بمنجوده حتى أصبح قريباً من تربة ، والجند الشريفى لا يزال فيها ، غير أن غتية وبعضاً من سبيع أغنوا ابن السعود مؤونة الوصول إلى تربة ، فصبحوا جيش الشريف على غرة ، وانقضوا عليه من كل جانب ، وقتلوا كل من أوتقه القدر في أيديهم ، والسعيد من وجد سبيلاً لفرار ، ولم يجد هذا السبيل إلا فر قليل بينهم القائد العام الأكبر عبد الله أمير شرق الأردن (ملك الأردن)

هل يتقدم ابن السعود إلى الأمام ؟ لقد وصل إلى تربة وأقام حولها يحصى التنام ويقسم الأسلاب ، وليس هناك ما يمنع من دخوله الطائف وهو على بضع ساعات منها . بل لا شيء يمنعه من دخول مكة إذا أسرع إليها ، فإن القوات التي يعتد عليها الملك قد فئت في وادى تربة ؛ فزع الشريف حسين إلى الانجليز أن اضفروا إلى ابن السعود يريد الاستيلاء على الحجاز ، والانجليز لا يمكن أن يتركوا حليفهم فريسة لأمبر نجد ؛ أيدخل الأمير فيصل دمشق ليؤسس دولة عربية هالك ويخرج والده من الحجاز ؟ إن هذا غير معقول طبعاً

أرست الحكومة البريطانية إنذاراً للأمير عبد في ٤ يونيو سنة ١٩١٩ م - ٥ رمضان سنة ١٣٣٧ هـ ، وحذرتة مقبلة قدس في الأراضي الحجازية ، لم يسع للأمير عبد العزيز إلا الرجوع إلى محلاته وهو الرجل العاقل المديد النظر لم ير من مصاحبه الدخول في محادثة مع الحكومة البريطانية .

ولقد توترت العلاقات بين الحكومة البريطانية وبين ابن سعود لحمل الحكومة البريطانية بما كان يجري بين الفريقين ولمدم وقوفها على حبة الأمر ، أضف إلى ذلك أن الحكومة البريطانية ، وقد حرحت من الحرب طاهرة ، كانت متشعبة بمكرة لورس التشجيع الأشراف المعجب بهم ، وقد حارب معهم جنباً إلى جنب ، وقد كانت الحكومة البريطانية تقطع الإعانة المالية التي كانت ترسلها إلى ابن سعود لولا ما أرسه على من انتقارير إلى لندن (نائب المندوب السامي بالعراق) الذي شرح موقف ابن سعود لحكومته ونعذى الأشراف لأن سعود وأن ابن سعود لم يكن إلا مدافعاً عن نفسه .

فراحت الحكومة البريطانية أن تسمى بين الفريقين لإزالة ما بينهما من جماء طالت منها أن يتبدلا كتب مودة اعل هذه الوسيلة تكون سناً في حلول الصماء محل الحفاء ولكن الملك حسين ليس سهل القيادة ، فإنه لم يصنع لمصح الحكومة البريطانية فلم يرسل كتابا ورفض اسلام كتاب أمير نجد . فكتب إليه نائب الملك بمصر كتابا ، طاولا بتاريخ ٥ نوفمبر جاء فيه :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا نظراً إلى عنايتها بمصالح العرب المؤهوية تقف إزاء اشتعال الحرب في جزيرة العرب موقف القن المضطرب ، خصوصاً لكون حدوث ذلك يؤثر على القرارات السياسية التي سيتفق عليها قريباً

نم إنه لا يجب أن يجاسر جلالتم أقل ريب في وفاة الحكومة البريطانية محكم ، التي يتحتم عليها عدم اتخاذ جانب من سعود أو غيره فيما يصير بمصالح جلالتم ، غير أن جلالتم لا يجهلون شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وابن سعود الصامنة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها بتبعه بصفة رسمية أنها تنتظر إلى كل عمل يأتي به خارج بلاده بعين السخط ، بل رفضت طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ، رد

على هذا أيتها طلبت منه إيقاف الحركات العدائية ضد ابن الرشيد صديق الأتراك التي كان قد شرع بها بناء على طلب الحكومة البريطانية نفسها

إننى لا أذكر هذا إلا لعرض إيقاف جلاتكم على حقيقة الحال ، ولكى تقدروا حق التقدير البواعث التي حلت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلالتكم بالوقوف عند معلوم فيما يتعلق بمسألة الغرمة وغيرها من شئون القبائل ، ونظراً إلى ما سبق ذكره ، وما تكرر وروده في كتب جلاتكم يصعب على تصديق الخبر الذي جأني وهو أن جلاتكم رغبتم في قطع العلاقات الودية مع ابن سعود مما يكفى عنه يارباعكم رسوله ورفضكم كتابه

إسى أرجوكم أعظم الرجاء أن تبتعدوا لمنع كل البواعث الجوهرية التي تؤدي إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه شأن سياستكم نحوه ، فإنه وإن كان أقل درجة من جلاتكم وأصنف موارد ، لا يفكر أنه ذو تأثير وأهمية في السياسة العربية »

ساد السكون الحدود المجازية بقية سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ تقريباً ، وتبدلت الكتب الودية بين الفريقين ، فالأمير عبد الله في كتاب له مؤرخ ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ — ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ يقول :

« إسى قبل كل شيء أحمد الله الذي أحمكم وأنهمكم على إركاب الأخ أحمد إلى هذا الجانب ، لحسم ما هو واقع من الأمور المحزنة والحوادث الفجعة التي لاسبب لها سوى غايات متتابعة ، إذ أننى على يقين من أن والدى وشخصكم لا تريدون لبعض ما يريد المدو لمدوه ، وأن لكل منكم متعاً فيها هو لأبائه ، كما أن فطنتكم الذاتية وحسبكم السياسية لا شك أنها أوحى إليكم كما هي أوحى إلينا معروضية تغير الشكل الحاضر وتزوم التفاهم في كل وارد وصادر »

إن تبادل الكتب بين الفريقين لم يمنع من وقوع حوادث بعد ذلك على الحدود ، وهذا بالطبع للاختلاف في الرايات الدينية بين القبائل الحاضرة للحجاز والقبائل الحاضرة لتبجد

ولما فإن الملك حسين رأى أن يمنع المتجدين من الحج في عام ١٣٣٨ — ١٩٢١ .

غير أن الحكومة البريطانية أغلقت الكتابة لأن سعود لكي يعمل على إسكان الحالة في حدود الحجاز ، وتدخلت مع الملك حسين للإذن للنجديين بالحج أسوة بسائر المسلمين وفي سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م ، أذن للنجديين أن يحجوا ، فحجوا تحت إمارة مساعد ابن سويلم ، وقد عثرنا على كتاب من سلطان نجد (كان الأمير عبد العزيز أعلن نفسه سلطاناً على نجد سنة ١٩٢١) للأمير علي أكبر أعمال الملك حسين يقول فيه :

« لما رأيت بفضل صاحب الجلالة الوالد المعظم بفضل عنايته بالرخصة وبالسماح لأهالي نجد لأداء فريضة الحج حيث برهن على حسن عواطفه وإظهار فضيلته ، أحببنا أن نرخص لبعض رعايانا لزيارة بيت الله الحرام بصحبة حادسكم مساعد بن سويلم ، فأنخذت هذه خير وسيلة وأعظم فرصة لأهدى حصرتكم جزيل السلام ولأعبر لسوكم عن عظيم اشتياقي وخالص نواياي لتجديد عهد الصداقة ، وتعكبن الصلوات الحسنة والمناسبات الودية المشتركة التي تربط القطين الإسلاميين غير ملتفتين إلى ما قدر الله رغم إرادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التي طالما أوجست لتأسفاني وكندري ... الخ »

غير أن الخلاف قد عاد مرة أخرى بطريقة أشد ، فإن الملك حسيناً أي أن يسمح للحجاج النجديين مرة أخرى ، والحكومة البريطانية تتوسط بين الجانبين فيتهما الملك حسين بمحاولة ابن السعود وترجيحها إياه

إن الواقف على المراسلات التي كانت تدور بين الملك حسين وبين الحكومة البريطانية^(١) في هذا الموضوع لا يرى موقفاً أشرف من موقفها لتوفيق بين الجانبين المسلمين العرب ، السماح بفتح أبواب الحجاز للحجاج النجديين أسوة بسائر المسلمين ، وإزالة أسباب التراع والخصاص بين الفريقين كي يسود السلام جزيرة العرب

ولقد كان جلالة الملك حسين مرة يرفض السماح للحجاج النجديين خشية إخلالهم بالأمن ، وتارة يتنازل لقبول عدد قليل منهم ، كما أنه في بعض الأحيان يشترط قدومهم بالبحر كاثو الحجاج

وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سلطان نجد إلى المندوب السامي بالمراق بمنحه أن

(١) اختارتا محررتين في هذا الموضوع في القبل

ليس في إمكانه تحديد عدد الحجج العجدين لعام ١٩٢٣ . كما فعل في عام سابق ، ولم تر الحكومة البريطانية سبباً مشروعاً لتغيير موقفه ، فأرسلت الحكومة البريطانية البيانات لمثلها بمدة ، مكس بدوره للحكومة الهاشمية بتاريخ ٢٨ يناير بحرها بتوقف سلطان نجد ورأى الحكومة البريطانية ، واقترح الدخول في معاهدة مع سلطان نجد لتعقد معاهدة على نسق المعاهدة التي عقدت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سلطان نجد للحكومة البريطانية يجبرها أن عددًا كبيراً من رعاياه يرغبون في أداء فريضة الحج ، وأنه لا يقدر أن يحدد العدد كما فعل في حج سنة ١٩٢٢ ، وأن الحكومة البريطانية لا ترى أي مانع لفتح باب الحج لكل من يريده من العجدين ما دام الحج في العام الماضي كان على خير ما يرام ، وقد اقترحت الحكومة البريطانية عماسة الوقت للمفاوضة في معاهدة حدود مع ابن سعود على طريقة المعاهدة التي تمت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل ، فكان جواب الملك حسين أن لا يقبل حجهم في هذه السنة إلا إذا أدخلوا الجوف وسائر الجهات التي اعصموا من البلاد كزائنات ، وبشة ، وثرمة ، ونواحي نخيبر وما شاكلها . وأما المعاهدة مع ابن سعود على طريقة معاهدته مع العراق ، فإن هذا البحث مفروغ منه لأننا كلفناه المرة بعد الأخرى أن هو ملوككم بأننا مسلمون لذلك على أساس الشروط التي أخرجناكم بها ، وهي إما أن يعود ابن سعود إلى ما كان عليه في زمن الآباء والأجداد من جهتنا ووجهته ، وإما أن يأتي ويسلم البلاد جميعها لأن الأساس المقصود هو خدمة البلاد

ومارالت الحكومة البريطانية جادة في تقريب مسافة الخلاف بين سلطان نجد وملك الحجاز حتى هيأت المؤتمر الكويتي ، جمعت بين جبهة الأشراف : — الحجاز . العراق . شرق الأردن — وبين سلطان نجد في يناير سنة ١٩٢٣ ، ولكن هذا المؤتمر قد فشل . وقد أحس الملك حسين بما بينه وبين البريطانيين من الخلاف ، مكتب وزير خارجيته كتاباً إلى رئيس المتمدنين البريطانيين في شرق الأردن يظهر فيه رغبته في التقارب بين البلدين ، غير أن فشل مؤتمر الكويت وتنازع الحوادث في الحجاز التي انتهت بسقوط الملك حسين حالت دون مجاز هذه الرقعة الأخيرة

سياسة الملك حسين العراقية

لا زبد أن نأني هنا على تاريخ الأشراف وتفوذهم في الحجاز ، فقد أوردنا فصلاً خاصاً في هذا الموضوع ، كما أنا أوردنا أشياء كثيرة في ثنايا الكتاب تبين ما كان لهم من النفوذ والسلطان في الحجاز ، لاسيما إذا كان شريف مكة على اتفاق تام مع الوالي عند ما أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك ظننا أن البلاد العربية ستدخل في دور جديد من الإصلاح والتقدم ، وكاد هذا الظن يكون يقيناً عندما رأينا كثيراً من شبان العرب وهم القائمون أولاً بالحركة العربية في تركيا التفوا حوله وأسندت إلى بعضهم إدارة بعض الأعمال

تقد قام الملك حسين في أول سنة من القيام بالحركة بتأسيس الوزارات ومجلس الأعيان ، كما أنه هم بفتح بعض المدارس في مكة والمدينة

ولكن يظهر أن جلالة الملك حسين وما يقرب عليه من سوء الظن وسرعة تأثره بالوشايات جعل بعض هؤلاء الشبان يفضل ترك العمل بالمرءة ، وبعضهم يفضل الاشتغال مع أولاده ، لاسيما الأمير فيصل والأمير عبد الله ، لأن العمل مع الملك حسين لا يمدى ولا يشر ، على أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى رأينا ميدان الحجاز قد خلا من الشبان العرب النزيهين ، ولم نرحول الملك حسين إلا أولئك الضعفاء الذين لا يهمهم إلا ضمان مصالحهم الشخصية ، غرقت السفينة أو سلت

إن بلاد الحجاز في حالتها الحاضرة أشبه بحالة البلاد الإسلامية الأخرى قبل مائتي سنة ، ولكن الزمن الآن قد تغير كثيراً ، والحججاج يأتون من كل ناحية ولا يحدون في الحجاز التقدم الذي حدث في بلادهم ، لا يحدون طرقات ولا وسائل مواصلات كالتي يشاهدونها في بلادهم ، وكذلك وسائل الإنارة والشرب والصحة والتعليم وغير ذلك من وسائل العمران الضرورية

والحجاز وإن كان من البلاد الفقيرة التي لا تكتفي مواردها للقيام بهذه الإصلاحات

إلا أنه مركزه الديني يحد شتى المساعدات من الأمراء المسلمين ومن أغنياء المسلمين إذا رأوا عزماً صادقاً من الحكومة المهمة على شؤونه

لقد كنا نأمل أن لذلك حبيفاً يحكم ماله من النسب الكريم والمثلة الرفيعة في نفوس المسلمين ، وأنه - وهو الرجل الذي وقف على وسائل الحصار في الآستانة - سيضرب الناس أفضل الأمثلة بقدرة العرب على الإدارة والتنظيم ، ولكن الأيام خيبت هذا الظن ؛ فالملك حسين في هذه الساحة كان كغيره من الأشراف لا يهمهم ما يجري في العالم ، كما أنه لم يتم بالواجب المنتظر منه للبلاد المقدسة ، وأقد حاولت الحكومة البريطانية أن تساعد الملك حبيفاً على تنظيم مالية الحجاز في سنة ١٩١٩ - سنة ١٩٢٠ لأنها في ذلك الوقت كانت لا تزال تدفع إعانة للملك حسين - وميرانية الدولة هي أساس الإدارة في المملكة فلم توفق ، حاولت كذلك إصلاح إدارة السكرتيرية والصحة وهي أهم شيء في الحجاز لأنها هي الركن الأول لسلامة الحج فلم توفق أيضاً ، حاولت أيضاً أن تساعد الحجاز بعينات طبية ترسل من الهند لأن إدارة الصحة في الحجاز غير منظمة من جهة ، ولأنه في زمن الحج حيث يكثر الوافدون لا تكفي الاطباء التي تقوم بها حكومة الحجاز ولا عدد الأطباء المواطنين ، وهذه مهمة إنسانية لا عاصضة فيها على حكومة الحجاز ، ولكن الملك حبيفاً رفض هذا الطلب من بريطانيا كما رفضه من مصر أيضاً ، معتقداً أن ذلك يحط من شأن حكومته ويمس استقلاله ، ولم يجد توسط الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل) في هذه الأمور ولا غيره

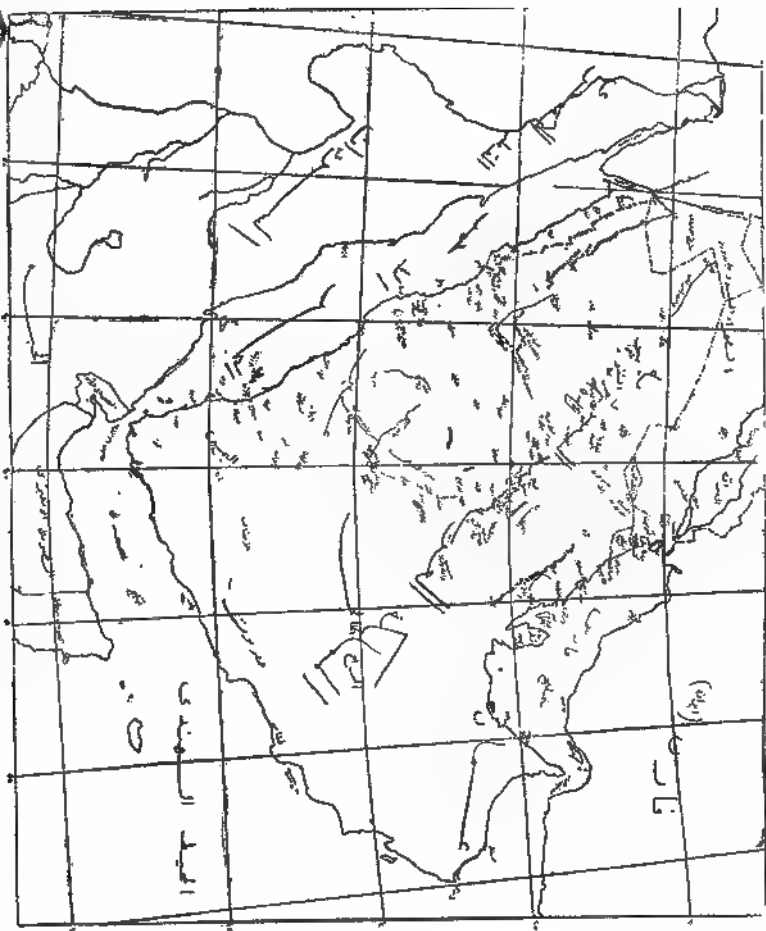
أما السياسة المالية فلم تكن تتجار عما كان معروفاً في أيام غيره من الأشراف (الملك وما ملكت يدها لسيده)

فالضرائب تؤخذ بغير انتظام حسب إرادة الملك ويرفق بها الناس . وهكذا يخرج الملك حسين من الحجاز ولا يترك أثراً من آثار الإصلاح فيه ، كما أنه لم يستطع أن يسطر الأمن في جميع أنحاء المملكة ؛ فاعدا المدن الحجازية كانت سيوف الماشرك مصلية على رقاب الحجاج ، لا يتركونهم يسافرون إلى المدينة إلى بعد أن يأخذوا منهم ما يرضونه عليهم من النقود . وفي سنة ١٩٢٤ رجعت قوافل الحجاج من «رابغ» لأن الماشرك رفضوا أن

يدعموا غاية حنيتها الملك حسين من أربعة عشر، وهي الأجرة المفروضة للجمال، وبالطبع قد صاع ما دفعه الحجاج بين الملك حسين وبين المشار

على أنه مهما كانت أغلاط الملك حسين السياسية فإن الرجل كان أفضل الأشراف المتأخرين وأقلم ظلماً، وأعلام جليماً نفساً وأعظمهم شخصية، وهو بلا شك أفضل من الشريف عون الذي ضج من ظلمه كل من زار أو سكن الحجاز، وأفضل من ابن عمه الشريف علي في كثير من الصفات الشخصية، ويجب هنا أن لا ننسى الرجل حقاً؛ فهو أول عربي حمل للملاد العربية شخصية دولية وشأناً لا ينكر في أوروبا

ولأن وقد وصلنا إلى الصراع بين الماهليين الكبارين في الجزيرة العربية : الملك حبيب والملك عبد العزيز بن سعود، وانتصار أحدهما على الآخر بعد معارك حربية وسياسية دامت سبعة عشر عاماً، نرى من الواجب علينا أن نأتي بخلاصة تاريخية وافية لحياة الملك عبد العزيز، والدور الذي لعبه في السياسة العربية والاسيا بعد استيلائه على الحجاز ويحمل لنا نبل أن نأتي على حياة الملك عبد العزيز أن نذكر فصلاً تاريخياً عن عائلة آل سعود ودورهم التاريخي، وأنهم في الانقلاب العظيم الذي كان في القرن الثامن عشر لقرب الشبه بين ما تم في عهد آل سعود وعبد العزيز الحالي



آل سعود

آل سعود من قبيلة عنزة من غنذ السالينغ ، و يوجد هذا القنذ الآن قرب حمص ، وعنزة من أكثر الشائر العربية اتحاداً و بطوناً و أكبرهم عدداً ، فهم ممتشرون في العراق وسوريا و نجد ، و هم لا يزالون يفتحرون بالملك عبد العزيز ، كما أن الملك عبد العزيز يكرم الوافدين عليه منهم ولا سيما من كان من السالينغ ، وعنزة من ربيعة

في سنة ٨٥٠ هـ ^(١) قدم ربيعة بن مانع من بلده القديم للمسى (بالدرعية) قرب القطيف ، على ابن درع صاحب سبج و الجزعة قرب الرياض وكان من عشيرته ، فأعطاه ابن درع الملبيد و غصيبة المرويين في الدرعية ، فنزل هناك و عمرها هو و بنوه من بعده و اتسع في العارة ، و ولد لمانع ربيعة و صار له شهرة و اتسع ملكه ، ثم موسى و صار أشهر من أبيه ، و بعد موسى ابنه إبراهيم ؛ و إبراهيم هذا جد مقرن ، و سعود جد عائلة السعود

قبل سنة ١١٥٠ هـ ، و هي السنة التي وفد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الكبير على محمد بن سعود لم يكن لآل سعود شأن كبير في نجد ، ولم يكن لهم تأثير يذكر في شئون الجزيرة العربية ، بل كان شأنهم شأن غيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية ، و كانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدة ، لكل منطقة أمير يتد أو يقصر نفوذه حسب كفاءته الشخصية و همته ، و الأمراء البارزون في ذلك أشراف الحجاز : بنو خالد حكام الاحساء ، و ما والاها ، من المنطقة الشرقية على خليج فارس ، و آل مسر في المينة ، و السعودون في العراق ، و إمام صنعاء في اليمن ، و السادة في بجران ، و البوسعيد في مسقط و عمان . و بعد أن تعاهد الأمير محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب على تطهير جزيرة العرب من البدع و الخرافات و نشر كلمة التوحيد ، دخلت نجد أو بالأحرى

الدرعية مع سائر الإمارات الأخرى في حرب دينية دامية ، كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح

ورعما كانت سنة ١١٧٨ هـ - ١٧٦٥ م من أشد السنين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الإحساء عمره الخالدي وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله ، وتواصدا على الزحف على الدرعية لفضاء على عهد الدعوة الدينية وخضد شوكة دعائهما ، وقد زادت هزوم محمد بن سعود عند ما رأى وقعه وحيشه ينكسر في الحيار بين الخرج والرياض ، هذا وعمره ومن معه من الجنود لم يصل سد ، غير أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدد من عزيمته محمد بن سعود وذكره بما وقع لهن في غزوة أحد ، كما أن زوجة محمد بن سعود وكانت من الصداقات المخلصات للدعوة ؛ كان لما أثر لا يفكر في زوجها ، وقد تمكن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب من الصلح مع صاحب نجران وإطلاق ما تحت أيديهم من أسرى ، ثم رجع صاحب نجران قبل أن تصل جنود بني خالد ، ولما نازح جوم بني خالد ومن ألف حولهم من عشائر المهجران قد رجعت بمد ما وصلت قرب الدرعية

وفي سنة ١١٧٩ هـ - ١٧٦٦ م توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ؛ وتولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز^(١) ، فسلم على خطة أبيه في التعاون مع الشيخ على تجديد ما اندرس من معالم الدين وإعلاء كلمة الله ، كما أنه واصل غزواته على الإمارات والبلدان التي أظهرت التمرد ورفض الدعوة الدينية الجديدة ، ففي سنة ١٢٠٨ هـ فتح الأحساء جيش التوحيد ففضى على بني خالد ، كما أنه في سنة ١٢١٢ هـ قضت هذه القوات على جيش الشريف غالب حول الخرمة وهو أقوى خصم لم ، وقد قضت السياسة : أن تمقد هدنة بين الفريقين ، وافتح سبيل الحج للعباج النجديين ، فخرج سعود لأول مرة في سنة ١٢١٤ هـ ، كما أنه حج في السنة التي تلتها ، غير أن الهدنة انقطعت ورمى كلا الجانبين الآخر بدم احقرامه لشروطها المتفق عليها ، وعلى كل حال فإن السياسة التي وضعا المصلحون النجديون هي : نشر علم التوحيد

(١) ولده عبد العزيز سنة ١١٣٢ هـ

في كل جزيرة العرب والقضاء على القوات المارضة ، حتى يسود الأمن سائر الجزيرة ،
وحق تأمين الدعوة نشر الانتفاض والمعارضة
وفي سنة ١٢١٥ هـ ساعد آل خليفة على استرداد الزبارة والبحرين من سلطان مسقط ،
وشمل آل خليفة بحمايته ، ولم تأت سنة ١٢١٧ هـ حتى كان سعود في جوف الخجاز ،
وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٨ هـ دخل سعود مكة بمجوشه بعد ما أمن أهلها وبعد ما أظهر
الملاء قبولهم للإصلاح الجديد ، غير أن لاشريف ما لث أن استرد مكة بعد رجوع الأمير
سعود إل الدرعية

وفاة الامام عبد العزيز

في ١٠ رجب سنة ١٢١٨ هـ اغتيال أحد الأجانب الامام عبد العزيز وهو في الصلاة ،
وقد اختلف الرواة في جنسيته ، ويرجح أنه من شيعة كربلاء للمتصيين ، أراد الانتقام
للبلدة وما أصابها وما أصاب أهلها من الأمير سعود في غزواته عليها سنة ١٢١٦ هـ من
هدم قبة الحنين ومصادرة أموال القيمين في تلك للبلدة

صفات الامام عبد العزيز

اشتهر الامام عبد العزيز بالتواضع والبعد عن زخارف الحياة ، لا يبالي بما يلبس
ولا بما يأكل ، وكانت غايته الوحيدة هي مواصلة عمل أبيه العظيم من القضاء على البدع
والخرافات ونشر دعوة التوحيد ، كان شديداً في الحق وتنفيذ أوامر الشريعة الإسلامية
لا يبالي بمن ينفذ عليه الحكم ؛ فريضة الله عنده مقدمة على كل اعتبار
وكان قاسياً على قطاع الطرق والعابثين بالأمن من البادية ؛ لا يكتفي بالتميز البدني .
بل يضيف إليه غالباً شيئاً من المصادرة المالية . ومال اليدوي هو الجمل والخيول والغنم ؛
ولذا فقد ساد الأمن جميع الطرق والبلدان التي امتد نفوذه إليها

سعود بن عبد العزيز

ويج للأمير - ر - بعد وفاة أبيه ١٢١٨ هـ (١٨٣٠ م) وكان الشيخ محمد بن

عبد الوهاب قد أخذ له البيعة بعد أبيه في سنة ١٢٠٢ هـ ؛ لأنه كان أكبر أبناء عبد العزيز سنّاً وأشدّهم بأساً وأشدّهم بصيرةً وأكبرهم عقلاً وأكثرهم تفانياً في الدعوة إلى الله ، وقد كان في حياة أبيه هو القائد للحبش والفتح لأكثر البلدان التي دانت لهم

وقد استمر حكمه من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله ، كما أنه واصل زحفه في الشمال إلى ضواحي دمشق ، فدانت له بادية الشام والعراق ، كما امتدت فتوحاته جنوباً إلى رأس الخيمة في عمان وزيد في اليمن

وقد بلغت الدولة في أيامه أوجهاً وغايتها ، إلا أن أغلاطه السياسية والإدارية أوقعت في مشاكل مع الأتراك والعربين وشدته المتناهية صرفت التلويح عنه وجعلت الناس يتهمزون القرمص للانتفاض عليه

كان سعود من أحسن الرجال صورةً وجلالاً ، ورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه ، وقد كان يرعى لميته أكثر مما اعتاده العرب ، وكان العرب حتى خصومه يمتدحون شجاعته ومهارته الحربية ، وكان عالماً بأصول الدين والفقه والحديث ، حيث درس ذلك على جده لأنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وسعود لم يأذن قط لأولاده أن يتدخلوا في شئون الدولة ، بل حصر ذلك في نفسه وفي ولده الأكبر عبد الله

وكان يسكن هو وعائلته في بناء كبير خارج الدرعية ، كان بناء أبوه على سفح الوادي ، وكان كل أولاده وعائلاتهم ، وكل إخوته وعائلاتهم يسكنون في هذا البناء كل له جناح خاص به وبمائلته

وفي هذا البناء كان سعود يستقبل مشايخ القبائل ويمد لهم اللوائد ، وينزل السكابر منهم فيه . أما الأشخاص الثاويرون فإنهم كانوا ينزلون في منازل الدرعية وترسل إليهم التحيات والتلويح لدواهم . وقصر سعود كان دائماً غاصاً بالضيوف

وكان مجلس سعود مفتوح الأبواب للجميع وكان من عادته أن يستقبل الزائرين في الصباح الباكر . وبعد الظهر ما بين الساعة الثالثة والسادسة ، وكان من عادته بعد أن

يتناول طعام العشاء أن مجلس بين قومه وزائريه ويتلو أحد العلماء ^(١) شيئاً من القرآن وتفسيره أو من أحاديث النبي ، وكثيراً ما كان سمود نفسه يتولى تفسير ما يصعب تفسيره على السامع ، وكان دائماً يقول في نهاية كلامه « والله أعلم »

وكان من طباع سمود أن تأخذه الخلة والانفعال عند ما يتبين أن أحد الأعراب خدعه أو غشه ؛ فيتناول عصاه ويهوى بها بنفسه عليه ، ولكنه كان يعود إلى نفسه بعد قليل ويستمر الله ، وقد أصدر أمره لمن يكون حوله وقت غضبه أن يحولوا بينه وبين ضرب أى أحد من الناس ، وقد كان دائماً يحميهم هذا التدخل بعد أن نهى فائزته

ولم يكن سمود ممن يخل بالأنقاب ؛ فكان الناس ينادونه باسمه أو يا أبا عبد الله أو يا أبا الشوارب ، كما كان هو بدوره لا يسمى الناس إلا بأسمائهم محذرة عن الأنقاب وكان سمود في ملبسه مثل ماني الشعب لا يتميز بهم بشيء ، غير أنه كان أيقاً في ملبسه ويجب التنظر دائماً

وكانت مصاريف سمود في الثياب على الصيوف وعلى الخيل ، فإنه يقال إنه كان لديه مالا يقل عن ألفي فرس ، وكان من هذا المدد حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ دائماً في الدرعية ، والباقي في الاحساء حيث الرعي الجيد ، فكانت أكرم جياذ بلاد العرب عنده . إما أنه يكون قد أخذها من أربابها عقاباً لم على محاربة ارتكبوها أو دفعاً لقرامة استحققت عليهم أو أنه اشتراها من أصحابها بعالة الخاص ، ويقال إنه كان لا يتأخر أن يدفع خمسمائة أو ستائة جنيه ذهباً ثمناً لفرس

وأباح سمود أن يكون لكل ولد من أولاده حرس خيالة من ١٠٠ — ١٥٠ فارساً أما عبد الله فكان له وقت حياة أبيه أكثر من ثلثائه فارس تحت أمره وفي خدمته . يضاف إلى هذا المدد كثير من التوق الأصيل السريعة ، حيث كان لدى سمود أحسن وأجود أصنافها في بلاد العرب

وكان عدد الذين يتناولون الطعام يومياً في قصره يتراوح ما بين الأربعمئة والخمسمئة شخص : منهم خدمه وحاشيته والأضياف . وكانت أصناف الطعام هي : الأرز والبرغل

(١) لا تزال هذه متبعة في العائلة السمودية إلى وقتنا هذا

والنمر والحم ، وكان سعود يأذن لأولاده الكبار وللكبار المشايخ أن يتناولوا الطعام على مائدته الخاصة

ولم يحتفل سعود في قصره بأى عيد من الأعياد كما يحتفل به في الأمصار ، وكان يقول : إن هذه العادة لم تكن موجودة في صدر الإسلام

والنظام الذى أوجده سعود^(١) من إفاء مسئولية الحرائم التى تقع فى منطقة على شيخ القبيلة الذى تقع هذه المنطقة تحت نفوذه قد حمل الأمن بسود كل جزيرة العرب تقريباً ، وأفرح قلوب الذين كانوا معرضين للمعارات والنهب . والسكان سواء فى محد أو الحجار أو الين قد استراحوا إلى نظام الحكومة السعودية ، ولا سباً إذا قورت بحالة النفوس القديمة ، وأقبل الأهالى على الزراعة لأنهم آمنوا شر القبائل التى تهدد محصولاتهم

كان سعود مشهوراً بالقسوة على الحرمين . سمعت مراراً من جلالة الملك أنه حبس مرة بعض شيوخ مطير ، فجاء بعض كبارهم للاستشفاع لهم وأنس منهم روح الاعتزاز ، فأمر بقطع رؤوس المسجونين ، وأحضر رؤوسهم على مائدة قدمت لبنى مهمم الذين جاءوا للاستشفاع فيهم ، ثم أمرهم بالأكل من المائدة !! وقد قص هذه الحكاية جلالة الملك عبد العزيز على شيوخ مطير الذين جاءوا للاستشفاع في فيصل الدويش ، ولكن جلالة الملك عبد العزيز لم تعرف عه قسوة من هذا النوع ، غير أن سموه وإن عرف بالشدّة فى معاقبة لمن يتجاوز حدود الشرع ، فإنه كان كذلك مشهوراً بوفائه لأصدقائه الخالصين معه ، فأى شيخ يخص الخدمة لسود يمكنه أن يعتمد عليه فى جميع الملمات والشدائد وكانت ولا تزال أشدّ عقوبة يمكن أن تنزل بمعجم أن تخلق لحيته ويغاف به فى الطرق ، والعربى يفصل الموت على خلق الحياة

فتح الحجاز

لقد فتح سعود الحجاز فى أوائل سنة ١٢١٨ هـ فى أيام والده ، وعين الشريف عبد الدين أمير على مكة من قبله ، ولكن الشريف غالباً تمكن من التخلل على القوة التى وضعت

(١) وهذه السياسة هى التى اتبعها الملك عبد العزيز فى سياسته الداخلية

في مكة واستردها منهم ثانية ، ثم استمرت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تمكن من الاستيلاء على الحجاز مرة أخرى في سنة ١٢٢٠ هـ . على أن يبقى الشريف غالب في إمارة مكة من قبل سعود ، وأمر الشريف غالباً بهدم القصور في جدة ، وأمر أهل جدة ومكة بالإفلاج عن شرب الدخان ومنع يمه في الأسواق ، وأمر بمنع المنكرات والمجاهرة بها ، وترك لبس الحرير والذهب وإبطال المكوس والمظالم ، ومصادرات الناس في أموالهم . وعاهده الشريف غالب على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز : من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة ، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء إلى غير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشفاعة ، وما أحدثوه من بناء القباب والخراف وتقبل الأعقاب ، إلى غير ذلك مما جد وحدث وجعل ديناً والدين منه براء ، كما أمر الناس أن يلبسوا إلى الصلاة حين سماع الأذان ، وألا يصل في الحرم إلا جماعة واحدة ، كما أمر العلماء أن يقرأوا الرسائل التي وضعها علماء الدرعية ، ولقد استمر حكمهم للحجاز من سنة ١٢٢٠ إلى ١٢٢٨ هـ ، وكان سعود وأهل نجد يحبون في كل سنة ، وهذا النظام في المدينة أيضاً وسائر البلدان المحبزية

لقد خضع أهل الحجاز وشريف مكة للحكم السعودي ، وأصبحت مكة نقطة من الإمبراطورية السعودية ، وتعدت أحكام الدين حسب الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن كل هذا لم يكن إلا سيطرة لقوة القاطنين

بداية الخلاف مع المصريين والآثراك

في سنة ١٢٢٠ هـ قال الأمير سعود لأبيرى الحج الشامي والمصري : ما هذه العريجات التي تأتون بها وتسطونها ، فأخبره بأن هذه الحملل إشارة لاجتماع الناس ، وهي عادة قديمة ، فقال لم : لا تعلموا ذلك بعد هذا العلم ، وإن أتيتم بها فإني أكسرهما ، وكذلك شرط عليهما أن لا يأتيا بطبول أو زمر ، وفي السنة التي بعدها أي سنة ١٢٢١ هـ كتب الأمير سعود إلى أمير الحج الشامي ، وكان قد وصل قرب المدينة : لا تدخل الحجاز إلا

على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي ، ورحلوا تلك السنة من غير حج
ويقول العلامة ابن شرقي تاريخه في حوادث سنة ١٢٢١ هـ : « سعاداً حشداً
حشواً عظيمة قرب المدينة وأمرهم أن يمدوا الحجاج الآتين من الشام واستبول وواحيها ،
فرجع الحمل الشامي إلى وطنه ، وكان أميره عبد الله بن المظفر ، لأن سعاداً غشى من
مكائد غالب ، وأخرج سعاداً في تلك السنة من كان في مكة من الأتراك ، كما أخرج
منها كل من فيها من الماسكر التركية ، وبعد حجه تلك السنة دار المدينة الدورية
فتوى حاميتها وأجلى من المدينة كل من يمازرها »

قال العلامة الجبيري المؤرخ المصري : وفي سنة ١٢٢٣ هـ انقطع الحج الشامي والمصري
متعائلين بمع الوهابي الناس الحج ، وليس الأمر كذلك ، فإنه لم يمنع أحداً أتى إلى الحج
على الطريقة المشروعة ، وإنما منع من يأتي بالذبح التي لا يحبرها الشرع : مثل الحمل
والطبل والزمر ، وقد حج طائفة من المغاربة فلم يتعرض لم يسموه

أما ما رواه السيد دحلان من حرق سعاداً للحمل المصري في سنة ١٢٢١ هـ وأمره
أن ينادى : لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الدقن ، فلم أجد فيما
كتبه النجديون ما يؤيده أو يبعيه ، والذي يطهر لنا من هذه الرويات أن سعاداً لم يقبل
دخول الحمل لأنه بدعة ، كما أنه لم يقبل دخول الماسكر التي تصاحب الحمل حشبه أن
تحدث حدثاً في الحجاز ، وهو بعد ليس مطمئناً ولا يأمن بجانب الشريف غالب فسكبر
على الأتراك والمصريين هذا الأمر الذي أعادوه مدة طويلة

ولقد سمعت من بعض شيوخ نجد وسمعت هذه الرواية أيضاً من جلالة الملك انتقاداً
لسياسة سعاد : إنه في الوقت الذي غاضب فيه الأتراك ورد حجاجهم ، وكان فيه أحد
بنات أو شقيقات السلطان التركي ، كان يتهدى مع شاه إيران ويتقرب منه ، كما أنه
انتقده أيضاً في قبول نصائح غالب التي لم تكن تتطوى على الإخلاص ، بل كانت تنطوي
على استتارة الناس ضد الحكم السعدي ، وإن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قد نصح
سعاداً بعدم الإصغاء لنصائح الشريف غالب ، كما نصحه أيضاً بالاعتدال في معاملة الأتراك
والمصريين ، غير أن سعاداً كما قدمنا كان شديداً ، كما أنه كان شديد التعصب لرأيه

أما أهل الحجاز فقد ذكرها المحكم السعودي لأنه قطع عنهم الحجاج وحال بينهم وبين ما كان يردم من الصدقات ؛ ولذا فقد هاجر كثير منهم إلى مصر واستنبول وشكروا لسلطان ولحمد على باشا ما أصابهم من الشدة والعيق بعد الاحتلال الجديد واقطاع ما كان مرتباً لهم من الإعانات . أما الشريف غالب فإنه لم يقدم حضوره للأمير سعود ولم يبايعه على الطاعة اعتماداً منه أو إحصاءً له ، بل لأنه غلب على أمره ؛ ولذا فإنه ما فتئ^{*} يكانب محمد علي ولسطان تركيا يستجدهما على خلاص الحرمين الشريفين

وفي سنة ١٢٢٢ هـ صدر الأمر من السلطان سليم لحمد علي بتوليته الحجاز ومحاربته الروهابين . غير أن محمد علي لم يكن يستطيع تنفيذ الأمر فوراً ؛ لأنه لم يستقر أمره بعد في مصر ولا يزال يخشى من نفوذ المماليك

وفي سنة ١٢٢٦ هـ بدأت الحملات العسكرية من مصر فاحتلت يبيع في السنة نفسها ، وبالرغم من انسكار طوسون في الصفراء والقضاء على الحملة قضاء تاماً ، فإن محمد علي أعاد الكرة مرة أخرى وأخذ يستميل بالمال أسراء العربان ، والشريف غالب يمهده السبيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف في سنة ١٢٢٨ هـ

واتد سمعت من بعض كبار النجديين أن محمد علي حاول أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات بينه وبين سعود لأن المهمة التي وكلت إليه وهي استرداد الحجاز قد انتهت وليست هنالك فائدة من الحرب ولا مطع لحمد علي في نجد ، ولكن سعوداً أبي أن يعقد هدنة أو صلحاً مع محمد علي

ويقول السيد دحلان : إن سعوداً نفسه هو الذي طلب الصلح من محمد علي وانقضاء عنان الضابقي عامه على الطائف ، ولكن ماسح الصلح لم تتم حيث اشترط محمد علي دفع المصاريف التي صرفت على الحملة العسكرية ، ورد للأخوة من الجواهر والأموال التي كانت بالحجرة النبوية أو ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد علي ، وسواء صحت الرواية الأولى أو الثانية ، فإن محمد علي وضع خطه لقضاء على الدولة الجديدة ، وقد عمل على استتباب الأمر في مكة فقبض على الشريف غالب وأولاده وأرسلهم إلى مصر ، وبذلك لم يبق له متازع في الحجاز

وفاة الامام سعود

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) توفي الإمام سعود بالهرعية على أثر حى أصيب بها . ولئن شاء القدر أن يشاهد سعود قبل موته إعلانات الحجاز من يده مرة أخرى فإن ذلك لم يفت في عضده ولم يكن له أثر يذكر في حالة مملكته الداخلية ، وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلابة والشدة التي عرف بها

وبموت سعود فقدت مجد تلك الشخصية الهيبية ، وبدأ التصدع يظهر شيئاً فشيئاً في أيام ولده عبد الله بن سعود

عبد الله بن سعود

وبيع لعبد الله بعد وفاة أبيه ، وقد كانت الحرب مستمرة بين نجد ومحمد علي باشا ، ولم يستطع أن يملك زمام المملكة بيد من حديد ، كما لم يستطع أن يدبر الحرب بمهارة كما كان يدبرها أبوه

لقد انتزع محمد عبد الله بن سعود بمخالقات عائلية بينة وبين عمه عبد الله ، الجد الأكبر لجلالة الملك عبد العزيز ولم يكن هو البادئ بها ، بل إن عمه رأى نفسه أحق بالإمامة لأنه ولد محمد بن سعود المؤسس الأول ، ولكن هذا ليس بتبرير صحيح ، فإن سعوداً تولى الإمامة في حياة أعمامه ، والحقيقة أن عبد الله التمس أسس لين قناة عبد الله ابن أخيه فأراد أن يخلعه ، وإيست هذه الحادثة بمجديدة في بلاد العرب

تطلب عبد الله على عمه ، غير أن التصدع قد بدأ وانحلال المملكة قد ظهر ، وأخذ أعداء الحكومة السعودية من البجديين يستفيدون من الفرصة ، فكانوا يمدحون على مرأ ، ومحمد على لا يترك هذه الفرصة تمر دون أن يستفيد منها

كان عبد الله في حياة أبيه يشار إليه بالحكمة والمثل والقنطة ، غير أنه لم يكن له من الصفات الحربية مثل أبيه

كان عبد الله محبوباً من البادية وابن عربيته ، ولكنه كان قصير النظر في سياسته ،

كما أنه لم يكن له من قوة الإرادة ما يمكنه من القبض على زمام البادية ، والبدو أسرع الناس إلى الانتفاض ، فسقطت إمارة آل سعود على عهده ، ودخل إبراهيم باشا الدرعية وقبض على عبد الله وأرسله إلى الآستانة

ويقول السعديون المحكومون : إن عبد الله قد أخطأ كثيراً في إدارة الحرب وخالف طريقة والده في الحرب ؛ فعبد الله كان يعمد إلى منازلة المصريين ، والمصريون أقوى منه آلات حربية وأقدر على إدارة القنون الحربية . أما أبوه فكان يعمد إلى الحيلة الحصيفة فيماوش أعداءه بقوت صغيرة حتى يهلك قوتهم ، ثم ينقض عليهم فيفرض عليهم ، وهذا ما فعله في ضرب جيش طوسون باشا سنة ١٢٢٩ هـ ، وفي تربة سنة ١٢٢٩ هـ ، ولذا فإن عبد الله لما عمد إلى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ هـ ، وتبع هذا الانكسار استيلاء المصريين على القسم الجنوبي من الحجاز

ولقد خطأ السعديون أيضاً عبد الله في قتاله مع المصريين في الدرعية ، فالصحراء واسعة والمصريون لا يستطيعون إقامة حامية في جميع الأراضي السعدية

ولقد خطأ أيضاً (Rurchart) عبد الله بن سعود في عقد الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ هـ ، فإن هذه الهدنة كانت من أكبر الأسباب التي عملت على تقويض عرش آل سعود ؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرصاً : فقد كانت ذخائرهم على وشك العادم ، كما أن الجوع قد فتك بالجند والحيوانات ، فبالهدنة مكسبهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ، ولو أن عبد الله تابع القتال لكان من المحقق القضاء على الحملة المصرية الصغيرة

أسباب سقوط الدولة السعودية

١ — كانت الدولة مستندة إلى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب ، والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس ؛ فقد كانت الثورات تشب من وقت لآخر لطرح الحاكم السعدي لاسيما في البلاد البعيدة عن نجد كبير وعمان ؛ ولذا فقد وجد محمد علي باشا ونفوذ الجبل واسعاً في جزيرة العرب

٢ — تخرش سعود بالأتراك والمصريين بإشارة غالب ونصائحه ، والأتراك أهل

الخلافة ويهمهم المحافظة على اقب (خدام الحرمين الشريفين) يصل يصرون على عرق
ينزع منهم الحرمين الشريفين ويحول دون حجبهم ؟ إن هذا أكثر من ثورة ضدهم ؛
لذلك لم يكن لم يد من إلقاء هذا الحل على محمد على باشا بد مثل (باشا) شنداد و (باشا)
الشام في تأديب هذه القننة . ووالى مصريهه أيضاً سط هوذه في الحجاز ؛ لأن ذلك
يتفق مع نظامه الواحدة ويشهر اسمه في العالم الإسلامي

إني أعتقد لو أن سعوداً اقتصر في الدعوة على جزيرة العرب وترك الخليج حراً للأتراك
والمصريين ، ولم يمس الناحية الحساسة في الترك ، وهي السيادة على الحجاز ما اهتم الأتراك
بأمره ؛ فقد مكنت جزيرة العرب مدة طويلة ومار القنن تا كل الأخضر والياس ، بل
لقد كان الحجاج الأتراك والمصريون عرضة للهب ولقتل في كل ناحية حلواها في الحجاز ،
وكاوا يحتملون هذا ويمدونه من الأعمال الطيبة . وأي فرق في نظر الأتراك بين آل
سعود والأشراف ؟ التريقان من العرب ، وأفضلهم من يحفظ بسيادة الأتراك ولو اسمياً
مع نشر الأمن والمحافظة على سلامة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

رأى علماء نجد

أما بعض علماء القميم فيحملون تيمة ما وقع على نجد من تخريب وتدمير على أيدي
الحلة المصرية على آل الشيخ ^(١) ؛ لأنهم كاوا السيطرين على السياسة الموحين إلى الأمراء
باتباعها ، وهم الذين أملوا عليهم خطة الشدة والعداء العام لائر الناس
أما آل الشيخ فيدضون هذه التهمة عنهم طبعاً بالظن على هذا الصنف من
العلماء ، وبمبالأة أهل القميم لوالى مصر وترغيبهم إياه لتزويج محمد ونميدهم السبل
لذلك ، وم ينسبون ما وقع عليهم من الخن إلى الدوب والتقصير ، والله قد يتلى عياده
المؤمنين بشق الخن

(١) يطلق آل الشيخ على قرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أثر الدولة السعودية في نجد

مهما قيل في الدعوة الدينية الإصلاحية ، ومهما قيل في الطريقة التي اتبعت في نشر هذه الدعوة ، فإن هذه الدعوة قد تركت في نجد أثراً عظيماً لا يفكر ، وقصت قصاصاً تاماً على ما كان شائعاً في نجد من الخرافات ، وما كان شائعاً من تعظيم القصور والتدليل لها ، والاعتقاد في بعض الأشجار ، وأحييت معالم الشريعة بعد اندثارها ، وجعلت الرجوع إليها في مختلف الشؤون أساساً من أسس الحكم . أما أهل العلم والقصة لاسيما آل الشيخ فإنهم توفوا كل اعمار ، وأصبح مقروناً اسم آل الشيخ وآل سعود ببقيدة الوحيد والدعوة الإصلاحية لاسيما في إقليم العارض . أما الجهات الشمالية : القصيم وحيل شمير ، فهم أقل حفاة من الجهات الجنوبية

الدولة السعودية الثانية

بعد إبعاد عبد الله بن سعود من نجد ، وسفر إبراهيم باشا إلى مصر سنة ١٢٣٤ هـ رجعت إلى نجد نوصاها القديمة ، وحل الفساد وقطع الطرق محل المطام والأمن . حانت الفرصة لآل سعود مرة ثانية ، ولكن من يقوم ؟ اختفى آل سعود فيما بينهم على الإمارة كما طمع غيرهم أيضاً . طلع محمد بن مشاري بن مُمَرَّ في الإمارة ؟ فانتقل من الميعة إلى الدرعية وأخذ يستميل الناس إليه ، فذات له العارض والوشم وسدير ، غير أن أسر ابن مصر لم يطل ؟ فإن مشاري بن سعود وصل إلى الدرعية في جمادى سنة ١٢٣٥ هـ وانزع الأسر من ابن مصر بلا مقاومة تذكر وابع مشاري ، غير أن ابن مصر قام ثانية فاسترد الإمارة وألقى القبض على مشاري . وهنا يقوم تركي بن عبد الله فينار لابن عمه مشاري ، يقبض على ابن مصر وولده ويقتلها جزاء تسليمها مشاري للترك

تركي بن عبد الله

١٢٢٥ — ١٢٤٩ هـ

هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وعبد الله والد تركي ليس هو عبد الله الذي أسره إبراهيم باشا وقتله الترك ، كما توهم بعض الكتاب ، ويعتبر تركي المذكور منشئاً

الدولة الثانية لآل سعود في سنة ١٢٣٥ هـ ، لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود . لقد هرب تركى هذه السنة من الرياض بعد حصار الأتراك له ، ولكنه خرج من الرياض وهو رافع علم الثورة ضد أولئك الفاتحين ؛ وقد استمر ينتقل من بلد إلى أخرى سرّاً مهاجراً وأخرى مدافعاً ، ولسان حاله يقول ما قاله أسرو القيس :

فقلت له لا تبك عليك إنما نحاول مُلكاً أو مموت فنموت

وقد تمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقراً له ومن إخصاع نجد كلها ، وفي آخر سنة ١٢٤٩ هـ در مشارى بن عبد الرحمن بن سعود للأمير تركى مؤامرة اغتاله فيها ، وأعلن نفسه أميراً على نجد ، غير أن فيصل بن تركى الذى كان فى النقطيف وقت اغتيال أبيه مازد إلى الرجوع إلى الرياض لينار لأبيه من مشارى بعد أن استعد لذلك . وفى ١١ صفر سنة ١٢٥٠ هـ دخل فيصل بن تركى الرياض وحاصر مشارى فى قصره ، ولم تمض بضعة أيام حتى تساق فيصل ورجاله القصر ، وقتلوا مشارى ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاغتيال أبيه ، وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد

فيصل بن تركى

سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٤ هـ

ألقى القبض على الأمير فيصل فيمن ألقى القبض عليهم فى الدرعية من آل سعود ، وآل الشيخ ، وبقى فى مصر من سنة ١٢٣٤ — ١٢٤٣ هـ ، حيث فرّ من مصر ، ووفد على والده فى تلك السنة ، وشارك والده فى كثير من غزواته وحملاته ضد الغتصبين تارة وضد بعض أسراء آل سعود الذين رأوا الفرصة سانحة للأمارّة أيضاً . كان فيصل من أعظم الأسراء همّة وشجاعة ، كما كان من أتقى آل سعود وأكثرهم حمية وغيرة على الدين والقومية .

لم يمكن مشارى بن عبد الرحمن بن سعود من الأمارّة ، وقد صعد إليها باغتيال تركى والده فيصل ، بل ركب متن الخطر ، وهل للأمارّة فى بلاد العرب غير طريق الحماطرة ؟ فأسقطه بسرعة وقته وقتل من عاونه . تسلّم فيصل عرش الإمارة الشالك لم يجد من

كثير من الأسراء إخلاصاً وخضوعاً . أما بعضهم فيفضل الاستقلال حتى يتحكم في الناس ويتسع المجال لهواه ومطاميه ، و بعضهم يخاف من بطش المصريين والأتراك ، غير أن فيصلاً كان يجده محمد بن سعود ليناً لمن يتفقه الدين ، شديداً على من لا يصلحه غير الشدة ، فتميز فيصل عن ساعد الجدد حتى أخضع أكثر البلاد العربية ما عدا الحجاز طبعاً ، وأعاد عهد النظام والأمن في البلاد العربية بعد أن سادت فيها الفوضى وانتشر الفساد

لقد هلك الأتراك ومحمد علي أمر مجد مرة أخرى ، وخوفهم أن يمود الأمر لآل سعود كما كان ، فأرسلوا حملة عسكرية ومعها خالد بن سعود ، فأصبحت الحرب أهلية بين آل سعود ، غير أن أهل نجد لا سيما الجنوبيين كانوا يميلون إلى فيصل لأنه لم يستعين بأحد من الأتراك ، وصرحوا بذلك بأنه إذا كان يريد منهم الطاعة بهم مطيعون ، أما إذا كان يريد الطاعة للأتراك فهم لا يمحون الأتراك ولا يريدون الخضوع لهم . وقد استمرت الحرب الأهلية بين خالد ، ومعه حنود محمد علي ومن تبعهم من النجديين ، وبين فيصل بن تركي والنجديين الصميمين من جهة أخرى ، وكانت الحرب سجالاً بين المريتين ؛ وأخيراً رأى ولاية الأمور — المصريين والأتراك — أن يضموا آخر حد لفيصل بن تركي الذي يرى إلى إعادة حكومة سعودية مستقلة لا تتأثر بالعود التركي أو المصري ، فوكلوا هذا إلى حورشيد باشا الذي أورد إلى نجد سنة ١٢٥٤ هـ حملة عسكرية للقضاء على فيصل ، ووصل حورشيد باشا إلى الرياض في رجب من السنة المذكورة ، فأصم إليه خالد بن سعود وساروا جميعاً إلى فيصل الذي كان في ذلك الوقت في الدمام من إقليم الحرج ، وبعد مسارك دامية رأى فيصل أن ليس له قدرة على مقاومة المصريين ، فاستسلم له فأرسله حورشيد باشا مع أخيه جلوي وولديه عبد الله وعبد محمد إلى مصر

وقد بقي الإمام فيصل في مصر من سنة ١٢٥٤ إلى سنة ١٢٥٩ هـ ، كانت نحمدت فحوض فيها فتنة أهلية بين خالد بن سعود وبين عبد الله بن تقيان ، الذي يريد استخلاص نجد من قوات الأتراك . استتب الأمر فيها لعبد الله بن تقيان ؛ وهرب أخيراً خالد بن سعود من الرياض إلى الإحساء فالتطيف فالكويت فمكة حيث توفي بها

فصل

من سنة ١٢٥٩ — ١٢٨١ هـ

تمكن الإمام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ، ويقال : إنه تمكن من ذلك بمساعدة عباس باشا الأول ؛ فإنه كان معجباً به وبهقله ، فدأبت قوة ابن ثنيان ، وأسلم له سائر الرؤساء ، وتمكن بعد مدة قصيرة من استعادة المملكة القديمة ما عدا الحجاز ، وقد ساعده على ذلك أولاً اسحاب الجيوش المصرية من البلاد العربية ، وزوالُ يهودهم من تلك البلاد نتيجة لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م ، وتأييدُ ملك الحسكة والتصر الذي اتهمه الإمام فيصل مع الأنراك الذين اكتفوا بسيادتهم الإسمية على بلاد العرب ، وبذلك عادت العثمانية إلى قلوب السكان ، وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط فيها فيصل سلطانه ونفوذه

صفات فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل قصير القامة ، يميل إلى السن ، متوقد الذكاء ، كثير التواضع ، يميل إلى العزل ، شديداً على عماله إذ رأى منهم انحرافاً عن الخططة التي رسمها لهم ، وكان في أحراب أيامه شديد العطف على الأيتام ، بنى لهم في الرياض داراً خاصة لهم ، وكان يتفقدهم بنفسه ويكرم منوam وبواسيهم بكلماته الرقيقة ، وقد أحجزني المرحوم الشيخ عيسى ابن علي أنه مر بالرياض في حجه سنة ١٢٧٨ — سنة ١٨٦٦ م فرأى الإمام فيصلاً يزور دار الأيتام . وراء سرته يبكي حينما قال له أحد المتحاضرين : خف الله يا محفوظ . وتمت بحمد في أيامه بسعادة ورخاء عظيمين

وقد زار الرياض الرحالة « بلجريف » ، يوصف ملاط فيصل وما يسوده من الجاسوسية والإشاعات كما وصف الإمام فيصلاً بالضعف في آخر أيامه وسيادة عبد الله ولده في خارج القصر ، ومحبوب — عتيق تركي والد فيصل — في داخل القصر ، كما

وصف سلطة الشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ محمد عبد الوهاب وأنها تأتي بعد فيصل مباشرة ، وذكر أيضاً المناصة بين عبد الله بن فيصل وسعود بن فيصل حتى اضطر فيصل إلى تعيين ولده سعود أميراً على النجاسة والخروج ؛ دفعاً للاحتكاك والمناظرة بين الولدين ، وإن أهل الدين المتصعين يرون في عبد الله الزعيم ، كما أن فريق المصلين المتسامحين يرون في سعود الزعيم البصير العاقل

إن فيصلًا وأكثَر أهل نجد يكرهون الأحاسب من كل قلوبهم ويسبوا منهم الظنور ، وهم لا يلامون على هذا فقد ذاقوا من المصريين والأتراك ومن حيوتهم الأُمريين ، وقد ذاق فيصل نفسه الشيء الكثير منهم في الحبس والإبعاد ؛ ولقد فإنه يرصد الميون على كل أجنبي فادم ولا يترك له المجال للإقامة في الرياض ، ولكنه في الوقت نفسه كان واسع الصدر مع المسلمين غير التجديدين الذين فضلوا الإقامة في بلاده ، حيث وجدوها وطنًا صالحًا لتعاليم الإسلام الصحيحة كما ذكر بلجريف نفسه إكرامهم لمعص المنور ؛ ولهذا السبب لم يجد بلجريف صدرًا واسعاً لإقامته ، ووجد الميون تبث حوله

وقد شعلت الدعوة التجديدية في أيام الإمام فيصل بعد ما أصبحت بالجمود في أيام حملات المصريين ، غير أن هذه الدعوة سواء كانت سلمية أو حربية لم تخرج عن دائرة نجد والأحساء وعُمان وقطر وعسير . أما الحجاز والعراق وسوريا فلم يشأ فيصل أن يدخل معها في نزاع حديد ؛ لأنه رأى سلامته وسلامة بلاده في حفظ صلوات المودة مع الأتراك

واعتراف الإمام بسيادة الأتراك الإسمية لم يمنعه سنة ١٨٦٢ م من مفاوضة بيلي القيم السياسي في بوشهر باسم الحكومة البريطانية لتوطيد صلوات المودة والصداقة بين البلدين

أما المملكة السعودية في أيام فيصل فقد كانت حدودها حسب وصف بيلي^(١) من الشمال خط يمتد من جوف العاصم إلى قرب الكويت مباشرة عند نهايتها الشرقية ، ومن الجنوب تمتد نجد بالربع الخالي أو الصحراء الكبرى ، ومن وادي الهوامر من نهايته الغربية إلى نقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج الفارسي ، ومن الشرق تتحدر حدود نجد إلى الخليج الفارسي إلى الكويت في طرفها الشمالي فتأزلاً إلى أبي ظبي ، وبعد

(١) محاضرة الكولونيل بيل في الجمعية للجغرافية سنة ١٨٦٥ م

أن يمر خط الحدود إلى الداخل قليلاً حتى يصل إلى يربجي يتحنى خط الحدود نحو الجنوب الشرق ويمتد وراء تلال مسقط وعمان ، ومن العرب خط يمتد تقريباً من الشمال والجنوب بين الحجاز من جهة ، ووادي الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود . هذه الجهات كان سكانها ورواسيها يحضرون تلام للإمام فيصل . وهناك جهات أخرى كان يكتفى منها الإمام فيصل بضريبة سنوية علامة على الخضوع ، فأمر البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال ، وسلطان مسقط ستة آلاف ، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي ١٢ ألف ريال

وفاة الإمام فيصل

في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) توفي الإمام فيصل ففقدت مجد بموته شخصية عظيمة كان لها أثرها في جمع السكينة ، تلك الشخصية الحكيمة التي كان لها الفصل في إحياء النظام والنضال على القوضى وسيادة الأمن والقانون وموت الإمام فيصل أوجد التنافس بين ولديه عبد الله وسعود سبباً لأعدائهما ، فاستفادوا من مفاتنة الأخوين ، حتى انتهى الأمر أخيراً بالقضاء على إمارة آل سعود مرة أخرى

الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود

كان التنافر بين الأخوين معروفاً منذ أيام فيصل ، ولكن الإمام فيصل أراد وضع حد لهذه المنافسة ، فجعل ولاية المهدي لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الأحوال ، وكان عبد الله معروفاً بالكرم والنزوى ، كما كان معروفاً بالتمصب والشدة ، وهو يرى نفسه الوارث الشرعي للإمارة

أما سعود فكانت شخصيته تختلف تمام الاختلاف عن شخصية أخيه عبد الله : كان طويلاً كأحواله بنى خالده ، وكان يميل إلى الاعتدال والتسامح ، وهذه الصفات ربما كانت محبوبة لدى البدو أكثر . يقول عارموا عبد الله بن سعود : إن الرجل كان طيب

القلب شجاعاً ، ولكنه أسند الأمور إلى غير أهلها ، وأطلق يد موظفيه ، وبعضهم لبسوا من المائلات المعروفة فعاملوا رؤساء البلدان والقائل غير ما اعتادوه في أيام فيصل ، من كرم الضيافة والرعاية ، ولا شيء أسوأ أظراً في نفس القرى من سوء المعاملة ، كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وطلاقة الوجه ، ولقد سمعت كثيراً جلالة الملك عبد العزيز ينصح أولاده بعدم الركون إلى الخدم ومنع الموظفين ، وتصنع الشئون العامة بأنفسهم ، وكثيراً ما يصرب المنل معه عبد الله بن فيصل وركونه إلى خدمه الذين أساءوا إلى الناس ، فانصرفت قلوب الناس عنه وانفضوا من حوله ، وعلى كل حال فإن الخصومة بين الأخوين أخذت ترداداً واحد كل فريق يجمع أنصاره حتى ينال خصمه ويتغلب عليه ، وقد بدأت أجزاء المملكة في الانحلال ؛ فإن القسم الشمالي من نجد أصبح تحت نفوذ آل رشيد ولم تبق لآل سعود إلا سلطة اسمية ، ولم يبق على ولا مع آل سعود إلا الرياض والخرج وبعض الأقسام الجنوبية

ترك سعود الرياض بسبب وفاة أبيه وأخذ يبحث عن أنصار له ؛ فوجد في المعجبين أنصاراً أتوا به ، والمعجبين وسوخالده كانوا أصحاب النفوذ في إقليم الاحساء ، ونفى فيصل وأسلابه على نفوذهم في تلك البقاع ، وهامى الفرصة ساحة لاسترداد نفوذهم قبل يتركونها تفلت من أيديهم

تحالف رآ كان من حشيلين زعيم المعجبين مع ابن خايفة حاكم البحرين يساعدهم قبائل آل مرة ، وتقدموا إلى المحفوف (عاصمة الاحساء) ، وكان فيها أحد الديرى حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فحاصروه فيها ، وأحد عبد الله بمساعدة أخيه محمد بن فيصل يجمع القوات لضرب خصومه وتلك حصار عامله ؛ ولكن بعد المرافات بين البلدان لم يتمكن عبد الله من حشد عدد كبير من المحاربين ؛ ولذلك أسرع بقوة صغيرة لتجدة البلد المحاصر ، وقد بقي حاكم المدينة محاصراً عدة أسابيع ، ولكن سلبها لم لما هددوه بإتلاف البساتين ، وقد علم عبد الله بسقوط المحفوف وهو في منتصف الطريق من الرياض إليها ، فقرر الانتقام والأحد بالتأخر مودراً ، فقسّم قوته إلى عدة سرايا وأمرهم أن يحدوا السير من طرق مخفية إلى الماء السمي جردة ، حيث كانت تمسك قوة العدو الرئيسية ،

وحيث تتقابل كل هذه السرايا في ليلة مهيبة ليأخذوا العدو على غرة قبيل شروق الشمس ،
غير أن خصومه الذين كانوا يحتنون منازل المياه على مسافات واسعة بددوا هذه الفرق
الهميرة ، وقتلوا أكثر من ألفي مقاتل من محاربى عبد الله المخلصين

أما سعود فإنه سارع وأتباعه لاحتلال الرياض عاصمة ملك عاتته ، فدخلها في نهاية
سنة ١٨٧٠ م واستولى عليها وأقام نفسه حاكماً عليها ، وقد حاولت بعض المدن وأهمها
البكة أن تقاوم سعوداً ، ولكن عبد الله هزم هناك سرّة أخرى ، وسعدها لم يستطع الإقامة
في بلاد أعداده ، فحمل حرمه وماله على حائفة بئر وصار ينقل من ناحية لأخرى لئلا
يحد مصيراً أو مساعداً ، فتوجه أولاً إلى رامل السليم حاكم عيضة ، ولكن حومه من
بطش سعود حمله يوعز إلى عبد الله بالرحيل عن بلاده ، فتوجه عبد الله إلى محمد بن الرشيد
في حائل ، غير أنه لم يجد صدراً رجباً معه ، فوكل إلى سلطان الدويش (ولده فيصل
الدويش المعروف) وعاف اثنتين رئيسى مطير وسبيع ، وكأما يحفظان على حاكم
الرياض سعود ويسعيان لإضمار نفوذ

وأراد عبد الله أن يسعى من جهة أخرى لإضمار نفوذ أخيه سعود . فأرسل
عبد العزيز بن بطين إلى مدحت باشا وإلى بغداد ليستمد منه المودة ضد أخيه ، فوجد
مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الاحساء وسائر البلاد التي كانت خاصة لتركيا
قبل دولة آل سعود ، فاستعان على غرضه هذا بناصر باشا السمود رئيس قبيلة الملتفق ،
وعبد الله بن صباح حاكم الكويت ، وبمساعدة هؤلاء وببى خالد أنصار عبد الله احتلت
القوة التركية الاحساء وأطلقوا عليها ولاية نجد

وقد تحقق عبد الله الذي كان يحسد أخاه سعوداً على ولاية الاحساء أنها قد خرجت
من أيديهما جميعاً

أما سعود فقد بدأت القلوب تنصرف عنه بسبب القطائع التي ارتكبها بأصهاره
وأصهاره المعجمان ، فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة عمه عبد الله بن تركي وطردوه من
الرياض سنة ١٨٧١ م ، فوجد عبد الله بن فيصل اللقب في الاحساء الفرصة سانحة ،
فترك الاحساء ودخل الرياض بدون مقاومة ، ولكن سعوداً لم يهن عزمه ، فجمع

أنصاره وأصدقائه الدواسر ، ومازل أخاه عبد الله في البَجَزَة وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً

أراد سعود أن يسترد الاحياء من الأتراك بعد أن أصابها أخوه عبد الله ، فرأى البدء في مفاوضات مع الأتراك لحل هذه المشكلة ، فأرسل أخاه عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز إلى بغداد ، فأقام عبد الرحمن بن فيصل في بغداد أربع سنوات دون أن يصل إلى نتيجة ، وأنى له ذلك والأتراك يرون يصبرهم إلى داخل الجزيرة

ترك عبد الرحمن بن فيصل بغداد سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) مصراً على الاستيلاء على الاحياء بالقوة ، بعد أن فشلت المفاوضات السياسية ، فنزل إلى بادية الاحياء واستحثها على قتال الترك ، فاجتمع حوله العجمان فهاجوا الاحياء واستولوا عليها ماعدا الكوييت (القلمة) ولكن الأتراك بمساعدة بني حالف هزموا عبد الرحمن والعجمان وطردوه من الأماكن التي احتلها ، ورحل عبد الرحمن إلى الرياض وأخبر أخاه سعوداً بما مضى به من الفشل في محاولاته السياسية والحربية . ولم يكن حظ سعود نفسه بأشد من حظ أخيه عبد الرحمن ؛ فإن مُسَلِّط بن رعيان من رؤساء عتبية حينما أنس الضعف من سعود وما مضى به في الاحياء أخذ ينهب الجانب الغربي من الرياض ، وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتبية أحاط به أعداؤه في واد ضيق وقتلوا أكثر أنصاره ، وجرح هو نفسه جرحاً شديداً ، وقد نقله عبيده إلى الرياض فمقى بها مريضاً حتى مات في صيف سنة ١٢٩١ هـ — (١٨٧٤ م)

فبايع أهل الرياض أخاه عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ، ومضى على ذلك نحو سنة ، غير أن عبد الله بن فيصل عز عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض وهو طريد من عشيرة إلى أخرى ، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً عليها ، فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حداً للفتن الداخلية ، فتنازل عن الإمارة وبايع أخاه عليها ، غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً ؛ فإن خصومه وأعداءه من أبناء أخيه سعود تمكنوا من القبض عليه وحده سنة ١٨٨٧ م ، فأسرعه محمد بن رشيد حاكم حائل إلى مساعدته بضرب أعداءه وقتل أسره وأخذ معه إلى حائل ، وأقام في الرياض

عاملاً من قبله بجانب عبد الرحمن بن فيصل ، ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن إلى حائل ليقم مع أخيه عبد الله

ومن ذلك الوقت أخذ يحكم آل سعود في الأول ، وأصبحت السكينة العليا في نجد لآل رشيد عمال السعود بالأسر ، فأخذوا يسطرون بدوهم على سائر الأسماء النجدية . وشخصية محمد بن رشيد زعيم الرشيد قد ساعدت على ذلك أتم مساعدة ، فقد اشتهر الرجل بالكرم ولين الجانب وكبر العقل وحبه للعلم ، فدانت له الشائر كلها راضية أو مكروهة

وقد رأى أن يملك قلوب أهل الجنوب فأذن في سنة ١٨٩٠ م لعبد الله بن فيصل يسكن أرياض بالنظر إلى تقدمه في السن واشتداد المرض عليه ، وأذن لأخيه عبد الرحمن أن يصحبه وأن يسكن الرماض أيضاً ، غير أن المية لم تعمل عبد الله بن فيصل ، مات بعد وصوله إلى الرماض بيوم واحد

أما الإمام عبد الرحمن فقد كبر عليه أن يعيش في الرماض بلد آتاه وأحدده بعيداً عن العود ، يرى بعينه عامل اس الرشيد هو السيد المطاع ، وكان عامل ابن الرشيد من جهة أخرى لا يسير نحو آل سعود من الإكرام وحسن المعاملة مما ينسبهم مراتهم الزائل ، فقام عبد الرحمن بن فيصل يشد أزره أهل الرماض والوالول لآل سعود ، وقبصوا على عامل محمد بن الرشيد وبايعوا الإمام عبد الرحمن بالإمامة ، فجهز محمد بن الرشيد جيشاً حاصر به الرماض ، ولكن لم يتمكن من دخولها فصالحه أهلها على أن يترك لعبد الرحمن الإمارة ، وهم يطلقون عامله المدعو ابن سبتهان

غير أن الأمير عبد الرحمن الذي أصبح تحت رحمة الرشيد والذي لم تمتد سلطته الرماض وما حولها كبر عليه أن يرى من كانوا بالأسر عمالاً من قبلهم لم هذا النفوذ العظيم ، وكذلك أهل القصيم كبر عليهم أن يروا حاكم حائل يتبع هذا السلطان ، وليس أقدم منهم بيتاً ولا أكرم حساباً أو نسباً ، ولكن القوة هي التي أملت عليهم الخضوع والاستسلام

كانت فكرة الأمير عبد الرحمن ترمي إلى غرض واحد ، فقاموا على مبايعة ومباغنة محمد الرشيد في حائل ، وضر به ضربة تضعف سلطته وتقلل من نفوذه ،

ولكن محمد الرشيد لم تكن مينة عائلة مما يكيده له خصومه في الخفاء ؛ فإنه ما كاد يعلم بأن حصومه أخذوا يتأهبون ، حتى باغتهم بقواته في عنيزة ، وانقض عليهم فزتهم شر ممزق . وقد قتل في هذه المعركة رامل آل سليم حاكم عنيزة وابن ميمناً حاكم بريدة ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة المائدة

وسنة ١٨٩١ م وهي السنة التي كسر فيها محمد الرشيد خصومه ، أصبح السيد المطاع في نجد ، وإن كان لا يزال يعاني بعض الصعاب في جمع القرائب من الأقاليم الجنوبية أما عبد الرحمن بن فيصل فقد نقل أهله من الرياض إلى آل مرة قرب الاحساء ، ومكث لديهم نحو سبعة أشهر ، ثم هجم على الرياض فاستخلصها من الرشيد هي وسائر إقليم العارض ، ولكن ابن الرشيد جهز جيشاً عظيماً التقى بمحيش عبد الرحمن بمرعلا ، ففضى عليه القصاص الأخير ، فأيقن عبد الرحمن أن الأمر فوق مقدوره . فترك نجداً إلى الأحساء فلقطيف فالكويت ؛ حيث أتى عصا التسيار فيها منتهزاً الفرصة وما تآتى به المقادير

فأقام ابن الرشيد محمد بن فيصل أخا الإمام عبد الرحمن حاكماً على الرياض ، وقد كان مستقلاً في حائل ، أما عبد الرحمن الذي اختار الإقامة في الكويت في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٨٣ م) ، فأخذ يقيم العرائيل في وجه ابن الرشيد - وأوغر صدر الأتراك عليه في بغداد والاحساء ، كما ساءت العلاقات بينه وبين حاكم الكويت أيضاً ، فأخذ ابن الرشيد في تجهيز حملة لفتح الكويت المنفذ الطبيعي لجد سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٨ م) ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل بعد أن كبده خسائر فادحة في المال والرجال ، كما أنها وسعت هوة الخلاف بين الكويت وحائل

الدور الثالث لآل سعود

انقد كتب القدر أن يرى عبد الرحمن بن فيصل مجد أبيه ، ويرى مأساة الخلاف بين أخويه عبد الله وسعود ، تلك المأساة التي انتهت بانسحابه إلى الكويت يعيش فيها صيفاً غريباً بعد أن كان أميراً مهيب الجباب ، ولكن الله الذي أعاد للصابرين أجرم

عوض عند الرحمن بن فيصل خيراً ، فأراه قبل موته راية ولده عبد العزيز ترفرف لا على
مملكة الإمام فيصل نجسب ، بل على مملكة الحجاز أيضاً

في آخر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) اعتال الشيخ مبارك بن صباح أخويه الشيخ
محمد والشيخ حراح خلاف بينهما ، ونسوا عرش الكويت ثم استكتب أعيان الكويت
عريضة بتهم فيها الشيخ يوسف بن ابراهيم قتل أخويه ، وأرسل عريضة إلى والي
المصرة فاطلع الشيخ يوسف بن ابراهيم على العريضة ، وقد كان خارج الكويت في
الصيد ، ففر ترك الكويت واتخذ الدؤرة وهي من أملاكه الواسعة قرب مصب نهر
شط العرب . وحاول مبارك في الوقت نفسه أن ينرى الشيخ يوسف بالقدوم إلى الكويت
أو أن يقص الأتراك عليه فلم يعلج ! لأن يوسف بن ابراهيم لم يأمن كيد مبارك

لجأ أولاد محمد الصباح وجراح إلى يوسف حشية من عمهم ، وهو يعتبر كحال لم ،
واستجاروا به وطلبوا منه الأخذ بئار أبيهم ، فبدأ خلاف الخطاريين بيت آل ابراهيم
بماونه قسم من أهالي الكويت وبعض عائلة الصباح وبين الشيخ مبارك

لقد حاول الشيخ يوسف أن يهجم على الكويت فيأخذها عموة ، فجهز حملة بحرية
في بعض شواطئ إيران وملا السفن بالمقاتلة ، ولكن الحظ خدم مباركا بوقوه على
النزاصرة قبل وصول السفن إلى الكويت بيوم واحد ، فرجعت الحملة خائبة حينما رأت أن
أمرها قد اكشف ، وأخيراً لجأ الشيخ يوسف إلى الأتراك وابن الرشيد ، وهناك بذل
الذهب وبين لجميع سهولة الانسلاء على الكويت . وكان نتيجة هذه المحاولات
إعلان الحماية البريطانية على الكويت حينما أرسل الأتراك سفينة حربية صغيرة لنقل
شيخ الكويت إلى استنبول ؛ لأنه عُيِّن عضواً في مجلس الشورى ، فلم يقف البريطانيون
مكتوف اليد فأعلنوا حمايتهم وهددوا السفينة بإطلاق النار عليهم إن لم تنسحب فانسحبت
حالا ، وقد أخبرني الشيخ مبارك واليد رجب النفيع بقصة إعلان الحماية البريطانية
على الكويت ، وسذكرها في مذكراتنا إن شاء الله

وقد ازدادت المداوة بين حاكم الكويت وعبد العزيز آل رشيد ، ويوسف بن
ابراهيم بذكي نار الخلاف ، وفي سنة ١٣١٨ هـ (يناير سنة ١٩٠١ م) ، وصلت إلى عبد العزيز

ابن رشيد أسلحة كثيرة من الأتراك ، فاستغلها في حملة ضد مبارك الذي كان يتقدم للفوز بمساعدة بعض العشائر التي تميل إلى ابن سعود ، وسحق القبائل الجنوبية التي كانت ترغب في الخلاص من حكم الرشيد ، فاصطدمت قوات الطرفين في الصريف — الماء المعروف في القصيم — وانقضت قوات ابن الرشيد على قوات ابن صاحب ومنزعتهم ثم عمق ، وفر مبارك إلى الكويت لا يلوى على شيء ، وقد أحيب أهل الكويت في هذه الوهمة بمصيبة لا يزالون يذكرونها ، فلم يكذب من يهوت الكويت بحلو من مآثم ، غير أن هذه الوهمة أنفتحت أن عبد العزيز الرشيد كان ممسحاً لاتعرف الرحمة إلى قلبه سيلاً ؛ فإن أكثر من قتلوا لم يقتلوا في الحركة بل قتلوا بعد ما سلحوا سلاحهم ، وقد سقا هذه القصة هنا وإن كانت ألصق بتاريخ الكويت لما لها من العلاقة الوثيقة في تاريخ نجد الحديث

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

في الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت كانت سن ولده عبد العزيز (الملك عبد العزيز) لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة ، فهو لم يشاهد مجده جده فيصل بل شاهد محبة أبيه عبد الرحمن وعائلته

لقد ذاق عبد العزيز مرارة العيش في الكويت ، ولم يحمل أن يعيش تلك الحياة الهادئة ، وقد كبر على نفسه أن يعيش تحت جناح الشيخ مبارك بعد ما كانوا بالأمس سادة نجد ، فقرر أن يحاطر : وإما أن يفوز فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو عائلته ، وإما أن يموت فيستريح من عذاب الضمير

بدأ الأمير عبد العزيز محاطراته بالحيلة على الرياض لبعدها عن مركز قوة ابن الرشيد ، ولما فيها وفي بلاد الجنوب من الأنصار والمخلصين لعائلة آل سعود

خرج عبد العزيز بن سعود من الكويت سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م ، ومعه أربعون رجلاً كلهم من آل سعود والموالين لهم ، وكانت خطة ابن سعود أولاً ترمي إلى صرب العشائر النابتة لابن الرشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو ، والمالعل فإنه نجح في

ذلك حتى بلغ جيشه أتمًا وفرسانه نحو ٤٠٠ ، واتخذ هدفه نعداً لجنوبية

شكا من الرشيد الدولة العنابية من هذا العدو الصغير ، وكسب تقاسم من نافي
— أمير قطر — بمرصه عليه ، فتعت الدولة ابن السعود أن يمتون من الاحساء ، وقطعت
راتب والده ، وانقض العدو من حوله ، ولم يبق حوله إلا الأريسون رجلا الدين سرحوا
من الكويت وتحافوا منه على الحياة أو الموت

كتب له الشيخ مبارك والده بالرحوع ، إذ لا قبل له عنفاوة الدولة العنابية وان
الرشيد ، وسكن ابن سعود كان يحاول ملكا ، فاما أن يصل إليه أو يموت

أراد عبد العزيز أن يصرب صرته الأخيرة صار بمجاءته الأرفياء . وقد انق
حولهم عشرون رجلا ، فوصل إلى حدود الرياض أول الليل ، فترك من قومه هناك
عشرين رجلا على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم بالأرخبين الآخرين ، فلما وصل
السبية — وهي سائين خارج الرياض — ترك من حماته ثلاثين على رأسهم أخوه
محمد بن عبد الرحمن ، ثم تساق سور تابلد ، واسكه مادا يصنع في هذا الليل السهم
وكيف يقضى ليلته ؟

طرق باب البيت المحاور لقصر عامل ابن الرشيد المدعو مجلان

— من الطارق ؟

عبد العزيز بن سعود محبياً : — رجل من خدم الأمير مجلان يريد زوجك امراض
المرأة — اذهب لا بارك الله فيك . ماحتت إلا لتبقى النساء ، وهل يطرق باب الناس

في الليل إلا ناسد

عبد العزيز — لا والله يا خالة ما جئت لهذا ، ولكنني أخشى على زوجك من القتل

غداً إذا لم يلب نداء الأمير حالا

سمع الرجل التهديد فخرج ليرى جليلة الخبير ، وكان ابن السعود يعرفه جيداً ويعرف
نساءه ، ومنهن من كن في خدمة بيوت آل سعود ، فلما خرج أمسه وقال : اسكت
وإلا قتلتك في الحال ، ثم دخل البيت فلما رآه النساء صحن : صفا عبد العزيز ، فقال :
اسكنن ولا بأس عليكن ، ثم جهن جميعاً في غربة وأغلق عليهن الباب جميعاً ، ثم ساق

الحدار إلى البيت المحاور للحصن ، فوجد اثنين نائمين فلقهما في فراشهما بهدوء ، ثم أدخلهما في إحدى الغرف وأغلق عليهما الباب ، ولما اطمأن أنه أرسل إلى أخيه محمد من الخارج ومن معه فناءوا إليه دون أن يشعر بهم أحد

كان البيت المحاور للبيت الذي هو فيه أحد بيوت مجلان عامل اس الرشيد ، وكان مجلان يزوره سهاراً وأحياناً في الليل . فشى عبد العزيز ومعه عشرة من رجاله فدخلوا البيت ثم فتشوا غرفه واحدة واحدة ، فوجد اثنين نائمين على فراش واحد ظلهما ابن سعود ومجلان وزوجته ، فدنا منهما عبد العزيز ليتحقق من شخصيتهما على ضوء سراج كان يحمله أحد الخدم ، فوجدهما زوجة ومجلان وأختها

عرفت المرأة عبد العزيز فسألته : أأنت عبد العزيز ؟ فأجابها . نعم ! أنا هو ... !
— من تبغى ؟ وما مأربك هنا ؟ فأجابها : أريد مجلان لا سواء ، فقالت : يا بني لا تقرر بنفسك ، أنج بنفسك في هذا الليل وإلا نلوك
عبد العزيز — ما جئنا لنسمع منك نصيحة ، ولكن نريد أن نعرف متى يخرج
مجلان من القصر الداخلي

زوجة مجلان — بد شروق الشمس ساعة

عبد العزيز — هذا كل ما نريد ، وإن كن إذا لزمنا السكوت والسكون فلا بأس عليك ، وإلا قالموت لا محالة ، ثم جمع النساء جميعاً في غرفة واحدة وأغلق عليهن الباب انتصف الليل وخيم السكون على البلد كأن لم يكن هناك شيء ، ثم في هذا السكون أخذوا يحكمون الرأي في تدبير الهجوم على قصر مجلان . اتفق القجر وأخذت الشمس تشرق بنورها الساطع على البلد ، وفتح باب القصر وأخرج المييد الخليل ، فدخل عبد العزيز القصر وتبعه من رجاله خمسة عشر فقط وكنوا في داخله ، وبعد دقائق خرج مجلان ليرى الخليل كعادته ، فصادفوه في الطريق فراعهم منظرهم ، فهم يريد الرجوع ، فأدركه عبد العزيز بطلقة لم تدرك منه مقتلته فبعه عبد العزيز ، وتصارع ابن سعود ومجلان ، ابن السعود يريد القضاء على خصمه ، ومجلان يحاول إدخال ابن السعود إلى الباب الداخلي . في هذه اللحظة أخذ رجال مجلان يطلقون النيران من نواخذ الحصن المشرقة على السوق ،

قتلوا اثنين من رجال ابن سعود ، وجرحوا أربعة وتراجع المهاجرون ، ياله من خطر دام !
هنا دخل عبد الله بن جلوي (أمير الاحساء ، وابن عم عبد العزيز بن سعود)
وعدا وراء مجلان القدي أفلت من عبد العزيز فرماه بطلقة أودت بحياته ، وبعد ساعة تبادل
رجال عبد العزيز وحرس القصر النار ، ثم سلم حرس القصر على أن يتركوا أحياء ظناً منهم
أن عبد العزيز معه من الجند ما يكفي للقضاء عليهم ، وما كاد النهار يتصفى حتى أذن
المؤذن أن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وأن مجلان عامل ابن الرشيد قد قتل
فسمع الناس وأطاعوا

إن هذه القصة التي تشبه قصص أبطال اليونان ترينا عظم الأخطار التي أحاطت بابن
السعود ، وهي تعطينا صورة من محاطراته بحياته ، وهل المنظمة إلا ناحية من نواحي
المخاطرة ؟ وهل يمكن أن يكون الجلبان عظيماً ؟

وأخذ الأمير عبد العزيز بعد فتح الرياض يعمل لتفويض مملكة ابن الرشيد ، واعتداد
ملك آتاه وأجداده ، وقد مكث أكثر من عشرين سنة بمحله ، ويغالب الخوصوم من
التجديدين الأشراف والأتراك ؛ يضربهم حيناً ويأمن حيناً يرى السياسة والدين أنجح من
الخصام والقتال

فتم له في سنة ١٣٢٠ هـ الاستيلاء على القسم الجنوبي من نجد (المخرج والأفلاق)
وفي سنة ١٣٢١ هـ تم له الاستيلاء على سدير والوشم والحمل والقصيم ، وقد تداخل الأتراك
في الخصام بين ابن الرشيد وابن سعود ، وكانوا دائماً في صف ابن الرشيد ، وأعقب هذا
التداخل معارك دموية بين ابن سعود من جهة وابن الرشيد وحلفائه الأتراك ، وكانت
الحرب سجالاً بين الفريقين ، ولكن انتهى الأمر بانكسار الأتراك واسحابهم من نجد
سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م

وقد ضف أسراً آل الرشيد بقتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب سنة ١٣٢٤ هـ ،
واستراخ ابن سعود بعض الراحة لأن آل الرشيد قد كموه أمرهم بخلافاتهم الداخلية على
الإمارة ، وسمى بعضهم لاغتيال البعض الآخر

وربما كانت أشد السنين على الأمير عبد العزيز هي سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩٠٩ م ،

قد واجه ثلاث جيهاث مرة واحدة : ابن الرشيد من جهة ، وثورة أبناء عمه في الجنوب ، وتقدم الشريف حسين إلى نجد وأمر سمدن عبد الرحمن شقيقه ، ولكن ابن سعود الذي لا يعرف قلبه انظور تمكن من التغلب على خصومه . استعمل السيف مع الثأرين وان الرشيد ، والسياسة بمد ذلك مع الملك حسين ، ونجح في ذلك مجاحاً عظيماً ، وكانت هذه الحادثة هي أول احتكاك بين الشريف حسين وبين الأمير عبد العزيز ، استطاع منها أن يزن أمير نجد كياسة الأمير حسين السياسية ومبلغ أطماعه وطموحه

وفي سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٣ م رأى الأمير عبد العزيز الدولة التركية آخذة في الصدع والانهيار ، ورأى المطامع تسكتنفها من كل ناحية ، فانتهاز فرصة خروجها من حرب البلقان منهوكة القوى ، وانقضت على إقليم الاحساء واستخلصه من النفوذ التركي ، وأعاد إلى ذلك الإقليم الأمن والسكينة بعد ما كان مسرحاً لأطماع البدو ، وبإسقاطه على الإحساء نفذ إلى خليج فارس ، واتصل بالحكومة البريطانية بمد ذلك اتصالاً سياسياً مارال آخذاً بالتوثق والنمو إلى الآن

ابن السعود والحكومة البريطانية

كان ابن السعود في سنواته الأولى في عزلة تامة عن العالم الخارجي لم يهتم إلا بقتال ابن الرشيد وتقوية مركزه في الأماكن التي استولى عليها
ولسكة في سنة ١٩٠٤ وجد خصما آخراً قوياً وهو الأتراك ، فإن الأتراك حينما وحدوا
نجم ابن السعود ظهر من جديد في الأفق ، وبمهم صدقهم ابن الرشيد قد أخذ في الأقول
دخلوا ميدان البراغ مؤيدين لصدقيهم وهم يرون في آل سعود عامة العداوة القديمة
فراى ابن السعود أن يتصل بالحكومة البريطانية لعلها تتدخل في إيقاف الأتراك
من التدخل في منازعات الجزيرة .

فأرسل كتاباً للسير برسي كوكس بتاريخ (٢ مايو سنة ١٩٠٤) محتج على تدخل
الأتراك وإرسالهم القوات المسلحة لمساعدة ابن الرشيد^(١)

وفي الوقت نفسه استلم السير برسي كوكس كتاباً آخر من الشيخ مبارك أمير الكويت
مرسلاً من الأمير عبد العزيز إلى الشيخ مبارك يلوح له فيه بأنه إذا لم يجد عضداً وتأييداً
من الحكومة البريطانية ضد الأتراك فإنه يصطر لقبول مساعدة الروس الذين عرضوا
عليه مساعدتهم منذ سنة ١٩٠٣

وكان موقف الحكومة البريطانية حرجاً ، فبينما هي لا تريد أن تزج بنفسها في التدخل
في شؤون الجزيرة ومنازعاتها فإنها لم تكن تنظر بين الانحياز إلى تدخل الأتراك في قالب
الجزيرة وتهديدهم لأمير الكويت ، فإن ذلك يضمن مركزها في خليج فارس وبمحله
عرضة للخطر . ولذا فقد قررت أن تعين الكين نوكن وكيلاً سياسياً لها بالكويت
سنة ١٩٠٤ ليكون على كتب من مجرى الحوادث وليحيط بحكومته بحقيقة ما يقع في
الجزيرة من حوادث مع البقاء على الحياد في منازعات ابن الرشيد وابن السعود ، وإن
كانت في الحقيقة تعطى على حركة ابن سعود

(١) استقيا هذه المعلومات من كتاب حياة السير برسي كوكس

ومنذ ذلك الحين أخذ مركز ابن سعود بتوطد ويزداد قوة ومنعة حتى أصبحت ترغف لذكر اسمه قلوب أسراء السواحل

في أوائل سنة ١٩٠٦ كتب له نص أسراء السواحل يخبرهم بزمه على زيارة بلادهم في الربيع فارتدت فرائضهم وتشاوروا فيما بينهم ، وقرّ الرأي بين شيخ أبو ضبي وسلطان مسقط على أن يرسلوا محارهم إلى السير رسي كوكس الذي بدورة كتب إلى الكنتس بوكس يسأله أن يحس نص الشيخ مبارك عن نيّات صديقه الأمير عبد العزيز وأن يرسل إليه البصيرة بالأعداد والسكف عن التدخل في شؤون الولايات العربية الخاصة لتنفوذ البريطاني فأبان مبارك للكنتس بوكس أن الأمير عبد العزيز لا يقصد أن يتدخل في شؤون هذه الولايات ، وأنه لا يرى من زيارته سوى الحصول على شيء من المال من هؤلاء الأسراء مساعدة له في جهاده ضد آل رشيد والترك

وفي نفس الوقت الذي كان يحس فيه الكنتس بوكس نبض الشيخ مبارك وصل إلى البحرين رسول من الأمير عبد العزيز إلى الكنتس بريدكس وأخبره بأن الأمير أصبح يعتقد بأن في إمكانه طرد الأتراك من ولاية الاحساء وأنه يرغب في أن يعتقد بحالته مع الحكومة البريطانية وأنه لا يرى مانعاً من قبول وكيل بريطاني في الاحساء أو التفطيف على شرط أن تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها حمايته ضد الأتراك

ولقد أخذ الأمير عبد العزيز بنصيحة الشيخ مبارك فلم يزل ولايات الخليج ووجه همه للقضاء على قوات ابن الرشيد ، وانتهى الأمر بقتل ابن الرشيد في شهر أبريل سنة ١٩٠٦ ، فزال بذلك مزاحم قوى وحصم عنيد ، وامتد نفوذ الأمير عبد العزيز في دخل البلاد العربية . وأصبح الأمير صاحب الكلمة الأولى . ومن ثم قرر السير رسي كوكس أن يهيج معه سياسة جديدة

وفي يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦ أرسل السير رسي برقية إلى حكومة الهند أوضح لها فيها المزايالكبيرة التي تنفاد من وضع سياسة ثابتة لتفاهم مع الأمير أولاً — أن تجاهل ما عرضه في عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ربما يدعو إلى عداوته لنا

ثانياً — أن التناغم مع الأمير سيزيل الشكوك والخوف من نفس سلطان منقط وأمراء السواحل الأخرى ويصل على تحسين العلاقات مع هؤلاء الأخيرين

ثالثاً — أن مساعدة ابن مسعود ستساعدنا على وضع حد لقرصنة في شمال الخليج .
رابعاً — تبدو القرائن بأن تدخل الأتراك في شؤون أواسط بلاد العرب سيدعوا إلى توحيد كلمة القبائل تحت زعامة ابن مسعود ، فإذا لم يساعدنا وتصادم فنحمل أن يلجأوا إلى طلب المعونة والتعاضد من غيرنا

ولكن حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية لم تقبل هذا الاقتراح من السير رسي كوكس لأنهم كانوا يعتقدون أن مطامع هذا الأمير لا أحد لها وأن نيته هي مهاجمة الأتراك بمجرد ما نسح له فونه والقرص الملائمة . أصف إلى ذلك أن مثل هذا التدخل قد يدعو إلى تمكير صفو العلاقات بينهم وبين الأتراك . قال أن يتم التناغم مع روسيا على إيران ومع تركيا وألمانيا على خط سكة حديد بغداد ، كان رأى الخارجية البريطانية هو الاشتداد من الزج بنفسها في مشاكل أواسط بلاد العرب .

واقدر كان السير رسي كوكس هو السياسي البريطاني الوحيد الذي رأى شائب نظره أن القدر قد كتب في لوحته أن الأمير عبد العزيز سيكون القوة السياسية المحركة الوحيدة لشبه الجزيرة بأجمها ، كان يسعى بكل جهده لربط العلاقات الودية الحسنة مع هذا السياسي الهامية والقائد الفاتح العظيم .

وفي أكتوبر سنة ١٩٠٦ أرسل الأمير عبد العزيز كتاباً إلى الشيخ قاسم بن ثاني شيخ قطر يحدد فيه طلب بوجود عقد محالفة مع بريطانيا ، وهذا أبلغه إلى الكبتين (برينكس) الذي بدوره أبلغه إلى السير رسي كوكس بتاريخ ١٧ نوفمبر

وقد جاء في كتاب الأمير عبد العزيز بأن موارد نجد قد نفذت بسبب حروبه الأخيرة وأنه قلق بنوى أن يسترد ولاية الاحساء والقطيف ليستعين بإيرادها وليخضع القبائل العمانية فساداً ويؤمن طرق التجارة والحج . وعليه فإنه يقترح أن يقدم الحكومة البريطانية اتفاقاً سريعاً بمقتضاه تلتزم الحكومة البريطانية بالدفاع بحرياً عن شواطئه ضد الأتراك إذا هو تمكن من طرد الأتراك من بلاد أجداده بدون مساعدة من الخارج . وفي مقابل ذلك

لا يرى الأمير ماننا من قبول ممثل الحكومة البريطانية في لاطله . وقد ذكر الأمير في كتابه أيضاً أنه لا ينوى تنفيذ عزمه قبل مضي أربع أو خمس سنوات :

وقد أبلغ السير رسي كوكس مضمون رسالة الأمير إلى حكومة الهند وشعها ملحا بضرورة تعويضه بالإحاطة على رسالة الأمير لثلاثين الأمير عدم الرد بحفاة له أو إعطاء من شأنه شأن الأسراء الأخيرين الذين جاءت كتبهم بواسطتهم

وفي ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ كتبت وزارة الهند لحكومة الهند لتستبر رأيها في صيغة الرد الذي سيرسل إلى الأمير عبد العزيز . وبعد استشارة السير رسي كوكس اقترحت حكومة الهند أن يكون الرد إلى الأمير كالآتي :

مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق العلاقات الودية مع الأمير طاننا هو يحترم مصالحها ومعاهداتها مع أسراء الشاطئ ، فإنها لا ترى أى ضرورة في الوقت الحاضر لإعطائه وعداً رسمياً بمحاينه ، من ذلك قد يمرض الحكومة التركية على مساوئها

وأعقبت حكومة الهند ذلك بمذكرة تفصيلية استعرضت فيها الحالة في قلب الجزيرة وذكرت أنها على يقين من أن عاصمة آخذة الآن في الميوسب على قلب الجزيرة وأنه لا بد للحكومة البريطانية أن تكون لها رأيا وسياسة معينة إزاء التقلبات المنتظرة . (وأن المسألة هي مسألة وقت فقط) قبل أن يهادر ملك الأتراك لافي شرق الجزيرة بحسب بل في الجزيرة كلها

فإنما ما يرى الوهابيون ملكهم على أنقاص ملك الأتراك قاتهم في الغالب سيهددون المصالح البريطانية في الكويت وفي إمارات الشاطئ . وعليه قاتهم يلحون بقبول صيغة الرد على كتب الأمير عبد العزيز صيان صداقته ومعاونه قبل أن تقوى القرعة .

ولكن لما استشارت وزارة الخارجية السفير البريطاني في الأستانة (السير نيكولاس أو كوبر) فإنه نصحها بالابتعاد كلية عن التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية ، وعليه فقد أخبرت وزارة الهند حكومة الهند بأنها لا توافق على صيغة الرد على كتب الأمير عبد العزيز لأنه يوافق ضمناً على تركيز سلطة الوهابيين ، وقالت إذا كان ولا بد للسير رسي كوكس أن يعطى جواباً فله أن يقول لوسطاء الأمير بما أن كتب الأمير جاءت باقتراحات

ترى حكومة جلالة الملك استحالة التمهيد لها فإنها لا ترى ضرورة لإرسال رد عليها . وعند هذا الحد توقفت المخبرات بهذا الصدد

لم يفكر ابن سعود بمد ذلك في أسر تأسيس علاقاته مع الحكومة البريطانية . وتفرغ لبسط نفوذه في الداخل والقضاء على خصومه ومعارضيه ولبناء قواته الحاربة بمد ما ملها من وعن أطول القتال المتواصل .

وفي شهر مايو سنة ١٩١٣ هجم ابن سعود على المنوف فاحتلها وأرسل أسرى الترك إلى الساحل ثم أعقب ذلك احتلاله القطيف والمغير فتقهقر الترك إلى البحرين ، وهناك وصلتهم إمدادات جديدة فحملوا على ابن مسعود في المغير ، هزمهم شر هزيمة

ولكن نائرة ابن سعود نارت ضد البريطانيين الذي سمحوا للترك فاتهم أخذوا البحرين مركزاً لتجميع قواتهم وحركاتهم الهجومية ضده ، فكتب إلى السير رسي كوكس يمتنع على هذا العمل ويطلب إليهم مرة أخرى تأسيس علاقات ودية معه . ورجا ابن سعود للسير رسي في آخر كتابه أن يخبره بصراحة عن نيانه حتى يعرف موقفه منهم تماماً وليتخير الطريق الأحسن لحماية مصالحه

وهنا يقول ابن مسعود إن البريطانيين تدخلوا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على إقليم الإحساء وأن الأتراك أرسلوا إليه وفداً فمقدوا معه مهادنة حددوا فيها موقفهم من ابن سعود لأن الحكومة البريطانية فضلت الانتظار ريثما يتجلى الموقف

في سنة ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى واندفع الأتراك يخوضون غمارها في صف الألمان ، رأى السير رسي كوكس أن هذه غير فرصة للتخاطب مع ابن السعود

ويقول السير رسي إن الذي حل البريطانيين على ذلك هو الظروف التي كانت محيطة بالبريطانيين فجناحهم الأيسر في الحلة الرقابة كان معرضاً لحلات البدو ، ومفاوضتهم مع الشريف حسين كانت سائرة في طريق الجراح فلم يبق في الميدان إلا ابن سعود خصم الشريف والذي يخشى أن يبرقل أعمال الشريف الحسين لما بينهما من المنافاة والعداء ، ولذا فقد أسرع السير رسي كوكس إلى مقابلة ابن سعود حيث غادر البصرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ حيث وصل في ٢٦ ديسمبر وقابل الأمير عبد العزيز

ابن سعود لأول مرة فأنجذب كل منهما بالآخر ولم يجب ظن أحدهما في الآخر
وبعد أحداث ودية شتى أمضى الفريقان معاهدة صداقة بين ابن سعود وبين
الحكومة البريطانية تضمنت سبع فقرات^(١) .
ولا تختلف هذه المعاهدة عن المعاهدات الأخرى التي عقدت مع أمراء الخليج . وفي
هذه المعاهدة تجلّى قصر نظر مستشاري ابن سعود وجهلهم ما يجري في العالم والاستفادة
من الفرص المتوالية
على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٣٧ حيث اعترف له بالاستقلال
التام وبمخافة الدول والاتفاق معها حسب ما تمليه مصلحة بلاده . بعد ما كان محروماً من
هذا الحق في معاهدة القطيف .

(١) تجد نص المعاهدة في الدبل .

ابنه سعود وجيرانه

ابن سعود والكويت

كانت الصلات التي تربط آل صباح والسعود دائماً ودية يرعاها الفريقان عما بينهما ويقويها ، وكان مبارك بلاقب أمير محد دائماً بولدى عبد العزيز ، كما كان الأخير يقب الأول بالوالد ، وكانت مصالحهما المشتركة تقمى عليهما بالتعاون ، وكان كل واحد منهما لاسيما ابن سعود كثيراً ما يعضى عن أخطائه الآخر ، لأن موتهما من أعدائهما لا يسع لهما بدقة الحساب . ومبارك الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير محد ، كما كان يعرف كيف يزيل من معه كل أثر لسوء تفاهم يحدث .

في سنة ١٩١٥ م قامت فتنة في الإحساء ، تار المعجمان وهم من عشائر ابن السعود على حكمه ، وكان ينفخ في بوق الفتنة بعض أنشاء عمومة ابن سعود . والسبب الحقيقي للثورة هو سعى ابن سعود لتأديب المعجمان الذين تحروا بسبب إبل لابن صباح وأهل الكويت ، وكانت هذه الفتنة بعد معركة جراب التي وقعت بين ابن الرشيد وابن سعود وخرج منها ابن السعود مهوك القوة ، واسكن المعجمان بعد أن حاصرهم ابن سعود وضيق عليهم وجدوا لهم منجأ في الكويت ، كما وجدوا في الكويت سوقاً لبيع مهوراتهم التي أسدوها من أهل الإحساء ، فأحدث هذا العمل أثراً سيئاً في نفس ابن سعود الذي أراد أن يحاسب مباركاً حتى هذا الفصل غير الودي ، واسكن النية عاجلت مباركاً فأتت بموته كل أثر لسوء التفاهم ، وعاد الصفا إلى ما كان عليه في السنة التي تولاها الشيخ جابر بن الشيخ مبارك ، وتدرأى ابن سعود أن يزور الكويت ليعرى جابراً في والده ، ويحمد العهد القديم همد الصداقة والمحبة فوصل إلى الكويت في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٦ على السفينة

H. M. Jumo.

وفي اليوم التالي عقد اجتماع خطير حضره ابن سعود والشيخ جابر والشيخ فرعل ، والمسلمين كوكس وكثير من رؤساء العشائر المواليين البريطانيين .

وقى هذا الاجتماع خطب ابن سعود خطبة كلها نداء على البريطانيين وهم على الأتراك ووصفهم بالسكرة الملاحدة فكان أثر ذلك سيئاً في نفوس الكويتيين الذين يميلون إلى الأتراك والألمان

وقد كان هذا الاجتماع مظاهرة سياسية كبرى

ولكن ما كاد الشيخ جابر ينقل إلى رحمة ربه ويحمله أخوه الشيخ سالم حتى عاد سوء النعام مرة أخرى ، حتى أدى ذلك إلى معركة حفر سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م وبها خسر الكويت من المهمات والدعائر والإبل ما لا تقبل قيسته عن ثلاثين ألف حنيه ، ثم إلى معركة الجبهة حيث حاصر الإخوان الشيخ سالماً بها سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ وكادوا بأسروره لولا استمالة السياسة في تلك الحصار

وقد توفي الشيخ سالم سنة ١٩٢١ م بعد الصفاء إلى سابق عهده ، وى سنة ١٩٢٢ م حددت الحدود بين الكويت ومحد في مياء المقير

ابن سعود والأشراف

شرحنا في فصل سابق شيئاً عن تاريخ الصلات بين الأشراف وآل سعود ، كما أن الشريف حبيباً بدأ عهده بإطهار عداوته لابن سعود بالرغم مما كان يديه ابن سعود إليه من المجاملة والتودد .

على أن ابن سعود بعد قيام الشريف بمحركته ضد الأتراك رأى أن ينتهز الفرصة لانتزاع جذور الأحقاد القديمة ، وخلق جو جديد مع الشريف حسين بسوءه الصفاء والمودة ففي الاجتماع الذي عقد بالكويت يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٦ والذي حضره الشيخ جابر والشيخ خزعل والير برسى كوكس وأعيان الكويت أتى فيه كلمة جريئة حدد فيها موقف العرب من الأتراك فقال :

إن الأتراك قد حكموا على أنفسهم بالعزلة التامة عن باقي المسلمين لسوء معاملتهم للشعوب الأخرى وعدم معالمتها بالإنصاف ، ولقد عملوا دائماً على إضعاف العرب وتفريق كلمتهم ، بينما يعمل البريطانيون على جمع كلمة العرب ، ومساعدتهم على الهوض ، ثم أتى النداء العاظر على الشريف حسين ، وقيامه بثورة ضد الأتراك وقال : إن واجب كل عربي

أن يساعد الشريف ، ويتعاون معه في محاربة الأتراك . فكان لهذه التصريحات الجزئية أثرها عند البريطانيين . ولم تهرأ أيام قلائل حتى أرق الملك حسين إلى ابن سمود يشكره ويهتبه عن عثرته العربية ويحذر عن عدم المراسلة .

أقدم طلال عهداً جديداً من المأون والصفاء قد حل ، وأن عهد الأحقاد والصفاء قد قصى عليه ، ولكن ظهر أسا كما متناهي أكثر من اللارم .

وقد شكاً أولاً الشريف حسين أن ابن سمود لا يبدل أى يهودى في سبيل القضية المشتركة ، رأى السير برسى كوكس إبعاد هيئة إلى محدثات الوقت عن كسب واستنهاض همة ابن سمود . وفي أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧ أرسل المالية عمه مستر هيلي (كرئيس للهيئة يساعده لمجر كليف أوبر والميجر هامستون (اللورد الهامس) .

وقد رأت اللجنة أن ابن سمود يقوم بعمل كبير ، فلولا صموده صداس لرشد حاييف الأتراك أقام ابن الرشيد بحرب الشريف حسين ، وفي الوقت نفسه كان ابن السمود يشجع أهل القصب بالانحراط في جيش الشريف حسين ، فضلاً عن ذلك فإن ابن سمود كان يحول دون أى إمداد يصل للأتراك ، وقد صدر ٥٠٠ بعير من ابن رعون رسول الأتراك ، كما صادر بعض القوايل الحملة مؤونة والتي كان يراد إرسالها للشام .

وهذه الأعمال وإن كانت سلبية فإن لها قيمتها في حركة الشريف الطنانية المدعومة الأتراك . غير أن ابن سمود لم يحف عن الإكثار ارتيابه . في ية الملك حسين ، لا سيما بعد أن أعلن نفسه ملكاً على العرب لا ملكاً على الحجاز فقط . ولكن الإكثار طأوه من جهة الملك حسين .

وفي شهر مارس سنة ١٩١٨ عندما اشتدت وطأة القتال في فرنسا ، وتلقى جيش الحلفاء فيها ضربات شديدة من الألمان اضطر نسبها إلى التقهقر . رأت الحكومة البريطانية أن تحدد موقفها من القضية العربية ، وأن تضع سياسة معينة لإزاء زعماء العرب ، فتتخير الجانب الأقوى والأكثر منفعة ومساعدة لمركزها الحربي ، فقررت عقد مؤتمر في القاهرة يضم الإخصائيين في المسألة العربية سواء منهم القاعون بأمر المكتب العربي في القاهرة أو موظفو الخليج الفارسي التابعون لحكومة الهند .

ففي يوم ٢٣ مارس وصل السير رسي كوكس إلى القاهرة ليمثل رأى موظفى الخليج ،
وعقد الاجتماع تحت رئاسة السير ريمبلد ونجت الندوب السامى فى مصر بحضور كل من
الحزال كليتون ، والكمودور هوجارت ، والميجر كورنوالس ، وهم ممثلو الكتب العربى
بالقاهرة ، وبحضور الكولونيل سيريل ولسون ممثل الحكومة البريطانية فى الحباز . وكان
السير رسي كوكس هو الممثل الوحيد لموظفى الخليج وحكومة الهند . ولكن خبرته الواسعة
ومعرفته بحقيقة الأمور فى الجزيرة وولامه بتفاصيلها الدقيقة ساعده فى إقناع المجتمعين باستعانة
تكوين اتحاد عربى تحت زعامة الشريف حسين . واقتد بدأ باستعراض مركز ابن سعود ،
فأبان بأنه يشك كثيراً فى نيات الشريف مصلا عن الميرة والتنافس القاعين بين الزعيمين ،
وأدلى السير رسي بيقينه من أن ابن سعود لن يقبل رعاية الشريف مطلقا ، رغم احترامه
لشريف لمكانته العائلية ، كما أبان أن ابن سعود كان صريحا ومخلصا فى كل معاملاته مع
الحكومة البريطانية ومعترفا لما بكل ما قدمته له من خدمات . وهو شخصيا لا يستفد أن
ابن سعود ينوى أن يهاجم الشريف حسين طالما الحرب دائرة رحاها ، لأنه يشعر تماما
بالتزاماته قسا من جهة وبعلم من جهة أخرى أن الإحساء والقطيف اللتين هما خير ممتلكاته
تصحان تحت رحمتنا إذا ما هورسم انفسه سياسة معارضة لمصالحنا ، فضلا عن أن يجد
نفسها تستورد جميع حاجياتها من موايبا . وزيادة على ذلك فإن ارتياب ابن سعود فى نيات
الشريف حسين تقضى عليه بأن يعزز مركزه فى بلاده ويدعم سلطانه فيها ، ودلل السير
رسي كوكس على صحة عقيدته هذه باجتهاد ابن سعود فى توسيع نطاق حركة الإخوان
لتكون دعاءة القوية فى دم كل عدوان خارجى على بلاده . ولقد رأى المجتمعون أن
لا حاجة تدعو الحكومة البريطانية لإخبار الشريف حسين بموقفها تجاه طلبات ابن سعود
وبمواقفته عليها ، ولكن إذا طلب الشريف حسين معرفة موقف الحكومة البريطانية
مع ابن سعود ، فليس هناك ما يمنع من إعطائه كل الحقائق .

وبحث المجتمعون بعد ذلك موقف ابن الرشيد ، فأدلى السير رسي كوكس برأيه فى
ذلك فقال : يجب علينا فى هذا الموقف أن لا يعارض ابن سعود فى احتلال حائل إذا سنت
له الفرصة ووجد من نفسه قوة تمكنه من ذلك .

نم بمخونا في ادعاء الشريف حسين في تلقيب نفسه بملك العرب ، فأبان السير رسي استحالة قبول ابن سعود لزعامه الشريف حسين ، وأوضح لم يبلغ الخطر في فرض هذه الزعامة بالقوة على ابن سعود .

وما كادت الحرب العالمية تنتهي حتى رأى ابن سعود الأشراف يكادون يحيطون به من كل جانب في الحجاز والعراق وشرق الأردن وما كاد يستولى على حائل حتى وحده معه في مشكلة من الشا كل العويصة ، فإن قسما من عشائر شمر عر عليهم أن يحكمهم ابن سعود ، أو عبارة أخرى عزايهم أن يقدوا سلطانهم فرحلوا إلى العراق ، فطلب من حكومة العراق تسليمهم ، فأخذت تتامل في ذلك ، ويقول فيليب حريفي في كتابه حياة السير رسي كوكس الذي حمه من أوداقه ومن وثائق أخرى : إن السير رسي كوكس بعد أن رأى من الحوادث ما عسى أن يقع من القلاقل والاضطرابات طلب إلى السلطان ابن سعود أن يجتمع مع الملك فيصل لإيجاد حو من حسن التفاهم بين محمد والعراق في المسائل المختصة بالحدود والقبائل ، ولكن ابن سعود طلب إلى كوكس تعيين المادى وتحديد لها لفقد اتفاقية بين البلدين قبل الاجتماع .

وقد رأى كوكس أن يكون مبدأ التفاهم على أساس أن قبائل المنتفق وعزة والضمير عراقية ، وأن خط الحدود يجب أن يعين بين البلدين حسبما تقتضيه حقوق الرى بالنسبة للأماكن الواقعة على الحدود . وفي هذا الوقت حصل ما يؤسف له فإن الملك فيصل عين في شهر يناير سنة ١٩٢٢ يوسف بك السعدون من عائلة السعدون الشهيرة في العراق ليقول قيادة المجانة في الحدود الجنوبية ، وكان يوسف بك على غير صفاء مع شيخ الضفير الذي ذهب إلى الرياض وأعلن انفصاله عن العراق وأبى الزعامة شعار الإخوان ورجع ومعه عامل الزكاة لجمع الزكاة من الضفير . وقد اجتمع في الوقت عدد كبير من الإخوان لمناصرة شيخ الضفير ، وقد أحدث ذلك قلقاً عظيماً على الحدود العراقية .

وفي اليوم الحادى عشر من شهر مارس هاجم فيصل العويش وهو أحد أعلام الإخوان حملة المجانة وقبيلة المنتفق في مكان يسد عن الطريق الحديدي بين البصرة والناصرية بثلاثين ميلاً قتل عدداً كبيراً منهم وشقت شمل الآخرين .

وبينا كان السير برسي كوكس ينتظر تعليمات من الحكومة البريطانية ، أرسل قوة من الطائرات لتراقب مراكز الإخوان .

وفي يوم ١٤ مارس أطلق الرهايون النار على قوة الطيران البريطانية ، فأمر السير برسي قوة الطيران أن تقابلهم بالمثل ، وسد في الوقت نفسه ابن سعود من سوء النقي .
وتقد أكد السلطان السير برسي بأن فيصل الدويش قام بمقام به من تلقاء نفسه وبدون إذن منه وأنه سينزل العقاب بكل مشول :

وتقد أطلع السير برسي كوكس الملك فيصل والنقيب على مضمون كتاب ابن سعود وجوابه عليه وأنه طلب إلى ابن سعود أن يأمر قواته بالانسحاب إلى خط الحدود بين البلدين وقد أجابه السلطان إلى ذلك . وقد انتهت المفاوضات التي دارت بين مندوبي الطرفين في الحجرة على اعتبار أن قبائل النتمق والضفير وعنزة التي تسكن بين البحرين قبائل تابعة للحكومة العراقية ، وتعيين آبار المياه والمراعي التي بموجبها هذه القبائل .

وتقد اتفق مندوبو الحكومتين على :

- (١) متابعة القبائل النيرة من جانبها .
- (٢) وأن تحصى طرق قوافل الحجاج في بلادها .
- (٣) وأن تبقى الرسوم الحركية على ما هي عليه في الوقت الحاضر .

وتقد أمر مندوبو ابن سعود على أن تلتى المعاهدة بين البلدين إذا قطعت إحدى الحكومتين صلاحتهما مع الحكومة البريطانية .

وتقد حدث أن استقالت وزارة النقيب ، وبعد ثلاثة أيام من استقالتها سافر السير برسي إلى الخليج .

وبينا كان مؤتمر الصلح متقدماً كان من الضروري تعيين الحدود الجنوبية مع ابن سعود الذي رفض إقرار معاهدة الحجرة ، فتوجه السير برسي إلى العقير ومعه صبيح بك شأت وزير الأشغال السابق ومهد بك المذال رئيس عمرة العراقية والليجر مور قنصل الكويت والليجر ديكسون ، فقابلوا مع السلطان هناك حيث قال لهم : إن حدوده هي التمرات ،

ولكن السير رسي لم يقل ذلك : وبعد مناقشات حادة كادت تؤدي إلى أزمة بيل ابن سمود تعيين خط الحدود الذي اقترحه السير برسي كوكس والذي هو الآن خط الحدود القائم بين البلاد العربية السعودية والعراق .

ولما رأى البريطانيون أن المهادنة المذكورة لم تف بالغرض عمدوا إلى محاولة أخرى لاقتلاع جذور الخلاف بين ابن سمود والأشراف ، وإزالة كل أسباب سوء التفاهم بين الأشراف وابن السمود ، فمقدوا لهذا الغرض مؤتمر الكويت ، وهو الذي سنتكلم عليه في الفصل التالي :

مؤتمر الكويت

وما كان هذا المؤتمر أم مؤتمرات التي عقدت في حرية العرب في تلك الحقبة من الزمن ، ففي هذا المؤتمر طهر الأشراف في بغداد والحبار وشرق الأردن مظهر الخلفاء المنتصين صد خصمهم ابن السمود ، الذي أحس بالخطر المحيط به ، فأخذ يعمل لدفع هذا الخطر ، فوجه همه إلى الشجرة الشرجية في مكة فافتتها من جذورها على ما سيحيى بعد حاولت الحكومة البريطانية أن تربل سوء النقام بين الشريف حسين والملك ابن سمود ، فسمت في أثناء الحرب لاختناهما في عدن أو في مكان آخر محايده ، وسعت لفتح باب المفاوضات بين الفريقين ، ولكن هذه المحاولات لم تشر الثمرة المطلوبة .

وقد حاولت كذلك حل مشكلة الحدود بين العراق ومعد ، فبجيت معص البجاح ولكن العوس كانت لا تزال تحمل الإحن ، وقد عمل « السير برسي كوكس » صديق الملك ابن السمود لاجتماع الملك فيصل بالسلطان عبد العزيز ، ولكن الظروف — على ما يظهر — لم تكن مساعدة من كل وجه لخط المسعى ، ثم أخذت حوادث الحدود المجدية وشرق الأردن تنسكرر فيها الاعتداءات من عشائر الفريقين ، وأخذ الإخوان يهددون شرق الأردن بمسه أهداً بنار إخوانهم ، وأخذت الحوادث في الحجاز تأخذ شكلا لا يقل خطورة عما يحدث على حدود العراق وشرق الأردن

ويجب أن نقرر هنا حقيقة أنه فيما عدا حادثة تربة ، سنة ١٩١٩ م التي أيدت فيها قوات الشريف حسين لم يكن لذلك ابن السمود يد ظاهرة في هذه الحوادث ، وما كان يستطيع أن يعمها تماما إلا بشورة أهلية ، ولكن طبيعة التطور الأخير في البادية وانتقال الإخوان من البادية إلى سكى الدر وتشرشهم روح البرين والتعصب ضد كل من خالفهم ، والأحوص المحاورين لهم . والملك ابن سمود وإن لم يرغب في الاعتداءات على البلاد المحاذرة المشمولة بالقوذ الإنجليزى أو يشجع عليها ، فإنه لم يكن يكره ذلك ، فمادام

الإخوان يمحضون شوكة الأعداء ويعودون بالفنائم سالخين ، وما دام الأعداء يسعون لقتضائه عليه وعلى دولته فلا بأس من تركهم والإخوان يتصارعون . لقد كان الملك ابن السعود يصحح الإخوان من وقت لآخر بالكف عن أذى الحكومات المجاورة والركون إلى السلم ، ولكن نصحه لم يكن يلقى أذناً سمية من الإخوان ، وكانوا يقولون : يا قصب ! أليس هؤلاء كفلاً ؟ أليسوا محاربين لنا ؟ أليس كبيرهم يحول بيننا وبين أداء عريضة الحج ؟ فما بال ابن السعود يأمرنا بالكف عنهم ، وما له وما لنا ، إننا نقوم عريضة الجهاد ، فمن عاش رجع غانماً ، ومن مات لقي الله شهيداً وهو عنه راض ! ولكن الحكومة البريطانية وقد أصبحت لها مركز خاص في العراق وشرق الأردن بهما أن يحجم الكون على تلك البلاد ؛ لذلك فكرت في عقد مؤتمر في الكويت تحت رئاسة الكولونيل نو كس رئيس المشدين في الخليج الفارسي لحل جميع المسائل الملقة بين الأشراف جميعاً وبين ابن السعود وصلت الدعوة إلى المؤتمر ، وكان السلطان مريضاً مرضاً خطراً ، تأخرت الإجابة طبعاً ، وبعد أن زال عنه الخطر وحرضت عليه الدعوة رأى أن يطلب من الحكومة البريطانية تأجيل المؤتمر ريثما يتم شفاؤه ، ولكن الكولونيل نو كس التي قررت إحاطته على الماش كان حريضاً على عقد المؤتمر وعلى حل المشاكل الملقة التي لا تزيدنا الأيام إلا تعقيداً وإشكالا . وهل هناك خير أعظم من حل هذه العقدة التي تركها السير برسي كوكس ، وهو أقدر رجل عرفه العرب وأعظم الإنجليز مهارة في حل المشاكل ؟

ظن الكولونيل نو كس ، وهو عين الحكومة الإنجليزية في خليج فارس ، أن ابن السعود يريد أن يتخلص من الاشتراك في المؤتمر ، فأرسل إليه باسم حكومته رسالة شديدة الالفة لا تخلو من تهديد ، فقبل ابن السعود الاشتراك في المؤتمر على مضمض ، واشترط لقبوه أن لا يشترك الأشراف في المفاوضات بمحتمين ، بل يفاض كل حكومة على حدة ، قبلت الحكومة البريطانية هذا الشرط .

دور المؤتمر الأول

اجتمع المؤتمر في الكويت ، واجتمع مندوبو نجد والعراق وشرق الأردن ولم يحضر أحد عن الحجاز ، وبعد عدة جلسات رأينا جميع المندوبين متضامين ، فاحتج مندوبو نجد

واعتبروا هذا إغترافاً بنا اشترطه سلطانهم لقبول الدعوة ووافقهم وزارة المستعرات على ذلك ، واعتدل مندوب العراق ، وبقى مندوب شرق الأردن على شططه بالرغم من تنبيه رئيس المؤتمر له سراراً ، ويكفى أن نذكرها طلمات شرق الأردن لتعلم ما يكفه القدر لمؤتمر الكويت .

يطلب مندوب شرق الأردن ما يأتي : —

١ — تمديد مقررات المهمة التي عقدت بين الشريف حسين وبين الحكومة البريطانية ، والتي نصي بأن تكون حدود حكومة محدكاً كانت سنة ١٩١٩ م ، ويجب إحصاء الحواف وشكائكه ووادي السرحان جهيمه والأراضى المحاذية التي شملها مثل : تربة والحمة والحائط والحويط وخيرو بيشة ووادي شهران وبلاد بني شهر .

٢ — تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز ومجدهى الصحراء القاحلة

٣ — لا يمكن عقد صلح على غير هذا الأساس .

وينبئ أن يهمهم ها أن الرض من الاعتراف بمحدود معاهدة سنة ١٩١٩ م فقط ، هو عدم الاعتراف بما تم من القضاء على حكومة الرشيد وإلحاقها بنجد .

ولما كانت هذه الطلمات متعبة كأداء في سبيل الاتفاق لم يكن هناك بد من أن تؤحل الحكومة البريطانية المؤتمر . صمة أسابيع ، ورجع كل فريق إلى حكومته لايقافها على النقطة التي دار عليها البحث وأخذ تعليمات جديدة منها ، وتقوم الحكومة البريطانية بتقريب مدى الخلاف ونصح كل فريق بالاعتدال كي يمكن الوصول إلى طريق للاتفاق وإزالة سوء التفاهم السائد بين الجميع . وقد سمت الحكومة البريطانية لحل المثلث حسين على الاشتراك في المؤتمر ، فاشترط أن يرسل الأمير زيداً على شرط أن يرسل سلطان نجد أحد أولاده فلم يقبل ان سعود وصرح بأنه يثق بمندوبيه ، ولا يرى أى ضرورة لتغييرهم . وهكذا مثل اشتراك الحجاز في مؤتمر الكويت ، وقد أبدى سلطان نجد مهارة فائقة ومرونة سياسية دلت على بساطة نظره وتقديره الظروف حق قدرها ، وأنه يعرف عقلية خصومه معرفة تامة .

لقد أوصانا رئيس المؤتمر قبل مفادتنا الكويت بأن نبذل نفوذنا لإقناع سلطان

نجد بالتساهل ، وأرسل في الوقت كدماً اعظمته يشرح له حفيظة الموقف . وبالرغم من التكم الشديد الذي ساد جو المؤتمر ؛ فإن الإشاعات الكثيرة سبقتنا إلى نجد فقام وفد لها البعديون . لقد كبر على الإخوان أن يسعوا شرق الأردن والعراق يملين عيهم هذه الشروط القاسية ، وهم لم تنكس لم راية ولم يسكسر لم حش ، فقام البويش ومه رهطه من الإخوان ومطير وعهم على عاشر العراق ، كما أن بعض الأشياء من مطير كاريه جمون من وقت لآخر على حدود نجد ويهيون كل ما تصل إليه أيديهم .

الدورة الثانية للمؤتمر

لم يحضر في هذه الدورة أحد من جهة العراق أو الحجاز ، بل حضر مندوبان فقط من شرق الأردن ولم يمدلا عما طلباه في المرة الأولى ، ولكن رئيس المؤتمر منهما من البحث في أى مسألة من المسائل الخاصة بالحجاز ، فامحصر البحث في حدود شرق الأردن ونجد ، فطلبوا من نجد أن يكون حدودها النفوذ وتتخلل عن الحوف ووادي السرحان بأكله ، وقد طلب مندوبوا سلطان نجد استثناء أهل الجوف وأحيراً فشل المؤتمر .

أما الدبب الحقيقى في فشل المؤتمر فهو صلاية الملك حين وتصنه ، وعدم وقوف الأشراف في العراق وشرق الأردن على حقيقة الحالة في نجد ، وأن أحكامهم على نجد المبينة على ما يصل إليهم من الأخبار كانت خاطئة . ولو أنهم تسوا على العقبات التى وقعت في طريق المفاوضات في المؤتمر شىء من التساهل لكان ابن السعود حتى الآن في نجد .

لقد أخبرني إبراهيم بك هاشم أحد مندوبى شرق الأردن أنه سمع في بغداد أن عمر سلطة نجد لا تتجاوز الستة أشهر ، كما أخبرني حصرة الصا على خلقى بك أنه يستطيع أن يقضى على سلطة نجد في مدة أقصر من هذه المدة ، وقد أهمتهم بأنهم محطون جداً وأن ما يرى من الاحتلال على الحدود ومن شعب الأشياء لا قيمة له ، وأن الداية من قديم لم يتقطع منها أمثال هذا الشعب ، وأن ستة لأشهر التى قدرت عمراً لسلطة نجد ربما كانت عمر حكومة الحجاز ، وإبه ليمسكها الأسف والأسى على ما وصل إليه العرب من التخاذل ، وأن يكون موقف المتعلمين من العرب هذا الموقف المررى . والحقيقة أن

الأشراف جميعاً ومن اشتل منهم ما كانوا ينظرون إلى ابن سعود إلا أنه رجل يدرى
أوشيح عشيرة ، وأنه ليس بأهل للتمام معه ، وأنه ليس من الخطر بمكان حتى يحشى ،
ولكن الحوادث كانت كافية لإظهار حطتهم ، وأن الآمال التي كانوا يعقدونها على قيام
توارث في نجد لم يتحقق شيء منها ، وأن ما عجز مؤتمر الكويت عن حله قد حل في
أكور سنة ١٩٢٥ م في مؤتمرى حذاء ونجر ، وفي سنة ١٩٣٠ م بين ملكى العراق
والحجاز ونجد .

وها هو السكون يحيم على الحدود العراقية الفصحية ويعود الصفاء بين مكة وبغداد ،
ويتسامى الفريقان الأحقاد المائلية القديمة ويعملان كلاهما على ما فيه خير الشمين الربيين
وها هي شرق الأردن تحدد وحذو العراق وتعفى مشاكلها مع الحجاز ويتبادل ملكا
الملسكتين الزارة ، ويتماون الفريقان تماوناً صادقاً على الضرب على أيدي المفسدين من
البدو ، فيسود السكون على الحدود وتعود الحياة إلى مجراها العادى ولا تزال آمال مفكرى
العرب وعقلائهم ، معقودة على اتحاد الأسراء وتعاونهم لطير العرب .

غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي

كيف نشأت فكرة الغزوة ؟

لم يكن لجلالة الملك ابن السعود أى فكرة عن غزو الحجاز وفتح حتى سنة ١٩٢٣ م ؛ أولاً : لأنه لم يكن واقفاً تمام الوثوق بإمكان تطلب قواته على الحجاز ، وثانياً : لأنه لم يكن واثقاً من موقف الحكومة البريطانية ، ويحق له أن يحب لموضعها ألف حساب ؛ فعلى الرغم من ترك الحجاز والرجوع إلى نجد سنة ١٩١٩ م بعد ضرب القوات الشريفة في تربة ، وقد كان في إمكان قواته في ذلك الوقت أن تقدم وتستولي على الطائف ومكة ، لولا إندثار اجلترا له بأنها تعتبر تقدمه في الحجاز عملاً عدائياً موجهاً ضدها .

من سنة ١٩٢٢ م رأينا علاقات الملك حسين تسوء مع المصريين ، فرجع المحمل من جدة ، كما سادت بينه وبين الإنجليز والمفتد على شتى المسائل : على المعاهدة ، والبصائر العلية ، وسوء معاملة الحجاج الهند ، مع معجزة من تأمين الطريق بين مكة والمدينة . ومما لا شك فيه أن فريقاً كبيراً من مسلمى الهند وهم لم ينظروا نظرة استحسان لقيام الشريف حسين ضد الأتراك ؛ ولهذا فإبهم قالوا إعلان الملك حسين نفسه خليفة سنة ١٩٢٤ م في فلسطين إثر إلقاء الخلافة التركية بالاستيلاء الشديد .

كانت نجد في سنة ١٩٢٣ م تكاد تكون في عرلة تامة عن العالم ، وقد أتاح لها الملك حسين القرض ، فهل تتركها تغلق من يدها ، لقد تمكن مستشارو السلطان عبد العزيز من إقناعه بفائدة الانصال بالعالم الخارجى وكتب في المقدمة فداً بإرسال برقية منه إلى جلالة الملك فؤاد يهنئه بافتتاح أول برلمان مصرى ، ثم مأحد الأعياد ، وأعلن الأمير فيصل في منشوراته كلها موقف نجد إزاء مسألة الخلافة ، وإزاء بعض المسائل العربية ، كالأمجاد العربى ، واتصلت الهيئات الإسلامية في الهند بالسلطان نجد ، وتم التفتاه على الأغراض

الإسلامية العامة ، والجميع متفقون على الاستياء من حالة الحجاز وسوء النظام السائد فيه أخذت كسب التأييد تترى من سائر المدن الإسلامية ، وقوى الصلة بين نجد ومصر أن جلالة الملك ابن السعود شارك علماء مصر في موقعهم حيال مسألة الخلافة وحلها في مؤتمر يعقد في مصر ، فاكتملت بعد قوة أدبية لا تنكر

مثل الإجماع في محاوراتهم تصفية الشاكل بين ابن سعود والأشراف في مؤتمر الكويت ، وكان المشغول الأول عن هذا الفشل الملك حسين ، وخرج ابن السعود من الحركة ظهراً ؛ لأنه كان مواصباً في مطالبه على خلاف الأشراف ، فإنهم كانوا مثاليين ، ولو أن الأشراف انتصروا على ابن السعود في الحرب وأملوا عليه ما يريدون من الشروط لم تكن شروطهم أشد قسوة مما اشترطوا ، فكيف وهو حتى هذه الساعة لم يهزم له جيش والبلاد التي يطالب بها الملك حسين ويدعى ملكيتها لا تزال بيده . وصحت بعد لأول مرة الكتاب الأحمر وشرحت به المسائل المختلف عليها ، وما يطالب به الحجاز وشرق الأردن والعراق ليضع الموضوع كله أمام العالم الإسلامي والعربي ، فكانت خطوة موفقة اكتسب بها السلطان عبد العزيز عطف عقلاء العرب والمسلمين ، ولكنه لم يصح إلى ما أشار به مستشاروه من الهجوم على الحجاز ولو لتصفية الخلاف مع الملك حسين لاعتبارات كثيرة .

خرج السلطان من مؤتمر الكويت وهو موقن بأن الأشراف لا يريدون به خيراً ، وأهم لا يأتون حيداً في خلق المشاكل له وإيلاده ، ولكنه قنع أخيراً بفكرة الهجوم على الطائف والاستيلاء عليه فقط ليساوم الملك حسيناً عليه ؛ لعل الرجل يعدل عن غطرسته ؛ وتقرر أن يكون ذلك بعد رجوع الحجاج إلى ديارهم دسماً لما قد يحدث من المشاكل ، سيحصل موقف الملك حسين وموقف الحكومة البريطانية بعد احتلال الطائف .

لقد كنت موقناً بأن الإخوان سيتغلبون على قوة الشريف ، وموقناً بأن انكساراً ستقف موقف الحياء ، لأن سياسة ابن السعود إزاءها كانت سياسة مجاملة تامة وودية لنهاية بمكسب سياسة الملك حسين .

جاء عيد الأضحى وقدم رؤساء الإخوان — أهل الخزعة وعقبة وأهل النمط —

وغيرهم من قادة الإخوان العابدة على ولي أمرهم ، واتهموا هذه الفرقة وحرص عليهم مسألة غزوة الحجاز فمشوا وبشوا للشروع ، لأنهم سيظهرون بيت الله من اليدع ويشرون دين الله الصحيح ، ولأنهم سيفنون الأموال وقد دافوا حلاوتها في تربة ، كما سيفنون أمر الجهاد من الله . وقد وصفت خلاصة عم دار في المؤتمر من الأحاديث وأرسلت إلى جميع الصحف العربية والمهدية ، فكان لها صدى استحسان

ترك الإخوان الرياض إلى بلد هم ليستملوا للجهاد : جهاد الملك حسين ، وما أسهل استمداهم لنزوه ، وهل يحتاج الأمر إلا إلى الثقة والبديهة والازاد والقدرة ؟ لم ينتصف شهر محرم سنة ١٣٤٣ حتى بدأ الإخوان غداواتهم مع مادية الحجاز وأكثروا ماقم على الملك حسين ، ثم أخذوا يتقدمون وحبوش الملك حسين لا تنف في وجوههم حتى استولوا على الطائف في ٥ صفر ، ثم وقفوا ينتظرون أمر مولاهم . ولقد حاول الملك حسين أن يستل الحوادث التي وقعت في الطائف ضد حصصه في تنفير العالم الاسلامي ، ولكنه فشل في ذلك ومرت الحادثة بدون أن يكون لها أثر عظيم في نفوس المسلمين . وبرامج ابن سعود غلاب يختبئ النفوس ويضيق مع الروح الطيبة التي يتساها عقلاء المسلمين لمهبط الوحي .

إن رناهم أنه لا يريد التمتع ولا طوتا في الأرض ولا مصاداً ، وكل ما يريد هو طرد الأشراف وتطهير بيت الله وسهط وجهه من ظلمهم وتحكمهم ، وأن مكة للمسلمين عامة ، وأنه سيحل على رغبة العالم الاسلامي في ذلك كله .

ظل الإخوان في الطائف ينتظرون أمر إمامهم ، وليس هناك سيارات أو تلفراف بين الطائف والرياض والمواصلة الوحيدة هي الجمل ، والمساء ذهاباً وإياباً لا تقل عن ٢٥ يوماً ، إذن يجب أن ينتظر الإخوان هذه المدة وسلطانهم قد شدد عليهم ألا يتجاوزوا الطائف ، وإلا هو يبرأ إلى الله منهم ، أي أنهم سيكونون عاصين في عملهم ، ولا داعي إلى ذلك ، فالنائم التي استولوا عليها تحتاج إلى وقت لتضيقها بينهم بالمدل .

جمع الملك حسين آخر ما لديه من جنود وجوزهم بآخر ما لديه من الأسلحة ، وسيرهم إلى الطائف لضرب الإخوان وطردهم منها ، وهنا كانت معركة الهدي التي انقضت فيها الإخوان على جنود الملك حسين وهزمهم هزيمة مفكرة ، واستولوا على جميع ما كان لديهم من مال وسلاح .

هنا رأى الملك حسين أنه لم يبق له مقام في مكة ، فاستند لرحيل منها وتنازل من الملك لولاه علي ، بعد أن أدخلوا مكة وغلقوا كل ما يمكن تعلقه ، ثم دخل الإخوان مكة صلحاً لا حرباً ، مدخلوها خاضعين ، وتولى الشريف خالد بن إزميل إمارة مكة . ولقد صدق المثل « كما ندين ندان » ، فكما سيطر الشريف حسين البدو على الأتراك وبيوتهم ، فأدخلوا فيها يد التهب والسلب ، كذلك سيطر الله عليه الإخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الأتراك ، ما عدا القتل فلن يدم لم تمتد إلى قتل أحد في مكة

وبعد فتح مكة أرسلت الدول التي لها مننلون في جدة مذكرة إلى الطردين النصارى يذكرونها برعاياهم وحسن معاملتهم ، ويحثونها تحية ما يقع عليهم من الأصرار ، وأنهم جميعاً سيفنون موقف الحياض في التراجع بين الفريقين ، فكانت هذه المذكرة أحسن بشرى للملك الذي كان يساوره بعض القلق ، فبجل بالسفر إلى الحجاز ليتولى بنفسه استصفاء الحجاز ، وليحول دون تكرار مأساة الطائف . ولم يكن هناك ما يمنع الإخوان من الاستيلاء على جدة ، لولا ما أسرم به إمامهم ، فكانت هذه خير فرصة للشريف علي حرض فيها جدة ، وحشد فيها من القوات العسكرية التي جمعها من فلسطين وشرق الأردن ما جعلها تقاوم نحو سنة

خلال السلطان عبد العزيز الرياض في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ - ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، فودعه أهلها وعلماؤها وكبار أعيانها ، وقد ودع أهلها بهذه الكلمات الحافلة التي نشرتها الصحف في حينها واعتبرها العالم الإسلامي هدفاً جديداً لله الله الحرام



إنى مسافر إلى مكة لا يقتل عليها بل لرفع المظالم والتأزم التي أرقت كاهل عباد الله ، إلى مسافر إلى ميطط الوحي لبسط أحكام الشريعة ، وتؤيد أحكامها ، بعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع ، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطأ للشريعة . إن مكة للسلمين كافة ، فأمر إدارتها وتنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العالم الاسلامي إننا سنجمع وفود العالم الاسلامي هناك وستبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تبجل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية ، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله



وقد وصل إلى مكة المكرمة في ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ - ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ فدخلها دخول العبد الخاضع والمسلم الخاشع ، لا الكالك الفاتح ، ولا الجبار المتكبر ، فكان وصوله إلى مكة أكثر مصدر الطمأنينة ، وأكبر مواساة لجروج السكينة التي تركتها نسوة الإخوان في الطائف ، رأى أهل مكة والوافدون للحج من شيوخ القبائل في سلطان محمد رحلاً بيلاً متواصلاً حسن العشر ، واسع الصدر نصيراً للصيف ملاذاً للمحتاجين ، فأحسوه وأحبلوه وأكرموه ، وكألو يقولون في أيديهم لولا غلظة الإخوان وحشونتهم وقسوتهم لكان عهد ابن سعود في استئثار الأمن ، والضرب على أيدي المسلمين ، والقضاء على البدع والمنكرات لا يباله إلا عهد الصحابة والتابعين .

وقد رأى بثاقب فكره وسد نظره أن يزيد الطمأنينة في النفوس ، ويؤكد ما سبق لكتاب هذه الطور إعلانه على كبار الحجاز وأعيانه قبل وصول عظمة السلطان بضعة أيام فأمر بنشر المنشور الآتي :

لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد

نحمد إياكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت العتيق . ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد فلم يقدمنا من ديارنا إياكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودمماً لشروك كان يكيدنا لنا ولديارنا من استبد بالأمر فيكم قبلنا ، وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل ، وما نحن أولاء بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة عند الجميع فنقول :

(١) سيكون أكبر مما تظهر هذه البلاد المقدسة من أعداء أنفسهم الذين مقمهم

العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومقاريها بما اقترعوه من الآثام في هذه الديار المباركة

(٢) سنجمل الأمر في هذه البلاد المقدسة بعد هذا شوري بين المسلمين ، وقد أبرقنا

لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام بقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لإغاثة أحكام الله في هذه البلاد الطاهرة

(٣) إن مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله ، وما جاء عن

رسول الله عليه الصلاة والسلام أو ما أقره علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة ، فلا يحل في هذه البقاع غير ما أحله الله ، ولا يحرم فيها غير ما حرمه .

(٤) كل من كان من العلماء في هذه الديار أو من موطن الحرم الشريف أو المطوفين ذو راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ، إن لم تزد ولا ينقص شيئاً ، إلا رجلاً أقام الناس عليه المحبة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه ، فذلك ممنوع مما كان له من قبل ، وكل من كان له حق ثبات سابق في بيت مال المسلمين أعطياه حقه ولم ينقصه منه شيئاً .

(٥) لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في إقامة حدود الله هواة ولا يقبل فيها شفاعاة ، فمن ألزم حدود الله ولم يمتدحها فأولئك من الأمنين ، ومن عصى واعتدى فإنما إثمه على نفسه ولا يلومن إلا نفسه . والله على ما نقول وكيل وشهيد : وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣



فكان لهذا المشور أثره السحري لا في نفوس الحجازيين فحسب ، بل في العالم الإسلامي قاطبة ، وأخذ مركز ابن سعود يحتل قلب كل مسلم مخلص وأخذ نجم الأشراف في الحجاز في الأقوال وحكمهم في الزوال .

حاول الملك على عقد الصلح ، فوسط الأستاذ الريحاني ومستر فلي (والسيد طالب) النقيب ، ولكن البرنامج معروف : المسألة إسلامية ياربماني ويامستر فلي ، فليس من شأننا التوسط فيها ، والرأي يا « سيد طالب » للعالم الإسلامي ، فما على الأشراف إلا أن يرحلوا من الحجاز ، ويحتج مؤتمراً إسلامياً ينظر في مسائل الحجاز ، من كل نواحيه . وقد مضت مدة والحرب دائرة بين الطرفين ، وكل يعاني شدتها ، ولكن شدتها

على الملك على كانت أشد على كل حال . وفي أبريل سنة ١٩٣٥ م عرّض قنصل السويد
ووكيل قنصل إيران ، ووكيل قنصل هولندا وساطتهم للصلح بصفة خاصة ، لأن دولهم
لم تكلمهم بذلك ، ولم يقبل السلطان ذلك .

وفي مايو من السنة نفسها قدم دؤاد بك الخطيب إلى معسكر السلطان ابن سعود
محاولاً الوصول إلى طريقة يوقف بها الحرب ويضمن بها هذه الأشراف في الحجاز ولم يفلح .
وفي أغسطس وسط الملك على الدولة العثمانية للصلح ، ولكن الحكومة البريطانية
حينما عرّضت وساطتها بين الفريقين صرحت بأنها تقبل الوساطة إذا رضى الفريقان هذه
الوساطة ، فكان جواب ابن سعود :

« ١ » أعطى عهداً للعالم الإسلامي أن تكون الحجاز ومكة للسلطين عامة »

وفي سبتمبر سنة ١٩٣٥ وصل فصيحة الشيخ المراعي وكاتب رئيساً المحكمة العليا
الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفي السراي الملكية ، ومعهما كتاب رقيق
من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة .
إنه طرف ملائم جداً وفرصة نادرة لتوثيق العلاقات بين مصر ونجد ، وسلطان نجد
كان ولا يزال معترفاً بزعامه مصر من وجهة الثقافة والمذبة ، ويجب أن نؤكد العلاقات
بينه وبين مصر .

رأى عظمة السلطان بعد الاجتماع مع الوفد المصري والاتحاد معه في شئ المباحث أن
أقوم بالبحث التمهيدى ، وما نصل إليه من النتائج نعرضه على عظته أولاً بأول .
لقد سبقت الوفد عدة شائعات : منها أن الشريف علياً طلب بسط حاية مصر على
الحجاز ، وطلب أن ترسل الصدقات المتأخرة إرسالها إلى مكة والذبية إلى جدة ، لتوزيع
على جنوده واللاجئين إليها من أهل مكة ، ولكننا لم نتم وزماً لهذه الإشاعات أو غيرها .
لقد تبين من المباحثات الأولية أن الوفد جاء لفرض وساطة مصر للصلح بين الفريقين
التحاربين ، فما المخرج من هذا الموقف الدقيق ؟ إننا لا نريد إغضاب مصر ، وسلطان
نجد يجب ملك مصر ويحرص على اتصال حبل المودة معه ، ولكننا لا نحب الصلح الآن ،
لأن حكم الأشراف في الحجاز قد آذن بالزوال ، فالمعلومات تصل إلينا عما تقاسيه جدة
والذبية ، وأن النصر قاب قوسين أو أدنى

أخبرني الوفد بسمي الحكومة البريطانية قبل شهر للصلح ، واعتذار السلطان عن قبول هذه الوساطة ، وليس من الياقة قبول توسط مصر الآن . ماذا حنت مصر من الملك حسين ؟ ألم يرد الحمل المصري من جدة ؟ ألم ينهم البعثة المصرية بأبها تحاول تسيب المياه ؟ ألم يزعج من كسوة الكعبة الشرفة اسم ملك مصر ؟ ألم يعدد إلى الإساءة إلى كل ما هو مصري ؟ إذا كنتم تريدون أداة أخرى فماكم ملفات الحكومة الهاشمية ، أقرأوها إن شئتم فإنها دليل ناطق على ما كانت تطوبه حوامع الملك حسين نحو مصر وملكها وشعبها . ألا يحسن أن نبحث موضوعاً آخر يكون فيه الخير للبلاد المقدسة ولأهلها ولقوانين عليها من المسلمين ؟ إذا وضعنا أساساً لذلك فإننا بلا شك نكون قد قفنا بواجب عظيم نحو ديننا ، ونكون قد خدمنا الإسلام والمسلمين أجل خدمة . أما الأساس القوي كان نتيجة البحث فهو :

- (١) أن الحجاز للحجازيين من جهة الحكم ، وللعالم الإسلامي من جهة الحقوق التي لهم في إبقاع المقدسة .
- (٢) اجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبين العالم الإسلامي
- (٣) يجب أن تكون الشريعة الدستور للحجاز .
- (٤) استقلال الحجاز الداخلي .
- (٥) جعل الحجاز على الحياد .
- (٦) لانتقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير إسلامية .
- (٧) تحديد الحدود الحجازية ، ووضع النظم المالية والاقتصادية والإدارية موكول لندوة في الملك والشعب الإسلامية .

وقد وافق عظمة السلطان ابن سعود على هذا الأساس وقال للوفد المصري : لكي تملأوا مقدار حتى مصر رغبكمها ، والعملة المنظمة التي له في قلبي ، أوكل جلالتك أن يدعو في مصر مندوبين المسلمين يسيطروا في الأمور ، وما يقررونه سنقوم بتنفيذ . فسر الوفد كثير بعد النتيجة التي وصل إليها خيراً من المهمة الأولى . وسردنا نحن أيضاً ،

لأننا اكتسبنا مودة ملك مصر وهي شيء عظيم عندنا ، وسافر الوفد المصري حاملا كتاب عظمة سلطان نجد للتضامن هذا الأساس .

وفي أكتوبر سنة ١٩٢٥ وصل جلال السلطنة وزير إيران التفويض عمر ، وعين الملك قنصل إيران الجبزال في سوريا إلى الحجاز ، وأخبرا عظمة السلطان بأنها موفدان للوقوف على صحة أو كذب ما أشيع عن إصابة القبة النبوية بالنابل ، وفي أثناء إقامتهما في المعسكر السلطاني في حذاء وفي مكة بحثنا معها شئون الحجاز : ماضيه ومستقبله ، وأحبرناهما بالكتاب الذي حملته الوفد المصري ، وبالندوة التي سيوجهها حلالة ملك مصر إلى العالم الإسلامي لوضع مسألة الحجاز على ساط البحث على الأساس الموضح في الكتاب ، فأظهر الوزير امتناحه ، وصرح بأن حكومته لا تقبل دعوة مثل هذه من مصر ، لأن مصر دولة غير مستقلة من كل وجه ، ولا شأن لها بالبلاد المقدسة ، وقال لعظمة السلطان : لماذا لا يدعو هو المسلمين في مكة ؟ أليس هو أولى بالدعوة ؟ أو أليس هو صاحب الشأن ؟ فاجابهم عظمة أنه اختار مصر لقرنها من سائر البلاد الإسلامية ، ولأن الحجاز لا يزال في حالة حرب ، وقد وكلت ملك مصر ولن أرحع في قولي ، فطلب الوفد الإيراني كتابا من عظمة السلطان إلى رئيس حكومة إيران ، يتضمن الأسس المتقدمة ، ورجع الوزير مسرورا من زيارته بعدما وقف على الشيء الكثير من المعلومات من الإيرانيين المقيمين في الحجاز عن حكم الأشراف في الحجاز ، وما ركة السلطان ابن السعود في نفوس الحجازيين من تواضعه وحلمه ، وساملته وإلقاه ، وحسن مشوره ولين جابه ، وأنه لولا خشونة الإخوان لكان حكم السلطان ابن السعود نعمة من سم الله لاتعاد لها نعمة .

مضى نحو أربعة أشهر والحرب لا تزال على حالها ، ولم يصل إلى عظمته شيء عنائم في أمر المؤتمر : إن الحرب قد تطول أكثر من ذلك ، فلماذا لا يفتح طريق الحج من جهة « رابع » فيقضى التضاء الأخير على جدة ؟ لقد سمح هذا الطريق ببعض النجاح في الحج الماضي ، وودد من الجياج نحو أربعة آلاف نفس .

رأى عظمة السلطان أن يوفدني إلى مصر للبحث مع حكومتها في الإذن للجياج من هذا الطريق ، وقبل مفادرتي رابع دخلت جيوش السلطان المدينة غائفة فكان ذلك مشعا بأن حكم الأشراف في الحجاز في حالة النزاع .

وصلت إلى مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ م ، وبعد مدة قصيرة استلمت جدة آخر المدن الحجازية ، قرح اللون فرحاً عظيماً ، وقابلت الصحف العربية والمندية هذا الحادث بحماسة شديدة ، ونشر عظمة السلطان في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م مشوراً عاماً على أهل الحجاز : يحضهم على الإخلاص إلى السلطان والانصراف إلى أعمالهم ، وغتم النشور بالجملة التالية :

« وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك اللون جميعاً فيه لينظروا مستقبل الحجاز ومصلحه »

العدول عن المؤتمر

وبدأ أسبوعين من صدور النشور الأول ، أصدر عظمة السلطان بلاغاً عاماً بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة - ٧ يناير سنة ١٩٢٦ م يعلن فيه عدوله عن فكرة المؤتمر الإسلامي ، لأن دعوة التي وجهها إلى الشعوب الإسلامية وإلى قادة المسلمين لم يحبه عليها أحد ، وفي اليوم نفسه بايع جلالة أهل الحجاز ملكاً على الحجاز ، فأصبح قلب جلالة « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

تمت هذه الخطوة الجديد وأما في مصر أفاضت حكومتها في شئون الحج ، ولم يخف على أولو الأمر استيائهم ، كما أن التبرعات والصحف نشرت الشيء الكثير من استياء الفتود وجمعية الخلافة على الأخص ، وعدوا ذلك نكثاً بعود جلالة الملك الكريمة ، وقد أبرقت لجلالة الملك أخبره بمقابلة الملكة في مصر والمند ، وإن جلالة لو كان تراث قليلًا لكسب الحجاز وتغلب المسلمين ، فأجابني جلالة بريقة يشرح فيها الأسباب التي دعت لتحويل وهي إسرار أهل نجد والحجاز على ذلك ، وإن حال البلاد تستدعي البت في هذا الأمر ، وقد نشرت الصحف هذه البريقة في حينها ، غير أن السلطات المصرية لم يقتضا هذا الجواب ، واعتقدت أن مسألة الية وما اكتنفا من طلب الحجازيين والتجديديين إن هي إلا إيماء من حكومة الحجاز

أما أنا شخصياً فكنت أهم بموضوع المؤتمر الإسلامي لأنه وسيلة من وسائل تمام المسلمين وإصلاح كثير من الشئون الدينية والاجتماعية ، وطريقة من الطرق التي التي

يمكننا بها خدمة الحجاز وأهل الحجاز والوافدين على الحجاز .

فالحجاز يحتاج إلى كثير من حوء الإصلاح ، وهو وحده لا يقوى على القيام بأمور هذا الإصلاح ، ويجب أن يستعين الحجاز بقول الملين المدبرة . كما يجب على الملين أيضاً أن يعينوا الحجاز بالأموال لقيام هذه الإصلاحات ، وواجب على حكومه الحجاز أن توسع صدرها لسماع كل نقد ، والأحد لكل رأى صالح .

لقد سئلت في مصر عن المؤتمر الإسلامي هل عدل عنه نهائياً سئلت هذا السؤال من كثير من كبار المصريين ورجال الحكم في ذلك الحين ، فلم أكن أمك الإجابة ، لأن الفصل في هذا الموضوع الخطير في مكة .

لقد كسب إلى كثير من أصدقائي المتودين من السؤال ، ويبحون على في بدل موذى لعقد المؤتمر ، لأن هذا العمل من أعظم الأعمال لخدمة الإسلام والمسلمين غادرت مصر راجعاً إلى مكة فاجتمعت بحللة الملك عبد العزيز ، وأخبرته عن رحلتي والأثر الحسن الذي تركته في مصر حكومة وشعباً ، ولم أخف مبلغ التأثير السيء الذي تركه إعلان الملكية في مصر والهند ، ولكن أبس في الإمكان الرجوع بما تم طبعاً ، فإذا يمكن أن نعمل قضاء على سوء الأثر .

محت مع جلالة الملك مسألة المؤتمر الإسلامي فلم أجد جلالة مستعداً لقبول الفكرة ففكرت الموضوع لزمين .

تكررت الكتب والفتايات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية بطلب عقد المؤتمر ، ووصل عين الملك قنصل إيران العام في سوريا فبحث مع جلالة الملك في شئون الحج الإيراني ومسائل القباب والأضرحة المهدمة ، وأخبرني أن المرحوم إبراهيم وحيه باشا لا يزال ينتظر منى أن أخبره عن مسألة عقد المؤتمر الإسلامي ، وبالطبع أخبرت جلالة الملك بذلك فكانت هذه العوامل الكثيرة لها أثرها في نفسه ، فقبل عقد المؤتمر الإسلامي في مكة على شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة الحكم في الحجاز ، وعلى ذلك أرسلت الدعوة إلى الشعوب الإسلامية والحكومات الإسلامية ، وحدد يوم ٣٠ القعدة سنة ١٣٤٤ هـ لاجتماع المؤتمر ، وقد لبي الدعوة أكثر من دعوا إلا مصر ولكن مصر أرسلت مندوبها بعد ذلك في الوزارة الانلانية التي كان يرأسها على يكن باشا .

فشل المؤتمر

ليس هناك من شك في أن الذين حضروا إلى المؤتمر كانت تحذوم الرغبة في إصلاح الحجاز والخير للسلافة المقدسة ، وسكانها والوافدين عليها من جميع طوائف المسلمين ، وليس من شك في أن الملك ابن سعود لا يقل رغبة عن هؤلاء . فلماذا إذن لم ينجح المؤتمر في الغرض الذي عقد من أجله ما دامت رغبة الملك والمؤتمرين تلتقي عند خير الحجاز والمسلمين ؟ إن السبب الرئيسي هو عدم التحاسن بين أعضاء المؤتمر ، وبينهم وبين النجديين من جهة أخرى . فإيمده النجديون أساساً للعمل ويتمصون له لا يشاركون فيه بعض الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما يعتقد المتهود من وسائل الإصلاح لا يشاركون فيه الجلاويون والمتهود من أهل الحديث .

إن النجديين يرون أن التوحيد هو الدواء الوحيد لما أصاب العالم الإسلامي من الأمراض . لقد كانت مكة والمدينة مهبط الوحي ومصدر التشريع ، فيجب أن تبدأ فيهما . يهدم القبور وتسويتها ، وهدم القباب والمساجد المقامة على القبور ، وهدم كل مكان نشأ منه راحة الإحلال بالتوحيد ، كما يجب إبطل جميع البدع من الحجاز .

إن سائر المؤتمرين سياسيون أكثر منهم دينيين ، هم — وإن كانوا يتفقون مع النجديين على إصلاح حالة العالم الإسلامي وإصلاح الحجاز — ولكنهم لا يتفقون مع النجديين في طريقة الإصلاح ، ويقولون : إن العالم الآن يختلف تمام الاختلاف عنه قبل ثلاثة عشر قرناً . وإن الواجب الآن تأليف القلوب وجمع الكلمة والتدرج بالإصلاح ، وما يقع الخلاف بين الفريقين ويشد النزاع . ولا سبيل إلى التوفيق .

وهناك مسألة سياسية عربية يرى بعض المؤتمرين إثارها ، وترى حكومة الحجاز عدم الخوض فيها .

لقد كان الملك ابن السعود حكيماً ، فإنه في حنة اقتلع المؤتمر منع الحرية المطلقة للمؤتمرين ، إلا فيما يتعلق بالسياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية من خلاف ، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصنع إلى نصيح الملك ابن سعود ، وحاولوا البحث في مشاكل

سياسية لم يكن هناك حاجة إلى تأريتها ، ولا سيما وحاجات الحجار كثيرة ، ووجوه لإصلاح عديدة . ولكنهم على كل حال كان رائد هم حسن الية وغير المسمين
أريد أن أذكر القصة الآتية . لأنها تدل على ما كان يسود جو المؤتمر وما كانت
حكومة الحجار وتثنت تعاميه ، لأنها لا تريد أن تسوء علاقتها السياسية مع الحكومات
الأجنبية ، كما لا تريد أن تفس عواطف أعضاء المؤتمر المنحصرين :

أخبرني جلالة الملك أن السيد رشيد رضا والشيخ عبد الله بن سيد رئيس القصة في
ذلك الوقت ، أحبراه بأههما — مالاتق مع وفد الخلافة — سيأخذون قراراً من المؤتمر ، على أن
يحتج أعضاء المؤتمر جميعاً أمام السكبة ، ويتظاهروا في اليوم السابع أو الثامن من ذي الحجة
صباحاً بأنهم سيسعون بكل قواهم لتخليص جزيرة العرب من نفوذ الأجانب ، وأنهم
يعتقدون أن لهذا تأثيراً عظيماً في الرأي الإسلامي

فقلت لجلالته : إن بية إخواننا حسنة بلا شك ، وإسهم لا يريدون إلا الخير للإسلام
والمسلمين ، وإن ما يشعرونه هو أمنية كل مسلم ، ولكن ما هي الفائدة من هذا العهد ؟ إن
من يريد أن يعمل في مجال العمل أمامه واسع ، وعلى كل حال فالشروع إلى الآن لم يعرض
على لجنة المشروعات .

فقال لجلالته : إن الجماعة سيبحثون عندي بعد العشاء ، وكنا في اليوم الرابع من
شهر ذي الحجة فيجب أن نحضر لتتفقوا جميعاً على رأي واحد
حضرنا عند جلالة الملك بعد صلاة العشاء ، وكان الحاضرون هم الشيخ عبد الله بن
بليهد ، والسيد رشيد رضا ، والسيد أمين الحسيني ، والرحوم محمد علي ، ومولانا شوكت
علي ، وكاتب هذه الأسطر ، والدكتور عبد الله الحمد لوجي ، والشيخ يوسف ياسين والشيخ
محمد أبو زيد المصري وغيرهم ممن لا تحصرني أسمائهم الآن .

افتتح الحديث الشيخ عبد الله بن بليهد ، فقرأ صيغة القسم ، وشرح الأغراض من
العهد ، والروح الجديدة التي تسرى في المسلمين والعرب حين سماعهم ذلك . وبعد أن ساد
الجلس الكون طلب مني جلالة الملك رأيي .

فطلبت من الشيخ ابن بليهد الإيضاح عن المقصود بجزيرة العرب . قال : إن المراد
منها فلسطين — سوريا — العراق — وسواحل الجزيرة التي للأجانب نفوذ فيها . فقلت :

إني أشكر أصحاب الفكرة على هذه الروح الطيبة . ولا شك أن كل عربي ومسلم ينبغي أن يتمتع العرب في كل ناحية بما يتمتع به غيرهم من الاستقلال . ولم هذه المجلة ؟ إن تركيا ومصر والأفغان والهن قد أرسلوا مندوبين إلى المؤتمر ؛ وهم في طريقهم إليه أليس من الحكمة أن نأخذ رأيهم في هذا الموضوع الخطير ، وهم أعلم من السياسة الدولية ، وأعرف طرق معالجة هذه الشؤون ؟ إبدأ واقنوا على هذا الاقتراح فإن موافقتهم من القوة الدنوية ما ليس لو منتنا . فقل الجميع هذا الاقتراح ، وسر جلالة الملك من هذه الفكرة التي هيأت له فرصة للتفكير .

وبالطبع لم يقبل أحد من مندوبي الدول هذا الاقتراح . لأنه توريط لدولهم في مشكلة هم في غنى عنها .

وقد انتهى المؤتمر الإسلامي الأول بقرارات ورغبات وتتمنيات كان نصيبها الإهمال من العالم الإسلامي . لأنه لم يمد لها القوة ولم يتمكن المندوبون من جمع الإعانات التي كانوا يؤملون جمعها ، وحكومة الحجاز لا تستطيع أن تقوم بما طلب منها ، فليس لديها من المال ما تستطيع به تنفيذ جميع رغبات العالم الإسلامي . وبالجملة فإن جميع الآمال التي كما رى إليها المؤتمر الإسلامي من الإصلاح الديني والاجتماعي العام ، وإصلاح البلاد المقدسة إصلاحاً يتفق مع مقتضيات هذا الزمن ورفع مستوى الحجاز إلى المستوى اللائق بحلاله وقديسه ، قد فشلت . فقل المسلمين ينتقمون من أغلاطهم ، ويعملون لعقد مؤتمر آخر يعدون فيه إلى الإصلاح ، ويتركون الساعي السياسية التي ليس من ورائها فائدة إيجابية .

ابن السعود وإمام صنعاء

لم تكن هناك صلة مراسلة أو غيرها بين ابن سعود وإمام صنعاء حتى سنة ١٩١٩ م ، فإن حادثة الحج البائي^(١) في عسير كانت سبب التعارف وتبادل الرسائل من وقت لآخر ، ثم أحدثت مصالح الحكومتين في التضارب بعد موت السيد محمد علي الإدريسي ، وانتهز

(١) من يرد تفاصيل غارات ابن طبراسم الكتاب الأحمر الذي أصدرته وزارة خارجية الحجاز

الإمام يحيى الزرعة نفى صحيفته حكيم من عير ، وتقدم سلطان محمد في الجبر ، كل هذا جعل الفريقين وجهاً بوجه . إن الإدارة بعد ما أحسوا بالخطر المحدث بهم ولوا وجههم شطرا بن سعود حليف محمد على الإدريسي . فأعلن الحماية على عير ، وأخبر الإمام يحيى بذلك في حريف سنة ١٩٢٦ م . ثم أحد الفريقين يستدل بالسكس الزهود للوصول إلى حل حاسم خاص بالحدود والقبائل . فلم يوفقوا إلى ذلك ، لأن حسرية لم يكن متوفراً من كل وجه . وأخيراً اضطر ابن سعود لامتثال الحسم بعد أن أعيته الحيل ، وبعد أن تهك للإمام يحيى حرمة بلاده باحتلال قسم منها . وقد تمكن ذلك عند العزيز في مدة قصيرة من التقدم في شهامة حتى الجديدة عيرته . وهو الرجل العاقل الذي المصير — لم يكن يرى في الحقيقة أن فتح لبنان لأن ذلك يلقى عليه مسئوليات جديدة ، وربما يمرض البلاد العربية فتدخل لأحصى ، و ذلك عند العزيز بمصر أن يتيح قسم الإمام اليمن ويكتب وده صداقته أكثر من فتح اليمن بهما . وقد وصل إلى الغرض الذي كان يرى إليه . فإمام اليمن قد أجمعت الحوادث قوة ابن سعود ، وأن ما توجبه من ضعف لم يكن إلا حلاً وطول أناة ، وقد ضرب ملك عبد العزيز الصبح لدى عتده مع يمام لين أفضل الأمثال في التسامح واكتساب صداقة حصصه ، كما ضرب أفضل الأمثال في حبه لقتلهم مع أسراء العرب ، وسعيه للاتحاد العربي الذي يشده أحرار العرب ومكروهم من نصف قرن . وأملنا ترى في المستقبل القرب الرغبة الصادقة من موكلهم وأمرائهم في انضمام وإزالة مايهمهم من إحق شخصية ، وتقديم المصالح المشتركة العامة على الاعتبارات الشخصية . فإن محمد العرب لا يتردد إلا باحتياج كلمة العرب واتحادهم . نصر الله العرب وملوكهم لما فيه خيرهم وصلاهم .

وبسراً أن تمتد روح جديدة من مصر تدعو إلى التقارب والتقدم ، وتبادل المصالح واتخاذ جميع الوسائل الممكنة ، وتذليل الصعوبات في خلق اتحاد عربي عملي يرتفع به شأن العرب والمسلمين . ويقضى إن شاء الله على خطر اليهود في فلسطين بعد الكارثة التي منى بها العرب — بسبب تفرقهم وعدم إعطائهم الأمور حقها — في حرب فلسطين

حياة الملك عبد العزيز الشخصية

انفذ صحبت الملك عبد العزيز في السلم وفي الحرب ، وعاشرته في البادية والحاضرة ، وخبرته في حالتي الرضا والغضب ، وحياته الشخصية لا تكاد تختلف عن حياته العامة إلا بحيراً ، وهي أشبه سظام أوماتيكي لا يكاد يتغير

يقوم الملك عبد العزيز عادة قبل البجر ساعة ، فيقرأ ما تيسر من القرآن الكريم . حتى إذا أذن مؤذن المنبر أدى فريضة الصلاة ثم ينصرف إلى بيته يقرأ شيئاً من القرآن والأوراد الصحيحة النسبة عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تعرض عليه الأشياء التي تقتضى الت فيها سرعة ، ثم ينام بعد ذلك قليلاً ، فيعقل كل يوم صباحاً ويلبس ثيابه ويفطر . ثم يخرج إلى محله الخاص ، فتعرض عليه مهام الحكومة ، ويعطى أوامره لموظفيه . فإذا انتهى من ذلك قابل الناس من شيوخ البدو وكبار العرب مقابلات خاصة ، يسمع شكوى المشتكى ونصح الناصح ، ويبحث زعماء الزوار فيما يهم من شئونهم . ثم يذهب إلى المجلس العام الذي يجتمع فيه كل من يريد مقابله ، ويقضى في هذا المجلس نحو ساعة يمضيها في حديث أشبه محطاة فيما يهم من أمور الدين والدنيا . وينصرف إلى الغذاء ، ثم يرجع إلى بيته فينام قليلاً ، ثم يصلي الظهر ، ثم يرجع إلى محله الخاص ، فتعرض عليه الشئون العامة ، ثم ينصرف لصلاة العصر ، فيحضر عنده إخوانه وأولاده وأقاربه ، وكبار الموظفين بإسراهم ، ثم يخرج بعد ذلك في سيارته إلى الضواحي للرياضة ، وبعد العشاء يجلس في مجلس عام ، وهناك يحضر قارى يقرأ نحو ساعة وشيئاً من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب ، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته

وما يجب أن يذكر : أن الملك عبد العزيز — أثناء إقامته في الرياض — كان يقوم بزيارة والده الإمام عبد الرحمن — رحمه الله وغفر له — كل يوم ، وكذا سائر أقاربه الأديين ، وكذلك لا تزال هذه عادته في مكة يزور كل يوم من يكون حاضراً بها من أقاربه والملك ابن سعود مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أي قيسة

للدرهم ، إلا أنه وسيلة للزنى عند الله ، أو لبناء المسجد ، أو حسن الذكرى . فلما يرد سائلا يطلب معونته ، أو عناية قصد باب . وهو يشرف بعنه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم ، لأنه هو يعرفهم حق المعرفة ، ولما يعهد على أحد آخر في ذلك ، على أن هذه العطايا قد يكون لها صرام سياسية بعيدة يرى إليها ، ودوامه مقتوح للقاصدين بقابل زائريه . هما صفر مقامهم بوجه ماش ، ويأخذ ألسانهم بابتسامته التي لا تسكاد تغارقه ، وبجملته لا ينجو من خبطة صغيرة براعى فيها بسمية السامعين .

ولا يضيق صدر الملك عبد العزيز إلا عند ما يحذ حزائه تضيق عن الطلبات والمطايا ، فهو يتكدر خوف أن يظهر مظهر العاجز أمام السائلين الذين تعودوا رفته .

وكان الملك يسخر منا كثيراً حينما نصح به بالادخار ، ونقول : إن المستفيل عليه عند الله ، وإن الرخاء ليس مدائم . فيقول . إن كنز المال لا يبع ، هل أغادت عبد الحميد حزائه وما ادخره من المال ؟ وهل أغادت خزان ابن الرشيد ؟ وأعتقد أن الملك قد غير فكره في هذه الأزمنة التي أخذت بالخلق ، وأصبح يعتقد في المال وفائدة ادخاره لوقت الشدة .

والملك عبد العزيز من المعجبين بمحمد بن الرشيد أمير حائل ، والذي امتدت سيادته وقتنا على محكها ، والذي في أيامه هاجر الملك — وكان الأمير الصغير — مع والده إلى الكويت وهو يفتحو نحوه في طريقة المطاء ، وهو دائماً يقص القصص الآتية إيجاباً بتصرف الرجل :

وقد شيخ من مشايخ البدو الكبار على محمد بن الرشيد ، فأكرمه وأعطاه شيئاً قليلاً ، وفي نفس الوقت وفد شيخ من مشايخ الدو الصغار — وكان لأخير في وقته يقطع الطرق مع رجال قبيلته في شمال نجد — فأكرمه إكراماً رائداً ، وكساه وأعطاه منحة كبيرة ، فسل محمد بن الرشيد عن هذا التصرف الغريب ؟ فقال : أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ، ولكنه يحس بما عليه من السنوية ، وإنه يحافظ على مركزه وماله بالولاء لنا . فهو في حاجة إلينا ، وأما الآخر فمثل المصنوع ينقل من شجرة إلى أخرى يتعبك صيده ، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه ، وما نكف به شره لا يبارى شيئاً إذا تورن بجانبه لأدبيه وعقوبته .

والملك عبد العزيز وفي لأصدقاته ، محافظ على ودم ، ولا يحب أن يبدأ أحداً بالداء ،

ويميل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم مما كلفه ذلك ، ولكن إذا تيقن أن ليس هنالك من سبيل للصدقة فإنه يعادي — ويمادي بشدة — ولكنه قلما يهاجم خصمه ، فإذا حاجه خصمه فإنه يبذل كل ما يمكنه بذله للقضاء عليه ، وهو في هذه الحالة يأخذ بسياسة « الناية تبرر الوسيلة » .

والملك عبد العزيز طيب القلب ، لا يكاد يضر حقاً . وهو إذا غضب — وغضبه قليل — فإنك ترى أسداً يزأر ، أو جملاً يهدر ، وتسكاد عينك تكذب أن هذا النصفان هو عبد العزيز بن سعود ، الرضى الخلق الوسيم الوجه . وكثيراً ما كان يقتدر عن التصرفات التي تصدر في حالة غضبه ، كما أنه كثيراً ما يقهر خدمه الذين يصيهم من شرر غضبه ما ينسبهم ألم ما أصابهم .

وهو متواضع ، طيب العشرة ، رقيق السر ، له جاذبية لمن يعرفه تشبه السحر . وإنى لا أذكر أن واحداً من كبار الإنجليز عرفه وعامله إلا أحبه ، ولا يزال له أصدقاء من الإنجليز الذين كان لهم مهم اتصال سياسى . وهو كثير الشبه بمعاوية بن أبى سفيان في حلمه وبعد نظره ، وحسن حيلته في تصريف الأمور .

في سنة ١٩٢٥م كان الملك ابن السعود يظهر إعجابه بالإنجليز — وسعة ملكهم ، وإخلاص رجالهم لبلائهم الجبرال كلابتون ، فقال الجنرال : إن ما ذكرته صحيح ، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ، ولكن ألا يصح لنا — نحن الإنجليز — أن نعجب بك . فإليك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسماً ، وإذا اطرد لك هذا الفتح وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا ملكنا تؤسس أنت امبراطورية مثل أو أكبر من امبراطوريتنا . وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان ، وأخذتم بسنن التقدم ، فإن أصلاكم العرب قد شيدوا امبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلاًها .

فقال الملك : هذه وإن كانت أمنية العرب ، ولكننى لا أعتقد في نفسى القدرة على تحقيق ذلك ، وكل ما أتمناه أن يجعل الله من رجالنا من يماثلكم في الإخلاص والتضحية لبلائهم . والملك ابن سعود ربما كان أحلم أمراء العرب ، وأبعدم عن الانتقام من الموظفين . ولا سيما الموظفين الذين يعرف لهم سوابق خدمة أو إخلاص . فإن هؤلاء أقصى عقوبة لهم العزل

والملك ابن سعود يتجاهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية ، أو ما يمس مركز حكومته . فإنه لا يتجاهل فيه مجال ، وقد يعاد المزمول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يرضى الملك . لقد عزل الملك أمير الطائف سنة ١٩٢٧ م لشدة هـ ولما أن حصر إلى مكة قال له الملك : إننا لم نعرفك من مصصك لقص في ديبك ، أو شبهة في أمانتك ، ولكننا نحينك لشدتك ونحن نريد أن نعين مع الناس ، فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاك الله على اللعين وأت أعلم عصاخدم ، ونحن حرمت من لمصب في أنتم برؤيتكم صباحاً وساء ، وهذا لا يعادله شيء عدى في هذه الدنيا . سر الملك لهذا الجواب اللطيف وواظ هذا الأمير على الحضور إلى مجلس الملك كل يوم ، فلم تنص بصفة أشهر على عزله من الطائف حتى عين أميراً للمدينة .

والملك عبد العزيز من الرجال الصليين الذين لا تعرم مظاهر الأمور . كان علماء الرياض لما اعترضوا عليه سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) إذنه بإقامة الاحتفالات المناسبة عيد جلوسه على عرش الحجاز ، ومخالفة ذلك لسنة ، أرضاهم بالنزول على رأيهم ؛ لأن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره ، ولكن هذا لم يمنعه من معارضتهم في تعميم المواصلات اللاسلكية في بلاده ونشبيدها ، لاهتمامه بخطأ المعلومات التي تصل إلى نجد عن التلغراف اللاسلكي من أنه من عمل الشيطان ، وأنها بالعكس ركن من أركان العلم وحفظ الأمن وإنجاز الأعمال .

أعمال الملك عبد العزيز الإصلاحية

لا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواتقون على أحوال البلاد العربية المتصلون بها ، الحبيرون بثوبها ، اللجون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم . إن الذى يعرف بلاد العرب — قبل ثلاثين سنة — عن خبرة شخصية ، أو يقرأ كتب الجوائين من الإخبار . يعرف ما لهذا الرجل من مصل فى استتباب الأمن ، والصرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل .

والذى يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من تشاحن بين أمرائها ، وحروب مستمرة بين حكامها ، يقدر مجهود هذا الرجل فى قطع دار الخصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة .

واقدر ذكرنا فى فصول متفرقة فى هذا الكتاب ما له من الأيادي ، كإدخال النظام الصحى الحديث فى نجد والأحساء بالإكثار من الأطباء ، وإنشاء المستشفيات المنقاة لمعالجة المرضى ، لأن حالة البلاد المالية لاتساعد على إنشاء مستشفى فى كل بلد ، كما أدخل نظام التنظيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض المصميين ، كما ذكرنا فضله على العمل لنشر التعليم والإكثار من المدارس ، ومكافحة الجهل بكل الوسائل الممكنة ، ولولا قلة المال الذى يعوز كل مشروع إصلاحى لوجدنا البلاد العربية التى يقود سفيتها عبيد العزيز أسبق البلاد وأسرعها خطى فى طريق التقدم .

والملك عبد العزيز فى طريقه الإصلاحى يفضل التزودة والتأنى وإعداد الشعب تدريجاً لما يريد له من الإصلاح .

إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التى كان يعانها الملك عبد العزيز ، ولا العقبات التى كانت تقف فى سبيل ما يريد من المشروعات .

لقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجاهد فى سبيل التليفون والتلغراف اللاسلكى جهاداً عنيفاً — مرة مع الإخوان ، وأوآنة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات — وكان هذا الموضوع من الموضوعات التى أثارته عليه حفيظة الإخوان .

سأقص عليك القصتين التاليتين ، من كثير ، لتعرف المحيط الذي كان يشغل فيه الملك عبد العزيز ، وتعرف الصعوبات التي كان يتغلب عليها .

أوفدني جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م مع عالم كبير من علماء نجد للتميش الإداري والديني ، عثرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من المستحدثات ، قال الشيخ : لا شك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن ، وقد أخبرني ثقة أن التلغراف اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد أن تدح عده ذبيحة ، ويذكر عليها اسم الشيطان .

ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام نبي آدم للشيطان ، ولم يكن لشرح نظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه نصيب من إقناع الشيخ ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث . فكت على مصص .

وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لرافقه لزيارة قبر حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم عند جبل أحد - وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة - فليت الدعوة وسرنا من المدينة بعد صلاة العصر ، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف اللاسلكي ، وهنا دار بيني وبين الشيخ الحديث التالي :

سأل الشيخ : لماذا وقفت السيارة ؟ فأجبت . لرى التلغراف اللاسلكي ، فإن كان هناك ذباح ودعوة لغير الله ، فإني سأحرقه مهما كانت النتيجة ، فالدين لله لا لابن سعود ، وقد يكون الملك محذوعاً في أمر هذه التلغرافات ، ونذكر له الأشياء على غير حقيقتها . فقال الشيخ : مبارك الله فيك . فدخلت الحطة ، وبعد البحث لم يجد الشيخ أي أثر لمنظم الذباح وقرونها أو صوغها ، ثم أراه الموظف المختص طريقة الحارة . وفي دقائق تبودلت الحبارات والتحيات بينه وبين جلالة الملك في جدة .

كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة لشك فيما كان يستفد من عمل الشيطان في الحبارات اللاسلكية ، ولكنه ظن أنني ربما دبرت هذه المكيدة بإيعاز الملك ، فزار الشيخ محطة التلغراف بضع مرات منفرداً في أوقات مختلفة ، بدون أن يخبر أحداً بهزمه ، فكان يفاجئ العامل المختص بالزيارة ، ويأله من كل ما يخفى عليه ، وقد أخبرني الشيخ ونحن في طريقنا عودتنا إلى مكة ، بأنه يستغفر الله ويتوب إليه مما كان يعتقد ، ويتهم به بعض

الناس - وربما كان يقصدني بذلك - ثم ختمت الموضوع بقولي : ما قولكم يا حضرة الشيخ في رواية أولئك الثقات ؟ أخشى أن تكون رواياتهم لكم عن أكثر المسائل المليية كرواياتهم عن التلغراف ! فقال : حسبى الله ومم الوكيل

وقد أخبرني جلالة الملك في شعبان سنة ١٣٥١ هـ - ديسمبر سنة ١٩٣٢ م أثناء زيارتي للرياض أن بعض كبار رجال الدين حضروا عده سنة ١٩٣١ م لما علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية في الرياض وبعض المدن الكبيرة في نجد . فقالوا له : يطويل العمر ، لقد عشتك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله إلى بلادنا وإن « فلي » سيعر علينا المصائب ، ونحشى أن يسل بلادنا للإيجلز ، فقال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يشنا أحد ، ولست - والله الحمد - بصعيف العقل ، أو قصير النظر لأخضع بخداع المخادعين ، وما « فلي » إلا تاجر . وكان وسيطاً في هذه الصفقة ، وإن بلادنا عزيزة علينا لاسلها لأحد إلا بالنمى الذى استلهاها . إحوى الشيخ ، أنتم الآن فوق رأسى . فمساكوا بكم بعض لا تدعوى أهر رأسى يقع بكم أو أكثركم ، وأنتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسى مرة ثانية ؛ مسئلتان لا أسمع فيهما كلام أحد ، لظهور فائدتهما لي ولبلادى ، وليس هناك من دليل أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع من إحداث اللاسلكى واليارات .

وعندما وضعت الآلة اللاسلكية في الرياض واستعملت ، كان الناس يفرى بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر . وكان العلماء يرسلون من ياتمنوهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والدماع تقدم لهم ، فلم يحدوا شيئاً .

وقد أخبرني عامل المحطة بأن بعض الشيخ الصغار كانوا يترددون عليه من وقت لآخر يسأله عن موعد زيارة الشياطين . وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض ؟ وكم عدد أولاده الذين يساعدونه في مهمة نقل الأخبار ؟ فكان يجيبهم بأن ليس للشياطين دخل في عمله ، وكان بعضهم يفرىه بالقدود وأهم سيكتنون هذا السر . ولكن العامل كان يأخذ الأخبار ويرسلها أمامهم ويخبرهم أن الموضوع صناعى محض . كانت الأيام تصل عملها في نفوسهم ، ورسلم ينقلون إليهم حقيقة ما يرونه ويشاهدونه حتى اسوا فائدة سرعة الأخبار

في فتنة ابن رفاة وعيسر . فقد ساعدتم ذلك على قمع الفتنة سريعاً ، ولو كان الاعتماد على الجبال السكّانة الأخبار لانتصل قبل ٢٥ يوماً أو أكثر ، ومنها في الرجوع ، ولا يعلم إلا الله ماذا يجري من الحوادث أثناء ذلك .

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجري في القرون الوسطى في أوروبا ، فماذا قول القائل بدوران الأرض ؟ وبماذا قاتل امبراطور فرنسا ووزرائه الساعة التي أهداها له هرون الرشيد ؟ ألم يغزوا منها . ولقد حدث مثل هذا في مجد قل ستين سنة ؟ إلى أول ساعة دفاعة كسرت ، وعدت من عمل الشيطان ، وحدث أن بعض الجهة أذاع بين الإخوان هذه الفكرة فقامت قيامة الإخوان منكرين على الشايخ استمالها ، وأن أقل الأحوال فيها أسوأ بدعة ، فيجهدى لهم أحد الشايخ ورد عليهم في رسالة صغيرة سنة ١١٣٤ هـ (١٩١٦ م) وطبعت في مصر سنة ١٩٢٣ .

فهذه القصص وأمثالها ترينا ناحية من نواحي عظمة ابن سعود ، ومقدار ما كان يمايه من الصعوبات في طريق الإصلاح ، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والجديد . ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبدالعزيز : مشروع تصحير البادية وإقطاعهم الأراضي السكى والزراعة ، وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق . ولما كان هذا المشروع قد شغل قسماً من التاريخ الجدي الحديث ، أحينا أن نردله الفصل الآتي ، مفضلين التفصيل على الإيجاز .

ولقد امتدت يد الإصلاح إلى كثير من المرافق بعد استكشاف الزيت « البترول » وكثرة إيراداته فهدت أمابيت المياه المذبة من وادي قاطمة إلى جدة ، كما بنى صرفاً حديثاً ضخماً لجدة ترسو عليه السفن وفتحت المدارس في كثير من البلدان البائية ، وأرسلت البعثات العلمية إلى مختلف البلدان وهي نهضة تبشر بنخيل عظيم .

ولقد توفى الملك العظيم في ٩ نوفمبر ١٩٥٣ وترك الأمانة لخير من يحافظ عليها ويرفع شأنها ، ويحافظها بعين رعايته بنجله الأكبر جلالة الملك سعود الأول — حفظه الله — وهو في أول سنة من حكمه أبدى نشاطاً عظيماً في تفقد شئون رعيته والوقوف على ما تحتاجه من عناية .

الدخول

بدأ ذكر الإخوة على حدود العراق ، أو شرق الأردن ، أو الكويت استولى العرب على نوب السكان ، وهب السوط طوون الصحراء لائذين بالبلاد القريبة منهم يهتمون بحملها وأراجها . فمن هم رسل لدعوا ولمنع في بلاد العرب ؟

إن كلمة « الأخ » قد استعملت بمعنى الخليف وسعد أول نشأة الإسلام ، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنوس والمخرج من الأنصار وتأسوا ما بينهم من العناء والمصومات ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وادكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »

أما في السوات الأخيرة . وقد أصبحت عملاً على مكان المدينة الذين تركوا السكى في الحياض واستقروا في أماكن معينة ، وسوا لكناهم بيوتاً من الطين سميت « حجرة » إشارة إلى أنهم همروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوة . إن أول « حجرة » بنيت هي حجرة الأندلس سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م ، وسكانها حليط من قبائل حرب ومطير ، ثم أعطط وسكانها من « عتيبة » ثم « دحمة » وأكثر سكانها من حرب . ثم « لأخضر » وأكثر سكانها من شمر ، وتبلغ الهجرة نحو ستين حجرة ، ولكن أهمها ما تقدم .

ثم أخذت الهجرة تنتشر بسرعة ، وأخذت الشائور تقلد « مصها بعضاً في ترك حياة النادية التي أصبحت تسمى عديم ، الحاهلية كما يسون الحياة الجديدة بالإسلام .

وقد على فريق كبير من عينة في كره الحاهلية أو حياة النادية ، ورأوا أن من آية الإخلاص لله ودينه ، وآية لأن الصحيح : الحصص من كل ما يشتم منه رائحة الحاهلية ، فأخذوا يبيعون إناهم وأعمهم ، ويقتطعون في « نجر » لعبادة وسماع السيرة النبوية ، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ انتشار الإسلام في جزيرة العرب ، فوجدوا

أن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوه حياة الجاهلية ، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى . فعكف أكثرهم على تعلم مبادئ القراءة وحفظ شيء من القرآن والحديث . غير أن هذا الانقلاب كان خطيراً وعميقاً جداً .

لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم الناقصة ، حتى اعتقدوا أنها هي الدين ، وما سواها صلاة ، كما أساءوا الظن بعيرهم من حضر نحمد ، بل وبؤس أمرهم الإمام عبد المير . أصبحوا يعتقدون أن أسس العامة هي السنة ، وأن العقول من البدع المنكرة ، بل على بعضهم فجعل من لباس الكفار ، ويجب مقاطعة لاسيه . وكان كثير منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن الهجرة مها كان عليه من الإسلام ، وترك شرور البادية وعوائدها ، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء سلام ، ولا يردون عليهم السلام ، ولا يأكلون ذبائحهم . وذن هؤلاء عندهم هو عدم سكنى الهجرة .

وكان من عوائد الإخوان إذا قدموا راثرين طموا في المسجد ، وقالوا : السلام عليكم (يا الاخوان) إخواننا يسمون عليكم .

وكان فريق منهم يعتقد أن المشايخ مقصرون مداهنون لابن سعود ، وقد كنتموا الحق عنه .

وكانوا يعتقدون أن الحضر ضالون ، وأن غزو المحورين واجب ، وأنه أنقى عليهم هذا الواجب من قبل الله . فلا يسمعون كلام أحد في مع العزو .

واقدم مال بعضهم الإمام عبد العزيز ، فرموا عوالة الكفار والفساهل في الدين ، وأنكروا عليه تطويل الثياب والشارب ولبس العقاب ، إلى غير ذلك من ضروب الجاهلة ، وأصبحوا يحرمون كل ما لا يتفق وهوام . وإن سريان هذه الروح التمردة يرجع إلى هؤلاء الجاهلة أنصاف المتعلمين الذين انشروا في قرى الإخوان باسم العلم ، واقنوم هذه التعاليم وحببوا إليهم التصيب القديم .

وربما كانت سنة ١٣٤٥ هـ من أشد السنين في نجد ، إذ كادت تقع فيها فتنة أهلية ، بين الإخوان من جهة ، وبين الحكومة والحضر من جهة أخرى ، واقدم جرد الإمام جيشاً من طلبة السلم المتقنين في دينهم وأرسلهم إلى الإخوان كي يصلحوا ما أمد الأولون ، كما أنه انزع أولئك الذين بذروا بذور الجاهلة والفتوية ، ومنهم من السكفي في

المجبر . على أن الملك عبد العزيز — وإن نجح في ذلك كثيراً — فإنه لم يتمكن تماماً من استئصال تلك الجذور التي نمكت من نفوسهم ، ولولا أنهم يخافون سيفه ، ويهابون سلطانه ومطوته لعدت القوضى جزيرة العرب .

نقد عرفت البدوى في حروبهم وفي حياتهم البدوية ، وعرفتهم بعد ما سكنوا المجر ، وعرفت كثيراً من تأذاتهم في جاهليتهم وإسلامهم ، فرأيت أن الذين قد عبرهم تغييراً تاماً . كان البدوى لا تم له إلا التهب والسلب وتقطع الطريق . ثم هو يدعوا العمل من مناخر البادية والربل للصيف والبادية . وكان لسان حالهم يقول « لئلا مال الله ، يوبلى ويوملك ، يصبح فقراء وعمى أعْياء ، وصبح أغنياء وعمى فقراء » والقوافل التجارية كانت تحت رحمة البادية ، لا تمر من المنطقة إلا بإتاوة أو مجيز

والبدوى لم يكن أبداً مخاطراً بحياته ، فإذا رأى أن التهب سيكون من ورائه خطر تركه . وكذلك إذا رأى دفاعاً قوياً من حصنه تركه .

والبدوى لا يعرف قلبه إلا خلاص تقريباً ، شيته الرياء والعناق ، لا تسمع معه إلا الشدة المشوبة بالمثل ، ولذا فلا يمول الأسماء كثيراً على عذدهم ولا على قوتهم . وكثيراً ما كانوا وبالا على صديقيهم . فإذا بدرت منه بوادر المزيمة قامهم يكونون أول الناهمين له . ويحتجون بأنه مادام صديقهم سهوياً ، أو مأخوذاً — كما يقولون — فهم أولى به .

أما الإخوان الآن : فهم حماة الطريق ، يرون حرمة التحدى على المسافر وإن السيل ، ويرون لعمار والمسلم حرمة ، فالمسلم حرام دمه وماله .

أصبح الإخوان لا يهابون الموت ، بل يندفعون إليه اندفاعاً ، طلباً للشهادة وإقامة الله ، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات « حمنا الله وإياك في الجنة » وأصبحت كلمة التشجيع على الحرب « هبت هبوب الحنة وين أنت يا ماغيها » .

وكلماتهم عند الهجوم « إياك تسبى وإياك تستعين » .

وأقد شاهدت بعض مراتهم الحربية ، فوجدتهم يقذفون بأنفسهم إلى الموت قدماً ويتقدمون إلى أعدائهم صفاً صفاً ، ولا يفكر أحدهم في شيء إلا هزيمة العدو وقتله . والإخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة على الأعداء ، ولا يقات من تحت يدهم أحد . فهم رسل الموت أينما رحلوا .

قد ظهرت قوة الإخوان الحرية في هزيمة أهل الكويت هزيمة منكزة في واقعة «حضر» سنة ١٩١٩ م ، ثم في حصار شيخ الكويت في «الجمرة» سنة ١٩٢٠ م ، وفي إبادة جيش الشريف عبد الله في واقعة «تربة» سنة ١٩١٩ م ، وفي هجوم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن .

وبالرغم من أن إمامهم كان يهزم كثيراً من هذه المزوات ، وأنه كان دائماً يأمرهم بالرفق وعدم القتل ، وبالرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم دائماً بعدم قتل الأمير أو المستجير ، فاتهم لم يعضوا إلى أحد .

وإن من يقرأ رسائل العلماء في الإنكار عليهم ، وعلى أنصاف المتعلمين الذين سمعوا أفكارهم ، يرى أن علماء نجد لم يقصروا في الصيحة ، ويعلم أن ما ياتي به بعض الإخوان مما تأباه طبائع العرب ، ولا تقره الشريعة الإسلامية ، لا يصح أن تاتي تبعة على علماء نجد أو الملك عبد العزيز .

والإخوان قصص طريفة تدل على باطنهم وشدة تأثرهم بالدين :

جاء أحد الإخوان إلى أحد الشايخ وسأله عن النفاق ؟ فأخبره بحده الشرعي . ثم سأله عن الخوف في الحرب ؟ فقال له العالم : إذا لم تمتط العدو ظهرك فلا يسى هذا فراراً أو ثقافاً ، فقال : لا ، إن شاء الله لا أعطى العدو ظهري إن هذا كفر يا شيخ . لا ، إن في قلبي ثقافاً . إنني حينما كنت أهم وجدت في نفسي شيئاً من القردود بسبب أزيز الرصاص ، لا بد أن يكون النفاق في حنبي أخرج النفاق بمصاك أيها الأخ . ولكن الشيخ أقومه بصمودية أن هذا ليس من النفاق أو الكفر أو الهزيمة .

وجاء رجل آخر حاملاً صرة فيها نقود ذهبية وجدها بعد معركة «تربة» ، فسأل الشيخ : هل هي حلال له ؟ فقال الشيخ : إنها من الفسقة . ولا يحل لك إلا ما سيصيبك بعد القسمة عليها من فوره لمنقولي الفسقة ، ثم قال : لا والله لا أستحلها

فأين هذا من خلق للبادية ؟

إذا وجدك الأخ في الطريق ووجد شاربك طويلاً فإنه يدعوك إلى السنة ، ثم يضع يده على شاربك ويفض الزائد . أما إذا كنت ماراً بالهجرة فإن السالية تم قسراً وزجراً لا بطريق النصيح والعطف .

وكذلك إذا وحدوا الثوب رداءً فإن النقص يعمل عمله في ارتداء تميذاً لحدث
« ماتحت الكمين في النار » والفرغم يأتيه لإخوان من الخطأ والخطل ، وتحاورهم حدودهم
إزاء الحكومة ، فإن الملك ابن السعود كان يمضي عن أدام ، ويحتمل تقدم بجل وصبر ، فلما
عرف عن غيره من ملوك العرب . وكان دائماً يقول : إن الإخوان يحب احتالهم . ومهما
ملوا لحالهم الآن خير من حالهم الأولى . وأما هذه المصيبة والشدة : فالزمن كفيل
بتخفيف حدتها .

أما عنة الإخوان في مكة - أول دخولهم لها - تحدث عنها ولا حرج ، فلم تكن هناك
أى هيئة للحكومة ، وكل ما يعتقد لأخ متكرراً يزيه بنمسه ، يبتذنته أو بمصاه أو يده .
وكثيراً ما كان الملك ابن السعود ينزل على رأيهم اتقاء لفنة قد تحدث . كما أنه كثيراً
ما كان يقبض عليهم بيد من حديد إذا رأى أن السائرة قد تضف سلطانها في جزيرة
العرب .

لأول مرة شاهد الملك ابن السعود التليفون في مكة ، ورأى الفائدة المظنية التي
يؤديها التليفون في إنجاز الأعمال وسرعة المواصلات ، ولما نقل معسكره من الزاهر
(الشهداء مقرب مكة) إلى حذاء أراد أن يعد سلكاً تليفونياً بين مكة وبين حذاء ، وسلكاً
آخر بين الزعامة وبين حذاء ، حتى يكون على اتصال تام بين مكة ومقره وفي ميدان
الحرب . وكما أنه قطع المسافة بين مكة وبين معسكره الخاص في ٤ ساعات ذهاباً ، ومثلها
إياباً ، بالعدل أو الإبل السريعة ، وكانت الحبل تقطع المسافة أيضاً في مثل هذه المدة من
الزغامة إلى حذاء ، ولكنه عدل أخيراً عن هذه الفكرة . لأن إنشاء التليفون قد يهيج ثورة
الإخوان ، وأرجأ هذه المسألة . وكثيراً ما كان الإخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه مفكر
يحب إزالته . وكثيراً ما كانوا يتمدون قطع الأسلاك الموصلة إلى قصر ابن السعود أثناء
وجوده في مكة . كل هذا كان يتحمل على مضض ممتدا على الزمن . وحدث مرة أن
أحد الإخوان ضرب خادماً للملك يركب عجلة (بسكلت) وتسمى باقة نجد (عمرة الشيطان)
أو (حصان إبليس) بدعوى أنها بدعة ، وأنها تثير بقوة السحر وعمل الشيطان ، بدليل
أن الراكب إذا رل لم تقف ، ولكن الملك أدب هذا المعتدى أدباً أرجعه إلى رشده .

وفي سنة ١٩٢٦ م اضطر جلالة الملك أن ينزل على رأيهم في إيقاف تلفراف المدينة اللامسكي ، وعدم بعض المساجد القائمة على القبور ؛ لأنه لم يكن يسمه غير ذلك ، والحكمة كانت تقضى بذلك ، فهو لا يقف أمام التيلر ، بل يتركه يسير طبيعته ، ثم بعد أن تهدأ العاصفة يصل فكره لضرب خصومه في الظروف المناسبة ، وعند سنوح القمر الملائمة . وكان أشد الناس على الإخوان : الأمير عبد الله بن جلوي حاكم منطقة الأحساء ، فكثيراً وما سمعته يقرع رؤساء بني خالد وآل مرة والمعجمان على شذنبهم وغلوهم ، ويقول : إن حالتهم الأولى — على ما فيها من الشرور — خير من حالتهم هذه ، وإن الدين ليس في العالم . وهو لا يسبح لأحد منهم كائناً من كان أن تمتد يده إلى أحد من أهل الأحساء ، وإذا تجرأ أحد فجزأؤه أصرم العقوبات ، ولذلك كانوا إذا دخلوا الأحساء للبيعة نزعوا هأثمهم وقضوا جوانحهم في هلدوه وسكون . ولقد سمعت الأمير عبد الله بن جلوي وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الإخوان وخروجهم عن حدودهم ، ولكن الملك كان دائماً يقول : هؤلاء أولادى . وواحيي أحبتهم والتجاوز عن سيئاتهم وخطيئهم ، وبذل النصيح لهم ، وإنى لا أبسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنوا النية وسيتكشف الحق لهم .

أول مؤتمر للإخوان

في عيد النضر سنة ١٣٤٣ هـ — وهو أول عيد لنا في مكة — زرت الشريف خالد بن لؤى أبا والدكتور عبد الله الدمجسى . وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الإخوان اجتمعوا هناك بعد صلاة العيد للمباينة على بعضهم ، فخطب الحضور فيصل الدويش ، وهذه عادة من عادات الإخوان . لا تخلو مجالسهم من نصيحة أو عظة ، قال مخاطباً خاله وجماعته :

نحمد الله يا خالد ، ويا « الإخوان » على نعمته ، فقد دخلنا بلاد الله الحرام وطردنا الشريف من هذا البيت . إننا جند الله وخدم دينه ، لا نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ، ولا نريد إلا رفع المظالم وإزالة البدع والمنكرات .

(١) ولقد نما منها آية الأمير سعود بن جلوي الذي خلف في إمارة الأحساء أباه بعد موته .

وإن هذا السيف وهذا الجند سيميل هذا الصل في كل من يسير في طريق الشريف ويعمل عمله ، فأمّن الإخوان كلهم على كلامه .

وكان هذا في الحقيقة أول إنذار من أحد قادة الإخوان ، ولم تمض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هنالك مؤتمراً يمد في الأرباطوية ، حضره رؤساء الإخوان من مطير وعُتبية والمحمّان ، تعاهدوا فيه على حمرة دين الله والجهاد في سبيله ، ثم أنكروا صراحة على الملك عبد العزيز :

أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر .

ثانياً : إرسال ولده فيصل إلى لندن بلد الشرك .

ثالثاً : استخدام السيارات والتلفونات والتلفونات .

رابعاً : الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد .

خامساً : الاحتجاج على إذنه لمشائر العراق وشرق الأردن بالرعي في أراضي المسلمين .

سادساً : الاحتجاج على منع التجارة مع الكويت ؛ لأن أهل الكويت : إن كانوا كفاراً حوروا ، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة ؟ .

سابعاً : النظر في شيمة الاحساء والقطيف ، وإجبارهم على الدخول في دين أهل السنة والجماعة .

لقد مجل الملك عبد العزيز بالرجوع من الحجاز إلى نجد عن طريق المدينة ليعالج الحالة بمحكمته ، فدعا زعماء الإخوان إلى مؤتمر أمر بعقد في الرياض في ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥ هـ — يناير سنة ١٩٢٧ م ، وقد ابنى الدعوة جميع زعماء الإخوان ما عدا سلطان ابن بجاد . وفي هذا الاجتماع شرح الملك عبد العزيز موقفه شرعاً وافيّاً ، فوصف نفسه بأنه خادم للشريعة ، يحافظ عليها أتم المحافظة ، وأنه هو الذي يمهّدونه من قبل لم يتغير . كما يتوهم بعض الناس ، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين .

وقد انتهى هذا الاجتماع بالقوى الشهورة التي أصدرها علماء نجد في صدد المسائل التي كانت سبب نشوب الإخوان ، وأعلن الحاضرون تلقفهم بإيمانهم وملكهم ، وبإسوة بالملكية على نجد ، فأصبح لقبه الرسمي « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » وفيما يلي نص الفتوى :

من محمد بن عبد اللطيف ، وسعد بن عتيق ، وسليمان بن سَعْنَان ، وعبد الله بن عبد العزيز المتقي ، وعبد الله المقرئ ، وعمر بن سليم . وصالح بن عبد العزيز ، وعبد الله بن حسن ، وعبد الله بن عبد اللطيف ، وعمر بن عبد اللطيف ، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن زاسم ، ومحمد بن عثمان الشاوي ، وعبد العزيز المقرئ ، إلى من يراه من إخواننا المسلمين . سلك الله بنا وهم الطريق المستقيم . وجنبنا وإياهم طريق أهل الجحيم ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد ورد علينا من الإمام — سلمه الله تعالى — سؤال من بعض الإخوان عن مسائل يطلب ما الجواب عنها ، فأجيبها بما نصه :
أما مسألة البرق^(١) فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان . ولا سلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسألته ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالإباحة والتحریم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته . وأما مسجد حرة وأبي رشيد فأفتينا الإمام — رحمه الله — بهدماً على الفور . وأما القوايين : فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً . ولا يحكم إلا بالشرع المطهر . وأما دخول الحاج المصري بالسلاح والقوة في بلد الله الحرام : فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن إظهارهم الشرك وجميع المنكرات . وأما الحمل : فأفتينا بمنعهم من دخول المسجد الحرام ، ومن تمكين أحد أن يتسبح به أو يقبله ، وما يقوله أهله من الملامى والمنكرات بمنعهم منها . وأما منعه عن مكة بالسكينة : فإن أمكن بلا مفسدة تمين ، وإلا فاحتال أحد القسدين لدفع أعلاهما سائغ شرعاً . وأما الرفض : فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام ، ومنعهم من إظهار شعار دينهم الباطل ، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الأحياء أن يحضروا عند الشيخ ابن بشر ، ويأبوا على دين الله ورسوله ، وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على ما تنهون عنها ويقيمون به شعار مذهبهم الباطل ، ومنعون من زيارة المشاهد ، كذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد . ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة . ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول

وكذلك إن كان لم يحال مبنية لإقامة البدع تهدم ، ويمنعون من إقامة البدع في الساجد وغيرها . ومن أتى قول ما ذكره بنى من ملاد المسلمين . وأما الرافضة من أهل التطيف : فيلزم الإمام — أيده الله — الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا . وأما الوادى والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين : فأفتينا الإمام أن يبحث لم دعاة ومعلمين . ويلزم نوابه من الأسماء في كل ناحية مساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام ، ومنعهم من المحرمات . وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالفوا بأدب المسلمين : فأفتينا الإمام بكمهم عن الدخول في مرائع المسلمين وأرضهم . وأما المكوس : فأفتينا أنها من المحرمات الظاهرة ، فإن تركها فهو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها . وأما الجهاد : فهو محمول إلى نظر الإمام ، وعليه أن يراعى ما هو الأصح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة العراء . ونسأل الله لنا وله ولم ولكافة المسلمين الوفيق والمهذبة ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[حرره في ٨ شعبان سنة ١٢٤٥ هـ]

إزاء هذه الفتوى اضطرت الملك إلى عدم قبول الحمل ، كما اضطرت إلى هدم مسجد حمزة ، وتعطيل التلفراف اللاسلكى . فعمل ذلك على تلافى الفتنة أو تأجيل وقتها . لم يرض الدويش — وهو أول رأس مدررتورة الإخوان — أن يحبط ابن سعود عمله وتديره فوضه أمام مشكلة جديدة . وذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧ م قتلت عمال محفر بطنية على الحدود العراقية النجدية ، وقتلت بضعة أعمار من الشرطة كانوا مع العمال ، فادى هذا العمل إلى إنذار السلطات البريطانية في العراق للمصادر التي على الحدود بالابتعاد إلى داخل نجد ، ثم هجوم الطائرات البريطانية واشتباها مع المقاتل النجدية نحو ثلاثة أشهر ، فرأت الحكومة البريطانية — بعد مفاوضات مع جلالة الملك عبد العزيز — إيفاد السير جلبرت كلايتون لحل المشاكل القائمة . وقد رأى جلالة الملك أن يعقد مؤتمر بريدة في أبريل سنة ١٩٢٨ م تهدئة فائرة الإخوان وإفهامهم أنه يشاركهم الرأي في سحقهم على مناء الخافز على الحدود ، ولكنه يرى الأفضل حسم المشكل بطريق المفاوضات وأخبرهم أنه مساهم إلى جدة للاجتماع بالمفاوض البريطانى ، ووعدهم بالاجتماع بهم في الرياض بعد رجوعه من الحجاز ، ومفاوضة الحكومة البريطانية ، لإيقانهم على جليلة

الأمر ، غير أن المفاوضات البريطانية لم تسفر عن قبول وجهة النظر النجدية . وأصررت هي والحكومة العراقية على موقعهما في بناء المحافر .

رحل الملك عبد العزيز من الحجاز إلى الرياض . فوصلها في ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وأمر بمقد المؤتمر النجدي — أو الجمعية العمومية — كما سمّتها أم القرى في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م .

اجتمعت الجمعية العمومية في أحد أروقة القصر الداخلية . وكان عدد الحاضرين نحو ٨٠٠ من علماء ورؤساء حصر وبدو . ولم يحضر الدويش ولا ابن محجاد هذا المؤتمر . وقد استبح الملك المؤتمر محطبة شرح فيها تاريخه في محد من بدء استرداد الرياض إلى الوقت الحاضر ، وأعماله في توحيد الجزيرة ، وتأمين الطرق ، والإحياء بين الشاثر . وبعد أن انتهى من خطبته عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ، ووجوب اختيار غيره من آل سعود ، وأنه يطاعدهم أنه سيأخذ من يجاروه . وأخبرهم أيضاً بنتيجة المفاوضات البريطانية وتمسك الإنجليز بالباقي ، ولكنه أتى على الدويش مسئولية بناء المحافر بسبب تعديه على الحدود العراقية من وقت لآخر .

أما مسألة التنازل عن العرش : فلم تقبل بالطبع ، لأنهم يعلمون أن ابن سعود لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعية الله ثم بسيفه ، ولقد فقد مايموه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه . وفي الواقع لم يكن للملك يرمى في هذا المؤتمر إلا إلى احتجاج كلمة النجديين وإثارة حميتهم ضد الإخوان المتطرفين . وهذا الناحية قد نجح فيها نجاحاً تاماً .

أما الإخوان المتطرفون الذين التفتوا حول ابن محجاد وفصيل الدويش وابن خثيلين : فإنهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر . وقد أذاعوا في المهجر أنهم قاتلون مأسر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود ، وأن ابن سعود طالب ملك ، وموال لكفار ، وشريك لم في جميع الأعمال ، وأتبعوا هذا التهديد بالإغارة على حدود الكويت والعراق أحياناً ، ونهب القوافل النجدية أيضاً .

وقد أثبتت حوادث ثورة الإخوان أنه لا يزال للعصية شأن كبير في جزيرة العرب . فإن كثيراً من الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية من مطهر والمجنان وغتبية كانوا

تحت لواء الدويش وابن حنبلين في الثورة بالرغم من مبايعتهم وعمودهم التي قطعوها الملك ابن السمود ، ثم أخذوا يتعدون على السابلة بدون أن يفرقوا بين أهل نجد وغيرهم ، وأخذوا يملكون السيف في رقاب من توقعه الأقدار تحت أيديهم لأنهم كفرة .

لم يستطع الملك ابن السمود صبراً على هذه الحالة التي أصبحت تهدد الدين التي أسسه في ثلاثين سنة فاستحث أهل نجد عليهم ، وكلهم ناظم عليهم ، بل أكثرهم كان قادراً لسياسة ابن السمود في ملايتهم وإرخاء الحبل لهم .

اجتمع أهل نجد حول راية ابن السمود في القصيم . كما اجتمع حوله كثير من الإخوان — حرب ، وقحطان ، وبعض من مطير وعتيبة — الماقيين على الدويش وابن حميد . فلما أن علم الإخوان بوصول ابن سمعود إلى بريدة اجتمعوا كلهم بعد ما كانوا مشتقين ، وصمموا على مهاجمة ابن السمود ، وهم وثقون من الفوز تمام الثقة . ولقد كان مع ابن سمعود سلاح آخر لا يقل عن سلاح الهند وهم العلماء ، ولكن الذين لم يعودوا يتقنون حتى بالمداد . استمرت المفاوضات بين ابن السمود وبين الإخوان مدة ، والملك يقرب مجنوده منهم حتى تقارب الجيستان في السبلة قرب الزلّني .

ابن بجاد يرسل رسولا إلى ابن سمعود

ثم أرسل ابن بجاد رسولا إلى ابن سمود في مسكره ، فدخل الرسول يحمل كتاباً إلى ابن سمود ، فلم يسلّم هذا الرسول على الملك لأنه مبتدع في ذمهم . إنها لكبيرة ، وهل يصبر ابن السمود على هذه الإهانة ؟

— من أنت ؟ أئت ما جد من حنية ؟ وأخذ يسرد عليه تاريخه . ويقرعه ، ويقول : أئدخل علي ولا تسم ؟ اذهب من فورك إلى القتي أرسلك . وأخبره أننا قادمون للهجوم عليهم غداً ، فإذا أرادوا أن يحرقوا دماءهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط ، والشرعية هي الحكم بيني وبينهم ، وهؤلاء العلماء حاضرون . قم واذهب إلى ريفك .

وقد أخبرني ماجد — وكان كالوزير لابن بجاد — بأنه أشار عليه بتقديم خضوعه إلى إمامه قبل أن يحرق القصاص ، لأن ابن سمود ليس هو الرجل الدين الذي كانوا يبعدونه ، ولكن الدويش

طلب منهم أن يذهب هو بنفسه ليرى حاية الأمر ، وأخبرهم أنه إذا لم يرحع إليهم ماء يكون ابن سعود قد اعتقه .

وصل الدويش إلى المعسكر . ثم أخذ يتماق الملك ومن معه . وأظهر استعداداً للتسليم وأنه ليس على رأى ابن حديد ، وأنه سيبيت عدم ، فقال له الملك : قم فم عدتوك وموعدكم غداً بعد شروق الشمس ، وإن كنت صادقاً فتتج عن الجماعة ، وإن لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة ، والله ولى الصارين .

— ماذا رأيت (يا الدويش) ؟ سزال وجه إليه من أركان حرب الإخوان .

— ماذا رأيت ؟ رأيت حصرياً ترتد فرائضه من الخوف ، وليس حوله إلا طبايع (طهاة) لا يعرفون إلا النوم على الدواشع (المراتب) اشروا يا إخوان . لقد وجدت لديهم خللاً كثيراً وأموالاً عظيمة ، فأشروا بالكسب والنعمة ، وسنقهر هذا الطاغوت فداً وستولى على ماله . هذه رواية بعض الإخوان الذين كانوا مع العصاة .

وفى اليوم الثانى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ م هاجمت جيوش الملك ابن السعود جنود الإخوان ، وحلت عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردها ، ولم ينتصف النهار حتى ولى الإخوان الأدبار ، فمر ابن محاد من المعركة . وحل الدويش جريحاً إلى الملك يحوط به بناته وزوجته وهن يبكين يستشفعن فيه ، فخأثر الملك من هذا المنظر وعفان الدويش الذى عاهد على السمع والطاعة بمد ذلك ، وجد ثلاثة أيام اسقلم ابن محاد فى شقراً ، فأمر الملك بسجنه . لأنه كان خطراً على الأمن ، ولا يأمن شره من الانتقاض ، ثم أمر الملك ولده وأخاه بتأديب العصاة حسب درجاتهم ، كما أمر ابن جلوى بتأديب السجان .

الثورة تعود مرة أخرى

رجع الملك إلى الحجاز بعد أن قهر الإخوان ، غير أن الضربة لم تكن فاصلة . فإن الدويش الذى كان يظن أنه سيموت متأثراً من جراحه قد برى ، وبدلاً من أن يعود إلى صوابه ويستغفر الله مما ارتكب ، ظن أن ابن سعود قد يقبض عليه ويلقيه فى غياهب السجن مثل ابن محاد وجماعته . فترك الأوطاربة واستقر بين الكوت والاحساء ،

وانضم إليه العجمان بعد أن قُتل زعيمهم بيد فهد بن جلوى ، وبعد أن قتلوا هم أيضاً قهراً انتقاماً لزعيمهم ، وأخذوا يعيشون في الأرض مصاداً ، تارة جنوباً وتارة شمالاً ، ولم يقتصر أسرم على النهب والسلب ، بل تمدد إلى قتل الشيب والنساء والأطفال .

عادت الثورة أشد مما كانت ، فعتبة انتشرت بين نجد والحجاز ، وفصلوا الملكتين بعضهما عن بعض ، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض وخليج فارس . غير أن أهل نجد — لاسيما الحاضرة — لا تحمل في قلبها إلا الإخلاص والولاء لإمامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم ، وتغاييه في الدفاع عنهم ، وقد كون منهم أمة لها نصيبها من الحياة تحت الشمس

وهل كانوا يتفنون عليه إلا تسامحه مع الإخوان ، وغضه الطرف عن مساوئهم ؟ إن العرصة قد سنحت لتفليم أطافر القوضى ودعانها .

أخذ الملك عبد العزيز يبالغ الموقف بما عرف عنه من سعة الحيلة وبعد النظر ، فتوى الحاميات في الاحساء والتقطيف وحائل ، ثم أخذ يجمع الجند فأرسل قوة كبيرة من الرياض يسند بها القسم الموالي من عتية . وضرب عتية ضربة لا تقوم لها قائمة بعدها ، وصادر جهازم وسلاحهم ، وترك لهم الضرورى لحياتهم ، والتقى ابن مساعد بعبد العزيز بن فيصل الدويش في أم الرضمة ، فوقت بين الفريقين موقعة دامية قتل فيها ولد الدويش ، ولم يفلت من العصاة سوى بضعة أغار . وهؤلاء كانوا أفضل رجال مطير الحريين ، ففتت هاتان الضربتان من عضد الدويش وهرته هزاً عتيقاً ، وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة ، ولكن كيف يكون المصير ؟

الدويش يطلب الصلح

أخذت الرسل تشدو بين الرياض وبين الدويش لطلب الأمان ، ولكن الملك أصر على التسليم بلا قيد ولا شرط ، ثم الخضوع لحكم الشريعة ، وأنه يعد بالعفو عن حياة الدويش فقط .

خرج الملك يقود القوات ببعده مستعيناً هذه المرة بالسيارات والدفاع الرشاشة .

وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ م هم على الدويش نحسين الزنم (من حرب) من الإخوان ،
ومعه عربات العراق ، ابن طوّالة وابن سُوَيط ، وهؤلاء كانوا «موتورين» من الدويش ،
فانهزوا الفرصة السانحة للانتقام قرب الخمر . وسهموم وأشعلوا النار في حمية الدويش ،
وهؤلاء لم يكن لهم علم بوجود ذلك ابن السمود قرب آصافة^(١)

وكان الدويش — حتى تلك الساعة — يكذب بوجود ابن السمود في آصافة ، ويقول :
إنه يسجل أن يقدم ابن سمود لأن محمداً تحل وليس هناك ما ينقل عليه ابن سمود قوله .
ومع أني أما الذي أدعت الخبر إذ كنت بالكويت أمثل ابن السمود لدى السلطات
الإجليزية ، ومع أن الخبر وصل إليا سيارات خاصة ، فإن الدويش كذب هذه الأخبار
حتى لا ينقص من حوله العشائر والطائفتين في الهب واللب ، ولكن بالرغم من تكذيب
الدويش هذه الأخبار ، فإن الأخبار انتشرت في جميع القبائل المشتركة معه في المصيان
وأيقنوا أن ابن في طائفتهم المقاومة ، فتمرقوا من حول الدويش كالجأ بعضهم إلى
الحدود العراقية ، وفر بعضهم إلى نجد ، واستلم الدويش وبعض رؤساء طير والمجان
إلى السلطات الإنجليزية التي كانت بالهجرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ م .

مؤتمر خبّارى وأصْحَة^(٢)

كانت المفاوضات منذ سنة تقريباً بين الملك ابن السمود والحكومة البريطانية
بخصوص العصاة ، وطلب تسليمهم إذا لحأوا إلى حدود العراق والكويت ، وهما
الإخوان قد استسلموا الآن .

أوفدت الحكومة البريطانية في ١٩ يناير سنة ١٩٣٠ م الكولونيل بيكوير رئيس
قناصل خليج فارس بإساعده الكولونيل ديكنسون قنصل الكويت ، وفي عشرين منه
سافرت على الطائرة فيكتور باسج البعثة إلى خبّارى وأصْحَة في جنوبي الكويت حيث
عقد المؤتمر . واستمر المؤتمر متعقداً نحو أسبوع ، انتهى بموافقة الحكومة البريطانية على

(١) اسم لما .

(٢) اسم مكان .

تسلم الدويش ورفقائه على أن يبقى الملك على حياتهم ، وعلى أن يتعهد بتسليم الشهوات التي سبواها من أهل الكويت والعراق .

وفي يوم ٢٨ يناير وصل الكولونيل ديكون وقائد البارجة الحربية في طائرة إمبريزية ومعه الدويش ورفقائه المعتقلون ، فاستقبلتهم بالنيابة عن حلالة الملك ، ثم أختلعت السيارات إلى خيمة جلالة الملك .

الدويش في حضرة ابن سعود

وصل الدويش إلى خيمة جلالة الملك بعد أن احترق المسكر ، ولم يسمع الفئات التي كانت تصب عليه بسبب ضجيج حركة السيارة . دخلوا خيمة جلالة الملك فقدمت قائد البارجة إلى جلالاته ، ثم الكولونيل ديكون بالنيابة عن حكومة بريطانيا ، وأهم قدموا ليلسوا الدويش ورفقائه إلى جلالة الملك ، مشكرهم وشكر الحكومة البريطانية على صداقتها ومودتها ، وأنها في كل يوم تقيم له برهاناً جديداً على مودتها الوطيدة ... ثم انصرفوا .

أقد رأيت الدويش هذا اليوم ، ورأيت صراراً يزور الملك في الرياض ، فما أعظم الفرق بين الحالين ! كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلحاً ، يدخلها كقائد كبير ، وكرجل عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلماؤها وملك محدد ، إذا جلس لا يحس إلا بمحوار ابن سعود ، يعتبره لذلك كصديق قديم وقائد من قواده العظيم . أما عطسة الدويش وجفاؤه وترصه عن السلام على أى مخلوق يرضه القصر — ما هذا العلماء طبعاً — فحدث عنها ولا حرج ، وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية ، ويعرف أخلاقه الشخصية ، يحزم بأنه منافق في دينه ، وأن ما يظهره من الشدة والقوة مصطنع . أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأرطارية فإن القاعة التي اعتاد تقديمها لذلك تبتدىء من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود ، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ، ولكن قائمته تكون محلاً لرفض أو التحوير ، أما قائمة الدويش فلا يدخلها أى تحوير أو تعديل .

اليوم يقف الدويش ذليلاً أمام الملك ابن السعود وأمام قواد الجيش ، وكلهم كانوا بالأسى دونه منزلة .

ابن السعود يخاطب الدويش

إنك تعلم يا فيصل ما عملت معك في الماضي ، ما قصرت في شيء نحوكم ، لقد كنت في حرب دأبئة مع أهل نجد من أجلكم ، هل هذا حرائي منكم ؟ هل كنتم تريدون الملك ؟ لقد كنتم كلكم ملوكاً في الجهات التي كنتم فيها ، من منكم له الفضل على ؟ الفضل لله وحده . من منكم لم آخذه سبي ؟ ليس منكم إلا من قتل أماء أو آباء ، ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف . قد كنت أنتد رغانكم . فكنت أشقى لأجلكم ، وأواصل الليل بالنهار لراحتكم وسعادتكم . ألا تخاف الله حينما تكتب إيجلوك^(١) : أملك تريد المحررة قهراق ، وأملك تحب أن تكون ناساً له ؟ هل تظن أملك كنت ستكون في مرة أعلى من منزلتك التي كنت عتدي فيها ؟

الدويش يتكلم

— يعلم الله يا عبد العزيز أنك لم تقصر معاً ، وقد فعلت كل ما يبصير وجهك ، وقد قابلنا معروك بالإساءة ، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار . حملونا إليك في طيارة من طياراتهم ، ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعد ما كنت عزيزاً محترماً ، قاتل الله الشيطان ! لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا . فأرسلنا إلى ما أصبحنا فيه الآن ! فأمر الملك أن ينتقل الدويش وزملائه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس ، وبعد ثلاثة أيام نقلوا إلى الرياض في سيارات حيث اعتقلوا فيها . ويصح أن تعتبر هذه الحركة من المعارك الفاصلة بين القوضى والنظام ، ونصراً للتقدم على الرجعية ؟ ولا أمل عن مرور أهل نجد والحجاز . فهؤلاء قد قاسوا الشيء الكثير من تعذيبهم وإساءتهم وغلوهم .

(١) جلوب : القنص الإداري على الحدود ، وهو قائد الجيش الأردني اليوم .

أما الملك عبد العزيز : فإن سروره قد عبر عنه بمجملتين في خيمته بعد تسليم الدويش :
« من اليوم سنحيا حياة جديدة »

نعم إن الملك ابن السعود قد حوى حياة جديدة ، فقد ربط ملاده بالنظرات
اللاسلكية ، وربط مكة والرياض بالتفوق اللاسلكي . ولم يعد للإخوان ذلك السلطان
القاهر ، وأصبح شأنهم شأن غيرهم من الرعية .

واقعد عاقت حركة الإخوان الأخيرة تقدم المشروع الأصلي ، وهو تحضير البادية ، فإننا
لم نسمع منذ سنة ١٩٣٠ م أن قبيلة من القبائل رغبت في سكى جهة من الجهات ، على
أن حركة وعظ البادية وإرشادهم إلى مبادئ الدين ومكارم الأخلاق لا تزال سائرة في
طريقها ، وبذلك يعمل الملك عبد العزيز لاستئصال شرور البادية بالسيف من جهة ،
والعلم من جهة أخرى

وبالجملة فإن حركة الإصلاح الموحدة الآن في جزيرة العرب هي غرس يد هذا
الرجل الفذ الذي كان — رحمه الله — يرعاها برعايته وعنايته حسب موارد بلاده السادية ،
وحسب استمداد أمته وشعبه لقبول الإصلاح .

ولا شك أن حلته جلالة الملك سعود سيحذو حذو أبيه في خطته الإصلاحية . وامل
الظروف الموانية للملك سعود مساعدة له أكثر مما كانت في عهد والده رحمه الله . فقد مهد
والده الطريق . وأزال كثيرا من العقبات والصعوبات التي كانت تعترض طريق
الإصلاح . وسيجعل الله نجاح حلالة سعود بذلك أوفر ، وتتقدم البلاد إلى الحياة المليحة
الآمنة أسرع إن شاء الله .

الدعوة الإصلاحية في نجد

رى واجباً علينا أن نتحدث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدور الإصلاحي العظيم الذي قام به في نجد ، وعمهد لذلك يذكر نبذة يسيرة عن حياة مصاح عظيم آخر : هو أحمد بن تيمية الذي قام في القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن سنة ٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ ، لما بين الرجلين من التشابه العظيم في الدعوة إلى الحق ، ولأن ابن تيمية كان للنيل الأعلى للمصلح النجدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كان الإمام ابن تيمية آية من الآيات في فهم الشريعة الإسلامية وأسرارها ، كما كان آية في رفع علم الدعوة إلى الحق ، واحتمال كل أذى في هذا الليل .

كان ابن تيمية شجاعاً لا يخشى إلا الله ، ولا يحاف سطوة سلطان ، وعقيدته : من كان مع الله كان الله معه ؛ وله مواقف معروفة في غزوات التتراء هوسهم على الشام كانت الدعوة التي يدهو إليها ابن تيمية ترى إلى ما يأتي .

(١) الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل شأن من شئون الحياة ، وانباع ميل السلف الصالح في فهم آيات وأحاديث الصفات ، وترك طريق التلاسة والتكليف والصوفية ، حيث إنها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة .

(٢) محاربة البدع والمنكرات . ولا سيما ما كانت وسيلة للشرك ، أو شركاً ، كالتمسح بالقبور والصلاة عندها ، وطلب الحاجة منها ، والاستعانة أو الاستعانة بغير الله ، والتبرك بالأسجار والأحجار التي يعتقد فيها العامة الخبر أو دفع الشر .

(٣) ترك التلوي في الرسول صلى الله عليه وسلم وتمظيمه بالاعتداء بهديه وانباع رسالته .

(٤) فتح باب الاجتهاد على مصرعيه ، وإعلان الحرب على التقليدين المتصيين .

هذه هي الأسس التي قامت عليها دعوة ابن تيمية ، والتي وقف عليها حياته ، وهي نفس الأسس التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد .

أثارت دعوة ابن تيمية - في الشام ومصر - نائرة المقلدين وأرهاب الطرق الصوفية عليه ،

كما أثارت أيضاً نائرة المتعصين للتكليفين والفلاسفة ، وأكثرهم من اتقاة وأهل المناصب في الدولة وذوى النفوذ فيها ، فأغروا صدور الأسراء عليه ، وصوروه خطراً على مستقبل الدولة ، وأن أسره قد يظم كان تومرت في الغرب . فيصبح صاحب الحول والطول ، فيضلل هؤلاء أمام غوذه . وفي كل زمن لا يجد الخوصم ذوا الضائر اللينة سيلا إلى النكابة بمخسومهم إلا التوسل بوسائل الخوف على للملكة وسلطانها وأمن الدولة ، وغير ذلك من الوسائل التي تمس الناحية الحساسة في الأسراء ، وتتن من الأسراء يسع أن حياته وملكه في خطر من شخص وبسبب عيه عن هذا الشخص ؟ إن كثيراً منهم في سبيل الملك يقتلون الإخوة والأقارب ، ولا يردعهم رحم أو يؤنبهم ضمير ، هل يكونون من رجل أجنبي ؟ تعتبر سنة ٧٠٥ هـ بدء عهد الاضطهاد لأن تيبية ، ففي هذه السنة اجتمع العلماء لمباحثة ابن تيبية في قصر نائب السلطنة ، غير أن هذه المجالس كانت في صف ابن تيبية ، لأن نائب السلطنة كان يؤيده ويأخذ بناصره .

وأخيراً لم يسع نائب السلطنة في الشام إلا أن يرسل الإمام ابن تيبية إلى مصر حسب أمر السلطان الجلائيكير ، فلن دسائس الصوفية وخصوم ابن تيبية قد ملأت قلب السلطان حقداً وغضباً على الرجل .

وصل ابن تيبية مصر في رمضان سنة ٧٠٥ هـ . فأحضر أمام العلماء للناظرة وكلهم من خصومه ، وهل تكون أمثال هذه للناظرات وسيلة من وسائل الإقناع أو الرجوع من الخطأ ؟ أدخل الشيخ ابن تيبية السجن لأنه امتنع عن الإجابة . لأن القاضي ابن مخلوف المالكي التي كانت الدعوى أمامه كان من خصوم ابن تيبية .

وقد أعيدت للناظرات عدة مرات بدون طائل ، وبعد ثمانية عشر شهراً أخرج من السجن . فناد إلى الدعوة الإصلاحية ، وأعاد الكرة على الصوفية وزعمائهم : ابن سمين وابن عربي وأشباههم ، كاشن القارة على سائر البيعة ، فاعتزل ثانية في شوال سنة ٧٠٧ هـ ، وفي السجن اشتغل بإصلاح الساجين ، وترك مام فيه من العبث وإضاعة الوقت . حتى أشهر أسره ، وصل الناس يترددون على السجن لاستماع وعظه ودعوته ، فنقل إلى الإسكندرية وضييق عليه ، ومنع الناس من الاختلاط به والتردد عليه . خشية اشتغال دعوته الإصلاحية .

وفي ٨ شول سنة ٧٠٩ هـ أطلق مراح الشيخ ابن نيمية من برج الاسكدرية وأرسل إلى القاهرة ، بجاية لرعية السلطان الملك الناصر لدى تعيب على خصومه بقره إليه ، فقام بالقاهرة داعياً إلى مة ومة البدع ووحوب الرجوع إلى الله في كل المذات ، وترك البدع التي تناف على القبور لمخافتها للوحيد الذي جاء به النبي الكريم

وفي ذي القعدة سنة ٧١٢ هـ رحل الشيخ إلى دمشق بعد أن تعيب عنها سبع سنوات ، فكان يوم رجوعه إلى دمشق يوماً مشهوداً حرج فيه لاستقباله مريدوه والناصرين لدعوته في خلق كثير .

وفي دمشق استأنف الشيخ دعوته الإصلاحية ، شاطو وعكف على نشر دعوة الوحيد ومقاومة المبدعة والرجوع إلى الكتاب والسنة . وقد كان يفتي بمائل تحتلف من رأى الأئمة الأربعة ، ولكنها في نظره تنفق مع بصوص الكتاب والسنة ، ومع من الأئمة الآخرين ، وهو يعتقد أن هذا الرأي أقرب إلى السنة .

لقد كان طبعياً أن يثور الرجعيون الجامدون والمتمصرون للقبور والمنصورة على الشيخ ، كما تاروا عليه بالأمس . وكان طبعياً أن تعود المنطرات مع الشيخ مرة أخرى .

ولقد أراد الله أن تعقب قوة خصوم الشيخ ابن نيمية ، وم أهل المل والمقد في الدولة ، وأخيراً حبس الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٠ هـ ثم أطلق مراحه بعد خمسة أشهر ونصف . فماد إلى ما عاهد الله عليه من الدعوة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة فتألب عليه خصومه مرة أخرى ، ووجدوا الفرصة سانحة للبل من الشيخ وانهاهه بدم احترام الأنبياء والصالحين ، لأن الشيخ أوتى منحريم شد الرحال إلى قبر المساجد الثلاثة فلا تشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين .

لقد اجتمعت كلة خصوم الشيخ على القضاء عليه وعلى الدعوة التي قام بها ، فطلبوا من السلطان قتله . فلم يوافقهم على طلبهم ، ولكنه اكتفى بحجبه انتفاء الفتنة ، ولما لمؤلا المصوم من قوة لا يستهان بها اعتقل الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٦ هـ بقلعة دمشق ، واضطهد تلاميذه والمنسوبون إليه حتى حوت صوت الدعوة إلا من قلوب المخلصين ، وقد بقى الشيخ في موقله حتى توفي سنة ٧٢٨ هـ فلم يصبح لهذه الدعوة القوة التي كانت لها

من ، ولئن قام تلاميذ الشيخ وأنصاره بالدعوة للفرقة بعد الأخرى ، فلم يكن لهذه الدعوة القوة والنشاط اللذين كانا لما في أيام الشيخ رحمه الله .

ولا يبع الإنسان بعد أن يلم ببيرة ابن تيمية ، وما لقيه من الاضطهاد في سبيل الدعوة إلى الحق إلا أن يجد تشابهاً عظيماً بين حياته وبين حياة لوثر المصلح البروتستانتي ، الذي جاء بعد عصر ابن تيمية بنحو قرنين ، فإن الأركان التي قامت عليها الدعوتان واحدة بالرغم من الاختلاف الديني ، والوسط الديني الخاص .

كان ابن تيمية يدعو إلى الاجتهاد ، وبهذا التقاليد المخالفة للكتاب والسنة ، والرجوع إليها غير ملتفت إلى ما سواهما .

وكان لوثر يدعو الناس إلى تعهد الكتاب المقدس ، وقد عمل هو على ترجمته تقريباً لأهوام الناس . وكان ينكر على رجال الدين دعواهم أن حق التفسير والتفهم خاص بهم . كان ابن تيمية ينكر على الصوفية تعاليمهم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة ، كما كان ينكر الفلوف حب الأنبياء والأولياء : بالصلاة عند القبور والدعاء عندها والاستغاثة بالملوك وطلب الغفران منهم . وكان لوثر ينكر على القسيس بيع صكوك الغفران ، كما كان ينكر عليهم حق التدخل بين المبد والمبد .

وليس من غرضنا في هذا الفصل البحث التفصيلي في وجوه الشبه بين الدعوتين ، ولا بين الرجلين لغرضه عن موضوع الكتاب .

غير أن الذي يريد أن نقره : هو أن الدعوة الإسلامية والإصلاحية التي قام يدعو إليها ابن تيمية في آخر القرن السابع ، وأول القرن الثامن من الهجرة (أي الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي) قد انتهت بالفشل ، وأن الجهود التي بذلها ابن تيمية لم تشر النيرة المطلوبة ، لأن رجال الدولة كانوا ضده ، ولأن الرجل كان ينقصه الإلمام السياسي . أما مارتين لوثر — الذي جاء في القرن الخامس عشر — فقد نجح بفضل المؤازرة التي أقيمتها من الأمراء والحكام . ولقد أراد الله أن تعيد دعوة ابن تيمية وتتل نصيبها من القوة والانتشار والقبول على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، بمساعدة الأمير محمد بن سعود في القرن الثاني عشر الهجري ، أي بعد عصر ابن تيمية بأربعة قرون

تقريباً . والذي كان له الفضل الأعظم في نشر كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه ، وبنها من جديد ، والتوبة بفضلهم وعظيم أثرهم هو :

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وُلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ الموافقة سنة ١٧٠٣ م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض عاصمة نجد الحاضرة . وقد تلقى على والده دروسه الأولية ، ثم سافر بعد ذلك إلى الأحساء والحجاز والبصرة^(١) باحثاً وراء العلم محصلاً له ، ولذلك صار حجة في الحديث والفقه والفقه العربية . وصار أيضاً ذا بدم ثابته في كل ما له علاقة بدراسة الدين وقد وقف في رحلاته على الأمراض التي انتابت المسلمين ، وما أصاب الشريعة الإسلامية في كثير من الأمصار من لصوق كثير من العقائد الجاهلية والبدع والخرافات ، ومن انحراف العلماء إلى الدنيا وسلبهم لأهواء الحكماء ، فرجع إلى نجد وقد أخذ على عاتقه التفرغ للذهوة الإصلاحية الدينية الصحيحة ، ومحاربة البدع والخرافات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ودرس دراسة وافية كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه ، وخاصة ابن القيم وابن كثير .

نجد في أيامها الأولى

كانت نجد — من الوجهة الدينية — كثر الأمصار الأخرى : مرتعاً لخرافات والمقائد العائدة التي تنافي مع أصول الدين الصحيحة . فقد كان فيها كثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة يمجج الناس إليها . ويطلبون منها حاجاتهم ، ويتوسلون بالمقننرين إلى دفع كربهم . فكانوا في الجُمُيلة يؤمنون بقريريد من الخطاب ليجيب حاجهم وحاجة مائة منهم ، كما كان أهل الدرعية — التي صارت فيما بعد معقل التوحيد ومقر حكم آل سعود — يضرعون إلى مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض . وأغرب من ذلك توسلهم بفعل النخل

(١) في كتابه « لمع النهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل إلى فارس أيضاً وتعلم بها المسئلة للشرعية ، كما تعلم في رحلته أيضاً مع الباقين وتخصير الفخيرة وغير ذلك من فنون الحرب .

في بلدة « منفوحة » واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تزوج لأمها . فكانت من تقصده تقول « ياغل النحول ، أريد زوجاً قبل الحول ! » .

وكان في الدرعية غار بقدره . وبرعون أنه كان ملجأً للإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة . وأحدث في أحد الحبال الصخرية مأوى لها ، فاشق لها الكهف معبزة لتأوى إليه . فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية الفاسدة . أما من حيث الأحكام : فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا سمعت به أهواء الأمراء وعالمهم . ومن حيث السياسة : فقد كانت بلاد العرب منقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاه أية رابطة . ومن أشهر هؤلاء الأمراء بنو خالد في الأحساء ، وآل معمر في المينة ، والأشراف في الحجاز ؛ وآل سعود في الدرعية ، والسعدون فيما بين النهرين ، وعدا هؤلاء أمراء لاداعي لذكورهم هنا . وقد كان سكان بلاد العرب — وهم الحضر — في حروب دائمة مع البدو سكان البادية ، وكذلك كان الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسع الفرص لتعدي على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم اعتماد . وباحتصار هذه كانت حالة بلاد العرب عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه ، وقد استقر به السوى في المينة ، حيث جد به العزم أن يقدر نكاحاً مما سئلها من البلاء . فبدأ يدعو الناس أن يهودوا إلى دين الله الصحيح ويتركوا كل ما جد من البدع ، وغيرها مما يتنافى معصوص الكتاب والسنة . وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوي الشأن أن يعاقبوا أحكام الشرع . وقد قام بدعوته مسلماً لا يدعوا إلى شدة أو عنف . وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى . وأظهر أنه لما أصاب المسلمين . وحضرم على أن يكونوا من زمرة المصالحين الدينيين . فكان ذلك سبباً طبيعياً لتضيق خصومه . أولئك الذين خافوا على سلطانهم من دعوته ، وأخيراً فقد اضطر أن يهاجر من المينة التي هدها مانفرو سليمان آل محمد رئيس بني خالد ، وأمير الأحساء والتظيف إذا لم تطرد محمد بن عبد الوهاب . ففي عام ١١٥٧ هـ - ١٧٤١ م تركها إلى الدرعية مقر آل سعود حيث قابل زعيمهم محمد بن سعود ، وهناك تحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والعمل على الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وإنقاذ جزيرة العرب من البدع ، وتعميم الدعوة بالإسلام

بين البدو والحضر ، وتوطيد النفس على ما يواجههم من الصعاب ، فإنهم متى نصروا الله نصرهم تحقيقاً لوعد الله « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » وهكذا كان ، فإن ما تمكن من قلوبهم من حب الحق جعلهم يتذلبون على خصومهم معردين ومحتمين .

قد سكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب « الدرعية » واصل ليلة نهاره في نشر الدعوة بالوفاة ركناً للرسائل ، مكتباً هذه الوسيلة الحلية ، ومحمد بن سعود يؤازره في ذلك من الوسائل ولكن حصوم الدعوة كانوا يعملون على تأييد القلوب لحرارة الدعوة بكل الوسائل . ثم ير الشيخ محمد بن سعود بدأ من الانتعانة بالسيف بحارب الدعوة الدينية . ولقد استمرت هذه الحرب الدينية التي تشبه — في كثير من لوعود — الحروب التي استمرت براسها بين الكاثوليك والبروتستانت في الغرب أكثر من ستين عاماً .

وفي عام ١١٧٠ هـ (١٧٦٥ م) مات الأمير محمد بن سعود وحل محله ابنه « عبد العزيز » الذي اتخى آرائه في مساعدة الشيخ ابن عبد الوهاب على نشر دعوته في سائر بلاد العرب . وفي سنة ١٧٩١ م مات محمد بن الوهاب بعد أن قام بواجبه خير قيام ، ووضع من الكتب والرسائل ما أصبح أساساً لسير عليه خلفاؤه ، وقد سار أولاده على خطاه أبهم من التحالف مع آل سعود والتعاون معهم حتى أصبح الجميع كبيت واحد .

وفي سنة ١٨٠٥ م كان جميع شبه جزيرة العرب ، بما في ذلك جزء كبير من اليمن وعمان يخضع لسلطان آل سعود ، تؤدي واهباتها الدينية سبب الدعوة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . ولقد عز على الترك أن يروا دولة دينية تقوم في بلاد العرب — بلاد رسول الشريعة الإسلامية — كما عز عليهم أن يروا دولة حديثة مديية يقم دعائهما محمد على في مصر ، فأشعلوا نار الحرب بين الاثنين ، فكانت محنة عظيمة على مجد عامة ، وعلى آل سعود خاصة ، ولكن القوة النشوء ، وإن مالت من سلطة الحكام ، فإنها ما كانت تحصل إلى قلوب أهل الإيمان .

ما هي الدعوة الوهابية ؟

لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبياً كما ادعى زعيم الداعية ، ولكنه مصلح مجدد دافع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ، ولا آراء خاصة

وكل ما يطبق في مجد من القروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح . ويحافظون من عدايم ، وتكاد تكون عقائدهم وعاداتهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يحثونهم في مسائل مستدرة من فروع الدين . وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثر المسلمين من العقائد والصادات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامي الصحيح . وإنما يلخص فيما يلي المسائل التي اشتهروا بها ، والتي تمتد كأها طالع خاص بالحنبلية .

أولاً « التوحيد » يعتقدون — استناداً إلى كلام الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف — أن معنى « لا إله إلا الله » العادة من كل مبود غير الله ، وإحلاص التوجه إلى الله وحده ، وأن العبادة إذا صرفت لعير الله صار ذلك العير إلهاً مع الله ، وإن لم يعتقد القاعل ذلك ، فالمشرك مشرك سواء سعى شركه شركاً أو توسلاً . وليس لديهم من شك في أن من قال : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر ، أو غيرهم من الخلقين طالياً بذلك دمع شر أو جلب حير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك يهدر دمه ؛ ويستباح ماله .

ثانياً « الشفاعة » لا ينكرون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسبما ورد . وهم ينتهونها لآثار الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً ، ولكنها تستأل من الملائكة لها وهو الله ، وبذنه فيما لم شاء من الموحدين ، يقال : اللهم شفّع بيننا محمدًا فينا يوم القيامة ، اللهم شفّع بيننا عبادك الصالحين أو نحو ذلك . وأما ما يجري على ألسنة الناس من قولهم : يا رسول الله ، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ، كأدركي أو أغثي أو محو ذلك فإنه من الشرك ، إذ لم يرد ذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح .

ثالثاً « القبور » الكلام على القبور يقتضيه أولاً : البناء عليها وزيارتها ، ثانياً : ما يفعله الناس عندها من الدعاء والصلاة وغيرها ، ثالثاً : ما يقام عليها من القربات والمجاهد . رابعاً : السفر إليها . أما زيارة القبور : فهي مستدرة للاعتبار والاتعاض والدعاء للميت وتذكّر الآخرة . ورابعاً فيها الطريقة التي سنّها النبي صلى الله عليه وسلم في الزيارة . أما اقتبح القبور والاستغناء به والسجود له ، فهي شرك . وأما تجصيص القبور والبناء والسكنانة عليها فكأها من الأمور المبتدعة المنهى عنها .

وم يستدلون على ذلك بأحاديث كثيرة . وردت ، وأقوال السلف الصالح وعماهم .
ولقد أتت دموافق مكة والمدينة القصور المرتفعة وسورها بالأرض كما أراها القباب عند استيلائهم
على الحرمين الشريفين في القرن الماضي ، كما أراوها مرة أخرى في الفتح الحاضر
سنة ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ و ١٩٢٦ م) أما شد الرجال والنهر إلى التور مدعة .

راماً . إعلات الحرب على المدع الشائمة في لأمر مثل الإخضاع في وقت
مخصوص على من يقرأ سيرة الولد الشريف اعتقاداً منه أنه قرابة ، ومثل الريادات على
الأذان المشروع .

والحجة : فإنهم يحرصون على العادات الشريعة أن تكون على السنة التي وردت عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا زيادة أو نقص .

ويلحق بهذا ما هو شائع في كثير من الأمصار من خروج النساء وراء الحمار ، وحروجهن
لزيارة القبور ، والاحتفالات السوية للمساءة بالموالد ، وإقامة الحفلات لأدكار المبدعة ،
وما يعنه بعض الدراويش من الرقص وأرمار ؛ فإن ذلك كله محرم ، وقد سمعوا ما كان
موجوداً منه في الحجاز .

وسبب ذلك كان الخلاف بين الحكومة العربية السعودية وبين الحكومة المصرية
على الحمل وقوله في الحجاز . والنجديون يحتجون بأنه مدعة لا يصح إقرارها في يد
الفرس والفرس ، والصريون يقولون : إنه عادة وشعار الحج ليس إلا .

خامساً . الحماة : هي لأحدال فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يعتبر ما تصرف
من العادات لعباد الله إسلاماً ، ولذا فإنه كان يبدأ الأمر بالدعوة إلى التوحيد وتبديد أوامر
الله بلا عوادة فمن أطلع فقد سلم ، ومن حالف أو عاند فقد حل دمه وماله ، وعلى هذا
الأساس كانت عاداتهم في نجد وخارج نجد من البن والحمار وضواحي سوريا والمراق .
كل له يدخلونها حرماً فهي حلال لهم ، إن أمكنهم البقاء بها الحقوها بأسيلاكهم ،
وإن لم يتمكنهم البقاء اكتفوا بما يصل إلى أيديهم من الغنيمة . وهنا يحى الخلاف بينهم
وبين معارضهم . فإن غيرهم يقول : إن من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فقد عصم ماله
ودمه ، أمام فيقولون : إن القول لا عبرة به ما لم يدعمه العمل ، فمن قال « لا إله إلا الله »

الله محمد رسول الله» وهو لا يزال يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألم نساء الحاجات ونفريج الكربات ، فهو كافر مشرك ، حلال الدم والمال . ولا عبرة بقوله . ولم على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة . ايسرهما موضع تفصيلها .

والجهد — أو إعلان الحرب — من حقوق الإمام يطر فيه إلى المصلحة أو دفع الضرر ، فإن رأى المصلحة تعين عليه إعلان الجهاد ووجب على سائر رعيته متابته والدخول في سلك الجندية ، وعلى هذا كانت العزوات القديمة والحديثة معتبرة من الجهاد الشرعى .

سادساً ، الاجتهاد : الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمصر رسائل في الدعوة إلى الاجتهاد ، والرد على أهل التقليد والمأبدن ، استند في أكثرها إلى ما كتبه ابن القيم في أعلام المؤمنين .

ولكن الشيخ محمد ، وإن كان له بعض مسائل اجتهادية — مثل حمل دية المسلم ٨٠٠ ريال بدل مائة دقة — به في الحقيقة يحطو خطوات الإمام أحمد ، ويعتمد على كتب الفروع المؤتقة على طريقته .

ومما لا شك فيه . أن علماء محد في هذه النهضة الإصلاحية كانوا أكثر إحاطة بالسنة وعلماً بالشريعة ، وأوسع مدارك . وأبعد نظراً في فهم الأحكام .

إن الحكومة العربية السعودية الحاضرة — وهي الحكومة القائمة على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — اضطرت إلى اقتباس كثير من القوانين التجارية وسمتها نظاماً ، لأن كتب الفقه لم تتناول كثيراً من المعاملات التجارية التي يتعامل بها أهل هذا الحيل ، كما اضطرت إلى تشكيل محكمة تجارية سميتها «المجلس التجاري» للنظر في المنازعات التجارية ؛ ولا أعلم لماذا لا يلحق هذه العلم بأبواب الفقه كي يدرسها الطلاب أسوة بالمسائل الفقهية الأخرى التي أصبحت ملحقة بالتاريخ ، مادام هناك يقين بأن هذه النظم لا تتعارض مع أحكام الكتاب والسنة .

إن هناك مجالا واسماً للإصلاح الدينى ، وإدخال كثير من التجديد على أبواب الفقه ، ولكن بموزانة ونهم العلماء ورغبة الأسراء .

والنجديون يحرمون أشد الحرص على تنفيذ أحكام الشريعة في تحريم لبس الحرير للرجال وتعليمهم بالذهب ، كما يحرمون التدخين ، ويجلدون المدخن أربعين جلدة . ومما لا شك فيه : أن حكومتهم الأولى كانت أصرم في هذا من الحكومة الحالية .

ولقد كانت مسألة الدخان من المسائل التي دار البحث فيها بين الحكومة المصرية والحكومة السودانية سنة ١٩٢٦ م ، ومال مفتي مصر فيها إلى الكراهة ، كما أنه أورد رأى فريق من العلماء بمن يرى التحريم .

لقد روى كالحريفي في رحلته إلى نجد سنة ١٨٦٢ م أنه سمع من بعض النجديين : أنهم يرون أن شرب الدخان أشد لديهم من الخمر والز ، وبعض المحرمات المصنوعة عليها ، ولا شك أن هذه الرواية قد سمعها من جاهل . فقد سمعت شيئاً قريباً من هذا من بعض النجديين القيسين بالكويت ، ولكنهم لم يكونوا من العلماء . ولا يعمرون عن رأى علماء نجد الذين يمدون مثل هذا القول حراً على الدين .

إن علماء نجد وإن أجمعوا على تحريم الدخان — فلم أسمع أحداً منهم يقول مثل هذا القول ، كما أني لم ألق على شيء مثل هذا فيما كتبه مقدوم أو متأخروم . وعطاء نجد يحرمون التصوير ويكرهون الموسيقى ، ولا يقبلون أي تأويل في ذلك .

ما ينسب إلى النجديين وهم أرباب منه

لا شك أن الحرب البغدية المصرية في القرن الماضي وما أعقب ذلك من خلافه بين آل سعود والأراك قد سببه كثير من الدعايات السيئة ضد النجديين وكثير من الأشياء التي نسبت إليهم مكذوبة .

(١) لقد نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والآخذين بدعوته كراهية النبي صلى الله عليه وسلم ، والخط من شاة وشأن سائر الأبياء والأولياء الصالحين .

لقد نسب هذا إلى الإمام ابن تيمية وإلى تلاميذه ، كما لا يزال ينسب إلى كثير من العقلاء والصلحين في الهند وغيرها حتى ممن ليست لهم أي صلة بنجد وأهلها .

إن منشأ هذه النسبة : هو أن النجديين استناداً إلى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى

ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى . يرون أن السفر إلى زيارة قور الأنبياء والمصلحين بدعة لم يصلها أحد من الصحابة أو التابعين . ولم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق ابن تيمية وابن عبد الوهاب طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين هذا الرأي .

(٢) إن المجدين يمتنعون استئصال قبر الرسول صلى الله عليه وسلم عند الدعاء ، كما يمتنعون السجود عند قبره وقبر غيره ، ويحذرون المسح والتفرع عند القبر ، كما يمتنعون كل ما من شأنه الاستعانة أو الطلب مما شاع عمله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الصالحين في مصر وبلاد الهند وكثير من الأمصار .

(٣) هدم القباب والأبنية القائمة على القبور وإطاليم آثار الأوكاف التي رصدت على القبور والأضرحة :

(٤) إسكارهم على الوصبري قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالى من أؤذنه سواك عند حلول الحادث الدم

وقوله : « ومن علمك علم الوح والقمل »

وقوله :

إن لم نكن في معادى آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا ربه القدم
إن هذا القول محازة وعلو ، وفيه محاملة صريحة لصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ؛ وهم — موف هذا — يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر قاتلهم حصومهم بكرهية النبي . وسوا إليهم أنولاً هم أرياء منها ، سوا إليهم القول أن المصاحير من لى ، إلى غير ذلك من التهم الناطقة . ولقد سمعت في عهد أن حكاهم نجد الشمالية أثناء خصوصتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محمد رسول (محمد ميم محمد) أى لا أدر رسول الله ، وهذا كله تنزيه للأتراك من خصوصهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب .

ولقد حضر إلى مكة أثناء الحرب الحجازية النجدية في سنة ١٩٢٥ م بعض أفاضل السنغاليين ونظوان ، وكانوا أثناء حديثهم بيبكون لشدة تأثرهم ؛ لقد أخبرونا أنهم سمعوا

في الإسكندرية أشياء كثيرة تنسب إلى المجدين ، لم يحدوا لها أنراً في الحجاز ، لقد سمعوا من بعض الناس . أن الوهابيين هدموا السكبة لأنها حجر ، وسموا أهم في الأدان يقولون « أشهد أن لا إله الله » فقط ولا يقولون « أشهد أن محمداً رسول الله » .

إن المجدين أحرض الناس على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يكرهون الغلو ، ويقاومون البدع مهما كان نوعها ، وهم ما كان الدافع لها ، ويقولون : إن الحق للرسول هي الاهتداء بهدى الرسول واتباعه ، أما الانتداع وتعطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهة لا محبة . وفي القرآن الكريم « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني »

ومما ينسب إلى أهل محمد : تكفيرهم من عدم ، وهو بلا شك تزوير من خصومهم ، وإن وقعت بعض أشياء من بعض حفاة الأعراب والجهل . فليس من الإصاف أن ينسب ذلك إلى أهل محمد .

أما الشيخ ابن عبد الوهاب وتلاميذه : فإنهم لا يكفرون من صحت ديانتهم ، واشتهر صلاحه ، وحسن سيرته ، وإن أخطأ في بعض المسائل . ولكنهم يكفرون من بفسه دعوة الحق ووصحت له الحق وقامت عليه وأصر مستكبراً ، هذا في الأفراد . أما في البلاد (ما يعتبر فيها بلاد إسلام وبلاد كفر) فإننا نقسم ما كتبه العلامة الشيخ محمد بن عتيق من رسالته التي وصدها عن مكة : هل هي بلاد كفر ، أم بلاد إسلام ؟ فقال : هناك أصلاً لا اعتبار بالبلدة مسلمة :

(١) التوحيد : وهو أن يكون الله معبود الخلاق لا سواء ، والتوحيد لا يصح

مع وجود الشرك .

(٢) طاعة النبي في أسره وتحكيمه في دقيق الأمور وجباها . وتعظيم شرعه ودينه والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه .

إذا تحقق وجود هذين الأصلين ، علماً وعملاً ودعوة ، وكان هذا دين أهل البلد ، أي بلد كان ، بأن عملوا به ودعوا إليه ، وكانوا أولياء لمن دان به ، ومعادين لمن خالفهم ، فهم موحدون .

أما إذا كان الشرك فاشياً ، مثل دعاء السكبة واللقام ، ودعاء الأتنياء والصالحين ، ونشا

مع ذلك الربا والظلم ، وبذت السنن ، وهشت البدع والصلالات ، وصار التحاكم إلى الطلعة وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة . فلا شك أن هذا البلد يصير بلد كمر . ولا عبرة بالصلاة والحج والصوم والصدقة .

إن الوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، واستمر أهل مكة عليه ردها من الزمن ثم وشاؤهم الشرك صاروا مشركين وصارت بلادهم بلاد شرك ، مع أنهم يدكوا على بعض أشياء من الدين ، فكأوا يحعون ويتصدقون على المحتاج وغير المحتاج .

أثر التمسك بالشرعية الإسلامية في الحياة العامة

وأثر الانصراف عنها

إن العقيدة الراضية عند المحدين — أسرارهم وعلماهم — أن الله مكنهم في حزيمة العرب ، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة ، وإظهار دين الله وحمل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول ، وإزالة كل أثر من آثار الشرك .

وافقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخول مكة سنة ١٢١٨ هـ : إنا كاس من أصف العرب ، ولا أراد الله طهور هذا الدين دعوا إليه ، وكل يهزأ بنا ويقاقلنا .

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله في كل مناسبة يشير إلى هذا ، ذاكرًا بفضل الله عليه وعلى أحذاده من قبل ، وأن ما وقع على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة لهم من الله لهم في أسرارهم على الدين والاصراف إلى أمور الدنيا . وكذلك حلالة ذلك سعوده مد الله في عمره .

ولد ابن الشيخ — من وقت لآخر — ما زالوا يقدمون النصيحة لإمامهم ويوصونه بالحكمة على الدين ، ولأحد على أيدي المتأولين ، دارأوا شيئاً من الرأى والتهاون من ذوي النفوذ والسلطان .

في أيام الإمام فيصل كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وولده الشيخ عبد الطيف لا يتوانيان عن النصيحة ولقت نظر الامام إلى عماله ورعاياه ، وتذكيره بمقابلة التفریط ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

المراجع العربية

أحبار مكة	للأزرق
تقوم البلدان	لأبي الفداء
مجم البلدان	لباقوت الحموي
رحلة ابن بطوطة	
رحلة ابن خلدون	
الفاوس المحيط	لفيروز آبادي
تاريخ ابن عسك	(نسخة مطبوعة بالمكتبة الملكية البريطانية)
تاريخ ابن عسك	مطبوع بمكة
لم الفهات في سيرة محمد بن عبد الوهاب (نسخة مطبوعة بالمكتبة الملكية لبريطانية)	
مقدمة ابن خلدون .	
تاريخ الجبرتي	
التقى والفرح الكبير	
فتح الباري شرح صحيح البخاري	لابن حجر العسقلاني
مجموعة المسائل والرسائل النجدية	
تاريخ مكة	لأبي دحلان
القدس النبوي	للقاسمي
الإعلام بأعلام بلد الله الحرام	لأبى الدين السكي
تاريخ المصافي	
مسالك الأبحار	لابن فضل الله العمري

الكتب الإنجليزية

- Travels through Arabia, M. Niebuhr, 1792, Vol. 2.
 Notes on the Beduins and Wahabiays, J. S. Burckhardt, 1831, Vol. 1.
 Travel in Arabia, J. S. Burckhardt, 1829, Vol. 2.
 A Brief History of Wahaby, Sir H. J. Brydges, 1834 (One Vol.)
 Historical Geography of Arabia, C. Fastei, 1844 (Two Vol.)
 Central and Eastern Arabia, W. G. Palgrave, 1877.
 The Southern Arabia, J. T. Bent, 1900.
 The Penetration of Arabia, T. G. Hagarth, 1904.
 History of Arabia, Andrew Crichton, 1833 (Two Vol.)
 The Heart of Arabia }
 Arabia of the Wahhabis } H. and B. Philby.
 Arabia Deserta, Charlie Daughly.
 In unknown Arabia, R. E. Chessman, 1926 (One Vol.)
 The Persian Gulf, Sir A. Welton, 1928 (One Vol.)
 Revolt in the Arabia, T. E. Lawrence, 1927.
 The Independent Arab, Young, 1933.
 Northern Negd, A. Muell. 1928.
 Hand book of Arabia, 1920.

(ومذا في المجلات والصحف)

ذيل

خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في مواضع من الكتاب

المعاهدة الإنجليزية مع عبد العزيز بن السعود

في ٢ كانون أول (يناير) سنة ١٩١٥ ميلادية

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الحكومة البريطانية من جهة ، وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود أمير نجد والإحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والمراشي التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى .

الحكومة البريطانية باسمها وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأخلائه ورجال عشيرته ، عيت الحكومة البريطانية الكولونيل السير ريمى كوكس ممثداها في سواحل خليج المعجم مفوضاً لأجل أن يعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ضمن المتعدد الآتي :

توطيد وتأكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين منذ زمن طويل ، وتأيد مساهمة المتفائلة :
إن الكولونيل السير ريمى كوكس ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود —
المعروف بابن السعود — اتفقا وتعاثدا على المواد الآتية :

أولاً : إن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجداً والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها ، التي تبين هنا ، والمراشي التابعة على سواحل خليج المعجم — كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وأبائه من قبل ، وهي تعترف بابن سعود حاكماً

مستقلاً على هذه الأراضي ، ورثياً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأهله الوارثين من بعده ، على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الأمير الحاكم ، وأن لا يكون خصماً للإنجلترا بوجه من الوجوه ، أى أنه يجب أن لا يكون ضد المبادئ التي قبلت في هذه المعاهدة .

ثانياً : إذا تجاوزت إحدى الدول هل أراضي ابن سمود أو أهله من سده دون إعلام الحكومة البريطانية ، ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخاطرة مع ابن سمود لأجل تسوية الخلاف ، فالحكومة البريطانية تعاون ابن سمود ضد هذه الحكومة ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سمود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل محافظة وحماية مناهه .

ثالثاً : يتعهد ابن سمود أن يمتنع عن كل مخاطرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الأراضي التي ذكرت آنفاً رابعاً : يتعهد ابن سمود - بصورة قطعية - أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفاً ، ولا يمنح امتيازاً في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية ، وأنه يتبع مصالحها التي لا تنظر بمصالحه .

خامساً : يتعهد ابن سمود بأن يبقى الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحاج آمناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها .

سادساً : يتعهد ابن سمود كما يتعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ المرحومين تحت حماية إنجلترا والذين لهم معاهدات معها .

سابعاً : الحكومة البريطانية وابن سمود يتفقان فيما بعد بمعاملة على التفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة .

المعاهد الموقودة

بين السيد الإدريسي وبريطانيا العظمى

في ٣٠ بيان (إبريل) سنة ١٩١٥

(١) إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها الماجور حمرال شو Shaw القائد في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى ، والسيد مصطفى بن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد علي بن محمد بن أحمد بن إدريس — السيد الإدريسي أمير « صيا » وأطرافها .

(٢) المتصور من هذه المعاهدة : هو إعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته

(٣) الإدريسي يتعهد قتال الترك ، وأنه سيجتهد الطردم من مواقعه في اليمن ، وأن يتمتعهم ، وله أن يوسع أراضيه على حساب الأتراك .

(٤) عمل السيد الأسامي يتعه ضد الترك فقط . ويمنع عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك .

(٥) تتعهد الحكومة البريطانية بالمحافظة على أراضى السيد الإدريسي من كل اعتداء يقع من قبل أى عدو كان على السواحل ، وصيانة استقلاله في أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب في سبيل تأليف مطالب السيد الإدريسي مع الإمام يحيى أو أى خصم آخر .

(٦) إن الحكومة البريطانية لا تقصد توسيع أراضها في غرب البلاد العربية . ولكنها تنفق بصورة صريحة أن ترى رؤساء العرب في حالة سلمية وأخوية ، كل منهم في منطقته . وكل موال للحكومة البريطانية .

(٧) إنه — كدليل على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التي سيقوم بها السيد الإدريسي — فهي ستعاضده بالمال والمؤونة ، وتسنح على معاوته طول الحرب . وستكون

هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به السيد الإدريسي من الأعمال .

(٨) تسمح الحكومة البريطانية للإدريسي — أثناء الحصار البحري المضروب على سواحل تركيا في البحر الأحمر — أن يتاجر مع عدن وسواحلها . وهي تضمن استمرار هذه الحالة ما دامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين .

(٩) تكون هذه المعاهدة ماعدة المفعول على إثر موافقة الحكومة الهندية عليها

يوم الجمعة ٣٠ نيسان (أبريل) سنة ١٩١٥

الروابي ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣

التوقيع

B. O. L. Shaw

متمهد بريطاني في عدن

التوقيع

السيد مصطفى بن السيد عبد الله

توقيع

هاردينج

حاكم الهند العام

ملحق : تمطى جزيرة فرسان الإدريسي منعاً لمطالب إيطاليا .

معاهدة سايكس - بيكو سنة ١٩١٦

ترجمة عن الإنكليزية

تدغم العام بين كل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية .

(١) إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا بحكومة عربية مسدنة أو حكومات عربية متحدة أو مستقلة وتزويدها في الأماك للشار إليها بحرف (A) وبحرف (B) على الخريطة الملحقة بهذا ، وأن تكون هذه الحكومة أو الحكومات تحت سيادة زعيم عربي ، وأن يكون لفرنسا والكان المشار إليه بحرف (A) ولبريطانيا العظمى في المكان المشار إليه بحرف (B) أولوية الحق في الشريع والقروض المحلية ، وأن كلام فرنسا في حرف (A) وبريطانيا في حرف (B) تقدم وحدها للتشاورين والموظفين الأجانب الذين يطلبهم الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة .

(٢) يسمح لكل من فرنسا في المنطقة الزرقاء وبريطانيا في المنطقة الحمراء أن تنشئ من الإدارة أو الحكومات مباشرة أو غير مباشرة ، ما تريد أو ما ترى تديره موافقاً مع الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة .

(٣) أن يشأ في المنطقة الحمراء إدارة دولية مشتركة يقرر شكلها بعد استفتاء روسيا أولاً ، ثم استفتاء الحلفاء الآخرين واستفتاء مندوبي شريف مكة .

(٤) أن يعطى لبريطانيا العظمى ثمر حياء وثمر عكا ، ويضمن لها التمدار الكافي من مياه دجلة والفرات في منطقة (A) لأرواء منطقة (B) وتمهد حكومة جلالة الملك أن لا تخاف في أي زمن كان دولة من الدول للشار لها عن جزيرة قبرص بلا موافقة حكومة فرنسا .

(٥) تكون الإسكندرونة ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة الإمبراطورية البريطانية ، وأن لا يكون فيها تمييز في تعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالبضائع أو السفن البريطانية ، وأن يكون للبضائع البريطانية حرية المرور في الإسكندرونة وفي

سكك الحديد التي في المنطقة الزرقاء ، سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الحمراء أو المنطقة حرف (B) أو المنطقة حرف (A) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع البريطانية على أية سكة حديد كانت أو ضد البضائع البريطانية والسفن البريطانية في أى ميناء من الموانئ المذكورة سابقاً لهذه المناطق ، وأن تكون حيماء ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة فرنسا وممتلكاتها ومحمياتها ، وأن لا يكون فيها تمييز تعسيف صرائب الميناء أو التمييزات فيما يتعلق بالسفن الفرنسية والبضائع الفرنسية ، وأن يكون للبضائع الفرنسية حرية المرور في حيماء وفي السكك الحديد البريطانية التي في منطقة السراء سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الزرقاء أو المنطقة حرف (A) أو المنطقة حرف (B) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع الفرنسية على أية سكة حديد كانت ، أو ضد البضائع والسفن الفرنسية في أى ميناء من موانئ المناطق المذكورة أعلاً .

(٦) أن لا تمتد سكة حديد بغداد جنوباً في مقعدة (A) إلى ما وراء الموصل ولا تمتد شمالاً في منطقة (B) إلى ما وراء سامرا إلى أن يتم إنشاء سكة حديد تصل ما بين بغداد وحلب في وادي الفرات وذلك بموافقة الحكومتين .

(٧) أن يكون لبريطانيا المطلق وحدها الحق بأن تنشئ وتدير وتلك سكة حديد توصل حيماء المنطقة (B) ويكون لها الحق الدائم في نقل الخيوش عنها في أى وقت كان والمفهوم بين الحكومتين أن هذه السكة هي لتسهيل المواصلات بين بغداد وحلب . والمفهوم أيضاً أنه إذا حالت الصعوبات الهندسية والمعارضة دون إنشاء هذا الخط في المنطقة السراء وحدها فإن الخطوط الآتية وهي - بانياس - نيس - مرس - صائد - لذا - صدى - ومسية تصل إلى المنطقة (B) .

(٨) تنقي الرسوم الجمركية معمولاً بها عشرين سنة في جميع أنحاء المظنتين الزرقاء والحمراء كذلك في المنطقة (A) والمنطقة (B) ، ولا تزداد الرسوم إلا بعد اتفاق الحكومتين ولا تصرف رسوم داخلية تكون عائقاً بين المناطق المذكورة أعلاً . أما الرسوم على البضائع الواردة فتؤخذ في الميناء التي تصل إليها البضائع ، وتسلم إلى حكومة المنطقة الواردة إليها .

(٩) لا يجوز للحكومة الفرنسية في أى زمن من الأزمان أن تخاطر دولة ثانية في أمر النازل لها عن حقوقها ، ولا يحق لها التنازل عن هذه الحقوق لغير الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة إلا إذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وعلى الحكومة البريطانية مثل هذه الهمود للحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالمطاقة الحمراء .

(١٠) تنهد كل من حكومة فرنسا وحكومة بريطانيا العظمى أن لا تملك أرضاً في جزيرة العرب ، وأن لا توافق على امتلاك دولة ثانية لأرض هناك سواء كان ذلك على السواحل الشرقية منها أو حزر البحر الأحمر . على أن هذا لا يمنع من تعديل حدود عدن بسبب اعتداء الترك .

(١١) إن المحابر مع العرب لوضع حدود للحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة يستمر كما كان بالقبابة عن الحكومتين الفرنسية والبريطانية .

(١٢) قد وقع الاتفاق على أن الوسائل اللازمة للسيطرة على توريد السلاح إلى الأراضي العربية نـتـشـار فيها الحكومتان .

كتاب من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمرة حناب الأحل الأهم بحى الشيم أمير مكة المكرم سيدنا الشريف حسين باشا
ابن السيد على دام مجده وعلاه آمين .

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف
خاطركم الماطر . لا زلتم بكال الصعلة والسرور حازرين الأوصاف الحيدة . أحوالنا من كرم
الله جميلة ، وتقدم اسما دتكم قبل هذا كتاب نرجو أنه وصل وأتم مسرورون . ثم عرض
لدولتكم العزيزة : أنه بموجب شفقتكم وعلو همتكم وأطواركم العالية قدما أخانا عبد العزيز
عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحبنا المصاوعة معه لموجب التبرك بأفادكم ، وأرسلنا
معه الصلواة والحداني وكيلان ، ولا والله قصدنا في إرسالنا لأنكم بحاجة ولا شك في

غايثنا نبي «يحيى» نقرّب منكم . فإننا هنا حاسدين أنفسنا من خواصكم ، وفقه ثم لكم ، وإلا هديتنا لمصرتكم رؤسنا وما تحت أيدينا ، ولكنّها هي صوغة للأولاد والكرام ، وحررتنا هذا الكتاب لموجب التعرّض لخدمتكم وما يبدومنه اللازم ، وإلا أمرّك علينا تام على كل حال ، ومهما تفعلوه معنا ونخطوا أنظاركم علينا نحدّره إن شاء الله مصاعفاً بالخدمات والسع والطاعة . هذا ما لزم تعريفة والولد رسم الخدمة مع إبلاغ السلام حضرة الإخوان السادات الكرام على ويصل وزيد ، ومن عندي أولادنا محمد وسعود وكافة السعود بسلامون ودمتم محروسين ؟ :

خدم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عسائرنا
عبد العزيز السعود

١٨ من سنة ١٣٢٨

(ختم)

من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة حناب الأجل الأجدد الأتم يحيى الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف الحسين ماشا بن السيد على دام محله وعلاه آمين .

بعد إهداء مرشد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف حاطركم العاطر لارتبكم بكمال الصحة ووافر السرور حائزين الأوصاف الحميدة ، أحوالنا من كرم الله جميلة . بأشرف وقت أخذنا مشرفكم المكرم . فسربا ما تضسه من حمة أموالكم واعتدال أوقاتكم ، وما عرف حناكم كان لدى ابنكم معلوما خصوصا ما عرف جنابكم من حمة عتيبة والقصيم وأنهم يلقون إليكم من الأكاذيب الذي ليس لها حقيقة وينظفون دند حضرتكم . فنحن نقول عما قالوا سبحانه لك هذا هتان عظيم ، فاما من حمة نظركم علينا وعليهم فهذا شأن مثلكم وهو مقامكم العزيز ، ونحن متيقنون أن حنا بأنفسنا أقرب منهم ومن غيرهم لساداتكم ، وأدنى جواب بصدر منكم إلينا بمنع السوء عنهم إذا

كان صادر مناشي . فمنع بمنثل به لموجب رضا الله ثم غلظة سمانكم . مع أي والله ما أعلم
أن أحداً من أهل نجد يطالب مني منقال حبة من حردل من طلم ، إلا إن كان عدو صيف
جاني ولجانيه سب ، وقول العدو ما يؤخذ في عدوه ، وإلا أدام الله وجودكم نجد يوم
حبته ما به من جميع مأموريته أحد كلها ما صيب لأن رشيد ، ولولا الله عليه هداية
الله ثم هدايتكم ، وأمرنا كل في مصه ، فهم من أطاع وسنقر وإلى الآن تمكابه ،
ومهم من طلم الرعية وما غدر وأعانا الله عليه وأحب فيه ، فالآن أنكم وحادكم وبملوك
فصلكم ناي . منه سامع مطيع لله ثم غلظتكم لأدنى واحد من أهل التقصير أو من عنية
يدعى على نادى نى . مه طلم . فكما نأشرون أمل أشلا لأسرا الله ثم أسركم ، وجميع ما
روروه على حضرتمك دواء الكذب للذيل ، فإن كنت اعلم فما تحت أسركم كما نأشرون
أمل ومطير لأدكم . فإن كانوا هم السكادين ونعقق عند حاكمكم ذلك ، فمن قد دبحنا
لم من الزلات أكثر . وحققا على جنابكم أن تكفوا على حذر من أفعال العاشين للإسلام
والمسلمين ، وأما والله والله وثان الله إن رصاكم وامتنال خدمتكم عدى أعز من رص عبد الرحمن
وخدمته ، ثم أنا مطيعكم عهد الله وأمان الله ، أى ولد لك سامع مطيع ما أحالف شوكتك في
جميع أسر ، وأما تحت أسركم تريدون المقالة بيبى وبين الرورين في أى وقت تمعونه
أحضر ، فإن كان تمعونه من بعيد فالراحة لنا ونحن تحت تدبير الله ثم تدبيركم ؛ وإنا
لا يرورون على حضرتمك أى مستغزى أهل نجد قصدى بحاربتكم أو مكاربتكم لا والله
لا والله ، لا والله . إلى ما استعزيتهم إلا أوجب نى خيما وحس العباد إلى ما يحى حماكم .
ولا يقطع عقلكم أن قدوى سها المحل قصدى بحاربة أو أسرى نصب حواطركم ، إلا إنا هو
تقرب غلظتكم وعن البعد الذى يحصل به الاتحاد للأعداء ، ويرورون أعظم بما زوروا
سائق ، وأحبا تمجبل الطارش لموجب رد حواكم العزيز ، ونحن ما نطار تدبير الله ثم
تدبيركم ، وتحت لأمر هذا ما لم . والرجاء البلاع سلاما لأخوان السادات السكرام ومن
عندنا أولادكم محمد وسعود ، وكافة العمود يقولون أياديكم ودمهم محروسين ؟

خادم الدولة ولاة والوطن
أمير نجد ورئيس معانها
عبد العزيز السعود

١٥ ل سنة ١٣٢٨

(ختم)

مشروع الوحدة العربية كما كان يفهمها الملك حسين

(صورة وثيقة)

الأمم المتحدة التي يتمكن منها سكان البلاد وصيانتها من كل مواقع الترقى والسعادة والفلاح المطلوبة لها حسب فكري الخصوص ، والأصل الأصل الذي يمكن فيه تقرر عمل هو تعريق سكان المنطقة والإيطالية والفروني وبريقان ومجوم من المنازل التي يسكنها الزمرة الموسومة بالإخوان الحادثة من ستين التي هي عبارة عن معسكرات ، وقبل هذا والتهديد أي بتعريق سكنة تلك المنازل ، وأن كل شخص يذهب إلى قبيلته المنسوب إليها لا ثمرة لأي عمل كان كما أشير بريقنا ١٢ المحبة سنة ١٣٣٦ هـ ، ومع ذلك على سبيل المعلومات والتسهيل لا نأس من الإنيان بما سيدكر أدناه على وجه الاختصار

(١) الأحكام بكتاب الله وسنة رسوله .

(٢) أسماء محد يكون تعيينهم على تعاملهم وقاعدتهم الجارية المفعلة .

(٣) إلاءة العربية التي تؤخذ على جهال المتسعة بصورة كلية وهو المعروف بالباح

(٤) أمير نجد له حق تعيين صفوف المناورين في داخل إمارته .

(٥) لا حق لأمر محد أن يحضر أي دولة كانت في أي مسألة كانت بأي شكل

وصورة ، وهذه أيضاً من حقوق المركز وعائد إليه ، وتكون رأيه وواسطته واستحقاقه .

(٦) الحدود من الجنوب والجنوب الشرقي والبرقي لحل المعروف بالمرض وما

سامته وأشقرها ومسكة وتربة ووادي الدواسر تكون جميعها تابعة للمركز ، والعرب والعرب الهمال حدود عينة والقسم والشمال والشرق معلومة .

(٧) القبائل السهول وسبيل الأسفلين تابعون للمركز .

(٨) لا يمنع القبائل التابعين للمركز ولا سواهم من أي أرض يحتلونها للرعي أو أن

يقتاروا من أي قرية من القرى التابعة لأمر نجد وإن وقع من القبائل المذكورة نمدى في الحال يرفع خبره للمركز لإجراء مقتضاه .

(٩) امثال أوامر المركز وتنفيذها في حق من برد إلى داخل حدود الإمارة المذكورة ممن لم يكونوا من أهلها .

(١٠) كل من يرد من أهلى مجد إلى المركز أو إلى أى بلاد في داخلية للملكة ساملون مثل معاملة أهالى تلك البلاد في كل شئونهم .

(١١) المحافظة على كل حقوق وكافة معاملات من يكونون في الخارج من أهالى نجد أى في بلاد أجنبية هي عائدة للمركز ومن حقوقه .

(١٢) المركز يتمتع بحفظ كياه وصيانة أذى حقونه من كل تعدى .

(١٣) يختب بكل حذر واهتمام ما يرجب القلائل والشغب في داخلية أو فيما جاوره من الملكة .

هذا يكون دستوراً لسكافة الأسراء ومن يكونون امثال أمير مجد ، على أن الإديس حدوده نصاء صنية المروعة في زمن الترك ، وكذا إمام صماء ما كان يتصرف فيه من الأراضي في زسهم هذا ملخصه . ولكل من تأمل مسكني وحطقي في ظروف هذه الأعوام نحو الإمارة المذكورة رغباً من محرفاتها ، وحطقي عند ما توجهت لأنها ، وسج أبى فيصل على ذلك الأمر عند توحه إلى تهايم سير لمين تلك العاية التي توجهت إليها يدرك لأول وهلة سلامتنا من شوائب المقاصد عما تدور أعلاه أما عنبرة والقصم — أى ريبة ومسحقتها — فلهم الرأي ينتخبون ان سمود اللانحاق به أو ان الرشيد أو يكونون مستقلين على أنفسهم . الخيار لم في ذلك ، ولزيادة الإقناع والسلامة من الشوائب فإيه إذا اسحبوا المركز هو لا يقلهم وعلى أى حال فهم تحت ما ذكر من الشروط ، على أن مسألة تفريق سكان التظنط والارطاوية القرى المذكورات أعلاه من أهات المواد المنسقة يقبول القاء في ريانة البلاد ؟

صورة بلاغ من المعتمد البريطاني بحجة عما أشاعه الأتراك من تقسيم البلدان العربية

جدة في ٨ فبراير سنة ١٩١٨ .

جلالة صاحب السيادة المعظمي ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

بعد بيان ما يجب بيده من الاحترام والتوقير ، قد أمرني جناب محبة نائب جلالة
الملك أن أبلغ جلالتهكم العربية التي وصلت إلى مقامه من بطارية لخارجية البريطانية
بلندن ، وقد عنوانها حكومة جلالة الملك ملك بريطانيا المعظمي باسم جلالتهكم ، وهذا
نصها بالحرف الواحد :

إن الرغبة والمصراحة التامة التي اتحدتموها جلالتهكم في إرسالكم التحريرات التي
أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وسمو الأمير عبد الله إلى جناب نائب
جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا المعظمي ، وإن
الإجراءات التي اتحدتموها جلالتهكم في هذا الصدد لم تكن إلا رمزاً يبرهن عن تلك الصداقة
والمصراحة التي كانت دائماً شاهد العلاقة بين كل من الحكومة المحازية وحكومة جلالة
ملك بريطانيا المعظمي . وبما لا يحتاج إلى دليل أن السياسة التي تدفع عابها تركيا هي
إيجاد الأتراك والشك من دول الحلفاء والعرب ، الذين هم تحت قيادة وهلمبر إرشادات
جلالتهكم ، قد نسوا لمة الشهاء بطغروا بعبادة حريتهم القومية . إن السياسة التركية
لا تمتدّ خمس دقائق إلا تريب بأن توبس العرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي
العربية ، وتدعي بأذهانت دول الحلفاء أنه يمكن إرجاع العرب عن مقصدهم ، ولكن
أقوال الدسائين أن تقوى على إيجاد الشقاق بين الدين أنجهت عقولهم إلى فكر واحد
وغرض واحد .

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا المعظمي وحلفاءها مازالت واقعة موقف التائب لكل
همة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة . وهي مصممة أن تنفق بجايب الأمم العربية في جهادها ،

لأن تبنى عالمياً عربياً يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم المُناني ، ويتحدد التنافس الصناعي الذي أحدثته الصناعات الرسمية التركية .

إن حكومة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الأمم العربية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك التحرير ، وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من القوط في هذه الدمار ، وتساعد الذين لا يزالون تحت يبر الغالين ليهلوا حر بهم

وي انضمام التمس قبول حالى التحيات وعظيم الاحتشامات والتحيات م

نائب الحيد البريطانى بمجة

الكولونيل باست

صورة ما تحرر لفخامة نائب الملك بمصر

من الملك حسين وشرح أغراضه من الثورة العربية

مارأيتـه خصوصاً بهذا الأثناء عن اعتناء فخامتكم وتأكيداتنا في إزالة أسباب دواعي سوء التفاهم الذى لا أرتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيغة تأثير حدييات محلصكم خاصة لنا ولما تكون المواد البسيطة أيضاً من ذلك المسمى رأيت أن أدين من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع عظمتها في البهصة وما يثبت عليه من مواد الانفاق المتقدم طليه بياها بأنى ما طابت لأبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طابته من المواد التي تمهدت عظميتها بها رغبة منى في تأسيس حكومة ، أو تشكيل دولة لأستأثر بحكيتها ، أو حرصاً على جاهها أو رياستها ، ولكن عند ما دعيتى بريطانيا إلى ما دعيتى إليه ، وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة ، لم يسعنى إلا الإجابة وطلبها أقله تلك المواد المؤيدة في اعتقادى لما بأتى :

أولاً — لطفاة السكياا الإسلامى بالنظر لما حل وما سيجعل بقرشيا .

ثانياً — صيانة المنظمة البريطانية من الاستهداف مما سترقى به عكس مقاصدها .

ثالثاً — سلامتي من الانهزام بالتواطؤ معها ضد الأساس المقصود بالنهضة .

هم إنى لم أحد من جناب الفاضل الأديب المستر استورس عند اجتماعي بمحضرة في السنة الأولى بمجة ، ثم بعده محصرة الشهم المهام السير مارق سايكس ، ثم في السنة الماضية بالتمندان المهام هوعارت الوفير ما يشير إلى ما يخالف أو يحمل بتلك المقررات ، غير أن ما في طبيعة مشروعتنا وتنازه الحيزية من الرقة وما يصادف من بعض حالات يستدعى سياها زيادة تعين الأمر وتأكيد الحقيقة عن الحدود فقط ، وبلا نافي المواد فإنما يحز عن أداء شكر الوفاء بها شكراً بتلاً الحديقين ، خصوصاً أمر الإعانة عما لو همت العبط في مقرراتنا المذكورة أساساً ، أو حدث ما يوجب تعديدها ، الأمر الذي لا أقول إنه بمس كيان العالم الإسلامي ، ولكن أظن — وبمعنى الظن إنم — أنه لا يجوز من شيء من ذلك هذا على فكرى الخاصوى . ففى أصفا عليه نظاهر مجرى عدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يحتم على الاستحباب من الأمر والدارل عنه ، لاعتقادي الشحمى أن تعديل مقرراتنا المذكورة ، صرف النظر عما في إخلاله بالمعيات المقصودة ، وعرضتنا لحذر موادنا الثلاثة آمة البيان وطس جمعية تاريخي ، هو بربل ويسقط من ثقة واعتماد بلادى وأنواعى الأمرين ، حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التى أعلنتها لهم ، وصرحت به شفاهاً ونحريراً في ظروف هذه المدة وأسست عليه الأعمال ، وأكون حذعت مسى وعشتنكم يا أصدقائى بما وراء هذا من اضطراب البلاد مالفتن والتورات ونحوه ، مما لا يمكن لى معه حتى الاستفادة لدانى وما بربل كل طن حكومة حلالة تلك لى ، وأكيد إخلاصى بحبرى أن أقول من الآن بن مبادئ هذه الخطرية على وشك التحمس بها بالنسبة لاطلمات المتكررة المحمدة عن أسرم بإعلان استقلال بلادهم ، ولم أحد ما أدعهم به إلا قولى إن استقلالى هو استقلال عموم أمماء البلاد ، ولكهم يقيموا الحجة على دوى هذا بأوجه أخر ، وعليه فإن كان ولا بد من التعديل فلألى سوى الاعتزال والاستحباب ، ولا أشتبه فى مجد بريطانيا بالألا يتلقى هذا منا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة ، لا لقصد عرضى أو فكر غرضى ، وإنها لا ترتاب فى أنى وأولادى أصدقائى الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ، ثم تيمينوا البلاد التى نستحسن إقامة فيها لغير إليها فى أول فرصة وإن رأت ذلك ، ولكن مشاكل الحرب

الحاضرة تنهى تأجيله إلى حينها ؛ شعرونها وجيل مكارها يفرض عليها الثبات أمام ما ينتهأف علينا من المهمات وبحره من الموم بما لا مقومة لدينا أمامها إلا حسن النية فالأسر إليها أما عطف لأمر وتعليقه بمؤتمر الصالح فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنامه ولا مناسبة يسا وإياه ، حتى ينتظر منه سناً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور أصحاب مقررانا وكان ذلك عن غير وساطتكم وتبناها فمكن من المطرودين من رحه الهارى جل شأنه الرقيب على قولى هذا الذى أوصل إليه الآن أن يتولا جميعاً بسايات راتة الأخدية ، وقبول ما أقدمه لفخامتكم فى الختام من جزيل احشامانى هو من سجايا شيمكم

٢١ فى النعمة سنة ١٣٣٦

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨

الإعانة الانكليزية

حدة فى ١٣ إبريل سنة ١٩١٩ — رجب سنة ١٣٣٧ .

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها العظم صاحب الجلالة سديان ما يحجب بيانه لجلالتكم من التوقيع . أنشرف بإحاطة علم جلالتكم بأن حكومة جلالة الملك قد رحمت بدفع مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ جنيه (مائة ألف جنيه) لإعانة شهر إبريل ، وهذا بتقيص ٢٠٠٠٠ جنيه (عشرين ألف جنيه) ، أما الثمانين ألف جنيه الشهريه فجارى دسها طباعاً إلى دمشق علاوة على المائة ألف . وس حيث هذا التحفيض لا يحفى على جلالتكم أنه عند ما تشرفت بالبحث مع جلالتكم فى مسألة الإعانة فى شهر إبريل الماضى قد أحيوت جلالتكم أن حكومة جلالة الملك رغبت فى حمل تخفيض عظيم فى إعانة شهر مارس بناء على ما كنتم جلالتكم قد وافقتم عليه مع ذلك طلبتم جلالتكم أن إعانة شهر مارس يجب أن تبقى كما كانت بلا تغيير إلا أنكم وعدتم بتقيص كبير فى إبريل فرضت رغائب جلالتكم على حكومة جلالة الملك فصارت موافقة خصوصية على صرف إعانة شهر مارس بنامها ، مع العلم بأنه كان مفهوماً أن تنقيصاً عظيماً قد عمل لشهر إبريل

بناء على وعد جلالتكم ، وعند ما كنت بمصر كانت حكومة جلالة الملك قد عينت هذا التخصيص إلى أربعين ألف جنيه ، إلا أن لخامة نائب جلالة الملك رأى أنه لتناسب الأحوال الحاضرة بمحتل أن جلالتكم تفصلون أن يحسم من إبريل عشرين ألف جنيه فقط ، وقد صارت الموافقة لذلك من قبل حكومة جلالة الملك على شرط أن جلالتكم تعملون كل سعى لتخصيص مبالغ شهر مايو إلى ثمانين ألف جنيه وأن تعطوا الميزانية ببيان مطالب جلالتكم المتوقعة ، وإلى قد أخبرت حكومة جلالة الملك مدبعة شهر أن جلالتكم قد وعدتموني بالميزانية بمدد سقوط المدينة مباشرة . وأؤمل أن جلالتكم تنسكون من إعطائي التفاصيل عن الإيراد والمصاريف المتوقعة للمصارف عند ما أنشرف بمواجهة جلالتكم قريبا . وعندئذ أستطيع أن أرفع طلبات جلالتكم بصورة فعلية ، وإلى سوف أستطيع طبقاً للبحث مع جلالتكم في جميع المصليات ، إلا أن الميزانية المطلوبة من قبل حكومة جلالة الملك لا تشمل مثل تلك المفردات ، كتصليح الخط والاحتياجات الخصوصية (خلاف الإدارية) للمدينة وحلاهما التي لا تدخل في ميزانية اعتيادية . ولكنها تكون في الواقع ونفس الأمر مختصة بقروض محصورة وما شاكل ذلك ، ولا تشمل أيضاً مصاريف الإدارة العربية بدمشق ، لأن تلك الإدارة تتناول اليوم مائة وخمسين ألف جنيه شهرياً ، وإلى لمقتطع ناشفاق لمشاهدة جلالتكم ثانياً ، وأرجوا الله أن تكونوا جلالتكم بصحة جيدة يفضلوها بقول خالص تيميات العلية وعظيم احتراماتي ؟

مخلصكم

ولسن باشا

جدة في ١٧ يونيو سنة ١٩١٩ الموافق ١٨ رمضان سنة ١٣٣٧

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها العظم صاحب الجلالة
 مدنيان ما يحجب به من التواضع قد اندهشت جداً عند تلقى تحرير جلاتكم مرة
 ١٥٣٤ تاريخ ١٦ يونيو ؛ وإني لم أهتم السبب الذي حمل جلاتكم تكثيرون أسكنكم
 طلب الاستقالة ولا سحب رداً على خطابي بخصوص الإعانة ، وإني قد أشرت لجلاتكم
 عندما أطلعت على برقيتكم لسمو الأمير زيد التي تقولون فيها : أن لا إعانة تدفع ، بعد الشهر
 القادم ، وذلك أكدي أن خطابي لم يكن كامل الوصوح أو غير طاهر المصارات لأمر الذي
 أدى مزيد أسقى عليه . وأن جلاتكم تذكر أن حكومة جلالة الملك رعت في تقبيل
 الإعانة وحملها ثمانين ألف حميه في شهر أبريل الماضي ، وأسكنكم عن تعديلات ليرانية
 الحجاز ، وقد أعطيتوني جلاتكم ذلك وقد أرسلت إلى اندرة ، وبعد ذلك قدرت
 حكومة جلالة الملك عدم جهاتها ثمانين ألف وصدت على استمراره مائة ألف حميه إلى
 نهاية شهر يوليو ، وهذا ما صددت إيداءه لجلاتكم في تحريري ، وهذا لا يدل على أنه بعد
 شهر يوليو لم يكن فيه إعانة كما ذكرت جلاتكم في برقيتكم لسمو أمير زيد ، وعليه التمس
 أمركم بأن أرفع العبارة الخاصة بالإعانة من البرقية ؛ وإنا اليوم في وقت حرج . ولذا
 أرحو جلاتكم رجاء صدياً أن تطرحوا فكرة طلب الاستقالة في هذا الوقت الذي فيه
 بلادكم ، وأسر الإسلام في أشد الحاجة لكم . وأحب أن أطلب من جلاتكم أن تسنروا
 على اسمائكم لحكومة جلالة الملك ودعمه الجبرال القوي وأسمى كما نعمتم على لدوام ،
 وقد طنبت نفس هذا الطلب في خطابي بتاريخ أمس ، ورعاً من عظيم ارتياحي لاشتغالي
 لأهل النهضة العربية ، ثم وعظيم سروري لاشتغالي في هذه السنين كلها مع جلاتكم ، كما
 ورعاً عن انتحازي تمثيل بريطانيا العظمى مع جلاتكم ، فاني مشتاق لتتمكن من
 القيام للإجارة والاستراحة قليلاً ، ولكن هو واجبى أن أبقى كل ما أمكن من الزمن ،
 وبذلك أؤمل أن أكون مقدماً بذلك من الخدمات الصغيرة لجلاتكم ، نعم إنه بعد
 عناء الثلاثة سنين الماضية الشديدة ، أما أعلم أنه من المنصب جداً لجلاتكم ملاقة هذا

الوقت المخرج الخالي ، ولكنني أطلب من جلالته طلباً صميماً أن تطرحوا طهراً كل
فكرة خاصة بترككم مركزكم العظيم مهما صعبت القضية ، ولا شك حيث إن جلالته
قائد النهضة العربية العظيم ، وال حليف بريطانيا العظمى المحلص إذا تآزمت عن الأعمال
في لآونة الحاضرة كال في ذلك البلية العظمى ، وقد عرفتموني جلالته هذا الزمن
الطويل ، وأنا على يقين أن جلالته تعتقدون في صدق إعلامي ، وأن هذا الخطاب
لم يكتب إلا لئلا الإخلاص المحض ، ومالي إلا أن أرفع أ كف الرءاء إلى حضرة
دي الخلاص أس يس على جلالته ما فورة والمقدرة على الاستمرار على العمل . وفي خاتمة
خطابي التمس قبول حاضرتي وباني وعظيم احتشاماتي القلبية الخاصة ؟

علمكم

وأس باشا

مذكرة المستر لويد جورج

رئيس الوزارة البريطانية

عن الاحتلال المؤقت لسورية والسطين والعراق ريثما يتم أمر الاعداد

(١) تتخذ للتدابير اللازمة حالا لاحتلاء الحدود البريطانية عن سورية وكيليكية
ومن جعلتها وفق جبال السلسلة (طوروس) .

(٢) لقد أعلن كل من الأمير فيصل والحكومة العراقية أن في القدرة الشروع
في الاحتلال عن سورية وكيليكية في أول نوفمبر سنة ١٩١٩

(٣) إن المسئولية في وضع الحاميات في المقاطعات التي يتم احتلالها يكون على
مقتضى عهود وتصريحات الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية ليس فقط بينها
بل بين كل منهما وبين العرب .

(٤) لتبديل على مقتضى ذلك حاميات سورية في غربي حط (سايكس —

يكو) وحاميات كيليكية محمود فرساوية ، وتقبل حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب محمود عربية .

(٥) إحداء الحدود البريطانية لا تنقش مشولية ما على الحكومة البريطانية ولا على القائد البريطاني العام في المناطق التي أحتلتها الحدود (٦) القطاعات التي تبقى فيها الحدود البريطانية هي فلسطين وتكون حدودها مطابقة للحدود القديمة المسماة (دان - إلى ترالسيم) والعرق ومن جهتها الموصل ، يكون هذا الاحتلال مطابقاً للاتفاق المفقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين لوسيو كليمنصو والمقروليد جورج .

(٧) إن الحكومة البريطانية مستعدة في أي وقت كان أن تحت في أسر الحدود بين فلسطين وسورية ، وإذا وقع خلاف بشأن هذه الحدود فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم (حكم) يمينه الرئيس ولسون .

(٨) إنه مقصص مبادئ "إنتاف (سايكس - بيكو) بحق للحكومة الفرنسية أن تعترض على منح الحكومة العربية للحكومة البريطانية الحق في إدارة وإنشاء وامتلاك خط حديدي يصل ما بين حيفا والعراق . وذلك في طريق تقرر بدل التخطيط في أي حمة كانت إلى مواراة (دير الزور) شمالاً ، وبحق كذلك للحكومة البريطانية أن تنشأ أمايب ليقول ، كما يحق لها إنشاء سكة الحديد ، ويكون للحكومة البريطانية علاوة على ذلك حق دائم في جميع الأزمنة لقيام تحسين التسهيلات للسكة المذكورة والأمايب وأن تنقل الحبرش على السكة الحديدية ، ويمكنها أن تمتنع بهذه الحقوق حتى في زمن الحرب ، وذلك بدون خرق حياد الحكومة الفرنسية والحكومة العربية ؛ وإذا وقع خلاف في رسم الطريق لسكة الحديد وأمايب الزيت (اليقول) فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم (حكم) يمينه الرئيس ولسون .

(٩) الحكومة البريطانية تعلن الحكومة الافرسية والأمير فيصل أن غايتها الإسراع في رسم لنجد طريقاً إن أمكن لسكة الحديدية ولأمايب ليقول في الأراضي التي هي تحت الوصاية البريطانية حتى تجتلب بذلك التمتع بالمقوق المذكورة آنفاً (أي حتى لا تستعمل حقها في المرور في الأراضي العربية) .

(١٠) — إنه إلى أن تقرر الحدود بين فلسطين والعراق — يكون القائد العام البريطاني الحق في احتلال محاور أساسية على الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية .
(١١) لما كانت الحكومة العراقية قد اتحدت على عاتقها حماية الشعب الأرمي فالحكومة البريطانية توافق على إرسال جنود فرساويين حالاً عن طريق مرسين والاسكندرونة لهذا الغرض ؟

باريس ١٣ سبتمبر ١٩١٩

رد سمو الأمير فيصل بن الحسين

على مذكرة المستر لويد جورج الأولى

« النص »

لندن في ٢١ سبتمبر ١٩١٩

حضرة صاحب القنطرة :

لي الشرف بأن أضع بين يدي غفائكم خلاصة جوابي على الذكرة التي تفضلتم باعطائي صورة منها يوم الجمعة في ١٩ سبتمبر ١٩١٩ وذكركم أمكم رفعتكم المسيو كلبصور في ١٣ سبتمبر نسخة منها أيضاً ، وكذلك للندوب الأبركي المتردولك في ١٥ منه فأقول :
(١) إن هذا الاتفاق الأخير محقق تماماً بحقوق العرب وبمخالف ما كانوا يتوقعونه من الحكومتين الحيليتين خاصة . ومن العالم المتشدن عامة ، بعد الذي قاموا به من مقالة الخلافه وجعل البلاد المقدسة ميداناً للحرب ، انتصاراً لبدأ جاهر به الخلفاء رسمياً وفي محاسنهم وكتاباتهم المأثورة .

(٢) إن العرب الذين حرى الاتفاق على ملادهم ، وبدون علم منهم أئبته ، لا يمكنهم أن يعتبروا بما وقع ، ولا أن يتحملوا ثمة الرضى بما يفضى إلى بوارهم على غير ما تم اجترحوه
(٣) إن معاهدة سنة ١٩١٦ التي جمعت دعامة هذا الاتفاق ليست معروفة رسمياً عند العرب ، ولا هي مما يسوع أن يمول عليه بعد الذي وقع من إجماع الخلفاء والدول المشتركة على نحو المعاهدات السرية وبعد الذي تلقاه العرب دأشأها من وزارة خارجية

خارجية جلالة الملك نفسها رداً على اعتراض والدهى عليها ، عند ما وقعت إليه سحة منها مشورة في حريصة (المستقبل) البارية نقلا عن صف الشام التى أذاعها فيها حال باشا القرى في يونيو سنة ١٩١٨ للإشارة الخواطر ، وهذا من البرقية :

« إن الوثائق لم يحدوا في وزارة الخارجية في تفرغاد معاهدة مقودة ، بل محاورات ومعادنات مؤقتة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك . وذلك قبل النهضة العربية ؛ وإن حال باشا — إما من الجبل أو الخبث — غير في مقصدها الأساس . وأهل شروطها القاضية بضرورة رمى الأعمال ، وحماية مصالحهم . وقد تحامل ما وقع ضد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر ، وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالسكينة منذ أمد مضى » .

وقد زكى هذا القول المنوط برضى الشعب وشيئته ما فعلته الدولتان المظلمات (إنجلترا وفرنسا) من تأكيد ذلك بالشور الذى أصدرناه معاً في نوفمبر سنة ١٩١٨ فضلاً عن قانون جمعية الأمم ، الذى لم ينضب مداده بعد ، وآخرها بلاغ السكولونيل ماينس هارجن بحضور السيولافوكارد « إن الحكومة البريطانية لا ترغب أى شعب على قبول انتداب لابلده » .

(٤) إن القائد العام الذى يقود جيوش الحلفاء المشتركة قد بلغنا رسمياً في أوائل احتلال سورية وغيرها ، مرة عن طريق المندوبين السياسيين بالقول والسكينة : إنه المسئول الرسمى الوحيد عن إدارة البلاد جميعها باسم الحلفاء ، ولدى مؤتمر السلام واسطة نظارة الحرية البريطانية . وقد أيد هذا القول الضابط السياسى الأعلى البريطانى السكولونيل (ماينس) أثناء الاحتجاج الرسمى في الشام يوم الثلاثاء ٩ ستمبر سنة ١٩١٩ محصور المتمدن الإفريقسى السيولافوكارد . وقد دام هذا الاحتلال سنة كاملة . ولا أرى من الأسباب السكائية ما يبدعو إلى تغيير هذا النظام في هذه المرحلة القصيرة الباقية لتفقد الصلح — كما تقولون — مع تركيا .

(٥) بأبى العرب أن يعترفوا بأمر لا علم لهم به ، وباجتماع لم يشهده أحد منهم

وبقرار لم يشتركوا فيه في الوقت الذي تسوى فيه مسئولية الجميع لدى القائد العام لجيوش الحلفاء .

(٦) إن القروء رسمياً أن التدابير الحاضرة المتخذة في سورية مؤقتة . وتدعاء في تلك (المذكرة الملحقة) أيضاً أن التدابير المقصودة مؤقتة . فامسى استبدال أمر مؤقت بآخر ؟ وما الفرق بين التدبيرين حتى يقوم أحدهما مقام الآخر ، ويعمل بموجبه في وقت غير مناسب ، ومع سهولة إنهاء الحالة حتى القرار الأخير ؟ وإني أحذر أولى الثأر من قادة الأمم أن تنفذ هذه الخطة الجديدة سيؤدي إلى ما لا نحمد عقباه في البلاد العربية . وتقع المسئولية على عاتق الذي أبرم ذلك القرار الطالم المفقوت .

(٧) جاء في الفقرة الثالثة من المذكرة المحقة بأن هذا التدبير والتغيير في مواقع الحاميات العسكرية قد جرى على مقتضى جهود وتصريحات إنجلترا وفرنسا ، ليس فقط بينهما ؛ بل بين كل منهما وبين العرب . وما أتى لا أملك نسخة من هذه الجهود والتصريحات القاضية تمزيق وحدة البلاد . ولا سيما بين العرب وفرنسا مباشرة ، فأرجوكم أن تنفصلوا ما عطاءى نسخة منها موقعة فإنه لا علم لي بخير المصادرة الموقعة بين بريطانيا العظمى والعرب وعلى خلاف ما يقضى به الاتفاق الأخير وبالتصريح الذي أصدرته الحكومتان معاً لإعطاء الشعب حرية الاختيار (١٩١٨) .

(٨) ومع أن المعاهدة تذكر أن التدبير مؤقت . فإني أحتج بشدة على ما ورد في المذكرة الملحقة بشأن التعموم وتحديداتها . وإني أرى في ذكر الحدود واستمداد الحكومة البريطانية لقول الحديد رهاناً قاطعاً على تمزقة البلاد ، ودخولاً لا مدحوع له في شأن مصيرها قبل أن يصدر أي قرار من مؤتمر السلام عنه .

(٩) إني أسأل بريطانيا العظمى التي صرحت أنها لا تقبل انتهاكاً في سورية مما جرى بعدها السابق الذي نت عليه مصادرتها مع العرب . فإنها أكدت لم (أنها تنصرف باستقلال العرب وتأخذ بناصره) فهل ترضى بريطانيا العظمى أن تقول للعرب : لا شأن لي بمصيركم . فإن مصالح اليوم غير مصالحى بالأمس ، وهي التي قد طالما جازمت بإصاف الشعوب الظلوبة ، وقانات دون الضعيف المستهدف للطامع الحسية الأشمية ؟ ذلك

ما أنرك الحكم فيه لوحدان تخاتمكم ولأرى العام البريطاني الكريم .

(١٠) إذا كان لابد من (انسحاب) الجيوش البريطانية في سورية ، فلماذا لا تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوربية ، وتترك المسؤولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسؤولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم لحماية الأمن العام في البلاد ربنا يرم مؤتمراً السلام فرائه بشأن مصير سورية .

(١١) هذه هي الملاحظات الابتدائية التي أردت بدسها تخاتمكم .

وإن الختام أطالب إلقاء ذلك التدبير المقترح بين فرنسا وأحلفنا السككية . لأنه يحراف المراد من قانون جمعية الأمم . ويتنافس اليهود ابناءة على أساس الشرف القوي ؛ وإنه فوق ذلك رجوع غير عادل إلى سياسة الاستعمار الأشعي الذي ينبغي هدم بنيانه بد هذه الحرب هدماً لا قيام بعده . وسيضطر العرب من أن يدافعوا عن وحدتهم ووجودهم بأقصى ما لديهم من قوة وحمة ، ثم إهم لا يدمون وسيلة يبشرون فيها العالم المتسدين أجمع ما حرى من تمزيق المعاهدات وتبديل الخطة الموصوعة ، مهما قيل في شأنها إنها مؤقتة ، فإن الحالة النفسية لأهالي البلاد تحملهم على الاعتقاد بأن هذا التقريب مقدمة إلى تقسيم واقع ، ولن يقبلوا في ذلك مطرة أو حجة . ولا أدري كيف رعى القائد — مع معرفته بذلك الحقائق — أن يعرض البلاد التي ساعد على تحريرها إلى قلاقل مؤكدة . ولا حرم أنه من الأنسج ترك الحالة على ما هي عليه ، أو انسحاب الجيوش الأوربية برمتها ربنا يرم القرار الأخير .

هذا ما أردت بيانه تخاتمكم تخلصاً من كل مسؤولية لديكم ولدى العالم أجمع وتنصلوا قبول فائق احتراماني وتمنياتي ؟

التوقيع

... ..

نص الكتاب الإضافي

لندن في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية المظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لي الشرف أن أقدم لفضامكم الملهوطة التالية - علاوة على المذكرة التي قدّمها
لفضامكم بالأمس والمؤرخة ٢١ سبتمبر ١٩١٩ .

استدعاني حضرة القائد العام للجيشو الممخالفة في سورية ، وسألى بالأمس أن أبحث
معه شأن (انسحاب) الجيشو البريطانية من البلاد . وقد أبحاث فامته بأنى أرفض
البحث في هذا الموضوع ، ويبت الأسباب لذلك الرفض .

وها إنى أدكر فقامتكم أيضاً بأن الممزال البريطانى في بيروت عمد ما أحبر الجيشو
العربية على الإسحاب من المنطقة الساحلية قد كتب لقائدها العربى الممزال شكرى ماشا
نار الموحب لهذا التبير عكرى محض ومؤقت إلى أن يصدر قرار مؤتمر السلام شأن
مستقل البلاد . والقوات البريطانية هى التى تولت بنفسها إزال الأعلام العربية المرموعة
على سايات الحكومة وعبرها واسطة الأهلين .

ولهذه الأسباب أطلب أحد أمرين : إما إعادة السواحل إلى الجيشو العربية كما
كانت عليه الحالة في أوائل الاحتلال . وهى تتولى مسئولية الأمن وحماية البلاد إلى أن
تتم النهاية ، وإما بقاء الحالة على ماهى عليه الآن إلى الحين المذكور . وتفضلوا بقبول
فائق الاحترام والاجلال

الوقيع

.....

كتاب آخر من الأمير فيصل لرئيس الوزارة البريطانية

١٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ .

رئيس الوزارة البريطانية المظم :

حضرة صاحب القنخامة :

قد تفصلتم فأبأنعوما عند اجتماعنا في (حيلد هول) مذيومين : أن الأزمة الأخيرة حالت بسكم وبين الرد على مذكرتي المؤرخة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وأسكم عارمون على إرسال الجواب في أقرب مدة . فأشكركم عن ذلك اللطف الجزيل ، وإبنا لما كانت الأزمة قريية الوقوع تحاسرت على تقديم هذا الكتاب سلفاً وإلى أصع فيه أهسكم المطالب الآتية .

لقد بسطت لكم سابقاً آرائي عن الوقاف الأخير في باريس ، ولا أقصد الآن إلا أن أؤكد لكم بأى لم أزل على ذلك الرأي . ومهما يكن في ذلك الوقاف من حسن أو قبح ، فالواقع أنه سينظر إليه من جمهور السكان بسخط عظيم . ولأرصح أن اسحاب الجيوش العربية من سورية يؤدى إلى كارثة عظيمة ، يكون فيها القضاء على العالم العربي وعلى المشروع العمومي الذي بدود عنه الحلفاء ، وإفي شديد الرغبة أن أعجب كل ما يؤدى إلى إحراج المركز ، أو ما يؤدى إلى اضطراب الحبل بين الحلفاء والعرب ، وما يمكن أن يقضى أيضاً إلى جعل النسوية على قاعدة مقولة من السحيل ، وأريد أن أبذل جهدي لأؤيد الوقاف المكتوب بالدم المراق من الجميع بصرة الحق والعدل . ورغبة في منع أى حادث يؤدى إلى زيادة الخطورة في المركز رأيت أن أعرض انفسمكم ما بأتى :

(١) إلغاء القرار الباريسي ، أو في الأقل إرجاء العمل به

(٢) أن تعرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل ، وبالطريق بها من قبل المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة أخرى فرعية يمينها المؤتمر ، تؤلف من أعضاء بريطانيين وفرنساويين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان لبحث في هذه المسألة الخطيرة وتقدم قرار عن ذلك إلى مؤتمر السلام .

إني أعتبر إلغاء ذلك القرار الرأسي من الأوليات الحوية للوصول إلى حل مرضى .
وإنه إن لم يعمل ذلك فالكارثة في سورية يجعل وقوعها . وربما تطرأ أمور تمنع
المباحثات الودية . ولذلك فإنا أثق بأن مطالبى هذه التى هى جوهرية لمصالح الجميع تقابل
من غنايتكم بالاستحسان ، وإن معتمد على مساعدة الحكومة البريطانية لنا أكيدها .
وأرجو من غنايتكم أن تتكرموا على المخابر فى أسرع أوان ، وتوصلوا بقول فائق الاحترام .

التوقيع

... ..

صورة الكتاب الوارد من رئيس الوزارة البريطانية

١٠ دوتج - سويت

(لندن) ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٩

يا صاحب السوء :

وصلنى كتابكم المؤرخ فى ٩ أكتوبر الذى تترأون فيه أن الاقتراحات عن احتلال
سوريا بعد الانسحاب البريطانى يسمى أن تلقى ، أو على الأقل تؤجل ، وأن القضية كلها
تعرض على مؤتمر الصبح ، أو على مؤتمر فرعى يمينه المؤتمر لأجل التسوية النهائية بدون تأخير .
لأظن أنه يجب على أن أبحث سرية ثانية فى الدواعى التى حملت حكومة جلالة
على عرض الاقتراحات المذكورة فى المذكرة ، لأنها قد أوضحت كفاية فى الكتاب المرسل
إليكم من قبل وزير الخارجية . وانلك الأسباب المذكورة لا يطهر لى أن الاقتراح الذى
تبدوه الآن يمكن العمل به . لحكومة جلالة قد أقرت عزمها على أنه يستحيل عليها
أن تداوم على احتلال سورية بالحيلوش البريطانية . وقد أعلنت منذ ستة أشهر مضت
لمؤتمر السلم ولغاتكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً فى سورية فى أية حال من الأحوال ،
فاحتلالها البلاد الذى كبدنا مكات طائلة قد طال أكثر مما كان فى انتظارها على أمل
أن مؤتمر السلام يقدر على مباشرة البحث فى القضية التركية بسد بضعة شهور ، ومرض
الرئيس ولسون المكندر الذى بدون مشاركته بالعمل معنا لا يمكن الوصول إلى بت نهائى

سيؤجل عوضاً عن أن يجعل البت في هذه القضية .
وعليه فن المستحيل لحكومة حللته أن تسحب الاقتراحات التي ألتها العمل في
القضية السورية أثناء التأجيل إلى أن يفصل فيها مؤتمر السلام .

عل أنها نسر حداً بأن تدرس سريعاً اجتماعاً بين ذاتكم ومفوض فرساوى وأمريكان
وبرطانيا لتسوية القضايا المتعاقبة بالانسحاب القوى وقوة الحيوش البريطانية في أول
توفر على أحسن طريقة حية مرضية للجميع .

وكا أبتانكم بيلاً أي أرب و استماع مطالعات سموك شعصباً في مواحة ثانية عن
هذه المسألة نهار الاثنين القادم الساعة الراسة في ١٠ دونج سقرت ، وإن لي الشرف أن
أكون خادم سموك المطيح .

لويد جورج

رئيس الوزارة البريطانية

مذكرة من وزارة الخارجية الانكليزية للأمير فيصل

نظارة الخارجية البريطانية .

لندن في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ :

بإصاحب السمو :

لي الشرف أن أسنكم وصول الملاحظات الابتدائية التي تفصلتم تنميتها على مذكرة
رئيس الوزارة التي قدمها للدو-يو كليمسكو واشخصكم عن الاحتلال العسكري في سورية
ومطرين والمراق رينما يرم مؤتمر السلام قراره بشأن الانتخاب . ولقد أرسلنا سحاً منها
أيضاً إلى كل من السترفولك مندوب الولايات المتحدة الأميركية وإلى السنيور تينوني
مندوب المملكة الإيطالية :

وبناء على مايلوح لنا من أن هالك سوء تفام في مفزى المذكرة فاني أريد — قبل كل
شيء — أن أبين أن تلك الوثيقة المذكورة لا تمثل بأي وجه من الوجوه اتفاقاً بين الحكومتين

الإيرانية والبريطانية ، بل تشتمل على مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكري في الولايات التي كانت فيما سبق من الزمن تابعة لتركيا — إلى بقرار مؤتمر السلام مائة مستقلاً نهائياً .

وهذه المقترحات التي تنسك بها الحكومة البريطانية لم تضمنها إلا بعد أن قررت أنه يستحيل أن تستمر على احتلال سورية بالجيش البريطاني . وقد دعتكم الحكومة البريطانية إلى أوروبا وأسرت في تدبير أمر سفركم قبل أن تبلغ هذا القرار للحكومة الفرنسية أو المؤتمر ، ووصفت تلك المقترحات في يدكم للخطر فيها على أئروصولكم .

ويظهر أن سموكم نظرون إلى هذا التدبير المقترح لا سقداً للجيش البريطاني بالإيرانية والعربية كأم من بعض الرهوه معاير لليهود التي عقدتها حكومة حلالة الملك مع والدهم الجليل جلالة الشريف حسين ملك الحجاز .

ودعياً لحصول أدنى سوء نعام بشأن هذا الأمر ، فإنني أبث إليكم بالمراسلات التي دارت بين والدهم الجليل ملك الحجاز وبين نائب حلالة الملك بمصر وأدت بموجب الشروط التي تشتمل عليها إلى دخول العرب في الحرب ضد تركيا . وهذه الأوراق تحتوي على جميع المسكنايات المختصة بهذا الموضوع وهي في حيازة حكومة حلالة الملك .

أما الوثيقة التي قدمتموها لربيس الوزارة في الاحتجاج الذي ابتعد منذ بضعة أيام فهي فقط خلاصة الشروط التي طلبها الملك حسين في وقت سابق ، ولكنها لم تؤخذ بعين الاعتبار ولم تُنقل . ولذلك لا دخل لها في مسألة الموضوع على ساط البحث .

وإنه لمن الواضح لسموكم من المسكنايات المرسلة طيه أن حكومة حلالة الملك تبيئت من لأول أنه في رأيها أن مقاطعت — مرسين واسكندرية وبعض أنام سورية ودمه إلى عرب مقاطعت دمشق وحص وحماة وحلب — لا يمكن أن يقال عنها : إنها عربية خاصة ، وإنه ياي إحراجه من الحدود المقترحة والتمحوم التي كانت الحكومة البريطانية مسعدة أن تعترف باستقلال العرب فيها ، ولها ملء الحرية أن تنصرف فيها بما لا ينافي مصالح حلقتها فرنسا . وهذه الفقرات واردة في كتاب السرهري مكهاون إلى حلالة الشريف بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ . وقد أجاب جلالة الشريف حسين عن هذا الكتاب في ٥ نوفمبر بقوله .

« إنه يتنازل عن الحاجة بإدخال ولايتي سرسين وأطنة في المملكة العربية »
ولكنه صرح بأن :

« ولاية حلب و بيروت وسواحلها ، بما هي ولايات عربية خالصة »
ورداً على هذا الكتاب قال نائب جلالة الملك عصفري في ١٤ ديسمبر ما يأتي :
« إنه برحب موافقة جلالة الشريف على استثناء ولاية سرسين وأطنة من حدود
الأمنار العربية » .

وزاد على ذلك ما يأتي :

« أما بما يخص ولاية حلب و بيروت : فالحكومة البريطانية العظمى قد نظرت بعين
الاعتبار إلى ملاحظتكم . ولكن بما أن مصالح حلبينا داخلية في هذه المسألة فيقتضى
لذلك اعتبارات مهمة ، ومراسلات أخرى عن الموضوع تقدم لكم في حجبها »
وأما الحاجة إلى مكتوبة جديدة فقد استغنى عنها ، لورود كتاب من جلالة الشريف
حسين مؤرخ في أول يناير سنة ١٩١٦ يقول فيه :

« إنه بخصوص الأقسام الشمالية وسواحلها قد أوصحنا أولاً في كتاباتنا في ما يمكننا
القول به من المعيرات ، وقد وحب ذلك لإتمام المطالب التي بلوغها منوط بمشايته
سبحانه وتعالى ، إن هذا الشعور ذاته . وهذه الرغبة التي تنشأ على تحجب كل ما يمكن أن
يصير مانعاً من إنجلائنا وفرنسا والاتفاق المعتقد بينهما مدة الحرب ودرراياها ، على أما
نجد أن من واجبنا أن نؤكد لحضرة الوزير أنه عند سنوح أول فرصة بعد انتهاء الحرب
طالكم بما نحن المظهر عنه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها »

وقد شرح جلالة ذلك الرأي بقوله فيما بعد :

« من المؤكد أن الأهليين في بيروت لن يقبلوا هذه الاستثناءات وربما أجبرونا أن
نأخذ أموراً جديدة قد تعود على بريطانيا العظمى بما لا يقل عن مشاكلنا الحاضرة ،
لأننا نعتقد ونؤكد أن مصالحنا متبادلة . وهذا الأمر هو الذي جبلنا أن لا نطالب دولة
غيركم ، ولذلك يستحيل علينا أن نسمع بأي تموير يحول فرنسا أي نفوذ أو أي شيء
واحد من الأرض في تلك البقاع » .

وفي ٢٥ يناير أجاب نائب الملك بمصر بما يأتي :

« أما عن الأقسام الشمالية : فقد لاحظنا بمزيد الرضى أسكن ترغبون أن تتجنبوا كل ما يصير بالمعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا . لأن ذلك كما تعلمون عززنا الأكيد ، وأنه لا يمكن أن يطرأ أى شخص بمحرف ولو فى أقل الدرجات تصامتنا على مداومة الحرب إلى نتيجة النصر . وعلاوة على ذلك فالعذافة بين بريطانيا العظمى وفرنسا متى تقرر النصر تريد رسوياً وثباتاً لأنها تكون موثقة بدماء البحار والفرسيس الذين ماتوا حنفاً لحلف ذاتين عن اللذل والحرية »

تلك كانت آخر المكائنات التى دارت عن هذا الموضوع قبل الحاجة المشتركة التى انتهت فى نوفمبر سنة ١٩١٨ بإندحار الجيوش التركية التام .

ويتضح من هذه الرسائل أمران :

الأول « أن الحكومة البريطانية مرتبطة بمواثيقها مع الملك حسين أن تعترف بتأسيس مملكة عربية مستقلة ، تشمل حدودها على المدف الأربع ، وهى الشام وحماة وحمص وحلب »

الثانى . « أن الحكومة البريطانية قد أوصحت بلا إسهام بجلالة والدهم قبل دخول العرب فى الحرب أنهم يعتبرون أن أمراً حقوقاً خاصة فى البقاع الواقعة إلى غرب هذه المدن الأربع »

وحكومة جلالة تحب أن تزيد على هذا : أنه فى سنة ١٩١٦ حينما انتضت المصلحة الحربية العمومية أن يبرم امدق مع فرنسا وروسيا على إحلال الولايات التركية — عند سقوط تركيا — ألحت حكومة جلالة الملك على الاحتياط باستقلال العرب فى الولايات التى وعدت أن تحتفظ بها فى مراسلاتها مع الملك حسين . ولم تبلغ هذا الانفاق هناك حسين . لأنه كان له القلق المهدد التى دخلت معه بموجبها من قبل .

وقد كان موقف حكومة جلالة الملك فى كل هذه المحادثات واضحاً دائماً وغير متبدل ، وقد دخلت مع حليفها الفرنسي والعرب بموجب شروط لا تتناير ، بل كل واحد منها متمم للآخر . وحكومة جلالاته تعلق اهتماماً عظيماً على صداقه حليفها واشتراكهما فى العمل ، وتنوى أن تقوم بتمهلاتها لكل واحد منهما .

وأما الآن : فأقول شيئاً عن سؤال سموكم عن السبب الموحب لنهاية الاحتلال السكري
البريطاني لسورية ، عوضاً عن تأجيله حتى يتقرر الصلح مع تركيا وحلفائها .
إن حكومة جلالة الملك يسرها أن تعترف اعترافاً تاماً بالمساعدة التي لم يكن غنى
عنها والتي بذلها الملك حسين وشخصكم الكريم والجيش العربي الدائم تحت قيادةكم
تأييداً لقضية الحلفاء . فإن حماسة وشايط حيوش سموكم كانت عضداً مهماً في الحرب التي
انتهت بفخر الاستبداد التركي . ولكن حكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تدعي أن الحصة
السكري في فهم تركيا قد كانت من نصيب المملكة البريطانية . إنها منذ البداية إلى
النهاية قد أرسلت إلى ميدان الحرب الشرقي ما يفي على ما بين وأرسلت ألف جندي ،
وأوفت سبعائة وخمسين مليوناً من الخبزات . وقد كانت هذه الأتقال علاوة على الصحايا
السكري التي اضطرت إليها في أوروبا لحطم قوة الأساس التي كانت تدعم الإمبراطورية
العثمانية . فشعوب الإمبراطورية البريطانية قد حشرت أكثر من ستمائة وخمسين ألف
سنة في ذلك السبيل . وحرت على نفسها ديناً قادحاً يبلغ تسعة آلاف مليون جنيه
لتأييد حرية أم أوروبا والشعوب التي كانت من قبل تحت الير التركي . وقد تمكنت
شعوب الإمبراطورية البريطانية بهذه النفقات من مساعدة الشعوب العربية والأمم
الأوربية المستندة وحطمت نير السند ، لتسير في الطريق المؤدية إلى النجاح والاستقلال
والنفوذ في العالم ؛ وعلاوة على هذا الجهد أثناء الحرب ، فالإمبراطورية البريطانية قد تركت
حمايات في الولايات المحتلة مدة سنة منذ إفضاء الهدنة واحتمات الأتقال المعطية والتمعة
لتأييد النظام والسلام في البلاد التي تحررت من الحكم الأجنبي ، راحية أن مؤخر الصلح
يأتي محل مرض عاجلاً لجميع المشاكل الصعبة المتعلقة بمستقبل الشرق الأوسط . ولكنه
ليس من الإنصاف أن يسأل « المكلف » الانجليزى بأن يتحمل أكثر مما يتحمل من أتقال
احتلال الولايات التي لاتنوي الإمبراطورية أن تقبل فيها مسئولية دائمة . وقد جاهر
حكومة جلالاته في مارس الأخير لمؤتمر السلام وقد اتكم أيضاً : أنها لاتنقل امتدداً في سورية
في أية حال كانت . والآن بناء على تأجيل الولايات المتحدة الأمريكية قرارها باستعدادها
لقبول أورفض المشاركة في تأييد خير ونجاح شعوب الشرق الأوسط . فلا أمل في تقرير
سلم نهائي مع تركيا قبل مضي بعض الوقت من السنة المقبلة .

وعلى هذه الحالة قد قررت حكومة جلالة الملك : أنه يستحيل عليها إبقاء حيونها بعد في سورية . وأعلنت المؤتمر بذلك . وهي تنوى سحبهم في أول نوفمبر القادم .

وقد ذكرتم سموكم في مذكرة أخرى مؤرخة في ٢٣ سبتمبر مسألة الشروط التي عليها أحلت القوات العربية مدن الساحل حين تقدم الجيش . لحكومة جلالة لا تريد أن تذكر بأن سموكم تسترون أمثال أوامر القائد العام الذي كنتم تحت أمره (وهي أوامر كانت عنده قوة كافية لإبادةها) نتيجة مقاومة . أما إن سموكم قد اعتقدتم أن الاحتلال البريطاني سيدوم إلى إقصاء السلام فأمر أمره جيداً لأن ذلك كان أيضاً في رأي حكومة جلالة في ذلك الوقت . وقد أطالت أجل الاحتلال البريطاني أكثر مما كانت تظن هي أو غيرها من الأرحح ، لكن بالنظر إلى المساء القادح الواقع عليها فمن حقها أن تلجأ أن احتلالها ينبغي أن ينتهي . وهي عندما أسأت مؤتمر السلام بما سبق ذكره عن عزها على سحب حيونها حالاً عرضت حكومة جلالة مشروع الاحتلال المؤقت للبلاد التي كانت سابقاً تركية ، كما هو منشور في المذكرة . وهي لا ترى أن هناك اقتراحاً يمكن العمل به في حلال هذه المدة . ولا يوجد رجل ثقة يعتقد بقدرة الشعب السوري على القيام بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، فتجربة هذا الحل الذي تشيرون به يكون مضرراً لفرق الشعب السوري سريعاً ، وبجلاء الحرية . وبالنتيجة لاستقلال الشعوب السورية والعربية ، وعلاوة على ذلك فإنه ينبغي — ريثما يتقرر الصالح مع تركيا — أن تحتل قوة أوربية من الدرجة الأولى الدفاع الواقعة إلى الحبوب الشرق من الأماضول ، وعرضها هذا الاقتراح ، كما هو مفصل في المذكرة ، قد نظرت حكومة جلالة الملك إلى التعهدات التي تحتلها نحو حلفائها العرب والفرنسيين . وهي تدهات — كما سبق إيضاحه — قد بُينت للملك — حين قبل دعوته في الحرب . وهي لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطن لسموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتغل على دمشق وحماة وحمص وحلب كما سبق الوعد للعرب مع الملك — حين .

أما فيما يتعلق باحتلال فرنسا لبقية سورية فهي تسأل سموكم : أن تذكروا إن العرب مدبرون بنيل حريتهم بدرجة عظمى للضحايا المظلي التي تكبدتها الأمة القرواوية

في هذه الحرب ، وحقيق أن المساعدة الفرنسية في سوريا عيها لم تكن عظيمة لاحتفال فرنسا بالمرآة في جهات أخرى غيرها ، ولكنها في ميادين الحرب الحيوية في أوروبا قد خسرت مليون وأربعمائة ألف جندى ، وتكبدت دينا لا يقل عن الدين الذي تكبدته بريطانيا العظمى لحرق القوة التي أبدت الاستبداد التركي ، والتي لولا مودتها لم تستطع القوة الحربية التركية من أن تدوم أكثر من بضعة أسابيع .

ولذلك لحكومة جلالة الملك تؤمل من سموكم أن ترسوا بالانقراحات التي يفتن في مذكرتها عن احتلال سورية ريثما يتم الصلح مع تركيا . وأما الاعتبارات التي تذكرها عن مستقبل الشعب السوري والعري مطلب ملخاض من مؤتمر السلام — الذي أتم أحد أعضائه الموقرين — والذي يكون له القوة النامة ثابت في المسألة العربية كلها ، ولقد لا يقتصر في أعماله على رأى سموكم ورأى الشعب العربي فقط ؛ بل يتناول سائر التهديدات والمجاهرات الصادرة من الدول العظمى .

وإن حكومة جلالة الملك لا تشك أبداً في أن أحسن الطرق للشعب العربي : هو أن يقبل التدبير المؤقت المقترح ، وأن يدخل في تدابير حية عمالية لأجل إعادته مع حليفه بريطانيا العظمى وفرنسا ، وهي كما أشارت سابقاً تلح الآن بأن سموكم تحشون حالا في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية ، وحكومة جلالتهم تعمل ما في وسعها كل مرور لتسهيل اتفاق مرضي بين حليفها فيما يتعلق بالاحتلال بحماية هذه المدة

وتعتبر الحكومة البريطانية أنها مقصرة واجبها نحو حلفائها العرب إذا لم توضح بحرص وبشكل ودية أنها لا تقدر أن تنصور شيئاً أشد مثلاً لآمال العرب ومحاسنهم في مؤتمر السلم وبعده من طريقة المقاومة العسكرية الملح إليها في كتاب سموكم ، وهي بصفتها صديقة العرب الخليفة والمريدة لهم كل خير تدعوم إلى قبول التدبير المقترح .

وعلاوة على ذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب معينا على نجاح محادثتنا في المستقبل مع سموكم ، والتي أنطلق إليها بكل سرور ، وإني أثق أنه يكون وسيلة لتقريب العلاقات بين هذه البلاد وحليفها الفرنسيين والعرب .

وإني أتمنى من سموكم أن تثقوا بأن الحكومة البريطانية الماطفة والإعجاب بالشعب العربي الذين حلالها على تأييد جلالة الملك حسين في نوره ضد الترك ، والذين يمثلون

طرق الملاقة مع سموكم في الحرب العظيمة الظافرة التي اشتركتم سموكم في الجهاد فيها زمناً طويلاً .

ولي الشرف أن أكون خادم سموكم الخاضع الطيع ؟

الورد كرزون أوف مدلتون

وكيل خارجية حكومة جلالة الملك

مذكرة

إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في فرساي

استدعاني فخامة رئيس الوزارة البريطانية من دمشق في خلال شهر سبتمبر لمفاوضة الدول العظمى في المسألة السورية . ولسني فخامته في لوندرة مذكرة تحتوي على تلميحات معينة في الإدارة الحالية في سورية . وقال إن نسخاً منها سلمت لندوب فرنسا وأمريكا وإيطاليا . وقد فهمت من المكاتبات والمعاملات التي تبنت ذلك أن المذكرة المشار إليها لم تسكن مبنية على اتفاق بين بريطانيا العظمى وأية دولة أخرى . وإعما هي بيان اقرار اتخذه بريطانيا العظمى لأسباب اقتصادية فيما يتعلق بإسحاب جيوشها من بعض الولايات العربية ، ويقال إن المسألة كلها اتفاق عسكري مؤقت . وليس له صفة إدارية أو سياسة ، وإعما اتحد لحظ النظم إلى اقرار النهائي الذي سيصدره مؤتمر السلام من حكومة البلاد المتفقة .

فأعنت المطرق هذه المكاتبات ، ولما كنت أراقب عن كثب الحالة العامة في اسلاد العربية منذ عقدت الهدنة مع الترك . ولا يخفى على حضراتكم أي في موقف يؤهل للحكم بأحوال بلادى . وقد وصلت إلى النتيجة الآتية :

إن تنفيذ هذا المشروع بحالف لحقوق الأمم ، وبحرف بمقوق شعى وبلادى ، وبحل بالأمن العام في الشرق كله ، وإنى واثق أن الدول العظمى ذات المصالح في الشرق يصيبه من الضرر بقدر ما لها من المصالح هناك ، وأن الدولتين لا يمكن أن تكونا عاتنين

بالمشكل التي قد تقع من تغيير الحالة الحاضرة المؤسسة منذ الاحتلال ، لأن هذا الاتفاق يعبر الإدارة المؤقتة منذ الاحتلال بلا اتخاذ تدبير مؤقت يقوم مقامه .

لما أخرجت الحكومة البريطانية عن هذا المشروع الذي يسموه (مشروطاً مقترحاً) مبنياً على معاهدة سايكس - بيكو سنة ١٩١٦ احتججت ودونت الأسباب التي دعيت إلى ذلك . فلما تحققت الحكومة البريطانية حرج الوفد فبات اقتضى بتعيين لجنة أمريكية وبريطانية وفرنسية وعربية للظفر في المسائل المتعلقة بالجللاء الآتي ، وأتأسس إدارة واحدة مؤقتة تقوم مقام الإدارة الحاضرة . فلما عرض هذا الاقتراح على الحكومة الفرنسية أخرى الورد كررن وزير خارجية بريطانيا العظمى أن المسيو كلمصور لم يستحسن هذا الاقتراح ، وأعرب عن رغبته في أن يرأى في باريس ، وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة كما هي وأخرجت نفسها على اقتراح بريطانيا إلا فيما يختص بحللاء الجيوش البريطانية في أول نوفمبر ، فالحكومتان نظرتا فقط إلى ما يختص بمصالحهما في المسألة ولم تقدر التقدير اللازم لما يكون لذلك من التأثير في الشعب السوري ، ولما كانت على مسئولية سلامة وبمحاء بلادى فقد أخرجت الحكومة الفرنسية كذلك عن الأسباب التي تمنعني عن الموافقة على هذا الاتفاق ، وأعدت عليها الاقتراح بتأليف اللجنة المختصة ، ورئيس الوزراء الفرنسية في رده على رفض قبول أى اقتراح من اقتراحاتى ، اعتقاداً منه أن المجلس الأعلى قد اتخذ قراراً في هذا الأمر . وقال إن : الجيود الفرنسية مستعدة لحفظ النظام في منطقتها ومساعدتى على ذلك في مطلقى حاسا أطلب ذلك منها . وأظن أن المسيو كلمصور يعتقد أن الحركة التي عشاها يكون منها المحرضون ، وليس انبجاءاً ذاتياً لشعور وطنى . وإني في ريب من أن المجلس الأعلى ولزأى العام في العالم للسندن أجمع يوافق على اتخاذ الوسائل لاتخاذ الحركات الوطنية للشروعة مما لا يكون من نتائجها إلسفك الدماء . وقد فهمت أن المجلس الأعلى لم يتخذ أى قرار في هذا الأمر . وأقضى أعلمه أن غاية مامعه : أنه دون هذا الاتفاق في ١٥ سبتمبر . ويظهر أن المجلس الأعلى فهم أن هذا المشروع المقترح لم تكن العاية منه سوى استبدال الجيوش ، وأنه لم يشمل أى تغيير سياسى أو إدارى في بلاد المدو المحتلة التي تدار شؤونها الآن باسم الحلفاء . من الواضح إذن أن المشروع المقترح لم يوافق عليه أولو الأمر المناط بهم ذلك ، ويجب

أن يعاد النظر والمناقشة فيه في المجلس الأعلى ، وإني أعرض فيما يأتي الأحياء الجمهورية التي قد تدفع الشعب إلى اليأس من مستقبله ، والتي أسي اعتراضى عليها على الاقتراح :

(١) يصعب على أن أهم أن المشروع عسكرى محض ، ويظهر لى أنه يحتوى على أمور اقتصادية وسياسية لا يمكن البتة فيها إلا في مؤتمر السلم ، فإن مجرد رفع السلطة العليا في لإدارة من يد واحدة ، وفسة البلاد إلى ثلاث مناطق مختلفة مرسع كل منها حكومة دون غيرها ، وكل منها تعمل على طام مختلف — هو لا ريب تحير ذو شأن . لا يمكن أن يقال به إحراء عسكرى . فإن بعض المسائل كالامتناع على السكك الحديدية ومناطق العود وغير ذلك لا تدخل في حمة الوسائل المتخذة لحفظ النظام حتى يصدر القرار النهائي في المسألة السورية من قبل مؤتمر السلم .

(٢) إنه بموجب المدير المقترح تقسم الولايات العربية إلى ثلاث مقاطعات : واحدة منها تحت الإدارة البريطانية ، والثانية تحت الإدارة الفرنسية ، والثالثة تحت الحكومة العربية . ومعنى ذلك : أن الأمة السورية التي طمنا تأقت إلى وحدة الإدارة قد تقطعت أوصالها وحمل بكل جزء منها حكومة خاصة ؛ فالضرر الناشئ عن ذلك هو حرمة فاعية على البلاد ؛ بين اندزعات بين سكان المقاطعات المختلفة التي قد تكون تحت رحمة — أو رحل — المواطنين الذين قد يشغلوا منها ، أو ازداد المراحة بين الحكام المختلفين ، فيقف ذلك في سبيل الفوائد التي تنجم من وضع البلاد تحت إدارة واحدة .

نعم إن لحزبه لدى ترك الحكومة العربية يقال : إنه ولاية عربية مستقلة ، ومع ذلك فقد وضع تحت مودين مختلفين : أحدهما بريطاني . والآخر فرنسي ، وكل مساعدة لأحد هذين الجراين يجب أن تطب من الدولة التي لها النفوذ هناك . فهل سمع في تاريخ العالم أن أمة من الأمم أمكنها الرقي في أحوال مما كسة كهذه ؟ ولا شبهة أن هذا المدير ينطع عرائم الأمة ، ويكون مدعاة لحدتها ، فترول أفتها بالخلافاء ، وتبذل جهدها في الدفاع عن وحدة البلاد . نعم إن الأمة صعبة ، ويتعذر عليها المقاومة الطويلة ، لسكها لا تنجم عن الموت في سبيل مطالبها العادلة ؛ فمن يكون مسؤولاً أمام العالم المتمدن عن مسؤولية كهذه ؟ ولا يستطيع أحد أن يقنع الأمة أنها على ضلال فيما قد وضعته نصب أعينها . وكل من

اختير الشعور القالب على الأمة لا بد من أن يعتقد بأن الأمن العام يمكن توطيده بدون إرادة العامة .

(٣) قد اقترح سحب الجيوش البريطانية على أساس لا يعترف به العرب ولا حكومة الولايات المتحدة التي أعلنت عند دخولها الحرب أنها لا تعترف بأى اتفاق سرى ، وأما أشوري هذا إلى اتفاق سايكس — بيكو المبرم سنة ١٩١٦ م الذي تصرف بالبلاد كأنها خضعة من الصباغ ، أو سلعة من السلع في رمن كان فيه تفتاها يهرعون من سورية إلى الصحراء لئلا نفوسهم في سبيل استقلالها . فإن كل عمل يكون أساسه غير معترف به في مؤتمر السلم لا يمكن تمييزه بلا مشاشة خاصة في ذلك المؤتمر .

(٤) لما احتل الحلفاء سورية أسرى القائد العام أن استدعى عمالي من السواحل ، وصرح للشعب السوري : أنه يريد احتلال البلاد وتأسيس حكومة موحدة فيها باسم الحلفاء وأن تبقى إدارته المشكلة على هذا النمط معمولاً بها إلى أن يحين الزمن الذي يوصى به مؤتمر السلم قواؤه السبئي ، وقد اعتبر السوريون هذا التصريح عهداً من العهد ، وأن لادهم تكون أمانة و ذمة القائد مياية عن الحلفاء ، وأن ذلك يكون أساساً لحكومة واحدة ، وعهد على القيام بها كما ذكر آتياً . وإنى أعتقد أنه لا يمكن تفسير القواعد الأساسية في هذا التديير قبل حلول الأجل ، أو قبل إنشاء إدارة أخرى مبنية على المبادئ عينها أما بريطانيا العظمى فإنها تعترف بهذا العهد ، ولكنها تقول : إنها لم تكن تحسب حساباً أطول الزمن إلى أن يفضى مؤتمر السلم قراره . فهل هذا التأخير واقع ذنبه على الأمة العربية السورية ، أو هل ظهر منا أقل إحلال بولاننا نستحق عليه هذا العقاب ، فقد كنا دائماً على تمام الولاء للحلفاء من اليوم الذي ترنا فيه على الترك ، وأقل ما رجوه هو القيام بوعده القائد العام .

(٥) إن ثورة المواطنين الشاملة الآن للولايات العربية وجميع الولايات الإسلامية في تركية الآسيوية التي أعظم أساساتها المداخلة الأجنبية بلا تروم تعد خافية على أحد ، وكل من له أقل إلمام بما هو جار في المقاطعة السورية لمح في أشد الاقتناع أنه لابد من وقوع المشاكل وفي أماكن متعددة إذا تدهورت الحالة الراهنة في الإدارة الحاضرة .

بإني لذلك أنزل إليكم باسم الإنسانية ، وحفظاً للسلام ، وباسم الأمة العربية وباسم

المصالح المتعددة التي لفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا في الشرق : أن لا تفتح أبواب جديدة لمشاكل أخرى قد ترى أوائها ولا يسلم أو آخرها إلا الله ، وإن حوادث إزمير وغيرها لا تزال حديثة العهد ، وأما أحشى أن يمتد الشر إلى جميع العالم الإسلامي طعن الناس أن هناك غاية معوية للسكينة الإسلام ، وألستم تفكرون أن قيام العرب زعامة والذي لذلك كانت الصخرة الأولى على سياسة التعصب الدمية . فالعرب حاربوا الترك المسلمين لأنهم كانوا طائش ، واصلوا إلى صفوف الحلفاء لاعتقادهم أنهم يحاربون دفاعاً عن الحق والعدل ولا نظر إلى الأديان ، وطالما حاربت التعصب في كل زمان ومكان مدة الحرب ، فاحتج العرب حولي من كل صوب ودين وكان اتحاداً وطنياً لادينيًا ، وعدد كبير من العاملين معي الآن في سبيل الوطن لبسوا من ديبى ، هذا كاف ليعرهن لكم مقدار أسفى إذا انحلت هذه الفكرة الوطنية ، وتحولت إلى زراع ديني بسب سوء التفهم والتدبير . ينبغي إذن أن توافقوني على قولى : إن من مصلحة الجميع حفظ السكينة التامة في الزمن القصير الباقى قبل القرار النهائي في الزعيم لإثارة الفتنة لسبب غير مقبول . وأرى أنه يجب أن تعلم الدول العظمى حطوة الموقف ليتخذ الحلفاء أصحاب المصالح وإخواننا في الحرب التدبير اللامر بالمطر في مصلحة كل حكومة على مقتضى مبادئ العدل التي اشتركت في الدفاع عنها . وأمر على طلبة : أن أعرض نفسي بياناً وإيضاحاً عن قضيتي التي تهتم بلادى أكثر من سواها ، لأن نتائج كل عمل يقام به ، تقع على وعلى بلادى ، سواء كان ذلك شراً أو خيراً .

التوقيع ، (فيصل)

قرار

إشغال كليسيا وسورية العسكرية

لقد قبل موسيو كلصو باسم الحكومة الفرنسية اقتراحات موسيو لويد جورج بملاحه الجيش البريطاني عن سورية وكليسيا ، واستبدال هذه القوى بمجنود فرنسية في كليسيا ، وفي غرب خط سابكس — بيكوفى سورية . ومن المفهوم الصريح : أن الحكومة الفرنسية بقبولها هذه الاقتراحات لم تتعهد بقبول أى قسم آخر من الاتفاقات المقترحة في مذكرة لويد جورج

الزورخة في ١٣ أيلول سنة ١٩١٩ والتعلقة باحتلال سورية وفلسطين والعراق لجبا يصدر
القرار بقضية الانتداب .

فال مؤتمر دون هذا الاتفاق النوء صه بصفة اعماق مؤقت لاعير ، تسوية الاحتلال
المسكرى فقط . وهو لا يؤثر على حل قضايا الانتداب والحدود التي يجب رؤيتها بصفتها
جزءاً من قضية الصلح العامة مع تركيا

صورة البرقية المرسلة إلى جلالة الملك حسين في مكة

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

الحكومة الفرنسية رفضت اقتراحي باسم جلاتكم بشأن سورية ، مع أن إنجلترا
قبله . وهي مصرة على إشغال أتمام مهمة من مقاطعات دمشق وحلب تمسكا بمذكرة لويد
جورج التي قدمها للمؤتمر في أيلول . وأخبرت جلاتكم عنها . ولما كان هذا مغلا بالمقوق
والعهد بين بريطانيا وجلاتكم عزمتم على تبليغ الدول بأن جيشكم في سورية سيقاوم
كل تمأوز يخل بمحدود المناطق الحاضرة . وإلى حررت لحكومة بريطانيا اليوم أؤكد
لها عظيم ثقتي بإخلاصها ، وأذكرها بعهودها لجلاتكم في ٢٤ أكتوبر . أننا لا نريد إلا
أن نكون على وفاق تام مع حليفنا الأول بريطانيا ، التي هي سند محاسنا ، ومع سائر الحلفاء ،
ومرنا أيضاً بإداريت ماقتراحي الأخير الذي لاحتياة بدونه الآن . وهو إبقاء الحدود
الحاضرة كما هي ، وتأليف لجنة تحفظ وحدة الإدارة بين المناطق الثلاث ، حتى قرار
المؤتمر النهائي ؟

* * *

الموضوع : احتجاج على الاحتلال البقاع

من : سمو الأمير فيصل المعظم

إلى : رئيس وزارة مرنا السيوكليمهوه

التاريخ : ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

(النص)

غداة الوزير :

أخبرني السيوفورود اليوم شيئاً ، الساعة الثالثة بعد الظهر : أنه على إثر حادثة صايط الارتباط المرسى ، ورحل جاويش ، بتاريخ ١٤ ديسمبر ، شت الجنود الإفريقية في اليوم الثاني للحادثة نحو بعلبك ، بحجة تأمين النظام والأمن . وامرني إن هذا القرار الذي اتخذته المجال عورو دون أن يدع للحكومة دمشق فرصة لأتخذ التدابير اللازمة بهذا الشأن مما يحارب الاتفاق المفقود بيننا ، والذي ينطق صراحة بأن القوة الموجودة في تلك الجهات إذا كانت غير كافية يؤتي بالمدد من دمشق ، تأميناً للنظام ، وإعادة الأمن الذي نبال عنه الحكومة العربية دون سواها . إنى وثق بأن الحكومة الإفريقية لا يمكنها أن ترضى عن مثل هذا العمل الذي يفاقم علناً نص اعاقلها ، وإنى لا أشك أبداً أن الحكومة الإفريقية لا بد أن تعمل بما يوحى إليها شرف تعهدها . وأن تصدر الأوامر اللازمة للجبرال غورو ليحلب هذه الجنود من الأماكن المحتلة حلاًقاً لاتفاقنا السابق ، وحباً بالمحافظة على مواده . ومع أنى أرجو أن تظننوني من هذا الأمر ، على الشرف أن أقدم لخصائصكم اتفاق تحياني .

العلمي

فيصل

صورة كتاب

من السيوفورود إلى سمو الأمير فيصل

باريس — بلاتاريخ

أخذ يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

مولاي .

أريد أولاً أن أبين لكم السرور الذي خامر رئيس مجلس الوزارة عند ما أخذ علماً

بالاتفاق الذي أوصلتنا إليه روح التكاف ، المتبادل بشأن المحبة المكرية التي ينبغي أن تفصل في الاختلافات التي قد تحدث بين مناطق الاحتلال المختلفة ، وشأن الوقت الموقت في البقاع . أما من حيث هذه النقطة الأخيرة : فإن اعتبر أن الصراحة التامة التي ينبغي أن تكون رائد محادثاتنا تقتضي أن يكون معلوماً فيما بيننا : أنه مقابلة لرغبة شعبية أظهرتموها ، واحتراماً لمواطنكم الودية الخاصة التي أبدتتموها ، تنازلت الحكومة الفرنسية مؤقتاً عن حقها الذي صادف عليه المؤتمر بخصوص احتلال أراضي البقاع بمخود فرسوية .

وإذا لم يؤكد هذا الاتفاق الموقت الذي وصلنا إليه باتفاق مرمض وقاطع إلى ثلاثة أشهر . فليكن معلوماً أن الفريقين يتألفان حرية العمل . ومع هذا فإن لا أشك في أن روح الائتلاف التي بشر بها الفريقان لا تسمح لهذا الاتفاق القاطع إلا أن يرم نكير منافع الجميع قبل انتهاء هذه الدقة .

وأرجو أن تمتدوا يا مولاي بشعائر الاحترام العالي ، والعاطفة الحبية التي أدبنا بها لسوكم اللسكى ؟

برنلو

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيو برنلو مدير الأمور السياسية العام

في مظارة الخارجية الفرنسية — باريس ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٩

عزيزي حضرة المدير .

أنشرف بإبلاغكم عليه نص الرقعة التي أرفع إرسالها إلى الأمير زيد ، وفقاً لمنطوق اتفاقنا .

وإني أشكركم على المساعي التي بذلتموها في سبيل الوصول إلى ائتلاف صميم بين فرنسا وسوريا . وفي هذا الصدد لا يسعني إلا أن أرجوكم بأن تفضلوا وتمخروا حضرة رئيس مجلس الوزارة باعتراقي بحميلة لقبوله اقتراحاتي بخصوص قضية الاستبدال .

وإنك يا عزيزي المدير لا تشك بأنني سعيد لمحكى بفضل معاودتكم الناجمة من

الوصول لهذا الائتلاف الأول ، الذى أوصل أن ينجمه فى القريب العاجل ائتلاف أهم ، ومع
أعظم لخير الجميع . وإن لم أرل مد وصولى إلى باريس أصر — كما هو معلوم لديكم — على
هذه النقطة . وهى أن تصدى كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التى مع
قوى ما يصون للشعب السورى سيده الوطنية ستمنح لبلاد — بطاب منى — معونتها المالية
ومستشارين . فهد التعاون الودى مع الحكومة الوطنية المؤسسة من قبل الأمايين
وتتبل بإحصرة الرئيس بيان احترامى العالى

فيصل

صورة البرقية

المرسلة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩

إلى سمو الأمير زيد فى دمشق

أحبركم بكل ارتياح وسرور أن الحكومة الفرنسية قبالت بتأليف اللجنة التى طلبتها
والتي ستكون مؤلفة من فرسى وإجليرى وعربى لأجل تسوية المشاكل التى قد تحدث
بين المناطق ، وإتمام لتطمين أهلى سورية بأن الاتفاق الأخير هو عكرى محض ومؤقت ،
فالحدود الفرنسية لا تعمل البقع ، ولا محلا آخر من منطقنا الحاضرة ، والجنود العربية
سوف تنسحب من المناطق دليلا على ثقنا المتبادلة . ويبقى الدرك العربى هناك مكلماً
بمحظ الطام والأمن تحت أوامر القامقام . وعند اللزوم يؤتى بممرات دركية من دمشق ،
هذا إذا كانت القوى الموجودة غير كافية .

وسيمهد إلى هيئة مؤلفة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب معاً أن تلاحظ
الاتفاق حسن تنفيذ وطائف الشرطة والدرك فى تلك الجهة ، وترفع تقريرها إلى القامقام .
المفاوضات جارية مع الحكومة الفرنسية بإحلاص وثقة متبادلة . فليطمئن الأهليون
وليهدأ بالهم . وقد لفت الحكومة الفرنسية هذا الاتفاق إلى الجنرال غورو

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى الميسور برتلو مدير الأمور السياسية العام

في نظارة الخارجية الفرنسية

باريس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

نشرت بإعرائي اسمك في كتابي الأخير بتاريخ ٢٦ الجاري من امتاني وشكري على الاتفاق الذي مكنتنا — بفصل وساطتكم السديدة — من حل المشكلة التي نعتت من انسحاب الجيش البريطاني . وقد بعثت إليكم بصورة الرقبة المحتوية على التظلمات التي أرسلتها لأخي زيد واقترحت بمواقفتكم .

وإني بهذه المناسبة أسمح لنفسى بتذكيركم بأن البرقيات التي أرسلت إلى سورية لم يرد فيها مائة سحب للفرزة للدفعية الفرنسية التي يجب أن تسحب مع الجيوش البريطانية من دمشق في وقت واحد .

وعلى كل أكون شاكراً إذا بلغت الجنرال غورو معتمد الجمهورية العالي كي يأمر بتنفيذ هذا الانسحاب .

إن هذا كله هو في الحقيقة قال خير ، يؤملني بأن الائتلاف الذي ألهم إليهِ في برقيتكم للرسل إلى الجنرال غورو ، وإن لم تتعرض له حتى الآن ، فإنه لا يلبث أن يتجلى بفضل مذاكرات تؤدي بنا إلى اتفاق مبنى على منافعنا المشتركة .

وتفضلوا بحضرة المدير بقبول فائق احترامى ؟

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير فيصل إلى السجور برتلو

باريس في ٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

حضرة المدير العام .

إني الشرف أن أقدم لكم على هذا الكتاب برقية لأخى الأمير زيد . فأرجوكم أنه تطلقوا بإرسالها إلى الشام . وأن توصوا بإبلاغى جوابها سرياً .

وإني مع الانتظار أكون لكم شاكرًا إذا تفضلتم بإعطائى ما لديكم من المعلومات التى تهمنى بشأن الحالة الحاضرة فى سورية .

وتفضلوا بإحضرة المدير العام بقبول فائق احترامى ؟

فيصل

صورة البرقية

الأمير زيد — دمشق .

إن خبر إبعاد الجنرال المشائى استوجب عظيم استغرابى . انتظر بكل سرعة المعلومات القصصة ؟

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيوككنصو

باريس في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

ياحضرة الرئيس :

لازال تحت حسن تأثير الاستقبال الجليل الذى تطلقتم به على ، وإنى أحسب من أعز واجباتى أن أشكركم على ذلك .

وقد وافقت - امتثالاً لرغبة حضرتكم - على تأخير سمرى إلى أن يعود الملبو رتلو، وذلك أملاً أن يحل في هذه البرهة مسألة حدود لبنان. وإن كنت سعيداً جداً للحسنى من أن أقدم في هذه المناسبة دليلاً جديداً على رغبتي القوية في الوصول إلى اتفاق حقيقى .
ولاشك أن المصطفى والأهالي الذين أظهر نفعها لى، مثلى جسارة على أن أعرض بكل إخلاص على سعادتكم ما يحسرى من التفرق الذى لم تكن وصية الجبال غورو فى البقاع إلا لتريد شدة، ودرعاً من محاذرتى فى إضاعة وقتكم والتين فانى لا أرى مدوحة عن أن أخلص لخصرتكم الموقف المحاصر كما هو :

إنه من مقتضى الاتفاق الذى عقدناه فى الخامس والمشرين من الشهر المصهرم أن « لا تحتل الجنود الفرنسية البقاع ، وأن تنسحب مع الجنود المربية . ولا يبقى محتلاً وخاصة فى طليق وحاصيا وراشيا ، إلا الدرك التابع لأوامر القنصلين ، وستواف بعثة تفتيشية من ثلاثة صباط عرب وثلاثة ضباط فرنسيين يرسلون معاً إلى تلك التواحي كى يلاحظوا بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الدرك والشرطة المستوائين عن الأمن . وإذا وجد صباط العرب والفرنسيون قوة الدرك الموجودة هناك غير كافية فتتدر تخطت دركية أخرى يؤتى بها من دمشق »

فهل التذاور الذى وقع على الصباط الفرنسى وجاوبه يبرر الإحلال هذا الامتق ويحير الفرار الذى اتخذ الجبال غورو؟ خصوصاً أن السلطة المحلية هى المشولة وحدها عن إرجاع الأمن ، وأن حلب القرى من دمشق عند الضرورة منصوب مع فى الاتفاق .
لذلك فانى أرى من واجبى أن أصر على لزوم الاحباط بهذا الاتفاق الذى هو أول اتفاق عند بيتنا ليكون له وقع حسن فى نفوس الأهلى ، وبإسهل لى القيام بهدى ، ويريد فى الثقة المتبادلة بيننا ، اللازمة لتندية مناسباتنا المستقبلة

وقبل أن نظرفى فصل مسألة حدود لبنان التى نصل الآن على حلها ، فإن حصرتكم إذا أعطينتم أسراً سحب الجنود من الحالات التى احتلتها خلافا لاتفاقنا نكون قد أظهرتم دليلاً جديداً على اهتمامكم العالى بنجاح مذكرتنا ، وخففت بذلك على عبئنا أثقلا .
وأرجو بأن يجد طليق هذا قبولاً حسناً لدى سعادتكم . فانى أرحوكم أن تفضلوا بقول فائق شامتر احترامانى الخالصة

مشروع المعاهدة الهاشمية — الانكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الهاشمي بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها ، حامى حتى ولد الله لأمين ، ومدينة هذه سيد المرسلين ، وحلالة ملك البلاد المتحدة بريطانيا العظمى وإيرلند والأملاك البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند ، بالإحالة عن نفسها ، وبالبناء عن وراثتها وحضانتها — مدفوعين بالرغبة الخاصة لتوطيد وتقوية عرى الصداقة والولاء المؤسسة بين بلادها أثناء الحرب التي اتسمتها معاً على الدول الجرمانية وتركيا ، ومحولين أيضاً رغبة تمكين مصالحهما وتأييد السلام الدائم والاتحاد بين الشعوب العربية .

ولما كان صاحب الجلالة الهاشمية قد سمي وعين صاحب السمو الملكي الأمير زيد وحضرة صاحب الإقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية جلالة الهاشمية مفوضين من قبل جلالتهم لقصد معاهدة مع صاحب الجلالة البريطانية للوصول إلى هذه الأغراض .

ولما كانت صاحب الجلالة البريطانية قد سمي وعين جناب الميجر و ١. مرشال M.E.R.A.M.C. معتمد وقصل جلالتهم بمدة مفوضاً من قبل جلالتهم لقصد معاهدة للوصول إلى هذه الأغراض مع صاحب الجلالة الملك حسين .

فد اتفق صاحب السمو الملكي الأمير زيد والشيخ فؤاد الخطيب و جناب الميجر مارشال على المواد الآتية وتمتدوا عليها :

المادة الأولى — سيكون السلام والمودة دائماً بين صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية ووراثتهما وخلفائهما . وقد اتفق كل من الفريقين الماليين المتعاقدين على احتمال جميع الوسائل التي تتيحها قوانينه لمنع استعمال بلاده كقاعدة لحركات موجبة ضد مصالح الآخر الحامية أو المستفيدة وقد وعدوا بذلك .

المادة الثانية — تعهد الحكومة البريطانية العالية بأن تستعمل نفوذها في المساعدة على تسوية أى خلاف على الحدود يحدث بين صاحب الجلالة الملك حسين وأحد جيرانه

الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وسيكون صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين حراً في كل الأوقات أن يطلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية في حالة حدوث مثل هذا الخلاف .

المادة الثالثة — تتعهد الحكومة البريطانية العلية بأن تمنع جميع الوسائل السلبية التي تسبب لها — وخصوصاً بإتلاف الإعانات من أي نوع كان — كل تمدد على بلاد صاحب الجلالة الهاشمية من القاطعات المحاذرة التي بينها وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة .

المادة الرابعة — قد ملئت جلالة الملك حسين المعاهدات المعمول بها الآن بين الحكومة البريطانية العلية والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود بمقتضى هذا جلالة الملك حسين بالمعاهدات المذكورة الوحيدة الآن بين الحكومة البريطانية العلية والسيد محمد بن علي الإدريسي ، وكذا بين الحكومة البريطانية العلية والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود . ويتعهد جلالاته بأن يمنع عن الإتيان بأي عمل يعرقل — أو يمكن أن يعرقل — تنفيذ هذه المعاهدات السككية بواسطة الطرفين المتعاقدين .

المادة الخامسة — يتعهد جلالة الملك حسين بأن يحافظ بكل ما في وسعه وقوته على السلام والصلات الودية مع جيران جلالاته الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وأن يمنع عن التمدي بدون موجب فعلاً أو شكلاً على هذه البلدان المحاذرة ، وأن يعارض ويمنع بقدر استطاعته أي مؤامرة أو دسيسة داخل بلاد جلالاته الهاشمية تكون موجهة ضد هذه البلدان أو ضد مصالح حكامها .

المادة السادسة — في السائل الهامة التي تحدث بين حكومة صاحب الجلالة الهاشمية والقاطعات المحاذرة يكون لصاحب الجلالة الملك حسين الخيار في طلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية كما ذكر في المادة الثانية .

المادة السابعة — اتفق وتواعد كل من الفريقين المتعاقدين العالين على قبول ممتد الآخر والاعتراف به ، فيحوز جلالة الملك حسين أن يعين ممتدلاً للحكومة العربية الهاشمية

في لندن ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين مستمداً بريطانياً يقيم في جدة ، أو أى مدينة أخرى على ساحل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية . ولا يعين صاحب الجلالة البريطانية مستمداً بريطانياً بمكة المكرمة والمدينة المنورة احتراماً لصفتهما المقدّسة .

وكذا سيكون لخلافة الملك حسين إذا أراد ذلك أن يعين وكيلًا قنصلياً في إنجلترا والنظر المصري والمند ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين وكيلًا قنصلياً في حدة وفي موانى أخرى لصاحب الجلالة الهاشمية التى تراها الحكومة البريطانية من آن لآخر مناسبة وسبب مع هؤلاء المندوبين والوكلاء القنصليين بالامتيازات السياسية والقنصلية المعتادة .

المادة السابعة — يمتد هذا جلالته الملك حسين بالاحتياطيات المؤقتة للمكورتينا التى اتخذتها الحكومة البريطانية العالية فى القرار ، كما تقتضيه شروط الاحتياطيات الطيبة المسنونة فى العقد الدولى الصحى لعام ١٩١٢ أو أى عقد صحى آخر يكون مقيداً للحكومة المذكورة :

ومن جهة أخرى فإن بريطانيا توافق على الاعتراف بالاحتياطيات التكميلية التى يلزم اتخاذها فى حدة ، وفي موانى أخرى من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ، تطبيقاً لنصوص الطيبة الواردة فى الاتفاق أو الاتفاقيات المذكورة ، وذلك بمقتضى لوائح يصدرها جلالته الملك حسين .

المادة الثامنة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن لا تتدخل بأى حال من الأحوال فى الإجراءات التى يتخذها جلالته الملك حسين لراحة الحجاج والاعتناء بهم داخل بلاد حلالته الهاشمية ، مع مراعاة ما جاء فى المادة العاشرة .

وتتعهد جلالته الملك حسين من جهته بأن يساعد كل مجهود بهذه الرعايا البريطانيين المسلمين ، والأشخاص أو الجمعيات المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية للاشتراك فى سبل رفاهية الحجاج فى الحجاز ، وصحتهم وتمويهم ، كما يفعل جلالاته فيما يخص يعين زبيدة .

المادة التاسعة — قد اتفق كل من الفريقين العالين المتماثلين على أن يحدد مبلغ معين على كل حاج بصمة رسوم ، وأن يعين مقداره لغاية أول يوم من جمادى الأولى من

كل سنة ، وذلك للاحتياطات الصحية التي يتخذها كل منها . وستكون هذه الرسوم شاملة لاصروفات جميع الاحتياطات الصحية لحين يوم رول الحجاج إلى البر . وتكون داخلة في ثمن تذكرة السفر التي تصرف من شركات الملاحة الحفافة .
ويسئول الملك حسين على الرسوم المفروضة للاحتياطات التي تتخذ في مواضع جلالة الهاشمية ، والتي تستولى الحكومة البريطانية المالية على الرسوم المفروضة للاحتياطات التي تتخذ في القصران .

المادة العاشرة — وافقت الحكومة البريطانية المالية على أن تعترف بالتمتيع الهاشمية لجميع رعيا جلالة الملك حسين الذين يوجدون في أي وقت كان داخل بلاد صاحب جلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، أو الوصاية تحت الاندلس البريطاني شرطاً أن يكون هؤلاء الرعايا الهاشميون حائرين على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين تثبت القابلية الهاشمية لحاملها .

ووافق جلالة الملك حسين من جهته على أن يعترف بالتمتيع البريطانية لجميع رعيا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب جلالة البريطانية الذين يوجدون في أي وقت داخل بلاد صاحب جلالة الهاشمية . مادامت أسماء هؤلاء البريطانيين — أو الأشخاص المشمولين بحماية بريطانيا العظمى — مسجلة في قنصلية بريطانية في البلاد الهاشمية

ومع ذلك فإن أحكام هذه المادة لا تنسرى على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب جلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب جلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من المواضع التي يمكن أن يمين صاحب جلالة البريطانية وكلاء قنصلها فيها .

المادة الحادية عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تمتلك الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المتمتعين بحماية صاحب جلالة البريطانية تسلم في حالة موتهم في بلاد صاحب جلالة الهاشمية إلى المثل البريطاني فيها ، أو إلى أي سلطة يمينها لهذا الغرض ليتصرف حسب القوانين التي تنطبق على الحالة . ويراعى ممثل بريطانيا في البلاد المذكورة أن الرسوم والصرائب الواجبة على تلك الممتلكات تغطي ائتمانات الهاشمية تسدد في حينها

المادة الثانية عشرة — وافق بهذا صاحب الجلالة الملك حسين على أنه في جميع القضايا التي تنشأ في البلاد الهاشمية ، ويكون أحد الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية مدعياً فيها أو مدعى عليه يحضر ممثل قنصل بريطاني في المحاكم الهاشمية أثناء سماع القضايا ، وفي الأحوال التي يظهر فيها التمسك البريطاني ورغبته في إحراء محادثات سياسية مع صاحب الجلالة الهاشمية ، فلا تذاع الأحكام . ولا تنفذ خلال مدة المحادثات المذكورة ، ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين ، أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية ، الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قنصلياً فيها .

المادة الثالثة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يأمر بتسليم الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية المقصود عيده باسم من الحكومة الهاشمية إلى السلطة القنصلية البريطانية في الأحوال التي تنص فيها السلطة المذكورة استحضارهم متى طلبتهم منها الحكومة الهاشمية .

ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قنصلياً فيها .

المادة الرابعة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تنظر السلطة القنصلية البريطانية في القضايا التي تقع بين الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية ، وإنشأ لا تنس مصالح الرعايا الهاشبيين .

ولا تسرى أحكام هذه المادة في الأحوال التي يرغب فيها التبريق المتقاضيان أن يرادما القضية إلى المحاكم الهاشمية ، كالتنصوص في المادة الثانية عشرة ، وكذا لا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في البلاد الهاشمية خارج جدة أو الموانئ التي يمكن أن يعين فيها صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قنصلياً .

المادة الخامسة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يشعر المعتد البريطاني في جميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى أحد الرعايا البريطانيين — أو شخص منتم بحماية صاحب الجلالة البريطانية — من بلاد جلالة الهاشمية ، وأن المعتد البريطاني يكون مسئولاً عن نقل الشخص المعين في مدة معقولة .

المادة السادسة عشرة — وافق صاحب الجلالة البريطانية على أن يتدخل في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية عن جميع الامتيازات والاستثناءات التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون ، أو الأشخاص مشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية بمنحفي الامتيازات الأجنبية بين بريطانيا العظمى والحكومة الهاشمية ، لا ما ذكر في هذه المادة .

المادة السابعة عشرة — يتترف جلالة الملك حسين بموجب صاحب الجلالة البريطانية الخصوصي في العراق وفلسطين . ويعتهد أنه في المسائل الواهمة تحت مود جلالة الهاشمية في تلك البلاد يفرع استطاعه لمساعدة صاحب الجلالة البريطانية

المادة الثامنة عشرة — ثبت لهذا الحكومة البريطانية العلامة اعترفي بمصاحب الجلالة الهاشمية ، شرطاً أن المراكب غير مراكب الحكومة الهاشمية التي ترجم العالم المذكور تكون مجهزة في حدة أو يسع أوفى أي ميماء محدد معلوم من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية وأن تكون حائزة على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين وتطلق بصفة عامة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الممالك البحرية لرئيسية لمراكبها .

وبنت جلالة الملك حسين من جهته بهذا اعترفيه ، بالأعلام التي ترجمها المراكب التجارية القائمة لأي قسم من أملاك صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد الشولة بالحماية البريطانية ، أو الواقعة تحت الانداب البريطاني ، شرط أن المراكب التي ترجم هذه الأعلام تكون حائزة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الدول البحرية الرئيسية إلى مراكبها .

المادة التاسعة عشرة — يصرح بهذا كل من الفريقين المتناظرين أنه أثناء مدة هذه المعاهدة لا بدخل في أية معاهدة أو تفق أو انعام مع فريق ثالث يكون المرض منه موجباً ضد مصالح الفريق الآخر المتناظر الذي .

المادة العشرون — لا يخلب أى شرط من الشروط الواردة في هذه المعاهدة على أى قيود تكون قيدت بها ، أو ستقيد في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين الماليين بأحكام عهد عصبة الأمم ، أو نأى عهد آخر يكون لمصبة الأمم أن تتخذ ويدخل فيه أحد الفريقين .

المادة الحادية والعشرون — يعمل بهذه المعاهدة من تاريخ التوقيع عليها . وتبقى نافذة المفعول مدة سبع سنوات من ذلك التاريخ . وإذا لم يجر أحد الفريقين الماليين المتعاقدين الآخر قبل مضي السبع السوات المذكورة بسنة شهر صرمه على فسخ المعاهدة فيستمر معمولاً بها لحين مضي ستة شهور من اليوم الذى يرسل فيه أحد الفريقين الماليين المتعاقدين إعلاناً كذا .

حررت هذه المعاهدة الحاية بالعنتين العربية والإنجليزية ، وستحفظ صورة من كل منهما في سجلات الحكومة الهاشمية . وأيضاً صورة من كل منهما في سجلات حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وقد وقع عليها بمحمة المفوضون المذكورون بماليه في اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد وعشرين ميلادية الموافق ليوم التاسع عشر من شهر صرمه سنة ألف وثلاثمائة وأربعين من التاريخ الهجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

بمحمّد الله وتوبيقه :

نحن الحسين بن على الدهش نأفواحه العرب ، مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها ، حامى حمى «بسم الله الأمين ومدينة حده سيد المرسلين ، سدى السلام على من يقرأ هذه الوثيقة . لما كان قد عقدت معاهدة بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى تشمل على إحدى وعشرين مادة . ووقع عليها في مدينة حدة في اليوم التاسع عشر من شهر صفر عام ألف وثلاثمائة وأربعين هجرى الموافق ليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرين ميلادى حصرة صاحب السمو الملكى الأمير زيد وحصرة صاحب الإنبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل الخارجية القذا خولناهما الإذن بذلك .

ومن بعد إيمان النظر فيها تؤكد التوقيع عليها بالأصالة عن أنفسنا وبالإيابة عن وراثتنا ، ونعد أننا سنفرى بكل إخلاص وأمانة الأمور للدولة في تلك المعاهدة ، وأتينا

لا تتحمل أن ينقضها أحد أو يتعدى عليها بأي حال من الأحوال مادام ذلك في مصلحتنا .
وزكية لجميع ذلك وتأكيذاً لقانونيته ، قد أسرنا بإعطاء هذه الوثيقة بحسبنا ووفقاً عليها
ببينا للملكية .

حرر في ديوان الملك في جدة في اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة
وأربعين هـ . الموافق لليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد
وعشرين ميلادية .

نمرة ١٥٢١ م — ١٥

الوكالة البريطانية .

سري .

جدة في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ م

إلى صاحب السعادة الشيخ فؤاد الخطيب وزير الخارجية بمكة .

سيدى :

أتشرف بأن أرسل لكم على هذا نسخة عربية من الماهدة كما حضرناها نحن ، ونسخة
إنجليزية من كتابكم إلى الكولونيل ت . ا . لورنس حسب طلبكم .

ولي الشرف أن أكون ياسيدى خادمكم للطبع .

و . ا . مارشال

وكيل بريطانيا وقصاها

من وزير الخارجية بمكة .

إلى الكولونيل ت . ا . لورنس .

أتشرف بأن أرسل لكم للاطلاع نسخة من محاضر المناقشات التي جرت بين الأمير

على : نائباً عن الملك حسين وبينكم في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢١ م

نجد :

أقام الأمير على البرهان على أن رانية وخرمة وتربة وبيشة وما حولها تابعة لمقاطعة

الحجاز ، فتقل الكولونيل لورس هذه الحجج ، ووافق على عرضها على وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات لإرسالها لان سمود لإبداء ملاحظاته ، وإذا سلم صحة هذه الحجج لإعلاؤه أن هذه الأما كن كانت نائمة وتنم الآن للحجاز ، وأنه إذا كان لا يزال له مثلها هناك فبمسحهم ، وبعد ذلك فأى السكان أبى الطاعة للحكومة الهندية فيعامل ككافر ، وإذا رفض ان سمود أن يقل هذه الحجج فالحكومة البريطانية تلجأ رده لذلك حين ليمدى ملاحظاته عما يرى انمودة من المخطط

اليمين :

أما الكولونيل لورس الموقف الحالي في اليمن وشاطئ البحر الأحمر بين عدن والحجاز ، والظروف التي احتل فيها السيد الإدريسي المدينة وأن احتلاله المدينة مؤقت كوصى على حقوق الخلد ، إلى أن يقرر مصيرها لأخير بماهدة الصانع مع تركيا ، وأن الحكومة البريطانية تكون سميده أن ترى حداً مشتركاً بين الحجاز واليمن بالطرق الدبلوماسية ، وقال الأمير على : إنه يعتقد أن هذه النتيجة تم متى احتلت الحكومة العربية الهاشمية ثانية : حرمة ورائية ويثقة .

وأوضح الكولونيل لورس أن بريطانيا العظمى لم تعترف ولن تعترف الآن بأى سيادة في عسير ، وايسرت مرتبطة بأى شيء يحدد حريتها في هذا الصدد سوى مادة واحدة في الماهدة مع السيد الإدريسي ، تفرع على كل أرض أخذها من الأتراك في أثناء الحرب وقال الأمير على . إن هذا التأخير سيعطى الحكومة العربية الهاشمية الفرصة لمد نفوذها جنوباً بالطرق السلمية .

بلاد العرب :

وقال الأمير على : إنه ليس هناك مسائل متعلقة بشاطئ بلاد العرب من عدن إلى أعلى الخليج الفارسي ، لأن معظم هذه الأما كن تشملها معاهدات عقدت مع حليفته بريطانيا العظمى تضمن لها استقلالها .

فلسطين :

أثار الأمير على مسألة أهالي فلسطين العرب ، فأجاب الكولونيل لورنس بأن الوفد الإسلامي المسيحي يناقش في هذه اللحظة مع الحكومة البريطانية في صيرهم السياسي ، وأنه لا يمكن أن يعمل أي تصريح عن فلسطين إلى أن تظهر نتيجة هذه المناقشات . فإذا حصل الوفد على حل سرس لم فلا تبقى مسئولية على الملك حسين ، فوافق الأمير على ذلك ، وقال : وإذا أحقق الوفد فذلك حسين يستأنف الدفاع عن مطالب العرب القومية في تلك البلاد . لأن أهالي فلسطين طلبوا منه المساعدة ، ومبدأه هو تأييد رغبات الأهالي بصرف النظر عن الأشخاص .

ابن رشيد :

قال الأمير على : إن أمير جبل شمر الجديد — محمد بن رشيد — قد دخل في علاقات ودية مع الحكومة الهاشمية . فأشار عليه الكولونيل لورنس بأنه إذا كان قد حصل اعتراف أو اتفاق رسمي فيجب على الحكومة العربية الهاشمية أن تبلي الدول مباشرة .

الوحدة :

قال الكولونيل لورنس : إن الحكومة البريطانية ترحب بأي خطوات يتخذها العرب لتوحيد البلاد العربية ، ولكن يجب أن يكون التقايم بهذه المسألة هم العرب أنفسهم . أكد الأمير على أهمية عقد معاهدة تسليم المجرمين بين الحكومة العربية الهاشمية وابن سعود بمجرد تقرير حدودها .

العلاقات النجدية - الحجازية

نمرة ٢٣٤ م - ١/٧/١١

جدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعلم أبده الله

بعد أداء فاتق التحية وعظيم التوقير ، فقد وصلى يامولاي حطاب حلالكم بكرة ٧٤ رقم ٨ رجب سنة ١٣٤١ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٣ ، ووردت إلى أيضاً مكانة وكيل الخارجية وضمنها البرقية المرسلة إلى اعتناكم من قبل أمير جيبنة . وها أنا ذا أبلغكم بحوى الاثنين للجهات الاختصاصية . وإني أشكر حلالكم على تفعلكم بإفادتي عما وقع وعما تخشون أن يقع في المستقبل . وأما عن أولئك الذين كانوا يمتدون على بل ، فألحدقه على ما رجعوا مقهورين حاسرين ، ولكن اندري يامولاي إن قلت : إن ذلك ليس سداً بريطانياً ، كما يصفه وكيل الخارجية إن بريطانيا العظمى لا ترجح من أي اعتداء في شبه الجزيرة ولكن بالعكس ، وإني من مصالح بريطانيا العظمى أن يسود السلام في جميع بقاعها ، وأن نلتزم تلك المراكز التي فرقها الدراع في الوقت الحاضر بفضل العلاقات الودية . وإني لا يحق على جلالكم مقدار شدة الاهتمام ورغبة حكومة جلالة الملك بأن ترى أن مسائل الخلاف فيما بين حلالكم ومحمد قد انحلت ، وأن صحيفة جديدة في التاريخ العربي قد ابتدأت ، فهل تمى ذلك شيء سخيف ، أو غير مرغوب فيه ، أو هل من المستحيل إنجازها ؟

إن هناك بعض أشخاص يفتكرون أن مصالح شبه الجزيرة وسلامها وحيرها أهم بكثير جداً من هذا الشرط أو ذلك الشرط ، وإن أولئك الذين يشكرون ذلك لا يسهم إلا لتأسف عند ما يرون أن الآمال من المفاوضات والمباحثات التي قد تنشأ منها قائمة عمية نهائية تتعطل دائماً عند عقبة الشروط . وتذكرون حلالكم ما قيل وكتب حينما أعطى لحاجهم امتياز زيارة مكة في العام الماضي . وإني لا أريد أن أدهي أن ليس لجلالكم الحرية في التمسك بالرأي بأن إبقاء الشروط التي تضعونها أهم بكثير من أي شيء ينتج من المفاوضات بين الحجاز ومحمد ، بل إن لجلالكم الحرية التامة في التمسك بهذا الرأي

أو استنكار القليم بعيره ، إلا أن جلالكم تصعون ثقة في نتيجة البحث مع ابن سعود في مصالح شبه الجزيرة وحدود البلاد وخلافه ، وأن تضعوا ثقة في عدالة الحكم الذي إن احتاج الأمر إليه . فإن حكومة جلالة الملك يكون لها السرور والفرح بإيفاده ، وأن تكون هذه المباحثات أو هذا الحكم العرفي بسيطة ومباشرة . وايت موافقة على الإصرار بإجراء هذا الشيء . أو ذلك أولاً ، ومحيث أن يتقدم سلام وغير الجزيرة على كل اعتبار آخر . وهل في ذلك عدم إيقاع بالكرامة أو حق ؟ أو هل هو عرصة انذابات للأعداء ؟ أما عن الأولى والثانية فلا ، وأما عن الثالثة فتم . ولكن جميع الأعمال العطية عرصة لتأويلات ، وإنى لأعتقد أن عملاً كهذا من جلالكم يكون له أعظم شأن وأجل وأدع مكالمة من أعظم الأعمال العربية في الحرب ونفضلوا يا مولاي بقول حالم اسقراي وعظيم اشواقى ؟

نائب معتمد وقنصل بريطانيا

وكمل قنصل

جرفى سميت

العلاقات النجدية — الحجازية

نمرة ٥٤٧ م — ٢/٢

(مستجبل)

جدة في ٧ يونيو سنة ١٩٢٣ م

حضرة صاحب الاتيال وكيل الخارجية بمكة المحترم .

سلاماً واحتراماً . وبعد ، أشرف بأن أخبركم بوصول تافراقكم نمرة ٦٧ الذي وصلى لية أمس عن موضوع حجاج نهد . إن هذه المسألة المهمة كانت موضوع خطاب المير مارشال نمرة ٨٤ بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ م الذي به قد تلبتم إقبالكم بأنه خارج عن الموضوع . إن حكومة جلالة الملك تضغط بأى كيفية على ابن سعود لتخفيض عدد الحجاج البعدين حتى إلى سنة أخرى . فكم سنة الآن منمت أهالى نجد من أداء هذه الفريضة المقدسة بناء على الطلب الشخصي من صاحب الجلالة الهاشمية . وإنى لا أحتاج

أن أجل شرح السامع والمباحث التي عملتها حكومة جلالة الملك لتشجيع على تسوية
حية في المسائل المتعلقة بين حكومتكم وحكومة ابن سعود ، وأن هذه الجهود التي كانت
لقرينة الصلات السلية في شبه الجزيرة لم تحرم من ملاقاته غنية من جراء إصدار حكومتكم
بأن المسائل التي تحت البحث يجب الحكم فيها مقدماً قبل أن نصير موضوع تحكيم ما وليس
في ذلك مباينة بأن يقال : إن الإرجاء المستمر لأى سعى للمفاوضات الحبية مباشرة مع ابن سعود
من أشد علامتهم تشييط العزم بالأمور السياسية العربية الحاضرة . وإلى أذكر هذه النظرة
السياسية في الموضوع . لأنها هي التي يظهر أنها تضيف على هذا البحث — بحث الحج
السعدى — إحساسات واعتبارات حارحة عن صفته الدينية المستناة . وإلى أرحوكم أن نستقوا
نأى لست أكتب هذه الأسطر بروح المعارضة الصرفة ، أو كنصيحة ووعظ . فإن الموضوع
أكبر من أن يكون موضوع شجار . وأهم من أن يحصل في كلمات خفيفة الوزن . وهل هناك
برهان على عمودج السكال في الاعتماد العربي أعظم من أنه يفوق ويسو كل إدراك ،
وأنه يحصل في النظر بصحة تشل شبه الجزيرة ليست تقصر على أقاليم . وهل هناك حدود
صارمة جداً بحيث تحول بين السلم وتأدية فريضة الحج المقدسة ؟

وتقبلوا عظيم التوقير ؟ نائب ممتد وقنصل بريطانيا في جدة

وكيل قنصل

جرائقي صميث

الخاتمة

لنكل أجل كتاب . ولنكل بداية نهاية . وقيمة كل امرئ بما يحسن . في ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ ٩٥ نوفمبر ١٩٥٣ فارق هذا العالم إلى دار الخلود المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود فققدنا مفقده رجلاً عظيماً مدّ وفاق مملكته المتراصة الأطراف وبني صرحها الشامخ لينة فوق لينة بعد كفاح صرير وحروب دامية وصال سياسي . وثمن مات عبد العزيز ، كما يموت كل شرفاء أعماله الخالدة ستبقى حية في صفحات التاريخ .

وإنما المرء حديث ، هذه فكن حديثاً حسناً وهي

لقد أدى عبد العزيز واجبه في الحياة على خير وجه يمكن أن يؤديه رجل عظيم مثله . وترك الأمانة لأكبر أسائه الملك «سعود» وهو خير من يحسنها . وإيه ليس حبيب من بلاده . فقد رافق ولده في كثير من حروبه ، كما حمل كثيراً من الأعباء والمسؤوليات السياسية والإدارية بالنيابة عن والده .

ولقد أبدى في السنة الأولى من حكمه نشاطاً عظيماً فرار شمال بلاده في الشتاء القارس وجنوبها في القيظ الشديد للوقوف على حاجة البلاد وأهلها ، غير عانى بما يلاقى من مشقة وتعب في سبيل خدمة بلاده ، ورفع مستوى شعبه ، وتوفير جميع أسباب الرفاهية والرفق للأمة العربية من جميع النواحي الصحية والاجتماعية والتعليمية .

والعالم العربي والإسلامي ينتهل إلى الله أن يسد خطاه . ويحمل التوفيق حليته . وأن يحمل هذه عهد سعادة ورخاء ، وسعادة وهناء . وأن يحقق في أيامه ما يصبو إليه العرب من اتحاد وحرية وتقدم . والله الموفق المبين ، ثم المولى ونعم النصير .

قاموس الامكنة والبلدان

(1)

أسبیکا : ۱۰۹ - ۱۷۵
 أملج : ۱۵ - ۲۰
 اعمر : ۱۲۹ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷ ، ۱۸۹ ،
 ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۳۱۸
 الأندلس : ۱۲۳
 أنطاكية : ۱۷۱
 إربل : ۲۲۲ ، ۲۳۸ ، ۲۶۸ ، ۲۷۰ ، ۲۷۲
 إيطاليا : ۱۹۲ ، ۳۲۱

أوليان - ٢٢١ - ٢٢٢
أومش - ٢٢٣ - ٢٢٤
أولكن - ٢٢٥ - ٢٢٦
أب - ٢٢٧ - ٢٢٨
أهنة - ٢٢٩ - ٢٣٠
أهنة - ٢٣١ - ٢٣٢

(v)

تاریخ: ۱۳۸۳/۰۹/۰۸
 تاریخ: ۱۳۸۳/۰۹/۰۸
 تاریخ: ۱۳۸۳/۰۹/۰۸

1. 77 : 70 : 74 : 72 J1 7A : 1A
 2. 119 : 11A : 1-7 : 1-7 : 9- : 1A
 3. 113 : 113 : 17A : 171 : 175
 4. 719 : 717 : 710 : 7-7 : 101
 5. 720 : 721 : 7-7 : 721 : 727
 6. 703 : 70- : 713 : 712 : 71
 7. 797 : 797 : 791 : 79- : 7A1
 8. 71A : 7-7 : 7-7 : 717

[illegible]

الأحزاب : ٤٥
 أحرشوم : ١٦٧
 أرميا : ٣٣
 أرميا - ٨٣
 الكهنة (استقبل) : ١٨ ، ٣١ ، ٨٣ ، ٨٦ ،
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ،
 ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

[illegible]

اسكرونة: ١٥٩، ١٧١
اسكربة: ١٣١، ٣٣، ٤٠٤، ٣١٤، ٣٢٢
اصطال: ٢٠
الفة

• ١٠٦ : ٨٦ : ٨٥ : ٨٤ : ٧٦ : بريطانيا
• ١٦٥ : ١٦٤ : ١٦١ إلى ١٥٨ : ١٣٦
• ١٦٦ : ١٦٣ : ١٧٨ : ١٧٢ : ١٧٠
• ٣٧٢ : ٣٧٠ : ٣١٣ : ١٩٩ : ١٩٨
٣٣١ إلى ٣٢٩ : ٣٢٤

الأملق : ٤٥ ، ٥٣
نفسر : ٤٦
المانيا : ٧٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ١٩٥
أم الرضفة : ٢٩٢
أم الحامك : ٧١ ، ٧٣
أم نصر : ٧٦ ، ٨٣
الصلح : ٨٩ ، ٩٥

१११ : ५५५

ساتيا : ٩٦

البصرة : ٣٠ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ،

٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،

١٧١ ، ١٩٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٣٠٦ ،

بسة : ٢٩٣

ملك : ١٧٩

خضاد : ٣١ ، ٣٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ،

١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ،

٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،

٣١٣ ، ٣٢٣

البلقان : ٧٤٤

نماي : ٩٢

بورسودان : ٢٣ ، ١٦٢

لوري : ٩١

بوشهر : ٨٤ ، ٢٣

بيروت : ١٣١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٧١ ،

بيت المقدس : ١٩٨

بياس : ٧٢

بيشة : ٣٨ ، ٣٩ ، ٢١١ ، ٢٤٩

بيلان : ١٧١

(ت)

تاروت : ٧١ ، ٧٣

توك : ١٨ ، ١٩

تربة : ٣٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ، ٣٧٧ ،

تركستان : ١٨٧

تركيا : ١٠٢ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ،

٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

طولان : ٣١٣

تعفر : ٣٨

تغاية : ٥٦

تجر (واحدة) : ٥٥

تغية : ٣٧

تجير : ٥٩

تنومة : ٢٧

تهامة : ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

٤١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٨٨

تهامة لبيس : ١٥ ، ٣٦

النوم : ٥٩ ، ٦٠

تهام : ٢٣ ، ٦٦ ، ١٨٦

(ث)

ثادق : ١٩ ، ٥١

ثرمنا : ٥٧ ، ٥٨

ثسكة جبرول : ١٩

الثبية : ٢٥

(ج)

الجافورة : ٦٨

جاوة : ٦٧

جبل أجا : ٢ ، ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

جبل أحد : ٢٨٢

جبل الأخضر : ٢ ، ٤

جبل النحان : ٩٤

جبل القدرور : ٦٧

جبل رصوى : ٢٠

جبل السراة : ١٤

جبل سلمى : ٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

جبل سنام : ٧٦

جبل شمس : ٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٣ ،

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٤ ، ٢٢٧

جبل الطنب : ٦٨

جبل طويق : ٢ ، ٤

حليل : ٧٤ ، ٢١٦

الحيلة : ٤٩ ، ٥١ ، ٣٠٦

جند خفس : ٩٥

حدة : ٤ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ،

٢٨ ، ٤٠ ، ٨٨ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١١ ،

٢٢١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

عبدة : ٦٠ ، ١٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٦٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦
 الطائ : ٧٩
 عين : ٧ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦
 عراد : ٩٦ ، ١٠٢
 المراق : ٧ ، ٩ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١٣٥ ، ١٢٧ ، ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٠
 عرفة : ٤٨
 المروض : ٤٨
 مسكر : ٩٤
 عير : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ١٦٨ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤
 عبدة : ٥٩
 المطار : ٥٩
 النقة : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠
 عبدة : ٦٥ ، ٦٦
 الطير : ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٥
 عكا : ٣٧٢
 الملا : ٤٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٦٦
 حمارة : ١٨٧
 المارية : ٤٨
 عمان : ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢١٨ ، ٢٠٨ ، ٢٣٢
 ملك : ٧٥ ، ٧٣

(غ)

الفاط : ٥٩ ، ٦٠
 المنزلة : ٦٦
 عسة : ٥٧
 الصنية : ٥٠

(ف)

فارس : ٧٣ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٤
 ملك : ١٥
 فرزان : ٤٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧
 فرسا : ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٥٢ ، ٢٨٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
 فروق : ٣٧٧
 فريتان : ٣٧٧
 فاطم : ٦ ، ٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٧٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢
 فتيس : ٨٣
 قيد : ٣ ، ٦٤ ، ٦٥
 فيسكا : ٨٠

وادي بيضة : ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٧
 وادي الثلث : ٥٤
 وادي الخمس : ١٩ ، ٢١
 وادي حنيفة : ٢ ، ٤٨ إلى ٥٢
 وادي الدواسر : ٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ،
 ٥٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧
 وادي رانية : ٢٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٢١٩
 وادي الرمة : ٧ ، ٣١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢
 وادي ريدي : ٢١
 وادي السرحان : ٦٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
 وادي شهران : ٣٦ ، ٢٥٩
 وادي الطبق : ٢٦
 وادي عين : ٢٠
 وادي غاطية (من الظهران) : ١٥
 وادي غروق : ٦٨
 الوحة : ١٥ ، ١٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧
 الوشم : ٤٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٢٢٧
 وشيبر : ٥٧ ، ٥٨
 الوقت : ٥٧
 ولابن : ٥٦
 الولايات المتحدة (انظر أمريكا) : ١٧٤

(ح)

الحاج : ٧٩
 الحاطية : ٤
 الحياطة : ١٧ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٢٣١
 الحين : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ،
 ٢٢ ، ٣٤ إلى ٣٩ ، ٤١ ، ٥٤ ، ١١٨ ،
 ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ٢٠١ ،
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٧٦ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٠
 طبع : ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ،
 ١٩٠ ، ٢٢٣
 اليونان : ٢٢٦ ، ٢٤٧

(٢٥ — جزيرة العرب)

١٥١ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ إلى ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ إلى ٢٣١ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٥٣ إلى ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
 إلى ٣٠١ ، ٣٠٥ إلى ٣١٤ ، ٣١٨ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩

بحران : ٢١٥ ، ٢١٦

الغائل : ٦٩ ، ٧٠

عنه : ٥٥

النوع : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
 ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨

النوع : ٥٥

(د)

دير : ٦٨ ، ٧٢
 ديرة الأخضر : ٢٨٥
 ديرة الأرطوية : ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،
 ٣٢٧
 ديرة دنة : ٢٨٥
 ديرة التمام : ٢٩٣ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧
 الدزم : ٧٩
 الدفوف : ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٢٣
 دولندا : ٢٦٨
 الحمد : ١ ، ٧ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ،
 ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ ،
 ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ،
 ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣ ،
 ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢١٣ -

(و)

واحة الوادي : ٥

(ث)

تركى بن عبد الله : ٢٢٨ ، ٢٢٧
تيتونى (الملبور) : ١٧٤

(ج)

جابر بن عبد الله (الشيخ) : ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ١٣١
جابر بن مبارك الصالح (الشيخ) : ١٤٢ ، ١٣٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ١١٣
جابر النقي : ٨٧
الماشكمير (السلطان) : ٣٠٣
الحريق : ٢٢٢
حراح بن صاح : ٢٣٨ ، ١٤٠ ، ٨٥
حمر بن محمد بن الحس : ١١٨
حلال السلطة : ٢٧
حلبت كلايتون (السيد) : ٢٩٣ ، ٢٥٣
جلوب (المتر) : ٣٠٠
جلوى بن تركى : ٢٢٩
جمال باشا : ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٥٧

(ح)

الحارث بن كلفة : ١٢٢
الحارث بن مقاس : ٢٩ ، ٢٨
الحجاج : ٢٦
حماد باشا (الخزان) : ١٢٥
حسن بن عبد الله (السيد) : ٢١٦
حسن الإدريسي (السيد) : ٤٤ ، ٤٣
حسين بن علي (الملك) : ١٨٠ ، ٣٩ ، ٣٣ ، ٤٤
١٤٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٤٣
١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧
١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤
١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨
١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١

أبو طاهر القرمطي : ٢٢

أحمد بن جابر (الشيخ) : ٨٧

أحمد بن حنبل (الإمام) : ١٢٩ ، ٣٠٩ ، ٣١١

أحمد بن سعيد (الشريف) : ٢٠٧ ، ٢٠٢

أحمد بن عتيق (الشيخ) : ٣١٤

أحمد بن عيسى (الشيخ) : ١٠٠

أحمد المديري : ٢٢٢

أحمد السنوسي : (السيد) : ٢٨ ، ٤٢ ، ١٦٢

الإدريسي : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٥١ ، ٢٠٥

٣٢٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٠

أرثر مكاهون (السيد) : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣

١٦٤

الأزرق : ٢٧ ، ٣٤

استورس (المتر) : ٢٣١

اسكويث (متر) : ١٩٥

إسماعيل : ٢٨ ، ٣١٥

أمين الحبيبي (السيد) : ٢٢٤

(ب)

باست (الكولونيل) : ٣٢٩

البخاري : ٧٤ ، ٢٥

برتلو (مسو) : ١٧٩ ، ١٨٠

برسي كوكس (سيد) : ٧٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٢١٨ ، ٢٥٧

بركات بن السيد حسن الخملان : ١١٩

بركهوت : ١١٩ ، ٢٢٥

بروس (متر) : ١٠١ ، ١٠٣

بهريف (الرحالة) : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣١٢

بليور (القورد) : ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩

بلي (الكولونيل) : ٨٤ ، ٢٣١

بنيت (الكنتور) : ١٢٢

برام : ٩٩

الوصيري : ٣١٣

بيكو (الكولونيل) : ٢٩٨

بيكهوت : ٢١٥

ريجله ونيث (البر) : ٢٥٢
الرحمان (الأستاذ) : ٢٦٧

(ز)

راميل السليم : ٢٣٤ ، ٢٣٧
الزهرأوى (السيد) : ١٥٤ ، ١٥٥
زيد بن حسين (الأخير) : ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٨
١٩٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥
زيد بن الخطاب : ٣٠٥

(س)

سارة : ٧٤
سالم بن مبلوك (الشيخ) : ٨٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣
٢٥١
سالم حدأوى (الدكتور) : ١٢٦
ستوكيه (السيد) : ٨٣
سرور (الشريف) : ١٤٩ ، ٢٠٣
محمد بن عبد الرحمن : ٢٠٥ ، ٢٤٣
سمود بن إبراهيم : ٢١٥
سمود بن سعيد (الشريف) : ٢٠٣
سمود (الأخير) : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٩١ ، ٢٢٥
سمود بن عبد العزيز (الإمام) : ٢١٦ ، ٢١٨
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣
٢٢٤ ، ٢١٥
سمود بن فيصل : ٢٣٩ ، ٢٣٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤
٢٢٥
سميد بن سمان (الشيخ) : ٢٨٤
سكر ليج (الكولونيل) : ١٧٥
سكولوف : ١٦٧
سلطان بن محمد : ٢١١
سلطان الدويش : ٢٣٤
سليم (السلطان) : ١٤٨ ، ٢٢٣
سليمان : ٦٦
سليمان آل محمد : ٣٠٧
سليمان أزمع (الشيخ) : ١٨٧
سليمان بن أحمد (الشيخ) : ٨٢ ، ١٠٠
سليمان الحارثي بك : ١٥٢

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨
٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٣٠

حق الظلم بك : ١٥٣
حمد بن عيسى (الشيخ) : ١٠٤
حزة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩٣
حمود (الشريف) : ٣٩
حواء : ٢١ ، ٢٢

(خ)

خالد بن سمود : ٢٢٩
خالد بن لؤي (الشريف) : ١٠٦ ، ١٠٧
٢٦٥ ، ٢٩٠
خديجة : ٣٠
خزعل (الشيخ) : ٢٤٩ ، ٢٥١
خلعة بن محمد : ٨٢
خليل صادق باشا : ١٥٢

(د)

داود الأتلاكي : ١٢١
دسلان (السيد) : ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢
٢٢٣
الدوق أف أرجيل : ١٦٨
الدويش : ٨٧ ، ٢٦٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
ديكون (الكولونيل) : ٢٥٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
دم (الدكتور) : ١٢١

(ر)

راكان بن حنبل : ٢٢٢
ريفة بن مامع : ٢١٥
رجب النقيب (السيد) : ٨٦ ، ١٢٢ ، ٢٣٨
رحمة بن باير : ١٠٩
الرشيد : ٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢
رعيد رضا (السيد) : ١٥٣ ، ١٦٦
رفيق الظلم بك : ١٥٣

١٠٥ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٤ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٦٢
 ١١٧ ، ١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦
 ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٦ ، ١١٤
 ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٣ ، ١٢١
 ٢٠٧ ، ١٦٦ ، ١٢٧ ، ١٢٢ ، ١٢١
 ٢١٦ ، ٢١٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤
 ٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠ ، ٢١٨ ، ٢١٧
 ٢٥٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
 ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦١ ، ٢٥٧
 ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩
 ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
 ٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦
 ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦

٢٢٥ ، ٢١٨ ، ٢١٥

عبد العزيز بن شبيب : ٢١٢

عبد العزيز بن الصباح : ٢٣٤

عبد العزيز بن فيصل : ٢٣٤

عبد العزيز بن فيصل القويش : ٢٩٧

عبد العزيز بن مطير : ٢٣٠

عبد الحليم بن عبد الرحمن (الشيخ) : ٢٣١

٢١٥

عبد العزيز بن (الشيخ) : ١٤٣

عبد الكريم السدون : ١٢٢

عبد الله بن أحمد (الشيخ) : ١٠١

عبد الله بن بلعيد (الشيخ) : ٢٧٤

عبد الله بن تركي : ٢٣٤

عبد الله بن ليان : ٢٢٩ ، ٢٣٠

عبد الله بن جلوي : ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٩٠

عبد الله بن حسن (الشيخ) : ١٢٩ ، ١٨١

عبد الله بن حسين (الأمير) : ١٨٦ ، ١٨٨

١٩٧ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩

٢٢٩ ، ٢٨٥ ، ٢١٢

عبد الله الطنجي (الدكتور) : ٢٧٤ ، ٢٩٠

عبد الله بن الزبير : ٢٩

عبد الله بن سعود : ٢٢ ، ١٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢١٩

٢٢٧ ، ٢٢٤

عبد الله الصانع بك : ١٧٢

عبد الله بن صباح : ١٠٠

سبيل ولسون (الكولونيل) : ٢٥٣

سبيل (الورد) : ١٨٦

(ش)

الثاني (الإمام) : ٣٤

عسكري الأيوبي (الجنرال) : ١٧١

عسكري السبيل بك : ١٩٥

هو (لاسور) : ٢٢٠

شوكت علي (مولانا) : ٢٧٤

الشيخ : ٢٧

(ص)

صالح بن جابر (الشيخ) : ٨٤ ، ٨٥

صبيح لسان بك : ٢٥٥

(ط)

طالب القريب (السيد) : ١٥٤ ، ٢٦٧

الطبري : ١٣٠

طوسون : ٢٢٣ ، ٢٢٥

(ع)

عائفة (أم المؤمنين) : ١٦ ، ٢٦ ، ٢٣

عائض بن عروة : ٤١ ، ٤٢

عباس باشا الأول : ٢٣٠

عباس لالسكر (الشيخ) : ١٨٧

عبد الإله (الأمير) : ١٥٠

عبد الحميد (السلطان) : ١٥٢ ، ٢٧٨

عبد الحميد الزمراوي (السيد) : ١٥٢ ، ١٥٤

عبد الرحمن بن حسن (الشيخ) : ٢٢٢ ، ٢١٥

عبد الرحمن بن فيصل (الإمام) : ١٢١ ، ٢٣٥

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

عبد العزيز الحسيني (الشيخ) : ٢٠٢ ، ٢٠٣

عبد العزيز الرشيد (الأمير) : ٦٥ ، ٢٦ ، ٢٠٢

٢٢٨

عبد العزيز بن سعود (الملك) : ٩ ، ١٣ ، ١٨

٢٨ ، ٢٣ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١١

(ف)

دؤاد الأول (ملك مصر) : ١٨ ، ٢٦٢
 دؤاد الخطيب : ١٧٥ ، ١٩٩٢ ، ٢٦٨
 غري ناشا : ١٨

فلى (المصر) : ١٢٩ ، ٢٠٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٨٣

فهد بن جلوي : ٢٩٧

فهد الخذال بك : ٢٥٥

فولك (السنه) : ١٧٤

فيسل (الإمام) : ١٩ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٩

فصل بن تركي : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

فيسل بن حميد (الملك) : ١٥٧ ، ١٧

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣

٢٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥

٢٢٧ ، ٢٢٨

فصل بن موسى : ٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٥

٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١

فصل بن عبد العزيز (الأخير) : ١١٢ ، ٢٦٣

فصل : ٢٥٤

(ق)

قامر أبي : ١١٣

قناده : ١١٨

(ك)

كامل ناشا (المدر الأعظم) : ١٥

كشمر (الورد) : ١٥٦ ، ١٥٨

كرم خان : ١٠٢

كليتمو : ١٧٢ ، ١٧٥

كلمت (البحر) : ٢٥٢

عبد الله بن طريح : ١

عبد الله العظيم بك : ٢٢٢

عبد الله بن عيسى : ١٢

عبد الله بن فيصل : ٧٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

عبد المجيد الثاني (السلطان) : ١٧ ، ١٥٠

عبد للمين (العريف) : ٢٢٠

عبد الملك بن سروان : ٢٦

عبد الوهاب طلمت بك : ٢٦٨

عنان : ١٦ ، ٢١ ، ٢٨

عنان الصايغ : ٢٢٢

عنان : ٢١ ، ٢١١

عمر بن الخالدي : ٢١٦

عزيز بن المصري بك : ١٥٣

عصاف أبو تيج : ٢٢٤

الملاء بن عبد الله الحلوي : ٢٢

علي ناشا (الشريف) : ١٥٠ ، ٢٠٤

علي الإدريسي (السد) : ١٣

علي آل خليفة (الشيخ) : ١٠٠

علي بن حسين (الملك) : ٤٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨

١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٦٧

٢٢٥

علي خلق بك : ٢٦٠

علي أحمد الخالدي : ١٢٢

عمر بن الخطاب : ١٦٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

١٦٤

عون الرقيب (العريف) : ١٥٠ ، ٢١١

عيسى بن علي (الشيخ) : ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٢٢

٢٢٠ ، ٢٢٢

(ع)

عالب (العريف) : ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٦

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

عزود (الغزال) : ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣

١٨١

محمد علي باشا : ٢٢ ، ٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩

محمد علي (مولانا) : ١٦٦

محمد علي زين العابدين : ١٢٤

محمد بن عون (الشريف) : ١٥٠ ، ٢٠٤

محمد بن فيصل بن تركي : ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧

محمد بن مملوك : ٢٢٧

محدث باشا : ٧٧ ، ٢٣٤

محدث شكرى بك : ١٥

المراعى (الشيخ) : ٢٦٨

مرسى الإدريسي (السيد) : ٤٤

مسعود (المصري) : ٧٠٣ ، ٧١٠

مسلم بن ربهان : ٢٣٥

مسلم بن المجاح صاحب الصحيح : ٢٥

مشارى بن سمود : ٢٢٧

مشارى بن عبد الرحمن : ٢٢٨

مصطفى بن السيد عبد القادر : ٢٢١

مصطفى بن عبد الرحمن (السيد) : ٢٢٠

مطير : ٨٧

مطوية بن أبي سفيان : ٢٧٨

النصير بالله : ١٧

النفير بن مخزوم : ٢٦

نفر بن إبراهيم : ٢١٥

مالك بن مالك (الملقب) : ١٩٧

النصور (الخليفة العباسي) : ٢٨

نور (الجفالي) : ١٦٧ ، ٢٥٥

النهدي : ١٧ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١

نور بن ناصر : ٢١٥

(ن)

ناصر الأصيل (الدكتور) : ١٩٣ ، ١٩٤

الناصر (الملك) : ٣٠٤

ناصر السمود باشا : ٢٣٤

ناصر مبارك (الفيج) : ١٤٣

النجيب : ٢٥٥

نوكس (السكولويل) : ٢٥٨

نيجير الدين : ٣٠٨

نور الدين (السكولويل) : ١٦٥ ، ٢٥٥

نور الدين (المورد) : ٨٧ ، ١٦٥

(ل)

لانسدون (المورد) : ١٦٩

اللقى (المورد) : ١٨٧

لوتر : ٣٠٥

لورانس (السكولويل) : ١٩٢ ، ٢٠٨

لويد جورج (المورد) : ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٩

١٧٧ ، ١٩٥

(م)

مابند بن خبطة : ٢٩٥

مارك ساينكس يكو : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٠

٣٢٤

مالك (الإمام) : ٢٦ ، ٢٤

مبارك الصباح (الشيخ) : ٧١ ، ٧٩ ، ٨٤

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٨

١١ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٨

٢٤٠ ، ٢٤٣

محسن النعم : ٢٩٨

محمد الإدريسي (السيد) : ٢٠١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦

محمد بن خليفة (الشيخ) : ١٠٠ ، ١٠٣

محمد الرشيد : ٥٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

٢٣٧ ، ٢٧٨

محمد بن سمود (الإمام) : ١١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦

٢٢٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨

محمد الصباح : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ٢٣٨

محمد بن مارب : ١٦٠

محمد بن عبد الرحمن : ٢٤٠

محمد بن عبد العزيز (الأمير) : ٣٢٥

محمد بن عبد الوهاب (الشيخ) : ٢٩ ، ١٢٩

٧٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢٢١

٢٢١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

٢٣٦ ، ٢٣٧

٢٣٨ ، ٢٣٩

(٥)

حارث بن : ٣٢١

حارون الرشيد : ٢٦ ، ٢٨٤

حلم بك الأمازي : ١٨١

حامشون : ٢٥٢

حريرت صوبل : ١٩٨

هرنقل : ١٠١

هشام بن عبد الملك : ٩٩

هوجلوت (الكوسانصور) : ٢٥٣ ، ٢٢١

(٥)

و . ج . د . ن (السيد) : ١٠٢

ولن : ١٧٠ ، ٢٨

الوليد بن عبد الملك : ١٧ ، ٢٨

وهيب بك : ١٥٦

وزنن (الدكتور الصبيوني) : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

(٥)

ياقوت : ٥٩ ، ٥٣ ، ٥٥٢ ، ٥٩٢

يحي (امام اليمن) : ٤٣ ، ٧٠ ، ٢٧٦ ، ٣٢٠

يزيد بن معاوية : ٢٦

يوسف بن ابراهيم (الشيخ) : ٨٦ ، ٢٣٨

الأمم والقبائل والبطون والفرق

(١)

الإخوان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،

٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

٣٢٧ ، ٣٠١

الأحوسنة : ٢٧٦ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٠ ،

الأرطاوية : ٢٨٥

الأرمين : ١٩٧ ، ١٩٦

الأشراف : ١٤ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ،

٤٣ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣ ،

٩٤ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ٩٤ ،

٩٥ ، ٩٥ ، ٩٥ ، ٩٥ ، ٩٥ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ،

٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ،

٩٩

الألمان : ٧٦ ، ١٨٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،

١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٨ ، ٢٥٢

الأمريكان : ٨١ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٧٤

الإنجليز : ٤٣ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٨ ،

١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ،

١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٩٤

الأنصار : ٢٨٥

الأوس : ٢٨٥

الإيطاليون : ٤١ ، ٤٣

آل إبراهيم : ١٤١

آل خليفة : ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢١٢

آل سمود (السموديون) : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٢ ، ٥٢ ، ٥٢ ، ٥٢ ، ٥٢ ،

١٤٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٥ ،

٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ،

٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ،

٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ،

آل الشيخ : ٩٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

آل صباح : ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٢ ،

آل طايض : ٤٤ ، ١٣٢

آل ميان : ٢٧

آل مبارك : ٧١

آل مية : ٤٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٤ ، ٧٤ ،

٢٩٠

آل مصر : ٢١٥ ، ٣٠٧

الأتراك : ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ،

٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٣٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،

٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،

٢٤٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٨ ،

(ب)

البخارة : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧
البرتاليون : ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨
البروكستان : ٣٠٨
البريطانيون : ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٩١
بكر : ٧٢
بنو بركات : ١٤٩
بنو نعيم : ٤٧ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦
بنو حلد : ٢١٥
بنو خالد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧
٨٣ ، ٩٠ ، ٩١٥ ، ٩٢٢ ، ٩٣٣ ،
٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧
بنو شهر : ١١ ، ٢٥٩
بنو عبد شمس : ٧٢
بنو عتبة : ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨
١٠٣ ، ١٠٤
بنو علي : ٩٧
بنو محيط : ٤١
بنو هاجر : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧
بنو ياس : ٩٧ ، ١٠١
البيوسيد : ٢١٥
بو هينين : ٧٤ ، ٩٤

(ت)

التق : ٣٠٢
تيم : ٧٢

(ث)

ثيف : ٣٥

(ج)

الجاويون : ٢٧٣
جرم : ٢٥
الجلامة : ٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٠
جهينة : ٢٠
الجوسم : ١٠١

(ح)

حرب : ٢٠ ، ٤٦ ، ٢٨٥
الحاديون (انظر الأشراف) : ١٤٨
حنابلة : ٣٧ ، ٤٠٢
حولة : ٢٣ ، ٩٠ ، ٩٧
المحيطات : ١٩

(خ)

الخروج : ٢٨٥

(د)

الدواير : ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩٠ ،
٩٤ ، ٩٦ ، ٩٢٢ ، ٩٣٥

(ذ)

ذوو زيد : ١٤٩

(ر)

الرافضة : ٧٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
ريضة : ٢١٥
الرجبان : ٥٦
الرشادة (آل رشيد) : ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
٧٢٧ ، ٧٣٧ ، ٧٣٩
الروس : ٨٤ ، ٨٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣
الروقة : ٢١
الروم : ٣٤

(ز)

الزبانية : ٩٧

(س)

السادة : ٩٠ ، ٩٧ ، ٢١٥
السائيون : ٩
سليم : ٧١ ، ٦٠ ، ٧٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧
السدون : ٧٥٤ ، ٣٠٧

(ف)

الفاطميون : ١٤٨
الفرس : ٣٩ ، ٧٢ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٣
الفرنج : ١
الفراسيون : ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٨٤

(ق)

القيط : ٣٤
قنادة : ١٤٨
قنطان : ١١ ، ١٦ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٣٩٥
قريش : ٢٦

(ك)

الكتابوليك : ٣٠٨
الكتابيون : ٩

(م)

الماليخ (نشد) : ٣١٥
المصريون : ٥٠ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،
٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٢
مطير : ١٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ،
٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
٢٩٨
المغاربة : ٢٢٢
الماليك : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٢٢
المناسة : ٩٧
المنطق : ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
الموالي : ٧١ ، ٩٦

(ن)

النصارى : ٣٢ ، ٣٤ ، ٩٣

النوسية : ٤٩

المجول : ٧١ ، ٣٢٧

(ش)

شمر : ٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٢٥٤ ،
٣٨٥
شهران : ٤٩
الشعبة : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٩٣

(س)

الصلبة : ٧٢
الصهيونيون : ١٧١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨
الصرفية : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥

(ض)

الضفير : ٢٥٤ ، ٢٥٥

(ع)

عبد القيس : ٧٢
العبرانيون : ٩
عنينة : ٣٥ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٥ ،
٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
الميجان : ٤٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧١٥ ،
٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٩٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٦
المأثر : ٧٤
عمر : ٤٦ ، ٢١٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
متنزة : ٩ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧
الموارد : ٧١ ، ٧٧ ، ٨٠

(غ)

غامد : ٤٩

(ى)	(هـ)
<p>اليهود : ٢١ ، ٢٣ ، ١٧٥ ، ٣٦١ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ، ١٨١ ، ١٩٥ ، ١٢٥</p> <p>اليونان : ١٢٥</p>	<p>الهكسوس : ٩ الهنود : ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ٢٣١ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ الهوامس : ١٤٨</p>
	(و)
	<p>الوحايرون (انظر الانوان) : ١٠٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٣١٤</p>

دار المصرية للطباعة
ت. ٣٨٢١٥١١ - الهرم